جامعة الجزائر ابن يوسف بن خدة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا
1975-1954

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالـب: محمد بلقاسم
إشراف الأستاذ: أ. د. شاوش حباسي

السنة الجامعية: 2010/2009

بسم الله الرحيم الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين،

برا و إحسانا ...

المختصرات

ح ش ج/ح أ ح د = حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية

(د. ت.) = دون تاريخ

لدام = اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب (العربي)

م. ت. ق. = مركز التوثيق القومي (تونس)

م. ت. م. = المجلة التاريخية المغربية (تونس)

م. د. و. ع. = مركز دراسات الوحدة العربية (لبنان)

م. م. ت. م. = ملفات من تاريخ المغرب (المغرب الأقصى)

ن/م د أا = نشرية مركز الدراسات و الأبحاث اقتصادية و الاجتماعية (تونس)

و/أت ح و ت = وزارة الإعلام/ تاريخ الحركة الوطنية التونسية

(هـ.) = هامش

AEMNA= Association des étudiants musulmans Nord-Africains

A.F. = Bulletin du Comité de l'Afrique Française

A.P.C. = Affaires politiques et commerciales

C.D.N. = Centre de documentation national (Tunis)

C.T. = Les Cahiers de Tunisie

D.H.M. = Dossiers de l'histoire du Maroc

Doc. = Document

Dos. = Dossier

M.A.E. = Ministère (Ministre) des affaires étrangères

(N.) = Note

Q.O. = quai d'Orsay

R.F.= République Française

R.H.M. = Revue d'histoire maghrébine (Tunis)

ROM.M. = Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée

المقدمة

انبعثت وحدة المغرب العربي في القرن التاسع عشر من طرف " شيخ المجاهدين"الأمير عبد القادر في مقاومته ضد التكالب الاستعماري الوحشي على الجزائر، بدعوته لجيرانه في المغرب الأدنى و المغرب الأقصى ليدعموه، حتى لا يدركهم نفس المحظور، و هي الفكرة التي تنامت عن وعي من طرف نخب القيادات السياسية والإصلاحية و زعماء المقاومة في الحركات الوطنية في المغرب العربي من مطلع القرن العشرين إلى انطلاق ثورات التحرير و المقاومة ضد المستعمر الأجنبي.

و خلال نفس الفترة السابقة، انتعش الوعي الوحدوي الجماهيري الواسع، المرتبط ارتباطا حضاريا بمجاله العربي الإسلامي الأصيل في الذاكرة الجماعية لشعوب المنطقة، وهو الوعي الذي أفرز ضرورة التنسيق المتبادل لكفاح مشترك واحد مضمونه وحدة المغرب العربي.

و لمّا كنتُ قد قدّمتُ مساهمةً حول هذه المرحلة في فترة سابقة بعنوان: "الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954"، دفعني الفضول إلى مواصلة المسيرة بموضوعي المتواضع هذا: "وحدة المغرب العربي فكرةً و واقعاً، 1954-1975"، و الذي اعتبره في واقع الأمر تكملة للموضوع السابق، و القصد من وراء ذلك، الاطلاع أكثر على نمو الوعي المغاربي ونضجه أو تلاشيه،و زواله، في ظل تضامن شعوب المنطقة أمام محنة الاستعمار و تآزرها عن شعور بوحدة المصير المشترك و وحدة المنطقة في تجاوب منقطع النظير! هل ستتحقق وحدة المغرب العربي في ظل هذه العوامل الوجدانية التي اعتمدت على العوامل الحضارية الثابتة التي لا تزول فقط؟

كان الشعور يبدو، باندلاع الكفاح المسلح في الوجدان المغاربي، أن تتحقق وحدة المغرب العربي تلقائيا في "حتميّة" تاريخية ضرورية، و بخاصة عندما اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 معبرة عن أهدافها الوحدوية، و تناغم الكفاح المشترك و تعميمه في كامل المنطقة. لكن، ما الذي أفرزته المقاومة و الثورة بعد تلاحمها خلال سنوات 1954-1956؟ و كيف تبلْور التصور الوجداني لأهالي المغرب العربي حول الوحدة المنشودة؟ هل أفرزت هذه المعطيات على الساحة المغاربية قطعا "قطرية" أم

تجسمت في قطر منسجم واحد و في أدنى الأحوال متكتلا أو متكاملا؟. من هذا المنطلق كان الاهتمام والتعلق بالموضوع أكثر، لمعرفة مكامن الكبح و الخلل.

كانت المقاومة المسلحة و الثورة "ذروة" الحركات الوطنية في المغرب العربي وكانت نخبها القيادية قد نشأت و ينعت أثناء زحف و نمو هذه الحركات و تطورها إلى أقصى حدودها المتمثلة في المقاومة، و هي المقاومة التي كانت فيها هذه القيادات فاعلة، وكانت في أغلبيتها داعية إلى وحدة المغرب العربي و الشدو بها، فلماذا إذن لم تحدث الوحدة في فترة المقاومة و الثورة، و هي فرصة لوحدة المغرب العربي " بقوة الأمر الواقع" ضد المستعمر؟! فما معوقات ذلك؟

لماذا صبت في النهاية كل هذه الأمور في أقطار متفرقة بقيادات تدعم بناء " الدولة المركزية القطرية" على حساب وحدة المنطقة؟ و من ثمّة، لماذا صبت في القالب الاستعماري الذي أراده لها؟ و كان الافتراض المطروح أن تتحقق وحدة المغرب العربي، وبخاصة في فترة الاستقلال، في كتلة متجانسة و منسجمة أمام كتل اقتصادية و سياسية وعسكرية في دول متحدة لا ترتبط بأي تجانس، كالذي يربط سكان المغرب العربي من روابط بشرية و حضارية و دينية وثقافية، قلما يجدها المرؤ في مجموعة بشرية في هذا الكون. و في هذا الموضوع، أحاول مناقشة هذه الجوانب من تاريخ المنطقة قدر المستطاع بناء على ما تيسر لي من دراسات و أدبيات ووثائق و شهادات، و القصد من وراء ذلك إثراء المكتبة في المغرب العربي بهذه الدراسة وتعميق مستوى المعرفة التاريخية لدى أجيال المنطقة.

و اعتمدت في انجاز هذا العمل على مصادر و مراجع باللغة العربية و اللغة الأجنبية، منها: الأرشيف المحفوظ منه و المطبوع، و على المذكرات الشخصية لأفراد عايشوا الفترة المدروسة عن قرب أو ساهموا فيها، و هي مذكرات بعضها في غاية القيمة، و هي على العموم تجانب كثيرا من الأحداث و لا تتعمق فيها، بعضها كتب بطابع "الأنا"، إن صح التعبير. كما تمّ لي الرجوع إلى بعض الدراسات الجامعية في موضوعات مختلفة في تاريخ المغرب العربي إثراء للدراسة، أهمها في هذا المجال دراسة عبد القادر العريبي، **تونس**

وعلاقاتها مع بلدان المغرب العربي، 1947-1984 ، التي رجعت إليها بتونس، إضافة إلى استفادتي من النصوص و المساهمات في مؤتمرات و ندوات علمية قدمت بها أحيانا شهادات حيّة انتظمت في أقطار المغرب العربي أو جهات أخرى.

كما استندت الدراسة كذلك، على مجمل الكتب الصادرة في المغرب العربي، و التي تمس الموضوع في بعض جوانبه التي تيسر لي الحصول عليها، و ألاحظ بالمناسبة أن بعض هذه الأدبيات مختصة و بعضها عام، و الكتابات المراكشية يرقى بعضها إلى نوع من العاطفة الشوفينية المتعلقة بالملكيّة، و هي " تصمت" و تتجنب الغوص في بعض المحطات التاريخية، نستثني منها كتاب "رجل المقاومة" عبد الرحيم الورديغي، **الخفايا السرية في المغرب المستقل، 1956-1961**، الذي فك كثيرا من العقد في الموضوع، إضافة إلى الاستناد على الدوريات و الصحف و مقالتها المختصة منها الإعلامية و العامة.

و قد تفاوتت درجة الاستفادة من المصادر و المراجع و من وثيقة إلى أخرى، و من كتاب إلى كتاب، و بين مقال و مقال آخر، فبعض الأدبيات منها به الغث السمين، و البعض الآخر ضعيف هزيل طفيف الأفكار و المعلومات، و مهما كان، فإنني استفدت منها الكثير، في بناء المعلومات و تركيب الموضوع و عناصره.

حاولت قدر المستطاع اعتماد منهج الكتابة الأكاديمية في معالجة موضوعات البحث، في مقارنة الأدبيات و نصوصها و الشهادات و موازنتها و مقاربتها و استخلاص ما يفيد الموضوع منها بناء و تكاملا، متوخيا في ذلك منهاج " المؤرخ" الحيادي الهادئ، بعيدا عن نظرة الغلو و التحيز.و أشير هنا إلى صعوبة البحث في هذا الموضوع و الكتابة حوله، نظرا لاتساع المنطقة، فهو موضوع قد يبدو سهلا، لكن تغطيته تتطلب جهدا كبيرا، فالمغرب العربي بأقطاره شاسع في مساحته طولا وعرضا، و هو الأمر الذي كلفني كثيرا من الجهد في محاولة الاطلاع على ما تيسر لي من أدبيات تحصلت على بعضها من الزملاء والأتراب، و اقتنيت البعض الآخر في الجزائر و مكتباتها، أو ما اقتنيته من سفرياتي إلى تونس و المغرب الأقصى في حدود إمكانات ضعيفة لا تيسر ظروفا طيبة لراحة بال الباحث أو الكاتب.

و قد رسمت معالم هذا البحث في خطة تمثلت في الآتي: بعد مقدمة أدرجت فيها سبب اختياري للموضوع و طرح الإشكالية العامة، ليأتي المدخل الذي يعرف المنطقة وبعض خصائصها الجغرافية، متعرضا للمحطات التاريخية إلى الفترة الاستعمارية و انبعاث فكرة وحدة المغرب العربي إلى عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى.

و ليأتي الفصل الأول الذي عنوانه: "تصورات فكرة وحدة المغرب العربي وتطورها: إصلاحا و سياسة"، و استعرضت فيه تطور فكرة المغرب العربي و تصورها لدى النخب المغاربية على مستوى المنطقة، و في المهجر خلال الحرب العالمية الأولى، ثم إلى نفس الفكرة لدى رجال الإصلاح و الجمعيات الطلابية في المغرب العربي إلى 1954، وبالموازاة مع هذا إلى تصور الوحدة لدى الحركات السياسية و في طليعتها نجم شمال إفريقيا إلى ظهور مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي.

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان:"المحاولات السياسية الثورية الوحدوية"، فتناول المحاولات الثورية المسلحة التي كان من أهدافها وحدة المغرب العربي بداية من الحرب العالمية الأولى مرورا بثورتي الأميرين عبد المالك الجزائري و الأمير عبد الكريم الخطابي، إلى محاولة جماعة لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية خلال الحرب العالمية الثانية، لينتهي بمبادرة بعض الجزائريين المنتمين إلى حزب الشعب الجزائري و اليائسين من وعود الاستعمار للبحث عن سند لهم في تونس و المغرب الأقصى، على أمل تفجير ثورة في المغرب العربي قبل اندلاع الثورة الجزائرية.

و تتبعت في الفصل الثالث الذي جاء بعنوان:"الثورة الجزائرية: فرصة وحدة المغرب العربي"، و فيه جاء الحديث عن الثورة الجزائرية بصفتها العامل المحرك والمشترك بين المقاومتين في تونس و المغرب الأقصى، فباندلاعها عمّ الكفاح ربوع المغرب العربي، و عليه تطرق الفصل إلى المقاومة الأولى في تونس و مساهمة بعض الجزائريين فيها، أما المقاومة الثانية و التي تزامنت مع الثورة الجزائرية و المقاومة في مراكش، فحاولت استعراض التلاحم فيما بينها و توحيدها في جيش واحد هو "جيش تحرير المغرب العربي" بالتنسيق مع الثورة الجزائرية، ليشارف الفصل نهاية 1956.

و تناول الفصل الرابع بعنوان:" "نحو احتواء" فكرة وحدة المغرب العربي" المعطيات الجديدة سنة 1956 في المغرب العربي، و التي منها استقلال القطرين تونس والمغرب الأقصى و توقف الكفاح المشترك، و انعقاد مؤتمر الصومام فاختطاف قادة الثورة الجزائرية، حيث يتناول الفصل في ظل هذه الظروف فكرة وحدة المغرب العربي في الكفاح المسلح و تحولها إلى التجزئة و ظهور الفكرة القطرية و التعامل مع العناصر الثورية الوحدوية في الأقطار الثلاثة، و أخيرا احتواء فكرة الوحدة من طرف النخب القيادية ودعوتها إلى عقد مؤتمر طنجة سنة 1958.

و جاء الفصل الخامس الذي حمل عنوان:" وحدة المغرب العربي " المجمدة" من المهدية إلى وادي الذهب"، و فيه تطرقت إلى المشاريع المنجزة في المخابر الاستعمارية، ومنه طرح فكرة وحدة المغرب العربي في إطار التكافل و التكامل مع فرنسا و اقتناع بعض الأطراف في المغرب العربي بها و الدعوة لها، و هي أطراف كانت تراهن على تحقيق مطامع على حساب الجزائر في ثورتها، و في ظل هذا المحتوى كانت الدعوة إلى مؤتمر طنجة، و هو المؤتمر الذي ولد وحدة للمغرب العربي ميتة قبرت في المهدية، نتيجة الرهان على تحقيق خريطة المغرب الكبير، و كان لهذا الأمر انعكاسات سلبية على المغرب العربي المستقل، و على اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب، التي تتبعت خطوات اشتغالها من 1964 إلى 1975، كانت نهايتها بنفس المطامع الترابية و الرهانات على حساب الصحراء الغربية.

و أنهيت العمل بخاتمة ضمنتها جملة من النتائج حول الفترة المدروسة، منها أن فرصة وحدة المغرب العربي ضاعت خلال الثورة الجزائرية في مراحلها الأولي، بتلاحم الكفاح المسلح و تناغمه في كامل المغرب العربي.

و أخيرا، لا يفوتني أن أقدم كل الشكر و العرفان لأستاذي الدكتور أبو القاسم سعد الله، الذي علمني أبجديات منهجية البحث و التحرير الأولي، حين أشرف علي في إنجاز مذكرة نهاية السنة الأولى ماجستير (الأمير عبد الكريم الخطابي و الثورة الريفية 1921-1926) وفي رسالة الماجستير (الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954)، فله مني كل التقدير و الاحترام، و من الله سبحانه كل الجزاء، و في إطالة العمر. كما أشكر كل الشكر

أستاذي المشرف الدكتور شاوش حباسي، الذي أجهدته بتكاسلي، فقد كان يدفعني دفعا لاستكمال العمل باحترام و تواضع، فله مني كل التقدير و الثناء، و أقدم بالمناسبة خالص التقدير للأستاذين الكريمين عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ و عبد العزيز بوكنة، و مدير قسم التاريخ الأستاذ أحمد شريفي و من خلاله إلى كل الزملاء في هيئتي التدريس و الإدارة، و أخص بالذكر الأستاذ الصديق مصطفى نويصر، المخلص الوفي، الذي أعارني كل ما توفر لديه من أدبيات متعلقة بالموضوع، و كان يرشدني أحيانا إلى كتب أو مقالات تهمني، دون أن أنسى الأستاذ يوسف تلمساني و الأستاذ جمال يحياوي، مدير المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 على تشجيعهما و مساعدتهما، إلى هؤلاء جميعا أجدد شكري و عرفاني بالجميل، و إلى كل الذين ساعدوني و لو بكلمة طيبة فلهم مني التقدير و الاحترام.

و في النهاية إلى زوجتي الطيبة أم الأبناء: دعاء، و عبد الجليل فارس، و عبد اللطيف لطفي، التي قاسمتني الصبر و الأناة، و كانت لي نعم المساعد و المحفز الأمين، إليها ارفع أخلص آيات التقدير، و وافر الصحة و العافية.

يوم الاثنين 8 جمادي الثانية 2009/06/01/1430

المدخل

المغرب العربي، هو عبارة عن كتلة جغرافية واحدة، لها نفس الخصائص العمومية، كانت هذه الكتلة قد باشرت تكوينها التاريخي الموحد منذ بداية التاريخ، وأصبحت منذ امتدادات الفتح الإسلامي القياسية وحدة حضارية.

عرفت المنطقة التي تشملها الدراسة عدّة تسميات[1] منها عبارة " بلاد المغرب"[2] التي أطلقها العرب المسلمون على البلاد، و التسمية في حد ذاتها فلكيّة و جغرافية، وتعني جهة غروب الشمس، بالنسبة لبلاد الحجاز مهد الإسلام.

و من المؤرخين العرب الذين استعملوا كلمة المغرب[3] العلامـــة عبد الرحمان بن خلدون و عنى بها المنطقة التي حدّدها من الناحية الطبيعية بتضاريسها من المغرب الأقصى إلى مصر حاليا (من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر)، و حدّد من الناحية البشرية في المنطقة مواطن سكانها البربر[4]

و كان الجغرافيون العرب يدخلون إقليمي مصر و برقة ضمن بلاد المغرب كذلك، وأطلقوا تسمية " جزيرة المغرب " على المنطقة، و هي التسمية التي ذكرها ابن خلدون كذلك، و قال أن معاصريه من العرب المسلمين كانوا لا يدخلون إقليم مصر و لا برقة في تحديدهم لمنطقة المغرب العربي، التي تشمل المغرب الأقصى و المغرب الأوسط وافريقية (المغرب الأدنى)، " و كان المغرب عندهم (أهل الجغرافية المعتنين بمعرفة هيئة الأرض، كما ذكر ابن خلدون،) جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه. و أما

---

[1] ـ منها التسميات التاريخية القديمة: نوميديا و موريتانيا، أو التسميات الحديثة و المعاصرة: كالتسمية الجغرافية شمال أفريقية، و هي تسمية أكثر من استعمالها المستعمرون الفرنسيون و الغرب الأوربي عموما، فصلا للمنطقة عن تبعيتها الحضارية. كما استعمل الأوربيون تسمية" الدول البربروسية" (Etats Barbaresques) في العصور الحديثة نسبة الى الأخوين عروج و خير الدين، و من الكلمات التي استعملتها فرنسا الاستعمارية كذلك " بلاد البربر" (Berberie) خدمة لأغراض التفرقة و التوسع و السيطرة على المنطقة! ...كما استعمل الكتاب العرب و المسلمون عبارة " المغرب الإسلامي"، و أخيرا هناك التسمية المعاصرة الحضارية التي واكبت تنامي الحركات الوطنية في المنطقة و هي : " المغرب العربي "، و هذه العبارة الأخيرة نجدها استعملت بكثرة في الأدبيات بالمنطقة خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، و يبدو أنها استعملت في نهاية العشرينيات من نفس القرن ، و لا ندري الآن من هو أول من استعملها من المغاربة (المغرب العربي)، إلي جانب تسميا سياسية أخرى، ظهرت فيما بعد استقلال المنطقة: كالمغرب الموحد أو المغرب الكبير أو مغرب الشعوب!...

[2] ـ انظر عن مصطلح المغرب: " Al-Maghrib" , In **Encyclopedie de l' Islam** , Nouvelle Edition, Leiden, Paris 1986 , pp.1173-1200

[3] ـ حاول عبد الله العروي فلسفة مصطلح المغرب من الناحية التاريخية، و قال أن معناه واسع بدون تحديد للمصطلح من الناحية اللغوية أو الجغرافية ، قائلا أن كلمة المغرب عبارة عن " وهم (Mythe) له معنى حيوي و موضوع تاريخ ! " انظر، Abdallah LAROUI , **L'Histoire du Maghreb, un essai de synthese,** F. Maspero, Paris, 1970, pp.13-15

[4] ـ " من بحر الظلمات إلى بحر القلزم..." انظر عبد الرحمان ، ابن خلدون ، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبرفي أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 12 ، موفم للنشر، الجزائر، 1995 ، ص ص 191-204

العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر و لا برقة، وإنما يختص بطرابلس و ما وراءها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهــذا العهد..." [5].

هذه المنطقة التي حددها ابن خلدون في عصره، هي التي تشملها هذه الدراسة، أي المغرب العربي الحالي بأقطاره الثلاثة (تونس و الجزائر و المغرب الأقصى) أي المغرب الأطلسي إن صح التعبير، مع بعض الإشارات إلى ليبيا(طرابلس الغرب) وموريطانيا (بلاد شنقيط) ، وهما القطران المنتميان إلى المغرب العربي سياسيا خلال فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وتظل الصحراء الغربية مشكلة تعيق الوحدة المغاربية منذ سنة 1975...

فخلال الفترة (1910 - 1964) لم تكن تشمل فكرة وحدة المغرب العربي سوى الأقطار الثلاثة: تونس و الجزائر و المغرب الأقصى، و هذه الدول هي " النواة المركزية" للمغرب العربي[6]، أما " الجناحان الآخران " : ليبيا - المستقلة منذ 1951- و موريطانيا - المستقلة منذ 1960 - فانهما لم تأخذا بعين الاعتبار في المساعي الوحدوية خلال الفترة المذكورة، ويكأنّ الأولى نُظر إليها على أساس أنها تابعة للمشرق العربي، و الثانية تابعة لإفريقيا السوداء[7]، غير أننا وجدنا أن رجال الحركة الوطنية في المغرب العربي قد أدرجوا ليبيا في نشاطهم ضمن المنطقة في أفكارهم الوحدوية في إطار مفهوم الجامعة الإسلامية[8].

عدد سكان المغرب العربي حوالي 70 مليون/نسمة - خلال سنة 1997 - و سكانه متمركزون أساسا في المغرب الأقصى و الجزائر، و تأتي بعد ذلك من بعيد تونس ثم ليبيا فموريطانيا[9] والصحراء الغربية. و قد ازداد عدد سكان المغرب العربي خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن العشرين بنسبة 3% في نموه الديمغرافي في كل سنة، إذ بين 1990/1960 تجاوزت نسبة النمو الديمغرافي 2% في كل دول المغرب تقريبا، إذ سجلت نسبة قياسية في ليبيا (5،3%)، و بصفة مجملة، فإن عدد سكان المغرب العربي سيتضاعف

---

5 - ابن خلدون، **مصدر سابق**.

6 - انظر، دراستنا، محمد ، بلقاسم ، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، 1910 -1954**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1994/1993

7 - Paul, BALTA, **Le grand Maghreb , des indépendances à l'an 2000**, Ed. Laphomic, Alger, 1990, p.27

8 - انظر ، بلقاسم، **مرجع سابق** ، ص ص.30 -53

9 - Google. http:/WWW. Géocities. Com/ macosmet/ Maghreb 2. Html

خلال 25 سنة المقبلة، و أن 40% من سكانه أقل من 15 سنة[10]. كان عدد سكان المغرب العربي التقليدي - إن صح التعبير - تونس و الجزائر و المغرب الأقصى، 70 مليون/نسمة سنة 2001، و مختلف الدراسات الاستشرافية الديموغرافية تقول ان عدد سكان هذه البلدان الثلاثة سيكون 95 مليون/نسمة سنة 2025، هذه المجموعة الجغرافية تقع الى الجنوب من أوربا تتربع على مسافة 3,25 مليون/كلم^2، أي ثلاث مرات مساحة كل من فرنسا و اسبانيا وايطاليا مجتمعة، و عدد سكانه أقل ب2,3 مرات عدد سكان أوربا المقابلة، و كثافة سكانه أقل بكثير مما هو عليه في أوربا: أقل من 15 نسمة في/كلم^2 في الجزائر، و أكثر من 40 في المغرب الأقصى و أقل من 60 في تونس، و تمركز السكان يلاحظ عليه عدم التوازن، ذلك لأن 2,5 مليون/كلم^2، هي مناطق صحراوية[11].أما المغرب العربي السياسي الحالي، بإضافة ليبيا و موريطانيا و الصحراء الغربية فانه يتربع على مساحة قدرها 6044600 كلم2[12].

يمتلك المغرب العربي واجهة بحرية خضراء من طبرق إلى أغادير، تمتد على مسافة 5000 كلم، محاذية للبحر الأبيض المتوسط إلى طنجة، و على مسافة 700 كلم من طنجة إلى أغادير على المحيط الأطلسي، ثم تصبح الواجهة صحراوية جرداء إلى مصب نهر السنغال على مسافة 1500 كلم جنوبا[13].

تهيمن جبال الأطلس على الشمال الغربي للمغرب العربي مكونة حاجزا بين الساحل المتوسطي و الصحراء، و تشغل الصحراء إلى الجنوب منها 80% من الإقليم المغاربي، أما المنطقة الانتقالية بين الجبال و الصحراء على الخط الساحلي الذي يفصل الجبال عن البحر، تتمركز أهم الأراضي الصالحة للزراعة في المغرب العربي. أما نظام جبال الأطلس الواسعة ، فتمتد على طول 2400 كلم من مصب وادي سوس في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى إلى رأس بون (Cap Bon) فخليج قابس في الشمال الشرقي لتونس، و تصل أعلى قمّة في هذه السلسلة المهمة في جبل طوبقال إلى 4165م بالأطلس الأعلى في المغرب

---

[10] - Google. http:/ WWW. Geocities. Com/ op. cit

[11] - Kamel, KATEB, " Des populations à l'étroit dans un vaste territoire", in **Questions Internationales**, n° 10 novembre-décembre 2004, (n° spécial Le Maghreb), Paris.

[12] - انظر، **Economie du Monde Musulman, 1972,** 4° Ed. Editions EMAM, Paris.

[13] - Google. http:/www. Geocities. Com/ op. cit.

الأقصى ، و سلسلة الأطلس الأعلى منفصلة عن الأطلس الأوسط في الشمال بوادي ملوية الذي يصب في البحر المتوسط غير بعيد عن الحدود الجزائرية، و بالأطلس المقابل في الجنوب الغربي بوادي سوس، الذي يجري باتجاه المحيط الأطلسي ليصب جنوب أغادير، أما الأطلس التلّي فيمتد من جنوب طنجة إلى بنزرت ـ حسب بعض المصادر ـ مدخلا بذلك جبال الريف، و أعلى قمّة به جبل تيديغين (Tididghine) في شمال المغرب الأقصى، لتذهب هذه الجبال ممتدة إلى منطقة بني خمير بتونس، أما البعض فيحددها في سلسلة الساحل الشمالي الجزائري، و إلى الجنوب من التل تأتي مرتفعات الأطلس الصحراوي بين السهول العليا الجزائرية و الصحراء الكبرى، و تمتد إلى الشرق لتمر عبر جبال الأوراس و الظهر التونسي (جبل شعامبي 1544م)[14].

تنساب من هذه الجبال عدّة أودية، بعضها يصب في البحر الأبيض المتوسط وبعضها في المحيط الأطلسي و البعض الآخر يتجه صوب الصحراء، تجري هذه الأودية عبر سهول ضيقة و خصبة في المناطق الساحلية (مجردة بتونس و الشلف بالجزائر) و في السهول العليا و الشبه جافة في الأراضي الداخلية.

أما المنطقة الخصبة المجاورة للبحر المتوسط في ليبيا فهي محدودة، و تشمل منطقة طرابلس في الشمال الغربي و حزام ضيق على الساحل تخترقه عدّة هضاب (كجبل نفوسة والجبل الأخضر)، و في الشمال الشرقي منطقة برقة، و منطقة طرابلس و برقة يفصلها خليج سيرت الواسع، الذي تحاذيه صحراء سيرت، و هي جزء من الصحراء الكبرى التي تمتد إلى المحيط الأطلسي. و تغطي الصحراء كل منطقة الصحراء الغربية و أجزاء كبرى من موريطانيا و الجزائر و ليبيا، و تمتد إلى مناطق مصر الشرقية و إلى السودان و المنطق شبه الجافة لدول الساحل (التشاد و النيجر و مالي و السنغال)، و هي أكبر صحراء في العالم، قاعدتها رسوبية متآكلة، بتضاريسها عدّة منخفضات (كتافيلالت بالمغرب الأقصى) تقطعها تلال (كالندي و تادمايت و التاسيلي) أو بعض الجبال البركانية المنفصلة، و أعلى قممها لا يتجاوز 3000م (الهقار في الجنوب الجزائري و تيبستي بين ليبيا و التشاد)[15].

---

14 - WWW. Geocities. Com. Op. cit.

15 - **Ibid**

يتسم مناخ المغرب العربي بالتنوع، فالصيف معتدل الحرارة و الشتاء قليل البرودة، وهذا راجع لوقوع الإقليم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط (المناخ المتوسطي)، غير أن المناخ المتوسطي يتغير تدريجيا في المناطق كلما توغلنا جنوبا، حيث المناطق الصحراوية، و مناخها معروف بالحرارة الشديدة و الأمطار شبه المنعدمة، و هذا باستثناء موريطانيا لموقعها الصحراوي، حيث تسيطر عليها الحرارة التي ترتفع في بعض المناطق و تنزل في المناطق المطلة على سواحل المحيط الأطلسي[16].

هناك عدّة معطيات موضوعية لوحدة المغرب العربي، منها: الطبيعيـــة [17] كما ذكرنا، والبشرية [18] و التاريخية و الدينية. و كان العنصر الأخير، و الذي نعني به الدين الإسلامي، الذي دخل المنطقة في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) من أهم عناصر التوحيد و الوحدة في حدود علمنا ، ذلك أنّه أضاف عدّة عوامل حضارية لوحدة المنطقة، من عقيدة [19]، و لغة [20] ، و ثقافة و نظام حكم و قيّم أخلاقية و عادات و عمران[21] وارتبطت المنطقة بذلك بتاريخ مشترك مع الدولة الإسلامية (الخلافة) و فيما بينها، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من دار الإسلام، و هذه العوامل المشتركة أصبحت خصائص حضارية ثابتة لا تزول...

---

16 ـ انظر، المعهد التربوي الوطني (الجزائر)، **الأطلس العالمي**، (د. ت.) ص ص. 12-35

17 ـ الوجه الفيزيائي للمغرب العربي واحد من الناحية الجغرافية من حيث التضاريس و المورفولوجية و المناخ و الهيدروغرافية ، و وجه المنطقة واحد كذلك من حيث الجيولوجية...الخ

18 ـ هناك عدّة دراسات أثنية في هذا المجال، ظهرت خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية عن المغرب العربي وتندرج كلها على العموم في إطار سياسة " فرق تسد " و إحكام السيطرة على المنطقة ! و الواقع أن أهالي المنطقة يشكلون وحدة متجانسة(شعب واحد) بعد دخول الإسلام، فقد شهدت المنطقة عدّة دفعات بشرية للعرب المسلمين الذين اختلطوا و امتزجوا بأهالي المنطقة (البربر الأمازيغ) منها : عرب الفتح الإسلامي ، هجرة الهلاليين من بني سليم و بني رياح، الأندلسيون ، العثمانيون ، و هناك من أشار كذلك الى المد المشرقي الفينيقي قبل الإسلام، انظر بحث ، محمد المكي الناصري، " وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام " ، مجلة **الثقافة** ، الجزائر ، عدد15، حمادي الأولى و الثانية 1393/ جوان ـ جويلية 1973 ، ص ص . 7 - 24

19 ـ أغلبية سكان المغرب العربي مسلمون سنيون يتبعون المذهب المالكي، و الذي يعدّ عاملا أساسيا في وحدة المنطقة . انظر بحث: محمد ، أبو الأجفان" العلاقات بين فقهاء المغرب العربي خلال القرون : الثامن و التاسع و العاشر الهجري" ضمن كتاب **بناء المغرب العربي**، سلسلة الدراسات الاجتماعية، تونس، 1983/9، ص ص . 115 - 148 ، و قد أشار نفس الكاتب إلى بحثين آخرين في نفس الموضوع(هـ 3) الأول بعنوان: " المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي" ، ضمن كتاب، **الذاتية العربية بين الوحدة و التنوع**، ن / م د أ أ أ ، تونس ، سلسلة الدراسات الاجتماعية ، عدد 4 ، و قد ناقش صاحب البحث و هو د/ سعد غراب آراء بعض المؤرخين الباحثين حول عوامل انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب العربي. أما البحث الثاني، فهو بعنوان : " الدرس الحسني عن وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ " لعباس الجراري، نشر بالمغرب (مراكش) ضمن سلسلة مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي. و الملاحظ أن موضوع انتشار المذهب المالكي في المغرب العربي ، لم يحظ ـ في حدود علمنا ـ إلي اليوم بدراسة أكاديمية.

20 ـ انظر محمد حسن ، " الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي " ، ضمن كتاب **تطور الوعي القومي غي المغرب العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، أبريل 1986، ص ص . 115 - 136

21 ـ أنظر الصادق ، الخوني ، " من ملامح شخصية المغرب العربي خلال العصور الوسطى" ضمن كتاب **بناء المغرب العربي**، 1983 ، **مرجع سابق**، ص ص 115-136

قامت بالمغرب العربي عدّة دول، و تداولت على حكمه خلال الفترة الإسلامية ، غير أن الفرد المغربي لم يكن ليشعر في هذه الدول " بالوطنية الضيّقة أو القطريّة " كما هو الحال في التاريخ المعاصر، فقد كان انتماؤه إلى دولته أو سلطته " المركزيّة " مجرد" ولاء " لا غير، و ظل ارتباطه في المناطق الأخرى في المغرب العربي و في العالم الإسلامي ككل متواصلا في كل مجالات الحياة لا توقفه الحدود، و بخاصة في المجالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة و الثقافيّة و الدينيّة[22]، و ساهم الفرد المغربي (المغاربـي) في رفد الحضارة العربية الإسلامية بما قدمه من إنتاج في هذا المجال...

من الدول التي توالت على حكم المغرب العربي، و بذلت جهودا جبارة في إقرار الوحدة السياسية، و ساهمت في رفد الحضارة الإسلامية، دولتا المرابطيـن (463هـ/1071م - 539هـ/1144م) و الموحدين (524هـ/1130م -664هـ/1270م)[23]،فالدولة الأولى اتخذت من مدينة مراكش عاصمة لها، و بدأت تستعد لتوحيد أقطار المغرب العربي، فسيطرت على المغرب الأقصى و جزء كبير من المغرب الأوسط، حتى وصلت إلى مدينة الجزائر (جزائر بني مزغنة)[24] ، و قامت على أنقاضه الدولة الثانية ، و هي التي أسسها المهدي بن تومرت (485هـ/1092م -524هـ/1130م)و بوفاته خلفه في قيادة الدعوة عبد المؤمن بن علي الكومي(497هـ/ 1104م -558هـ1163م) الذي استطاع أن يقضي على المرابطين و يوحد المغرب العربي، من مغربه الأقصى الى مغربه الأدنى فيما بيـن (541هـ1130م -554هـ/ 1144م) و دانت له بلاد الأندلس كذلك كما دانت لسابقيه من المرابطين[25].

وإذا كان المرابطون قد وحدوا المغرب العربي جزئيا، فان الموحدين قد وحدوه كليّا، فيما بين القرن السادس و القرن السابع الهجريين(ق 12-13م)، و لأجل هذا الأمر نجد

---

22 ـ تتسم الحياة الفكريّة في المغرب الإسلامي بالتأثر بالأفكار التي تظهر في المشرق الإسلامي عبر التاريخ، و هذا دليل على الوحدة الفكرية و الثقافية و اللغوية التي تأصلت جذورها و بقيت حيّة مدى الدهر بالرغم من عوادي الزمن و فجائع التاريخ و محاولات الفصل و افتعال الفروق... أنظر، عمار، الطالبي ، **ابن باديس** ، **حياته و آثاره**، ط 2. ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1403/1983، ص. 15

23 ـ حظيت دولتا المرابطين و الموحدين بحظ لا يستهان به من الدراسات الجادة مثل : دراسة حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، عصر المرابطين و الموحدين**، مكتبة الخانجي، ط. القاهرة، 1980. و دراسة عزّ الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، في القرنيين الخامس و السادس الهجريين**، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985.

24 ـ اصطدم المرابطون في الجزائر بنفوذ الحماديين بداية من سنة 448هـ/ 1056م..

25 ـ اعتمدت في ضبط التواريخ المذكورة في المتن على كتاب: حسين مؤنس ، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت ، دار مطابع المستقبل ، القاهرة، 1980، ص ص. 157-206.

رجال الحركة الوطنية المغاربية، يشيدون الكثير من المرّات في أدبياتهم بدولة الموحدين ومؤسسيها و يعتبرونها نموذجا تاريخيا للوحدة المغاربية التي يؤمنون بها.

ومن الملاحظ أن المذهب الإسلامي السني المالكي قد عمّ بلاد المغرب على عهد الدولتين المرابطية و الموحدية، و ان دولة الموحدين اعتمدت في توحيدها للمغرب العربي على العامل الديني، إذ اعتمدت على نظرية التوحيد[26] في أسسها الاعتقادية، و على فكرة الإمامة و المهدوية و العصمة في أسسها السياسية، و على مبدأ " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر " في أسسها الاجتماعية.

بسقوط دولة الموحدين خضع المغرب العربي لنظم سياسية قطرية، في شكل دويلات أو إمارات متنازعة فيما بينها حول " الإرث الموحدي " ، و ظلت الحدود غير معروفة ، في مدّ و جزر بين هذه الدويلات، كما ظلت " الوطنية الجغرافية " مجهولة كذلك، لكن التواصل الحضاري ـ نتيجة العوامل التي ذكرت سابقا ـ ظل مستمرا.

والمعروف أن تجزئة المغرب العربي بهذا الشكل، قد أدى إلى ضعفه، و مكّن الإيبيريين (الأسبان و البرتغال) المسيحيين من استرجاع الأندلس إلى العالم المسيحي،بل والسيطرة على الكثير من مدن و منافذ المغرب العربي الساحلية مع نهاية القرن الخامس عشر و مطلع القرن السادس عشر.

كان من الطبيعي جدا في هذه الظروف، أن تلجأ الدولة الإسلامية الناهضة، المتمثلة في الدولة العثمانية ، التي أصبحت تمثل الخلافة الإسلامية، بعد استيلائها على المشرق العربي إلى حماية دار الإسلام بالمغرب العربي، أو يلجأ المغاربة إلى الاستنجاد بها والاحتماء بها من خطر الأعداء " الإيبيريين "، فتمّ لها التمركز بالجزائر و تونس و ليبيا والسعديين و العلويين مدّ نفوذها إلى المغرب الأقصى أيضا. و رغم ذلك فإن التاريخ يسجل لنا تواصل الأواصر الأخويّة و العوامل الحضارية في كلّ الميادين بالمغـرب العربي،

---

[26] ـ و من كلمة التوحيد في معناها الديني، جاءت كلمة الموحدين، الّذين كانوا على المذهب المالكي السني.

وبخاصة في ميدان " الجهاد البحري" لحماية المنطقة من العالم الأوربي المسيحي، و استمر الأمر كذلك إلى سقوط الجزائر سنة 1930 تحت الاحتلال الفرنسي.

لا شك أن عامل الاستعمار الأوربي (الأسباني - الفرنسي - الإيطالي) للمغرب العربي كان من العوامل الطارئة، التي زادت في تماسك أهالي المنطقة، و في حتمية الوحدة و في ضرورة الجهاد و النضال المشتركين: الجهاد ، خلال فترة توسع المستعمر في المغرب العربي، و النضال، بعد ظهور الأحزاب و الجمعيات الوطنية...

ويندرج احتلال فرنسا للجزائر في الإطار الصليبي [27] ضد " دار الإسلام"، و هو خطوة أولى لاكتساح كل المنطقة[28]، فقد أضحى - بعد احتلال الجزائر - استعمار الأقطار الأخرى (تونس و ليبيا و المغرب الأقصى) مسألة وقت فقط.! فقد كانت فرنسا تعمل في هذا الاتجاه، و من ذلك حاولت أن تجعل الجزائر - التي جعلتها مقاطعة فرنسية منذ سنة1834 - في عزلة تامّة عن العالم العربي الإسلامي و عن شقيقتيها تونس و المغرب الأقصى، خوفا من مقاومة مسلحة مشتركة. أما طرابلس الغرب (ليبيا) فقد تركت لإيطاليا لتنفرد بها...

ولعل دلائل الذكاء لدى المغاربة في محاربة فرنسا ، نجدها لدى الأمير عبد القادر (1808 - 1883)[29] إذ تنبه مبكرا في مقاومته لفرنسا (1832 -1847) الى ضرورة وحدة و تضامن دول المغرب العربي للدفاع عن نفسها، ذلك ان استعمار الجزائر كان يهدد ضمان استمرارية الدولتين المغربية والتونسية معا، فحاول ربط صلاته مع المغرب الأقصى، وأحمد باي زعيم مقاومة الشرق الجزائري (1830 - 1848) و تونس و الدولة العثمانية، وقد ساعد السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان الأمير عبد القادر في بداية مقاومته باسم التضامن الإسلامي و باسم الخوف من الوقوع في المحظور الذي وقعت فيه الجزائر، غير

---

[27] - كان - مثلا - برنامج وزارة موليه الفرنسية سنة 1838 " أن فرنسا ستحيي افريقية الرومانية...! " انظر، أ ، ج ، جرانت و هارولد تمبرلي ، **أوربا في القرنيين التاسع عشر و العشرين** ، ج ، 2 ، ترجمة م ، ع ، أبو درة و ل ، اسكندر ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1978 ، ص . 34

[28] - كان أحد غلاة الاستعمار ، البرلماني الفرنسي أوجين آتيين يقول: " ان الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، و ان الجزائر قادتنا الى تونس و ينبغي ان تقودنا الى المغرب الأقصى..." ! انظر محمد خير ، فارس، **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912 - 1939، دراسات في شمال افريقيا الحديث** ، جامعة دمشق ، سورية، 1972 ، ص . 3 - 4.

[29] - انظر ، أبحاث و مقالات و بيبليوغرافية عن مختلف جوانب حياة الأمير عبد القادر، في مجلة **الثقافة**، عدد خاص 75، رجب - شعبان 1403هـ/ ماي - جوان1983م، وزارة الثقافة و الإعلام الجزائر، و **مجلة التاريخ**، عدد خاص ، النصف الأول من سنة 1983، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر.

أن السلطان تراجع في تدعيم الأمير بعد معركة إيسلي[30] سنة1844 و إمضائه لمعاهدة " لآلا مغنية" مع فرنسا.

كانت معركة ايسلي الدافع الأول للإصلاح الذي شهده المغرب الأقصى في عهد السلطانيين محمد الرابع و الحسن الأول [31]، لكنها من جهة أخرى كانت بداية لتنافس "النسور الأوربية" و بخاصة فرنسا، على المغرب الأقصى، هذا إضافة إلى وجود "السرطان" الأسباني،[32] في المراكز الساحلية المغربية(المراكشية) منذ القرن 16م، ونتيجة لذلك، حاول السلطان الحسن الأول و السلطان عبد الحفيظ ربط صلة العلاقات مع الدولة العثمانية، التي كانت تتبنى فكرة الجامعة الإسلامية، غير أن فرنسا كانت تترصد هذا النوع من العلاقلات للانفراد بالمغرب الأقصى[33].

وكما كان الأمر بالنسبة للمغرب الأقصى، كان بالنسبة لتونس، التي صدمها احتلال الجزائر، فشرعت في إصلاح شؤونها بمساعدة فرنسا[34]، و عندما التفت الأمير عبد القادر الى تونس لم يلق التأييد من الجانب التونسي الرسمي[35]، كما لم تلق المقاومة الشعبية التي واصلها الجزائريون بعد الأمير، أية إعانة أو مساعدة من طرف البايات و الوزراء و الولاة، فقد كانت مواقفهم سلبية الى أبعد الحدود، و في غير صالح المقاومة المسلحة الجزائرية الى سنة احتلال تونس في 1881، و هذا بخلاف الشعب التونسي، الذي وقف بمثقفيه و قبائله ايجابيا، و كانت عاطفته ملتهبة مع المقاومة الجزائرية، فقد قدم العون و المساعدة و التأييد رغم معارضة حكامه[36].

---

30 ـ هو وادي إيسلي (أو ايزلي) على الحدود المغربية الجزائرية وقعت فيه معركة بين القوات الفرنسية و الجيش المراكشي، انهزم فيه الجيش المراكشي (عهد الماريشال بيجو) ، كما ضربت القوات الفرنسية عن طريق البحر مدينتي طنجة و موقادور (الصويرة)...

31 ـ علال ، الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة القاهرة، 1948/1368، ص ص. 98-101

32 ـ عن المراكز الأسبانية بالمغرب الأقصى ، انظر كتاب، Robert , REZETTE, **Les enclaves espagnoles au Maroc**, Ed. Nouvelles,Eds. Latines, Paris,1976

33 ـ الفاسي ، **مصدر سابق** ، ص ص . 98 - 101

34 ـ انظر، محمد الفاضل، بن عاشور، **الحركة الأدبية و الفكرية في تونس** ، ط3، الدار التونسية للنشر، ابريل 1983، ضمن الكتاب فصل بعنوان " صدمة الاحتلال" ص ص .21 - 56

35 ـ قدمت الحكومة التونسية بعض الخدمات ـ المتأخرة جدا ـ للأمير عبد القادر، و لكن بعد انتهاء مقاومته و سجنه و إقامته في دمشق...!، انظر ، أحمد توفيق ، المدني، " الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر "، مجلة **الثقافة**، عدد خاص 75، رجب ـ شعبان 1403/ ماي ـ جوان 1983 ، ص ص . 150 - 157

36 ـ انظر ، يحي ، بوعزيز، " دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية و موقف الجزائريين من احتلالها عام 1881 "، مجلة **الثقافة**، عدد 70، رمضان ـ شوال 1402/ يوليو ـ أغسطس 1982، الجزائر ، ص ص . 45 - 57، و هناك عدّة مقالات نشرها نفس الكاتب عن المقاومة المسلحة في الجزائر خلال القرن 19 ، توضح نفس الموقف الذي اتخذه الرسميون التونسيون و الشعب التونسي تجاه المقاومة في الجزائر، انظر، أعداد مجلة **الثقافة**، عدد 1976/31، و 1976/33، و 1976/32، و 1977/39، و 1977/40، و مجلة **الأصالة** ، أعداد، 1975/23، و 1976/38، و1977/41، و 1977/48، و 60، 1978/61.

أما الجزائريون من جانبهم، فإنهم كانوا ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، لأنهم كانوا يعتبرونها وطنهم الثاني، يلجأون إليها عندما يطاردهم جيش الاحتلال من بلادهم[37]، و عند احتلال تونس رفعوا السلاح إلى جانب إخوانهم التونسيين للدفاع عنها[38]، و تجلت كذلك مظاهر المقاومة المشتركة في مقاومة أولاد سيدي الشيخ و بوعمامة (1864 - 1904)، فقد وجه الشيخ بوعمامة بعد 1881، عدّة رسائل إلى شيوخ القبائل الجزائرية و المراكشية على السواء يحثها من خلالها على الجهاد ضد العدو، و قد لبت بعض القبائل المراكشية الدعوة وقاتلت إلى جانب الجزائريين، كما نجد أن بوعمامة يلتجئ إلى المغرب الأقصى خلال سنة 1888 و يوجه كفاحه من هناك [39]...

كان من نتائج التكالب الاستعماري على المغرب العربي، أن تعلق جيل الربع الأخير من القرن 19م، بفكرة الجامعة الإسلامية، التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (1876 -1909)، فتتبع الجيل تطوراتها من خلال الصحف و أخبار الحجاج و الزائرين العائدين من الحجاز و بلاد المشرق العربي الإسلامي، و علّق عليها عدّة آمال، نتيجة القمع الذي سلط عليه من قبل المستعمر، خلال فترة المقاومة في القرن 19م، و فترة أحداث مطلع القرن 20م، من مقبرة الجلاز (أو الزلاج)(1911) واحتلال ايطاليا لليبيا، و حادثة الترام و نفي زعماء حركة الشبان بتونس، إلى التدخل الفرنسي ، بعد مؤتمر الجزيرة (جانفي - جويلية 1906) و احتلاله لوجدة (مارس 1907) و الدار البيضاء (أوت 1907) إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى و فرض الحماية عليه[40] سنة 1912 و إعطاء الشمال المراكشي إلى أسبانيا...

---

37 ـ هجرة المقرانيين مثلا ، و أتباعهم الى تونس بعد 1871، و تدخل الأمير عبد القادر لصالحهم و اتصاله بوزراء تونس. انظر، يحي ، بوعزيز، " وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871 "، مجلة **الثقافة** ، عدد 39، جمادى الثانية - رجب 1397/ يونيو - يوليو 1977، الجزائر ، ص ص. 11 - 24

38 ـ انظر، بوعزير، **الثقافة** ، عدد 70، **مرجع سابق**، ص ص. 45 - 57

39 ـ انظر ، زكي، مبارك، " المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة " ، في **المجلة التاريخية المغربية (م.ت.م.)**، عدد29 - 30، جويلية 1983، تونس ص ص . 422 - 425

40 - Ali, MERAD; " La turcophilie dans le débat national en Algérie début du siècle (1911- 1918) " ; In **Revue d'histoire maghrébine ;(R.H.M**.); n° 31-32; décembre 1983; Tunis ; pp. 338-340

في خضم هذه المعطيات الجديدة على الساحة المغاربية، بدأت بوادر الوحدة بين الشبان المغاربة[41] في إطار فكرة الجامعة الإسلامية، و بخاصة من طرف الشبان التونسيين، فقد ذكرت إحدى الدراسات[42]، أن اتصالات جرت بين السلطان عبد الحفيظ والدولة العثمانية خلال سنتي 1909 - 1910 عن طريق بعثة عسكرية عثمانية بقيادة النقيب عريف طاهر باي (؟)، حلّت بالمغرب الأقصى و كان هدفها تطوير الجيش المغربي وتكوين " نواة لشبان مغاربة "(مراكشيين) و تنمية الشعور الوطني لديهم، و إيقاظ البلد و تفتحه على " الحياة المتحضرة و حب تركيا و فكرة الجامعة الإسلامية" ، و كانت هذه الاتصالات بإيعاز من الشيخ أحمد المقري[43] ، الذي أصبح باشا مدينة فاس[44]...

ويبدو أن علي باش حامبة[45]، كان على علم بهذه البعثة العثمانية و مسعاها في المغرب الأقصى، و لذلك فانّه عندما أجرى اتصالات مع الشبان الجزائريين خلال سنة 1911، من اجل تكوين " جبهة مشتركة " مغاربية، حاول تدعيم هذه الجبهة بشبان المغرب الأقصى[46]، و رغم جهلنا للشبان الجزائريين و المغاربة الذين اتصل بهم علي باش حامبة ، إلا أن هناك من ذكر أن التحاور بين الشبان، كان جاريا اثر الأحداث الدموية بمقبرة الجلاز[47] بتونس حول إمكانية عقد [48] " مؤتمر إسلامي كبير لكل افريقية الشمالية " في شكل جمعية تأسيسية ستضع أسس " أمّة شمال إفريقية "[49].

---

41 ـ تحدث الفاسي، مصدر سابق، ص. 49، عن اتصالات بين الشبان التونسيين و المراكشيين (أو الحركة الدستورية المراكشية كما يسميها) بعد الاتفاق السري الإنجليزي ـ الفرنسي سنة 1904، و لم يوضح هذا النوع من العلاقات..!

42 - J. CAGNE; " Sur les relations du Maroc et de la Turquie au début du XX° siècle : Une nouvelle approche du mouvement Jeune-Marocain "; In **R. H. M**. ; n° 39-40 décembre 1985; Tunis; pp. 219-224

43 ـ يبدو أنّه من أصول جزائرية ، و قد يكون من عائلة المقري الشهيرة في تلمسان، و قد أصبح ابنه محمد المقري وزيرا في عهد الحماية الفرنسية، و توفى محمد المقري سنة 1957.

44 - **Ibid**; pp.219-221

45 ـ علي باش حامبة (1875 ـ1918)، زعيم حركة الشبان التونسيين، من دعاة وحدة المغرب العربي في إطار الجامعة الإسلامية، ولد بتونس ، درس بالصادقية ثم بباريس، حيث حصل على شهادة الليسانس في الحقوق، مارس مهنة المحاماة بتونس إلى جانب نشاطه السياسي، و هو من مؤسسي قدماء الصادقية (1906)،و أصبح ابتداء من هذه السنة زعيما لحركة الشبان التونسيين، أنشأ مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي جريدة (التونسي)(1907 -1911) نفي إلى استانبول سنة 1912 ، تولى عدّة مناصب حكومية بالدولة العثمانية، و توفي سنة 1918. انظر حياته بتفصيل في ملفه **بمركز التوثيق القومي (م. ت. ق.) التونسي**، Ali Bach-Hamba, Dos.B.3.11**. C.D.N**. Tunis

46- J, CAGNE, **R.H.M**. n°,39-40**, op. cit**. pp.221-222

47 ـ عن حوادث مقبرة الجلاز (أو الزلاج) ، أنظر، Chedly, KHAIRALLAH**, Le mouvement évolutionniste tunisien** , **(Notes et documents)**, T.III, Etablissements Bonici, Tunis, 1938, pp.49-89

48 ـ ذكر مينييه أن الشبان التونسيين " اقترحوا " على الشبانَ الجزائريين عقد مؤتمر مغاربي(Congrès maghrébin) ، انظر، Gilbert , MEYNIER, **L'Algérie révélé** , Librairie Droz, Genève, 1981, p. 249

49 - J., DESPARMET, " Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie – La politique des oulémas algériens,(1911-1937) " , In **A.F**. n° 7, juillet 1937, p.354

أما النقيب عريف طاهر باي ، فانّه حلّ بمصر خلال سنة 1911 و أجرى اتصالات مع الوطنيين المصريين و مع الطلبة المغاربة بالأزهر الشريف، بهدف تكوين معارضة ضد أطماع فرنسا في المغرب الأقصى، و كان انطلاق عمله هناك، من خلال جمعية سرية أسمت نفسها " بالاتحاد المغربي "[50](المغاربي) (Al-ittihad al-Maghribi).

بداية من هذه السنة 1910، بدأت المساعي الوحدوية المغاربية - في حدود علمنا - في القرن العشرين، و مهما يكن من أمر، فان " الجبهة المشتركة " لم تتم، كما لم يعقد " المؤتمر "، ، بسبب حلّ حركة الشبان التونسيين و نفي زعمائها، و فرض الحماية على المغرب الأقصى، لكن الأعمال في سبيل وحدة النضال في المغرب العربي تواصلت في المشرق العربي و عاصمة الخلافة الإسلامية، و جهات أخرى سيأتي الحديث عنها، من قبل المهاجرين المغاربة، كما تواصلت نفس الأعمال على الساحة المغاربية، في ظل معطيات جديدة طارئة تمثلت في التقارب الألماني - العثماني.

كانت ألمانيا قد اهتمت اهتماما بالغا، بحكم علاقتها التاريخية مع دولة الخلافة الإسلامية، بالعالم العربي - الإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى و أثناءها، و ترجمت الكثير من أدبياته لمعرفته، و معرفة عدوها المتمثل في القوتين الفرنسية و الإنجليزية[51].وازداد تبني هذا الاتجاه في السياسة الألمانية، بعد زيارة أمبراطور ألمانيا وليام الثاني الى المشرق العربي (1898) و تأكيداته في استانبول و القدس و دمشق على " صداقته للمسلمين " وقيامه بعد ذلك بزيارة مماثلة إلى المغرب الأقصى[52].

وبناء على هذا المنطق، أوضحت ألمانيا، منذ 19 مارس 1913، أن هدفها بخصوص منطقة المغرب العربي " المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل افريقية الشمالية " ، و من هذا التاريخ " وضعت خطة تستطيع ألمانيا من خلالها خلق الصعوبات في

---

[50] - J, CAGNE, **R.H.M**. n° 39-40, op. cit. p.223

[51] - بيتر، هاين، " **ألمانيا و العالم الإسلامي** "، محاضرة مرقونة بحوزتي، ألقاها صاحبها على طلبة معهد التاريخ، بالخروبة ، الجزائر ، يوم 7 مارس 1985

[52] - هاين ، **مرجع سابق** ،تتدرج زيارة أمبراطور ألمانيا إلى المغرب الأقصى، ضمن اهتمامات ألمانيا الاستعمارية بالمنطقة، انظر كذلك، ورنير، آنده، " الوطنيون العرب و نشاطهم الصحفي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى " مجلة **الأصالة** ، عدد 52، ذو الحجة 1397ه / ديسمبر 1977، ص.50.

المنطقة عن طريق الزعماء الدينيين و السياسيين "[53]. و من ثمّة قامت ألمانيا مع بداية الحرب، بقنبلة مينائي عنابة و سكيكدة بالجزائر في 4 أوت 1914، بواسطة سفينتين حربيتين، هما " البر يسلو " و " الغوبن " ثم انسحبتا إلى الموانئ التركية[54]. و بعد ذلك، نجد الألماني شابنجر (Schabinger) - سفير ألمانيا في فلسطين بداية من 1917 - يجلب بعض الأسرى المغاربة من معسكر بالقرب من مدينة بادربورن (Paderborn)، قبل اشتراك الدولة العثمانية في الحرب، و ذهب بهم إلى استانبول ليدعوا الناس هناك الى الجهاد، و كان عدد هؤلاء الأسرى، خمسة من المراكشيين و اثنين من الجزائريين و سبعة من التونسيين، و تنقلوا تحت ستار أنّهم " سيرك " (أو مرفه إن صحّ التعبير) متجول للتمويه عن جواسيس الحلفاء[55] . و يمكن إدراج هذا العمل ضمن مخطط ألمانيا لإثارة المغرب العربي ضد التواجد الفرنسي[56].

تقوى هذا الموقف في السياسة الألمانية نحو العالم الإسلامي، بدخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا في شهر أكتوبر 1914، و قيام السلطان محمد الخامس، من مسجد محمد الفاتح، بدعوة جميع المسلمين إلى " الثورة " على حكومات الوفاق الثلاثي، في 14 نوفمبر، ثم إعلانه بعد ذلك " الجهاد " رسميا في 21 نوفمبر، على حكومات الحلفاء[57]، وقد وجه " نداء الجهاد " إلى مختلف جهات العالم الإسلامي، و هو النداء الذي تضمن فتاوى شيخ الإسلام الخمس[58].

في خضم هذه الظروف، يتولد التحدث عن المغرب العربي (شمال إفريقية) في مفهوم حديث خلال الحرب العالمية الأولى[59] في إطار العالم الإسلامي و مفهوم الجامعة الإسلامية. ذلك أن جيل الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، قد شبّ على فكرة " القوة

---

[53] ـ أبو القاسم ، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية ، 1900-1930** ، ج 2 ، ط 3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1983، ص.253

[54] ـ **نفسه** .

[55] ـ آنده ، **مرجع سابق** ، ص .60

[56] ـ بخصوص الدعاية الألمانية ، و محاولة ألمانيا إثارة منطقة المغرب العربي، خلال الحرب العالمية الأولى، راجع دراستنا ، الاتجاه الوحدوي، **مرجع سابق**، ص ص . 18 - 21

[57] - Charles Robert, AGERON, **Les Algériens musulmans et la France,1871-1919**, T.II, P.U.F. Paris, 1968, p.1175

[58] ـ فتاوى شيخ الإسلام باستانبول و شروحها طبعت في المطبعة الإمبراطورية الألمانية بلغات العالم الإسلامي و بأعداد كثيرة، و هذه المطبوعات وصلت إلى الأماكن المحدّدة لها، بطرق تصل إلى حدّ المغامرة. و تمّ تهريب أعداد منها إلى المغرب العربي بكل الوسائل. توجد نماذج من هذه الفتاوى بأرشيف وزارة الخارجية الألمانية ببون. من محاضرة هاين، " ألمانيا و العالم الإسلامي " **مرجع سابق.**

[59] - Rachid, DRISS," Le bureau du Maghreb Arabe au Caire ", In **Relations entre le Maghreb et le Machrek, des solidarités anciennes aux réalités nouvelles**, publications du CNRS, Aix-en-Provence, Cahier du 6/11/1981, p.137

الإسلامية "المتمثلة في دولة الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، و على الأحداث التي شهدتها منطقة المغرب العربي من مطلع القرن العشرين إلى بداية الحرب الكبرى. و هذه الأمور متفرقة أو مجتمعة ، كان لها الأثر العميق في ذهنية النخبة المغاربية بوجه عام في إطار تعاطف إسلامي واسع، و مع اندلاع الحرب الكبرى، أصبحت آمال المثقفين المغاربة معلّقة على الوفاق بين الدولة العثمانية " معقل الإسلام الأخير " و ألمانيا، القوة الأوربية العظيمة " صديقة الإسلام "[60].

ومن هنا ، تولدت أفكار و محاولات وحدوية سواء على مستوى الساحة المغاربية، أو في المهجر، لدى النخبة المغاربية. و نشير إلى أن حركة رواد الاتجاه الوحدوي في المهجر ، كانت أكثر تنظيما خلال الحرب الكبرى، في حين كانت الأفكار و الأعمال الوحدوية على الساحة المغاربية متفرقة و متقطعة، و أحيانا عبارة عن مبادرات فردية، في إطار حركة التعاطف الإسلامي، أو مفهوم الجامعة الإسلامية، و هذا خلال الحرب العالمية الأولي، و ظلّت الفكرة الوحدوية بعد هذا التاريخ مستمرة و متواصلة إلى ما بعد استقلال أقطار المغرب العربي و لكن وفق مفاهيم مختلفة...

وسأتعرض إلى بعض الأفكار و التصورات لوحدة المغرب العربي ، متجنبا قدر الإمكان ذكر جميع الأعمال من نشاطات و اتصالات و مساع (من جرائد و جمعيات ونواد...الخ)، فذلك موضوع كنّا درسناه قدر المستطاع[61]، و الدراسة هذه ماهي في واقع الأمر إلا تكملة له...

---

[60] - Ali, MERAD, " La turcophilie dans le débat national en Algérie au début du siècle (1911-1918) ", In **R.H.M.**,n° 31-32 , décembre 1983, Tunis. p.339-340

[61] ـ انظر ، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، مرجع سابق.

الفصل الأول

تصورات فكرة وحدة المغرب العربي و تطورها: إصلاحا و سياسة

1ـ فكرة الوحدة: على مستوى الساحة المغاربية

2ـ فكرة الوحدة: في المهجر

3ـ وحدة المغرب العربي في نظر الحركات الإصلاحية

أ ـ تصور رجال الإصلاح

ب ـ لدى " طلاب الوحدة "

4ـ وحدة المغرب العربي في نظر الحركات السياسية الاستقلالية

أ ـ نجم شمال إفريقيا

ب ـ " من المستوى المغاربي إلى المستوى القطري ": حزب الشعب الجزائري

ج ـ " الوحدة من أجل الاستقلال! "

1ـ مؤتمر المغرب العربي و مكتب المغرب العربي

2ـ " بين مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي "

1-فكرة الوحدة: على مستوى الساحة المغاربية

من الوطنيين المغاربة الذين رفعوا شعار الوحدة المغاربية، الجزائريان : العمران، راسم[1] و ابن قدور[2]، و كلاهما كان في تيار الإصلاح الإسلامي و حركة الجامعة الإسلامية، و تصورهما كان لا يقف عند بلادهما الجزائر أو المغرب العربي، بل تجاوز ذلك ، إلى العالم الإسلامي ككل.

و عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، زج بعمر راسم في السجن ابتداء من 1915، حيث بقي به إلى سنة 1923[3]، بتهمة " التجسس لصالح الأتراك "[4]، ذلك لأن عمر راسم كان على اتصال بالتونسيين، عن طريق كتاباته في صحفهم، و كان في تيار الجامعة الإسلامية، متأثرا بزعمائها و متعاطفا مع الدولة العثمانية، و المناطق المنتمية إليها، و كان من المعارضين للتجنيد الإجباري في الجزائر، و ألصق بشأنه بيانات تعارضه على جدران بنايات الجزائر العاصمة[5]. و من ثمّة كان محلّ شك السلطات الاستعمارية، و تكشف لنا سنوات سجنه خلال الحرب و بعدها، تخوفه و تعاطفه الإسلامي مع دولة الخلافة[6].

أما ابن قدور، فكان زميلا لعمر راسم، و كان هو الآخر في تيار الإصلاح و حركة الجامعة الإسلامية، و من دعاة الوحدة المغاربية الأوائل ، فهو بخلاف زميله، دعا صراحة

---

[1] - عمر راسم (1884 - 1959)، مصلح و صحافي و رسام جزائري قدير.انظر عنه، محمد ، ناصر ، **عمر راسم المصلح الثائر** ، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984 ، و عن نشاطه في الصحف التونسية ، محمد الصالح ، الجابري، **النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962** ، الدار العربية للكتاب تونس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، 1983، ص. 153 و ما بعدها و ص . 214 و ما بعدها.

[2] - عمر بن قدور (1886 - 1932) ، مصلح و صحافي جزائري، من دعاة الوحدة المغاربية. انظر عنه صالح، خرفي ، **عمر بن قدور الجزائري** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984

[3] - ناصر ، **مرجع سابق** ، ص . 14 (هـ . 1)

[4] - Charles – Robert , AGERON, " **L'Algérie Algérienne " de Napoléon III à de Gaule**, La bibliothèque Arabe, Sindbad, Paris, 1980, p.106 , (n. 1)

[5] - **Ibid**.

[6] - كان عمر راسم أول من نبه للخطر الصهيوني في العالم العربي الإسلامي، و يعتبر أحمد توفيق المدني جريدة (ذو الفقار) - لراسم - أول جريدة عربية في الدنيا اكتشفت الخطر الصهيوني و نبهت عليه. انظر صالح ، خرفي، **الجزائر و الأصالة الثورية** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977، ص ص . 34 - 36 .كتب راسم مقالا بعنوان " تركيا و اليهود " سنة 1916، و نستشف منه بوضوح اتجاهه الإسلامي، و تعاطفه مع دولة الخلافة الإسلامية، و تخوفه من الحركة الصهيونية، التي كانت تنخر الدولة العثمانية من الداخل و الخارج... و حرّر عمر راسم المقال ، و هو بسجن " بارباروس " بالجزائر العاصمة. انظر نص المقال في: ناصر ، **مرجع سابق** ، ص ص. 67 - 80

إلى هذا الاتجاه. كان ابن قدور صحافيا رائدا، كتب في عدّة صحف مشرقية و مغاربية، عالج فيها من خلال مقالاته بدقّة قضايا المغرب العربي و العالم الإسلامي قبل الحرب العالمية الأولى، و أصدر جريدة "الفاروق" الأسبوعية في شهر فيفري 1913[7]، و كانت إسلامية، اهتمت بقضايا المسلمين، و أحداث دولة الخلافة الإسلامية[8]. و كانت "الفاروق "،" زاخرة بالصور النموذجية لما يمكن أن تكون عليه وحدة الشعور بين أبناء المغرب العربي، حافلة بإنتاج الأدباء و الكتاب من تونسيين و مغاربة (مراكشيين) و ليبيين " في إطار تسامح أخوي و تكاتف في مواجهة محنة الاستعمار[9].

و إذا كان ابن قدور قد اهتم بقضايا العالم الإسلامي ككل، و بما يمزقه من داء "اللاّتضامن " كما كان يؤكده، مدركا بأن داء العالم العربي - الإسلامي واحد، فانه بادر بالدعوة إلى تأسيس " جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقية "[10]، و سمي ذلك "بالمشروع العظيم "، و دعا إليه مفكري مسلمي " الجزائر و تونس و مراكش(...) بإحساس شريف إلى تنمية و تهذيب هذا الإحساس ، على أن يكون قبلة المفكرين ، و بذل " كل نفيس لإعلاء و تنمية التعاون بينهم "، و قد طرح ابن قدور مشروعه، منتظرا الجواب من مفكري المغرب العربي، و متوسلا إلى " الأيام بالثبات " للحصول على " الغاية القصوى " و يشاهد " الائتلاف و الاتحاد "[11].

من أوائل من سارع بالكتابة في " الفاروق " الطيب بن عيسى[12]، و كان وكيلا لها بتونس، و تبعه تونسيون آخرون كالصادق الرزقي (1885 - 1939)[13]، و حسين الجزيري (1895 - 1974)[14] ، و إبراهيم فهمي بن شعبان (1892 - 1930)[15] وأحمد

---

[7] - صدرت بالجزائر، و توقفت سنة 1915، ثم ظهرت في سلسلة ثانية في 25 محرم 1339/ 18 أكتوبر 1920 و توقفت يوم 7 رجب 18/1339 مارس1921. انظر، محمد، ناصر، **الصحف العربية الجزائرية 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980،ص.36-37، و صالح، خرفي ، **في رحاب المغرب العربي** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص.70، و خرفي، عمر بن قدور، **مرجع سابق** ، ص. 19

[8] - ناصر، **الصحف، مرجع سابق** ، ص ص. 36 - 38، و خرفي، **عمر بن قدور** ، **مرجع سابق**، ص . 17

[9] - انظر ، خرفي ، **في رحاب، مرجع سابق** ، ص . 71 - 72

[10] - **نفسه** ، ص . 68 ، و كتابه ، **عمر بن قدور** ، **مرجع سابق** ، ص.41 ، و ناصر، **الصحف** ، **مرجع سابق** ، ص .37

[11] - ميّز ابن قدور نداءه بالعمود الأول من الصفحة الأولى لجريدة " الفاروق " لأكثر من عدد، ابتداء من العدد22/66 يوليو 1914. انظر ، خرفي، **في رحاب** ، **مرجع سابق** ، ص .68 - 69

[12] - الطيب بن عيسى ،(1885 - 1965) ، صحافي تونسي من أصل جزائري . انظر عنه، عمر ، بن قفصية ، **أضواء على الصحافة التونسية** ، دار بوسلامة للطباعة و النشر، تونس ، 1972، ص ص . 100 - 105

[13] - انظر عنه ، محمد ، محفوظ ، **تراجم المؤلفين التونسيين** ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982 ، ص. 346 - 347 ، و ابن قفصية ، **مرجع سابق** ، ص . 134 - 135

[14] - انظر عنه ، محفوظ ، **تراجم المؤلفين** ، ج 2 ، ص ص . 29 - 34 ، و أحمد توفيق ، المدني ، **حياة كفاح** ، **(مذكرات)** ، **في تونس 1905 - 1925** ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ص ص . 66 - 68

توفيق المدني [16]، و قد بقي هؤلاء و غيرهم يكاتبون جريدة الفاروق إلى سنة خسوفها في 1915.

و عندما أعلن عمر بن قدور " مشروعه العظيم "، كان أول المستجيبين له حسين الجزيري ، إذ أرسل إلى " الفاروق " مقالا نشر فيها بعنوان : " التفرق داء و الالتئام دواء" هلل فيه " للمشروع "، و تمنى له البروز إلى " حيز الفعل و العمل "، و رأى فيه أنّه ضمان " السعادة لمسلمي شمال إفريقية "، و بادر بالانضمام إلى " جماعة التعارف الإسلامي لمسلمي شمال إفريقية "، و أبدى تحالفه على " خدمة الملّة و الوطن " و العمل " لصالح الإسلام و المسلمين "، و حرص على إيجاد التعارف و ربط العلائق مع إخوانه من شمال إفريقية [17] .

غير أن ابن قدور راجع " مشروعه "، خوفا من أن يثير المستعمر ، بعد أن أشعره بذلك أحد زملائه المفكرين، و أصبح مشروعا متخصصا " بالوسط الجزائري "، مستندا في ذلك على رأي ناصحه " بالنظر الى المحيط السياسي "، على أن تبقى " مأمورية الفاروق "، في إيجاد " المشروع عامة ، لأن له من القراء في تونس و مراكش ما يعادل قراءه في الجزائر "، و طلب أن ينزع كل قطر من أقطار المغرب العربي إلى "الاستقلال في تشكيل جماعات التعارف الإسلامي ". بيد أن " الفاروق " لا يتنازل عن تعميم دعوته، فهو مرتبط بمبادئه لخدمة " أمّة شمال إفريقية الإسلامية "[18].

و مع قيام الحرب العالمية الأولى، قامت سلطات الاحتلال الفرنسي بتكميم جميع الأفواه الوطنية، فتعرض عمر بن قدور للسجن سنة 1915، كما تعرضت جريدته للمصادرة[19]، و لعل الأمور السالفة الذكر، كانت من دعاوى التهمة الموجهة إليه.

---

[15] ـ انظر عنه ، الجابري ، **مرجع سابق** ، ص . 60 ، (هـ 4)

[16] ـ أحمد توفيق المدني (1899 - 1983) ، أديب و مصلح جزائري و سياسي كبير. انظر حياته في مذكراته : **حياة كفاح** ، في 3 أجزاء (صدرت على التوالي : ج 1 - 1976 ، ج2 ، 1977، ج 3 ، 1979 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر) ، انظر عنه كذلك ، **مجلة التاريخ** ، عدد خاص بأحمد توفيق المدني ، عدد 18 ، النصف الأول من سنة 1985 ، الجزائر .

[17] ـ انظر ، خرفي ، **في رحاب** ، **مرجع سابق** ، ص . 31 - 32 ، نقلا عن **الفاروق** ، عدد 69 ، 1914/07/13

[18] ـ **نفسه** ، ص . 30

[19] ـ سجن ابن قدور على اثر مقال نشره في جريدته الفاروق ، ينتصر فيه للدولة العثمانية ضد الحلفاء ، كانت الرقابة الاستعمارية قد رفضت نشره، فأوقفت الجريدة ، و أبعدت ابن قدور الى عين ماضي (الأغواط) ، التي بقي بها الى أواخر سنة 1919 ، حيث أطلق سراحه . انظر ، سعد الدين بن شنب ، " النهضة العربية بالجزائر " ، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة الجزائر ، عدد1/1964 ، ص . 140 ، و ناصر ، **الصحف** ، **مرجع سابق** ، ص . 37

و لمّا سجنت سلطات الاستعمار العمرين راسم ز ابن قدور، سجنت كذلك، إخوانهم التونسيين، كالطيب بن عيسى و حسين الجزيري و الصادق الرزقي و غيرهم، و حاكمتهم بنفس التهم، ألا و هي تجاوز القوانين و التطاول على السلطة و استغلال الصحافة كمنبر للتهييج و التثوير[20] ، كما سجنت أحمد توفيق المدني في شهر فيفري 1915، و اتهمته بالاتصال بأحد أقربائه باستانبول، و بكتابة موضوعات انتقادية في جريدة الفاروق الجزائرية، و إلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس[21]، واستحوذت مصالح المراقبة في بيته على صور للقيصر الألماني و شخصيات عثمانية، ومقالات انتقاديه للإدارة الفرنسية، فضلا عن مصاحبته للصحفي حسين الجزيري "المعروف بعدائه لفرنسا "، و قد تحدث المقيم العام بتونس ، بخصوص سجن المدني عن "خطر جاد " [22]، لكن المقيم العام لم يوضح لنا ، ماذا يقصد بالخطر الجاد، هل كان يعني ما أورده المدني في مذكراته [23] عن أسباب سجنه خلال الحرب الكبرى ؟! ذلك ما سنعود إليه في الفصل الموالي. و إذا كانت هذه الصور من النضال الوحدوي قد تقطعت بسجن روادها، فإن هناك جبهة أخرى نشطت في المهجر في نفس الاتجاه مستغلة ظروف الحرب، ترى ما تصوراتها ؟.

2- فكرة الوحدة: في المهجر

هاجر كثير من المغاربة الى بلاد المشرق العربي ـ الإسلامي، بعد حركة التوسع الاستعماري التي استهدفت بلاد المغرب العربي ، بسبب التعسف و القمع، مكرهين أو مضطرين أو مختارين [24]، و استقر جلّهم في بلاد الشام أو في استانبول عاصمة الخلافة

---

20 ـ الجابري ، **مرجع سابق** ، ص . 170

21 ـ كان المدني يراسل خاله محمد بويزار ، أما بخصوص المنشورات ، فإنّه قام بنسخ بعض أناشيد الشاذلي خزنه دار و ألصقها على أبواب المسجد. انظر ، المدني ، **مصدر سابق** ، ج 1 ، ص . 88 ، و Ali , MAHDJOUBI , **Les origines du mouvement national en Tunisie (1904 – 1934)**, Publications de l'université de Tunis , 1982 , p.148

22 - Daniel , GOLDSTEIN , **Libération ou annexion , aux chemins croisés de l'histoire tunisienne , 1914 – 1922** , M.T.E. , Tunis , 1978 , p. 139

23 ـ المدني ، **مصدر سابق** ، ج 1 ، ص ص . 82 - 105

24 ـ لعل من أهم الدراسات التي تناولت موضوع الهجرة المغاربية الى بلاد المشرق : Pierre , BARDIN , **Algeriens et Tunisiens dans l'Empire Ottoman de 1848 à 1914**, Ed. Aix-en-Provence , Paris , 1979 ، انظر كذلك ، سعد الله ، **الحركة** ، ج2 ، ص ص .125 - 136 ، و دراسة نادية ، طرشون ، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام ، 1847 - 1911** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، بإشراف : د/ محمد خير ، فارس ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، السنة الجامعية 1985/1984 ، نوقشت يوم 1986/10/4 .

الإسلامية، أو غيرها من مدن المشرق العربي ، كالقاهرة و الإسكندرية و بغداد و مكة المكرمة [25].

من الحواضر العربية ـ الإسلامية بالمشرق، فكر المغاربة في بلادهم، و في سبيل تحريرها، في إطار " الجامعة الإسلامية " تحت راية الخلافة العثمانية، و انطلق مغاربة منهم عشية الحرب العالمية الأولى إلى استانبول، متعاونين و مرتبطين بالهياكل الإدارية والعسكرية لدولة الخلافة الإسلامية. و من عاصمة الخلافة (استانبول) انطلقوا مهاجرين ومجاهدين الى الدول الأوربية مع بداية الحرب، و بخاصة الى ألمانيا و سويسرا. و كانت هجرة هؤلاء المغاربة أسلوبا من " أساليب الكفاح " و " وسيلة من وسائل تجميع القوى في جبهات خارجية "[26] من أجل القضية المغاربية الإسلامية.

كان في طليعة النخبة المغاربية المهاجرة علي باش حامبة [27]، الذي وصل منفيا الى استانبول سنة 1912، على اثر حوادث مقاطعة الترام في تونس (مارس 1912) و كان علي باش حامبة، أحد زعماء حركة الشبان التونسيين، التي طالبت بعدّة إصلاحات لتونس ، و كانت في تيار الجامعة الإسلامية ، و أظهرت ميولا مغاربية [28].

وجد علي باش حامبة باستانبول كثيرا من الشخصيات الإسلامية، أمثال محمد فريد بك و سليمان الباروني و عبد العزيز جاويش و الأمير شكيب أرسلان و غيرهم، فوطد صلته بهم، و عملوا جميعا لخدمة قضايا العالم الإسلامي [29]، و تقرب من زعماء " الشبان الأتراك "، و بخاصة من وزير الداخلية طلعت باي، و أنور باشا [30]، و بذلك توفر له الجو المناسب لاهتماماته الإدارية، بمشاركته في تجديد الدولة الإسلامية، و هو الجو الذي لم يكن في بلاده تونس [31].

---

25 ـ كانت الهجرة في نظر المغاربة عملا شرعيا للمحافظة على العقيدة و الحرية ، و كانت باتجاه الشرق ، الذي هو في نظرهم موطن أصلي و روحي و مهد للإسلام ، و وكر للثقافة العربية الإسلامية. انظر ، MERAD , **R.H.M.** , n° 31-32 , **op. cit**. p. 350

26 ـ محمد أبو القاسم ، كرو ، " المهاجرون التونسيون من سنة 1860 إلى الحرب العالمية الأولى " ، **نشرية مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية**،(ن/ م د أ أ أ) ، عدد 2 ، جوان 1975 ، تونس ، ص . 33

27 ـ **م. ت . ق** . تونس ، ملف B.3.11 ، **مصدر سابق**.

28 ـ عن حركة الشبان التونسيين ، انظر ، Chedly , KHAIRALLAH , **Essai d'histoire et de synthèse des mouvements nationalistes tunisiens – Le mouvement Jeune-Tunisien** , Etáblissements Bonici , Tunis , sd . p.195

29 ـ الفاسي ، **مصدر سابق** ، ص . 52

30 ـ انظر ، وثيقة رقم 12 ، **م . ت . ق** . تونس ، ملف ، .B.3.11 ، **مصدر سابق**.

31 - BARDIN , **op. cit**. p.195-196

سبق علي باش حامبة الى استانبول و غيرها من الحواضر المشرقية، كثير من أبناء المغرب العربي، و قاموا بنشاطات فعالة من أجل بلادهم، منهم الشيخ محمد بيرم الخامس (1840 - 1889)، فقد حلّ باستانبول سنة 1878، و كتب عدّة مقالات انتقادية ضد النظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر و تونس [32]. كما حلّ باستانبول منفيا من طرف السلطات الفرنسية، سنة 1882، الجنرال العربي زروق، و كان قد شغل قبل احتلال تونس منصب مدير المدرسة الصادقية و رئيس بلدية تونس العاصمة، حيث اقترح على الباب العالي "برنامجا سياسيا لإرجاع سلطة السلطان على تونس و الجزائر"، و لتحقيق ذلك، اقترح مساعدة الجزائريين الذين هم على أتم الاستعداد للثورة، مركزا على الوفاق مع سلطان المغرب و دعم إيطاليا [33] منافسة فرنسا على تونس.

و من الشخصيات التي حلّت باستانبول مع مطلع القرن العشرين، الشيخ المكي بن عزوز، الذي حلّ بها سنة 1905[34]، و الشيخ إسماعيل الصفائحي [35]، الذي انتقل إليها بعد فريضة الحج سنة 1324هـ/1905، و الشيخ صالح الشريف التونسي[36] الذي هاجر الى دمشق سنة 1906، و اهتمم بالمهاجرين المغاربة في بلاد الشام، و كانت له علاقة طيبة مع أسرة الأمير عبد القادر، و بخاصة الأمير علي باشا [37]، ثم انتقل الى استانبول ،و شارك في الحرب الطرابلسية ـ الإيطالية مع أنور باي و الأمير علي[38] و ابنه الأمير عبد القادر[39].

و من أعمال المغاربة بالمشرق و استانبول شن الحملات الصحفية الإنتقادية ضد السياسة الاستعمارية في المغرب العربي[40]، و لم يقفوا عند ذلك ، بل أصدروا جريدة

---

32 - BARDIN , **op. cit**. p. 116 -117

33 -**IBID.** p.114

34 ـ الشيخ محمد المكي بن عزوز (1270 - 1334) (1854 - 1916) ، علم من أعلام العلم و الادب و المعرفة ، من أصول جزائرية. انظر عنه ، محمد ، محفوظ ، **تراجم** المؤلفين التونسيين ، ج 3 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1984/1404 ، ص ص . 382 - 390 ، و بنفس الكتاب ترجمة والده ، ص ص . 379 - 381

35 ـ الشيخ إسماعيل الصفائحي (1269 - 1337) (1853 - 1918) ، من شيوخ الزيتونة ، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة . انظر عنه ، محفوظ ، **تراجم** ، ج3 ، ص ص . 233 - 235 ، و كذلك ، BARDIN , **op. cit**. pp. 190 -195

36 ـ الشيخ صالح الشريف التونسي (1862 - 1920) ، من أصول جزائرية ، ولد بتونس ، انظر عنه ، بيتر ، هاين ، " قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي) "، **محاضرة** ألقاها صاحبها على طلبة معهد التاريخ ، بالخروبة ،الجزائر ، يوم 1985/03/6 ، انظر ملخصها **بمجلة الدراسات التاريخية** ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، العدد الأول ، 1986/1406 ، انظر عنه كذلك ، BARDIN , **op. cit**. pp.190-195

37 ـ الأمير علي باشا .

38 - BARDIN , **op. cit**. pp. 190-195

39 ـ الأمير عبد القادر بن علي باشا ، هو حفيد الأمير عبد القادر .

40 - BARDIN, **op . cit**. p.226-227

أسبوعية بدمشق مطلع سنة 1912 سموها " المهاجر "[41]. و قد تبنت في أهدافها الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة، و امتلأت أعمدة الجريدة بالتهم و الانتقادات للسياسة الفرنسية في الجزائر و المغرب العربي على العموم[42]، كما اهتمت بالأحوال المتردية في العالم الإسلامي[43]، و الذي أصدر جريدة المهاجر هو الجزائري محمد التهامي شطة[44]، و دامت الجريدة ثلاث سنوات ، أصدر التهامي بعدها جريدة باسم " الاتحاد الإسلامي " في جانفي 1915[45].

كانت الجريدة، ممونة من طرف الأمير علي باشا، و مدعمة من طرف سلطات المقاطعات العثمانية[46]، و اتخذت من " نادي جمعية مهاجري افريقيا الشمالية "(؟) مقرا لإدارتها[47]، أما مرشد جريدة المهاجر، فهو الأمير محمد سعيد بن الأمير علي[48] باشا، الذي غذاها بمقالات عنيفة ضد السياسة الفرنسية في المغرب العربي[49].

و من أعمال المهاجرين تكوين جمعيات مغاربية ، منها : " جمعية الأخوة والمساعدة و الدعم المعنوي بين الجزائريين و التونسيين "، و قد أسسها الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي و المسلم البولوني ضادي غازتوت، الملقب بسيف الإسلام (Thadee Gastowt) سنة 1910 باستانبول، و اقتصرت مهمة الجمعية على تقديم المساعدة للمهاجرين و التوسط لهم لدى الحكومة العثمانية[50]. كما تأسس بالقاهرة سنة 1911 "الاتحاد المغربي " (المغاربي)، و هو الاتحاد الذي نشط من خلاله النقيب عريف طاهر باي، كما سبق و أشرنا.

---

[41] - خرفي ، **الجزائر و الأصالة** ، ص . 164

[42] - BARDIN , **op. cit** . p.228

[43] - خرفي ، **الجزائر و الأصالة** ، ص . 164

[44] - ولد محمد التهامي شطة بالأغواط (الجزائر)، و هاجر الى تونس ، و بعد احتلالها من فرنسا سنة 1881 ، هاجر الى بلاد الشام ، و استقر سنة 1908 بدمشق ، ثم انتقل الى استانبول ، و توفي بها . انظر ، طرشون ، **مرجع سابق** ، ص .205 و ، BARDIN , **op. cit**. p.170-171

[45] - خرفي ، **الجزائر و الأصالة** ، ص. 164

[46] - طرشون ، **مرجع سابق** ، ص. 205، و ، BARDIN , **op. cit**. p.228

[47] - كان النادي بدمشق ، انظر ، طرشون ، **مرجع سابق** ، ص. 205

[48] - BARDIN , op. cit. p.228

[49] - أورد الأمير محمد سعيد ، في مذكراته : **مذكراتي عن القضايا العربية و العالم الإسلامي** ، ط2، درا مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف و الترجمة ، مرازقة و بوداود و شركائهما ، الجزائر، ص ص . 293 - 303 ، بعض المقالات التي نشرها في جريدة المهاجر.

[50] - انظر ، طرشون ، **مرجع سابق** ، ص . 208 . و ، BARDIN , **op. cit**. p.230

و أسس الشيخ المكي بن عزوز، الذي انتقل من استانبول الى الحجاز، بالمدينة المنورة " جمعية الشرفاء " سنة 1913، و هي جمعية إسلامية، كان من أهدافها إثارة الجنوب الجزائري، فخلال احد اجتماعاتها، الذي حضره مغاربة (من الجزائر و تونس ومراكش)، تقرر إرسال مبعوثين الى الجزائر و المغرب الأقصى بغية تحقيق غاية الجمعية[51] .

و كانت هذه الجمعيات مقربة من جماعة " الاتحاد و الترقي " و لسانهم جريـــــدة " الشباب التركي "، وقد تعاظم نشاط هذه الجمعيات منذ وصول علي باش حامبة الى استانبول[52]، و انصهرت جميع هذه الجمعيات في حركة جماعية مغاربية واحدة خلال الحرب العالمية الأولى.

و الشخصية المؤثرة، التي قربت جماعة المغاربة من " الشبان الأتراك " للجنة الاتحاد و الترقي، هو عبد العزيز جاويش[53]، الذي كانت له نشاطات معتبرة في الحركة الإسلامية و الحركة الوطنية المصرية، و انتقل من القاهرة الى استانبول سنة 1912، حيث أصبح كعلي باش حامبة مقربا من السيد طلعت باي، و خلال الحرب، نجده يقوم بدعاية فعالة الى جانب الشيخين صالح الشريف و إسماعيل الصفائحي[54]، و النخبة المغاربية المهاجرة لصالح قضية المغرب العربي.

و من الشخصيات المغاربية المثيرة، التي نزلت باستانبول عشية الحرب العالمية الأولى (1914)، محمد باش حامبة[55] ، الذي ترك تونس مقتفيا خطوات أخيه علي[56]، واشتهر " بمجلة المغرب "(La Revue du Maghreb 1916-1918)، التي أراد من خلالها ان يرسي قواعد لمغرب عربي موحد .

---

[51] - BARDIN , **op. cit**. p.232-233

[52] - انظر ، كرو ، " المهاجرون..." ، **مرجع سابق** ، ص 35.

[53] - عبد العزيز جاويش (1876 - 1929) ، ولد بالإسكندرية بمصر ، و هو من أصول تونسية. انظر عنه ، أنور ، الجندي ، **عبد العزيز جاويش من رواد التربية و الصحافة و الاجتماع** ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، (سلسلة أعلام العرب ، عدد 44) ، (د. ت.) ، انظر كذلك، BARDIN , **op. cit**. p.196

[54] - انظر ، آنده ، **مرجع سابق** ، ص ، 56 - 57 ، و BARDIN , **op. cit**. p.196

[55] - محمد باش حامبة (جوان 1881 - جانفي 1921) ، أخ علي باش حامبة ، ولد بتونس ، من أصل عثماني. انظر حياته بتفصيل في ملفه بم . ت . ق . تونس: Mohamed Bach-Hamba , Dos.B.1.28. **C.D.N**. Tunis ، و انظر كذلك ، الحبيب ، الجنحاني ، **محمد باش حامبة** ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1968.

[56] - BARDIN , **op . cit** . p.195,196

تعرف محمد باش حامبة في استانبول ببيت أخيه، بعدد من زعماء الحركة الإسلامية و قادة الحركات الوطنية في العالم العربي[57]، و بشخصيات من المغرب العربي، و تعاون معهم، و من هؤلاء الغاربة، البشير الفورتي(1882 -1954)[58]، الذي ارتبط بعلاقة متينة مع عباس حلمي الخديوي، و باستانبول أصدر الفورتي جريدة " الهلال العثماني " بمشاركة عبد العزيز جاويش[59]، و من المغاربة كذلك ، الهاشمي المكي (1881 - 1942)[60]، والشاذلي السنوسي، و محي الدين السنوسي، و محمد البشير زروق[61]، و الأخير نجده خلال الحرب بدمشق على صلة بالجماعة المغاربية المتواجدة باستانبول، و بالجماعة المغاربية التي كان يقودها محمد باش حامبة بسويسرا[62].

و من الغاربة اللاجئين الى استانبول، الشيخ محمد العتابي(من مراكش)، و دخل استانبول سنة 1915، حيث استقبله بها علي باش حامبة باسم أنور باشا، و قابل الشيخ العتابي الخليفة السلطان محمد رشاد، و تحدث له عن " حالة المغاربة، و أنّهم يجبرون على الدخول للحرب مع فرنسا ضدا على الدولة العثمانية "[63]، و الشيخ محمد بن عبد السلام التجاني التونسي[64]، و الشيخ محمد مزيان التلمساني و محمد الشيبي التونسي و حمدان بن علي الجزائري[65] و محمد بيراز(أو بويراز) الجزائري، و هو خال أحمد توفيق المدني[66].

---

57 ـ الجنحاني ، **مرجع سابق** ، ص ص . 40 - 42

58 ـ انظر عنه ، ابن قفصية ، **مرجع سابق** ، ص ص. 87 - 89

59 ـ **نفسه**.

60 ـ **نفسه** . ص ص . 96 - 97

61 ـ كرو ، " المهاجرون ..."، **مرجع سابق** ، ص . 35

62 ـ **نفسه** ، ص . 36

63 ـ غادر الشيخ محمد العتابي مراكش مراكش على اثر مشادة وقعت بين الشيخ أبي شعيب الدكالي، وزير العدل إذ ذاك ، و أحد كبار الموظفين الفرنسيين ، أهان فيها هذا الأخير الوزير ، فتأثر لذلك الشيخ العتابي ، و هجر بلاده للحجاز سنة 1913 . انظر ، الفاسي ، **مصدر سابق** ، ص.147

64 ـ لم نقف له على ترجمة ، كان خلال الحرب العالمية الأولى باستانبول ، حيث نشر كتيبا دعائيا بعنوان : (فرنسا في نظر المسلمين) ، فيه معلومات عن أحياء تلمسان و " عقلية التونسيين و الجزائريين و المراكشيين " تجاه فرنسا - يبدو أنّه من أصول جزائرية - قدم الأستاذ التميمي لكتيبه قائلا عنه : " لا نعلم شيئا عن شخصية محمد بن عبد السلام التجاني التونسي ؟..."، انظر ، محمد ، بن عبد السلام التجاني التونسي ، " فرنسا في نظر المسلمين " ، تقديم عبد الجليل التميمي ، **م. ت . م** . ، عدد 25 - 26 ، جوان 1982 ، تونس ، ص ص . 137 - 154

65 ـ لم نقف على تراجم لهؤلاء المغاربة الثلاثة ، و لا كيف هاجروا من المغرب العربي الى المشرق ، و لا متى التحقوا باستانبول، و لا كيف التحقوا بالعواصم الأوربية ؟! مع أننا نجد أسماءهم مقترنة بنشاطات زملائهم المغاربة الأخرين ، و بخاصة في " لجنة استقلال الجزائر و تونس " أما بالنسبة لمحمد مزيان التلمساني ، فأخبرنا عنه السيد محمد قنانش ، أنّه فعلا من مدينة تلمسان و كان أستاذا ، و يمت بصلة قرابة الى عائلة السيد عبد المجيد مزيان - وزير الثقافة السابق - (في لقاء بتاريخ 1986/01/16 بمنزل الدكتور أبي القاسم سعد الله.) أما بخصوص محمد الشيبي التونسي ، فيذكر عنه كاتب فرنسي أنّه " جزائري رغم اسمه..." ، " Mohamed Ech-chibi Ettounsi était algérien malgré son nom" , citée par GOLDSTEIN **, op . cit** . p.270 (n.41).

66 ـ محمد بيراز (أو بويراز) ، جزائري من أصل عثماني، هاجر أبوه عمر من الجزائر الى تونس ، " من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس " أثناء الاحتلال الفرنسي لها ، و قد هاجر بعائلته الى استانبول بعد سنة 1909 . انظر ، أكمل الدين ، حسن أوغلي ، " هذا ما حدثني به المدني ، صفحات مجهولة من حياة المغفور له الأستاذ أحمد توفيق المدني " ، **مجلة التاريخ** ، عدد 18 ، النصف الأول من سنة 1985 ، الجزائر ،ص . 36 - 37 ، و المدني ، **حياة كفاح** ، ج 1 ، ص .73

و جميع هذه الأسماء التي ذكرت، عاشت في ديار الهجرة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، و كان عملها و نشاطاتها لتحرير المغرب العربي، و ظلت مرتبطة بالعمل لصالح الدولة العثمانية الإسلامية، و استطاع هؤلاء المغاربة أن يجلبوا إليهم مغاربة آخرين كان لهم دورهم، هم كذلك ، هذا فضلا عن المغاربة الأسرى و الفارين من قوات الحلفاء، و بخاصة بعد هجرة هؤلاء الى سويسرا و ألمانيا.

تعاون المغاربة في حركة تنقلاتهم[67] - ذهابا و إيابا - أثناء الحرب العالمية الأولى على محور " استانبول - جنيف - برلين " مع الكثير من الوطنيين العرب، الذين كانوا في تيار الجامعة الاسلامية و تعلقوا بالخلافة العثمانية[68].

كان في طليعة المغاربة الذين هاجروا الى برلين، الشيخ صالح الشريف، الذي حلّ بألمانيا في نوفمبر أو ديسمبر من سنة 1914[69]، و الذي اصطحب الشيخ صالح و أوصله الى برلين، هو الأمير علي باشا، نظرا لما كان للشيخ صالح من علاقة بأسرة الأمير عبد القادر بسورية[70]، و منذ عام 1335 (1916)، أصبحت زياراته متعاقبة المرة تلو الأخرى الى برلين، و يبدو من خلال كثرة تنقلاته، أنّه كان المنسق بين الجماعة المغاربية في برلين و جنيف و علي باش حامبة المتواجد في استانبول.

و لما انتقل الشيخ صالح الشريف و الأمير علي باشا و محمد باش حامبة، انتقل معهم الوطنيون المغاربة المتواجدون باستانبول، و بقي هؤلاء بألمانيا و سويسرا الى نهاية الحرب العالمية الأولى ، و قد تدعم نشاطهم بشخصية فذّة ، كان لها دورها في النشاط الوحدوي المغاربي ، هي شخصية الشيخ محمد الخضر حسين[71].

---

67 - لا توجد لدينا المعلومات الدقيقة عن حركة انتقال الوطنيين المغاربة الى أوربا خلال الحرب العالمية الأولى ، و ذلك راجع لكثرة تنقلاتهم المتتالية ، التي قاموا بها في مهام خاصة بين الحواضر الأوربية و غيرها من بلدان المشرق العربي - الإسلامي . انظر رسالتي ، **الاتجاه الوحدوي** ، **مرجع سابق** ، ص ص . 42 - 49

68 - تعاون المغاربة مع الكثير من الوطنيين العرب ، الذين كانوا في تيار الجامعة الإسلامية ، منهم : فؤاد سليم الحجازي ، سفير تركيا في برن ، و الخديوي عباس حلمي الثاني ، الذي نصبت بريطانيا بدلا عنه الخديوي حسين كامل سلطانا على مصر أثناء زيارته لتركيا سنة 1914 ، و محمد فريد بك ، زعيم الحزب الوطني المصري ، و عبد المالك حمزة و الأمير شكيب أرسلان و غيرهم . انظر ، آنده ، **مرجع سابق** ، ص ص .52-57

69 - **نفسه** ، ص .57

70 - هاين ، " قومي من شمال إفريقيا " ، **مرجع سابق** .

71 - الشيخ محمد الخضر حسين (1293 - 1377) (1873 - 1958) ، علم من أعلام المغرب العربي ، جزائري الأصل ، تونسي المولد و النشأة . انظر عنه ، محمد ، مواعدة ، **محمد الخضر حسين** ، **حياته و آثاره** ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1974 ، و محفوظ ، **تراجم المؤلفين** ، ج2 ، ص ص . 126 - 135 .

هؤلاء الغاربة، هم الذين أسسوا " لجنة استقلال الجزائر و تونس " و " مجلة المغرب ". تأسست لجنة استقلال الجزائر و تونس في برلين في 7 جانفي 1916، من الجزائريين والتونسيين[72]، برئاسة الشيخين صالح الشريف[73] و إسماعيل الصفائحي و محمد مزيان التلمساني[74]، و تمثلت مهمتها في تحرير المنشورات و الكتيبات الدعائية لصالح قضايا المغرب العربي و العالم الإسلامي، و تفرعت هذه اللجنة عن لجنة تحمل نفس الاسم ، أسسها في نفس السنة علي باش حامبة باستانبول[75]، و ظهرت لجنة أخرى فرعية بجنيف برئاسة محمد باش حامبة[76].

كانت أعمال لجنة استقلال الجزائر و تونس و نشاطاتها تبرزها "مجلة المغرب"[77]، الناطقة باللغة الفرنسية، التي أصدرها محمد باش حامبة، في نهاية شهر ماي 1916 بجنيف[78]، و كانت تسحب في ألف نسخة ، لكن بصفة متقطعة و متنامية أحيانا الى نهاية سنة 1918[79].

جاء في ديباجة مجلة المغرب أنّها " منبر مطالب أهالي : الجزائر و تونس و مراكش وطرابلس "، و قالت في افتتاحية العدد الأول، ماي 1916 ، تحت عنوان :" برنامجنا " (...) سيأتي اليوم الذي يجتمع فيه الديبلوماسيون حول بساط أخضر لتصفية الحسابات، حينها ستكون المناسبة لأولئك الذين يتطلعون نحو سيادة الحرية، لتبليغ صوتهم. و لهذا رأينا من المفيد إصدار هذه المجلة، التي ستكون لسان حال أهالي المغرب، هذا الجزء من شمال إفريقية، المتألف من مراكش و الجزائر و تونس و طرابلس، الذي هو اليوم تحت الاحتلال، أو في الطريق نحو ذلك، من فرنسا و أسبانيا و إيطاليا .

---

72 - ذكر آجرون أن اللجنة لم تشمل أي جزائري ! انظر ، Charles –Robert , AGERON , **Histoire de l'Algerie contemporaine , de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la Guerre de Liberation** , T.II.P.U.F., Paris, 1979, p.264

73 - كان الشيخ صالح قد عين عضوا في الجمعية الوطنية باستانبول سنة 1915. انظر ، هاين ، " قومي من شمال إفريقيا " ، **مرجع سابق.**

74 -Ali, MAHDJOUBI, **Les origines du mouvement national en Tunisie (1904-1934)**, Publications de l'université de Tunis, 1982, p.140

75 - AGERON, **Hist. De l'Algérie**, T.II, P.263

76 - سعد الله ، **الحركة** ، ج 2 ، ص . 220 - 221

77 - اطلعت على هذه المجلة **بم. ت. ق** . بتونس مصورة ، تحت رقم : (1918 Z – 6031C) ، و لقصر مدّة مكوثي بتونس (جانفي 1984) ، اقتصرت على دراسة البشير التليلي ، و هي في رأيي أهم دراسة تناولت موضوعات المجلة. : Bechir, TLILI, " La Grande Guerre et les questions tunisiennes : Le groupement de la Revue du Maghreb, (1916-1918) ", In **Les Cahiers de Tunisie, (Les C. T.)**, T.XXVI, n° 101-102, 1° et 2° trimestre, Tunis, pp.31-108

78 - انظر ، الجنحاني ، **مرجع سابق** ، ص .44

79 - كانت المجلة تصدر شهريا خلال سنة 1916 ، ثم أصبحت تصدر كل شهرين الى شهر أوت 1918 ، آخر أعدادها ، عدد (سبتمبر - ديسمبر 1918).

" إن خمسة و عشرين مليونا تقريبا من المسلمين يؤلفون وحدة متجانسة في وحدانية العقيدة و اللغة و التقاليد، يعيشون تحت حكم الأجنبي مجردين من كل حرية، خاضعين لرغبة إدارة محليّة متعسفة ". و لذلك ، فإن جماعة المجلة، يقترحون أنفسهم " لمتابعة الأحداث يوميا بشمال إفريقية، للتشهير بجميع مظاهر أساليب نظام " القوة "، كما قال بورده[80]، المفروض عليها. كما أننا نسعى إلى ترجمة شعور إخواننا و التعريف بحاجياتهم ومطامحهم"، و عبروا من أنّهم سيواصلون " الرسالة التي حملتها جريدة " التونسي" ، التي أصدرها الشبان التونسيون[81] قبل الحرب .

(...) إن مسلمي شمال إفريقية (...) منشغلون بمصيرهم و يعملون لمستقبلهم، و إذا كانوا لا يأملون في الانفصال عن الدولة المستعمرة (Métropole) فهم يفكرون في أدنى الأحوال، في الحصول على تغيير النظام المفروض عليهم، بتوجههم إذا لزم الحال إلى المؤتمر الذي سيجتمع في يوم ما، لإعادة وضع خريطة العالم وفق مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان و الشعوب[82].

اهتمت مجلة المغرب كذلك بقضايا العالم العربي - الإسلامي و بقضايا الاستعمار والحرب الدائرة، أما بخصوص مسألة الاستعمار في المغرب العربي، فبالرغم من أن المجلة، صرحت على أنّها " منبر مطالب أهالي " المغرب العربي، فإنها لم تهتم أساسا إلا بالمسألتين الجزائرية والطرابلسية، و بصفة أكثر بالمسألة التونسية، أما قضية المغرب الأقصى، فان المجلة لم تتطرق الى النقاط المميزة لتطور الواقع المراكشي خلال الحرب. ولعل عدم اهتمام المجلة بهذه المنطقة، يعود الى قلّة المعلومات عن تطور وضعية هذا البلد، أو لطبيعة احتلال المغرب الأقصى، التي تبدأ بفترة وجيزة قبل بداية الاقتتال بين المتحاربين في الحرب الكبرى[83]، و اكتفت المجلة بالتنديد باحتلال المغرب الأقصى[84]. و يمكن إرجاع عدم إثارة مسألة مراكش، إلى أن هذا البلد لم يكن يتبع الخلافة العثمانية، بل كان

---

80 - هو بيير بورده (P. Bourde) ، صاحب جريدة (الطان Le temps) الفرنسية.

81 - TLILI, **Les C.T**. n° 101-102, op. cit. Informations inspirées de " Notre programme ", In **La Revue du Maghreb** , n°1, du 30 mai 1916.

82 - TLILI, **Les C. T**. ,n°101 – 102, P.40-42 , et MAHDJOUBI, **op. cit**. p.143

83 - لا ندري الآن ، لماذا لم يتعاون الشيخ محمد العتابي مع جماعة مجلة المغرب ؟! لقد انتقل العتابي الى ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى، و يذكر الفاسي أنّه نزل ضيفا على حكومة ألمانيا ، التي قدمت له عروضا " ليست من شأنها أن تطمئن المغاربة (المراكشيين) على مصير بلادهم "، و لأجل ذلك رفض التعاون مع الألمان ، فعاد إلى استانبول و انضم لرجال المؤتمر الإسلامي. الفاسي ، **مصدر سابق** ، ص . 147 - 148

84 - TLILI, **Les C. T**. n° 101 – 102, p.65

خلافة قائمة بذاتها، و أن جماعة المجلة سكتوا عن هذه المنطقة، نظرا لما كان يدور فيها من أحداث بين الوطنيين المغاربة و على رأسهم الأمير عبد المالك الجزائري و فرنسا، و كان الأمير على صلة بجماعة مجلة المغرب[85].

أما بخصوص مطالب جماعة مجلة المغرب، فان وفدا باسم لجنة استقلال الجزائر و تونس، شارك في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بلوزان بتاريخ 27 جوان 1916، و ترأس الوفد الشيخان صالح الشريف و إسماعيل الصفائحي و قدما عريضة مطالب تترجم مطامح الشعب الجزائري ـ التونسي[86]، و قدم محمد باش حامبة عريضة مطالب عن الشعوب العربية و الإسلامية المحتلّة[87]. و العريضة التي قدمتها اللجنة في هذا المؤتمر، رفعتها مجلة المغرب و جعلتها " كمطالب " لها، الى جانب " برنامجها " المشار إليه .

تعرضت العريضة المرفوعة الى المؤتمر، إلى الوضعية الاجتماعية و الثقافية التي يعيشها الشعب الجزائري ـ التونسي، و إلى النظام السياسي الاستعماري، آخذة بعين الاعتبار خصوصيات الاستعمار في كلا البلدين، واصفة كل ذلك بالنظام التعسفي المبني على الجور و الإرهاب، المرتكز على الزجر و الاضطهاد، و قالت العريضة: " إننا لا نلتمس معروفا ولا امتيازات، لكننا نطالب بحقوقنا و حرياتنا ".

" إن مطالبنا في غاية البساطة: إننا نطالب بميثاق (Charte) يضمن حرية الإنسان و أملاكه و بتشريع إنساني، و (نطالب) بلغة الجزائريين و التونسيين، و بإزالة القوانين والتشريعات الخاصة مع إعطاء الضمانات الدستورية للجميع."

" إننا نطالب بالتعليم الابتدائي الإجباري لكل أبنائنا بلغتنا، على أن ينظم التعليم الثانوي و العالي.

" نطالب بمساواة الجميع أمام نفس القانون، مع المساواة القضائية و الضريبية في النفقات و العوائد، و (نطالب) بالمساواة السياسية..."

---

85 ـ لاحقا ، الفصل الثالث.

86 - Noureddine, SRAIEB, " Politiques culturelles nationales et unité Maghrébine, In **Annuaire de l'Afrique du Nord**, 1970, CNRS, Paris, 1971, p.104

87 - TLILI, Les C. T. n° 101-102, P.39, et Mohamed Salah, LEJRI, **Evolution du mouvement national tunisien, des origines à la deuxième Guerre Mondiale**, T.1, M.T.E., Tunis , 1974, p.159

" إننا نطالب بإصلاح و تعديل القوانين و القواعد الغابية.

" و بكلمة موجزة، نحن نطالب بالحق المشترك للجميع و بالعدالة و الحرية."[88]

هذه المطالب، كما نلاحظ، إصلاحية معتدلة ، ارتكزت أساسا على مفاهيم المساواة أمام القانون في الضرائب و الحريات الفردية و المشاركة في تسيير شؤون السلطة، غير أنها ركزت على العامل الثقافي و بخاصة عنصر " اللغة العربية" العامل الرئيس في الكفاح ضد " الاندماج " و الانسلاخ عن الشخصية العربية الاسلامية. و هذه المطالب استأنفت لجنة استقلال الجزائر و تونس و المجلة العمل وفقها، لكنها حققتها و طورتها وفق الظروف السياسية، خلال سنوات 1916 - 1918.

استعادت الجماعة المغاربية بعض الآمال، بحلول سنة 1917، بعد " تصريح السلام بدون انتصار " (الرئيس ويلسون في جانفي)، و التصريح الفرنسي من أهداف الحرب في جوان، الذي نص على غرار دعوة أوربا الشرقية ، بحق الشعوب في تقرير مصيرها، فطالبت اللجنة من خلال مجلة المغرب، للشعب الجزائري التونسي " بنظام ملائم لآماله "[89]، بإعلان " دستور من ست نقاط لتونس و الجزائر"، للجزائر " بميثاق يضمن الحرية الفردية و حرية الأملاك مع فصل السلطات و إزالة القوانين الزجرية و بتعليم الجزائريين لغتهم..."[90]، و لتونس " بدستور مع مجالس منتخبة، شبيه بدستور 1861 "[91].

و طلب الشيخ صالح الشريف، الذي كان يرأس لجنة برلين، المساعدة الألمانية للحصول على الاستقلال المغاربي، في حفل شاي، كان على شرفه و الشيخ الصفائحي مع قيصر ألمانيا، و من الذين حضروا هذا الحفل السفير التركي و الأمير علي[92] باشا،

---

88 - " Nos revendications ", de **La Revue du Maghreb** du 30 juillet 1916, In **l'Action Tunisienne** du 22/04/1968, Dos, B.1.28. Doc. 64, **C.D.N**. Tunis.

89 - GOLDSTEIN, **op. cit**. p.269

90 - TLILI, **Les C. T**. n° 101-102, P.70-71 Informations inspirées de " Les revendications du peuple algérien ", In **La Revue du Maghreb** , n° du 9/11, 1917, et AGERON, **Hist. Dé l'Alg**. T.II, p.264

91 - TLILI, **Les C. T**. n° 101-102, 1917 , P.45, inf. insp. de " Les revendications du peuple tunisien", In **La Revue du Maghreb**, n° 11/12, 1917, et GOLDSREIN, **op. cit**. p.269

92 - انظر ، آنده ، **مرجع سابق** ، ص . 58

وتلقت اللجنة من القوات المركزية الضمان للاستقلال المستقبلي، و تم تسجيل قضية "جمهورية شمال إفريقية في لاهاي "[93] !

و أصدرت اللجنة في نفس السنة نشرية بعنوان:" شكاوى الشعوب المضطهدة : تونس و الجزائر "، أظهرت من خلالها، بعبارات عنيفة، الابتزازات و التعسفات القانونية وإجراءات التفرقة المتولدة عن النظام الاستعماري الفرنسي في القطرين تونس والجزائر، و طالبت " بالاستقلال الكامل و الفوري " قائلة :" إن هذا الشعب (الجزائري - التونسي) لم يتخل أبدا عن حريته و تعلقه بالخلافة ... و قد جاءت الفرصة ليطالب ...بالعدالة ضد مضطهديه، و بحقه في الحياة و الحرية و الاستقلال"[94].

شارك أعضاء من " لجنة استقلال الجزائر و تونس" كذلك، في مؤتمري استوكهولم، مؤتمر الشعوب الاسلامية و المؤتمر الاشتراكي العالمي، في شهري أكتوبر - نوفمبر،الى جانب ممثلي الوطنيين العرب[95]، و طالبوا بحقهم في " الحرية و الاستقلال "[96]. و بذلك يظهر من الواضح، أن جماعة اللجنة قد طرحت فكرة استقلال المغرب العربي خلال سنة 1917، متشجعة بظروف سياسية مع تباشير نهاية الحرب، فطالبت الجماعة بحسم " مسألة حق شعب شمال إفريقية "، التي سترفع إلى مؤتمر السلام، و طالبت " باستفتاء" لأهالي المغرب العربي، ليجددوا " مصيرهم المستقبلي "[97].

و تكونت أواخر سنة 1918 " اللجنة الجزائرية التونسية "، متألفة من الشيوخ : صالح الشريف و محمد الخضر حسين ومحمد مزيان التلمساني و محمد الشيبي التونسي ومحمد بيراز الجزائري و حمدان بن علي الجزائري و محمد باش حامبة، أرسلت برقية إلى الرئيس ويلسون، أثناء مروره بروما في الثاني من جانفي سنة 1918، ترجمت مشاعر

---

[93] - GOLDSTEIN, **op. cit**. p.266-267

[94] - LEJRI, T.1, **op. cit**. p.162-163

[95] - انظر ، الفاسي ، **مصدر سابق** ، ص . 148 ، و آنده ، **مرجع سابق** ، ص. 61، و TLILI, **Les C. T**. n° 101-102, p.70

[96] - **Archives du Premier Ministère**, Tunis, Carton n° 2, RF/MAE/APC/ " Les revendications nationalistes du Maroc de l'Algérie et de la Tunisie ", une correspondance de Stockholm, datée du 10 novembre 1917, expose : Les griefs des musulmans.

[97] - MAHDJOUBI, **op. cit**. p.145, et GOLDSTEIN, **op. cit**. p.269-270

"الشعب الجزائري ـ التونسي " و طالبت بحقه في " تقرير مصيره بكل حرية "[98]. ووجهت اللجنة بعد ذلك ، عريضة مفصلة و طويلة إلى مؤتمر السلام، قبل انعقاده في فرساي في 18 جانفي 1919[99].

تحدثت العريضة، عن أوضاع المغرب العربي التاريخية قبل الاحتلال، و تحت "النظام الحديدي " الاستعماري، مطالبة " بالاستقلال التام " و " تحرير المغرب العربي ككل "، قائلة : أن " الجزائر و تونس، كانتا منذ الفتح الإسلامي، موطنا واحدا، عاصمته تونس، و تعداد سكانه (اليوم) سبعة ملايين نسمة، من جنس واحد، لغتهم واحدة، و ديانتهم واحدة "، كان هذا الشعب " سيد مصيره "، تمتع في كل الأزمنة " باستقلاله و إدارته بشكل ضمن له العدالة و الحرية و الأمن "، و عرف الاستقرار في كل المجالات، مرتبطا على الدوام بالخلافة الاسلامية. و بعد احتلال الجزائر في 1830، دافع الشعب الجزائري عن حريته، و فرض عليه " الغالب... نظاما تعسفيا خاصا " تميز " بالعنف و الاستعباد والإرهاب " و أصبح مجردا من كل " الحقوق المدنية و السياسية ". و كذلك الأمر، بالنسبة لتونس حين احتلت سنة 1881. لقد احتل الشعب الجزائري ـ التونسي بالقوة و " لم يستسلم، و لم يتخل عن استقلاله " و ظل يعارض" النير الأجنبي بالانتفاضات والحركات التمردية ".

و ارتكزت العريضة على مبدأ " حق الشعوب في تقرير مصيرها "، باستعراضها لجميع التصريحات التي نادت بهذا المبدأ خلال الحرب. " و لسوء الحظ... إن الحكومة الفرنسية ، لا تعترف للشعب الجزائري ـ التونسي بحق التصرف في مصيره مستقبلا...

و بعد تحليل للوضع بالجزائر و تونس تطالب العريضة باستقلال الغرب العربي ككل، " يجب تحرير شعوب شمال افريقية من السيطرة التي أقامتها " (فرنسا)، " إن الشعب الجزائري ـ التونسي، يطالب باستقلاله التام، و يناشد الضمير العالمي ليعترف له بحق

---

98 - " Télégramme au Président Wilson envoyé par le Comité Algéro-Tunisien – (Le peuple Algéro – Tunisien et la paix)", **La Revue du Maghreb**, n° 9/12, 1918, In **, l'Action**', du 20/02/1968, Dos.B.1.28. Doc. 56, **C.D.N**. Tunis.

99 ـ طبعت البرقية و العريضة في جنيف حسب تقرير (القاضي) العقيد بارون. انظر ، " L'affaire d'Abdel-Aziz Thaalbi ", Rapport du Colonel Baron , Dos.B.3.13**. C.D.N**. Tunis.

التصرف بحرية في مصيره... يريد أن يلفت بمطالبه المشروعة انتباه مؤتمر السلام، الذي سيعقد بعد بضعة أيام لتعديل خريطة العالم، و صياغة مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب "[100].

قامت الجماعة المغاربية في المهجر، في الواقع، بنضال وحدوي مغاربي أحسن قيام، تجسد في جبهات مختلفة[101]، غير أنّه ظل محدودا و مقصورا على نخبة من الرجال متشبعة بالثقافة القومية الاسلامية، و لم يتعد إلى القاعدة الاجتماعية الشعبية الضرورية لمواصلة الكفاح على الساحة المغاربية، التي كانت متراجعة أمام ثقل النظام الاستعماري المسلط عليها ، كما أنّه (النضال) لم يعط تصورا واضحا لمغرب عربي موحد مستقبلا.

3 - وحدة المغرب العربي في نظر الحركات الإصلاحية

أ- تصور رجال الإصلاح

1- ظل الترابط متواصلا و مستمرا بين أبناء المغرب العربي، في المجلات الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الدينية، و بخاصة لدى رجال الإصلاح بالجزائر، وجماعة الحزب الحر الدستوري التونسي، الذي كانت ميوله وحدوية و حركة الإصلاح في المغرب الأقصى، التي انطلقت مع نهاية الثورة الريفية. كانت حركة الإصلاح في المغرب العربي تتقدم ببطء و بخطى متثاقلة، و لكن على أسس صلبة، مستفيدة من الأحداث العالمية والعربية - الإسلامية، و من المعطيات الجديدة لما بعد الحرب العالمية الأولى، بأبعاد مغاربية في إطار عربي إسلامي مرتكزة في أصولها على سير السلف الصالح و على التراث الحضاري العربي الإسلامي[102]

---

[100] - نشرت العريضة في آخر أعداد مجلة المغرب، ممضاة من طرف أعضاء اللجنة الجزائرية - التونسية . " Les revendications du peuple Algéro-Tunisien, mémoire adressé au Congres de la Paix par le Comité Algéro-Tunisien ", **La Revue du Maghreb**, voir, TLILI, **Les C. T.**,n°101-102, pp.97-101, et Claude COLLOT, et J.R.,HENRY, **Le mouvement national algérien, textes, 1912-1954**, 2° Ed. Office de publications universitaires, Alger,1981,pp. 25 -29

[101] - انظر، رسالتي، **الاتجاه الوحدوي**، ص ص. 30 - 72

[102] - انظر الفصل الثالث: نحو وعي مغاربي موحد (1920-1937) في رسالتي، **الاتجاه الوحدوي**، **مرجع سابق**، ص ص. 139-210

وللحديث عن تصورات الحركة الإصلاحية و رجالها لوحدة المغرب العربي، يجدر بنا أن نلاحظ هنا، أن الحركة القومية في المشرق العربي، قد ارتدت خلال الحرب العالمية الأولى طابعا قوميا ضعف الجانب الديني فيها، و اتجهت ضد دولة الخلافة الإسلامية (تركيا)، أما حركة القومية في المغرب العربي فإنها ارتدت طابع الجامعة الإسلامية، الذي يقوم على الالتفاف حول دولة الخلافة الاسلامية، بسبب خضوعها للاستعمار الأوربي وحاجتها إلى معونة الدولة العثمانية الإسلامية، أما بعد الحرب، فتبين لعرب المشرق أنّهم خدعوا، فاتجهت نقمتهم ضد السياسة الأوربية الجديدة، و حدث تشابه و تعاطف بين الحركات الوطنية في " قسمي الوطن العربي الإفريقي و الآسيوي، فالعدو الآن واحد، و لهذا اتحدت العواطف الوطنية و الدينية في تيار واحد، و اتحدت الجامعتان العربية و الإسلامية في جامعة وحدة، عربية الإطار إسلامية المحتوى، يمثلها الأمير شكيب أرسلان (1286-1366)(1869-1946)[103]، الذي كان عامل الاتصال بين الحركات القومية في القسمين العربيين الإفريقي و الآسيوي"[104].

قاد الحركة الإصلاحية في الجزائر ثلّة من العلماء، على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس[105] الذي عايش أحداث المغرب العربي، و عاصر حركة الشبان التونسيين وقدتها من أمثال علي باش حامبة و الشيخ عبد العزيز الثعالبي، و نقل عنهم فكرة وحدة المغرب العربي، و التقى الشيخ ابن باديس مع الشيخ الطيب العقبي[106]، الذي تكون بالحجاز و نقل معه إلى الجزائر " يقظة القومية العربية و القومية الإسلامية "، و أصبح " حلم " ابن باديس بعث "إمبراطورية الموحدين بشمال إفريقية" و" حلم " العقبي بعث" الإمبراطورية العربية و الخلافة (الإسلامية) العالمية "، و هما حلمان يتفقان و ينسجمان بسهولة، و التقى مع

---

103 ـ انظر عن علاقته بالوطنيين في المغرب العربي، رسالتي، **الاتجاه الوحدوي**، **مرجع سابق**، ص ص.178-184 ، و انظر كذلك، Juliette, BESSIS, " Chekib Arsalan et les mouvements nationalistes au Maghreb ", In la **Revue historique**, n° 526, avril-juin, Paris, 1978,pp.469-489, et E.LEVI-PROVENCAL, "L'Emir Shakib Arslan, (1869-1946)", In, **Extrait des Cahiers de l'Orient Contemporain** ,IX-X, 1948, pp.1-15

104 ـ فارس، **مرجع سابق**، ص.421-422

105 ـ الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، (1306-1889) - (1359-1940)، رائد الحركة الإصلاحية الدينية و التجديد الإسلامي، و رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. صدرت بشأنه عدّة مؤلفات و دراسات تناولت مختلف جوانب حياته و أرائه في الإصلاح و التربية و التجديد و السياسة. عن حياته و آثاره، انظر، عمار، الطالبي، **ابن باديس، حياته و آثاره**، ط2، 4 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان 1983/1403،

106 ـ الشيخ الطيب العقبي،(1307-1890) - (1379-1959)، من رواد الإصلاح الديني في الجزائر، اشتهر بالخطابة و الكتابة و الصحافة. انظر عنه، دراسة أحمد، مريوش، **الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1992/1993.

الشيخين في الإصلاح و الفكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[107]، الذي تكون في المشرق العربي و عايش أحداثه و إيديولوجياته، و ساعد هؤلاء شيوخ آخرون إلى جانب تلامذتهم.

نشر رجال الإصلاح مبادئهم الإصلاحية و اتجاههم المغاربي و القومي العربي الإسلامي بوسائل مختلفة منها، منابر المساجد و الصحافة و تبادل الزيارات و إنشاء المدارس و النوادي و الجمعيات و غيرها، بهذه الوسائل نشروا الدين الإسلامي الصحيح وتحمسوا له و حاربوا الشعوذة و الطرقية المارقة، و تحمسوا لنشر اللغة العربية و الدفاع عنها، إذ أنّهم اعتبروها العامل الرئيس الذي يربط الجزائرالاسلامية بالأمة العربية الإسلامية، فاللغة العربية عندهم، هي لغة الإسلام و الثقافة العربية ماضيا و حاضرا، و هي وسيلة التبادل الثقافي و العاطفي بين بلدان المغرب العربي و الشعوب الشقيقة في المشرق العربي، و لذلك دافعوا بشدة عن العربية و العروبة، و كان دفاعهم مشفوعا "بطابع العاطفة"، وكان مع بداية دعوة الإصلاح الديني من الصعب الكشف عن محتواه السياسي[108].

و من ذلك، فان الشيخ أحمد توفيق المدني، الذي نشط في الحركة الوطنية التونسية من خلال الحزب الحر الدستوري التونسي، نفي من تونس الى الجزائر سنة 1925، و أصبح في الجزائر مع رجال الإصلاح الديني، و كان يحمل أفكارا مغاربية، يذكر أن الحديث بينه وبين رجال الإصلاح كان يدور حول " وحدة المغرب العربي"، و التساؤل جاريا فيه عن عمل سياسي ممكن بين أقطار المغرب العربي ما دام العدو واحد[109].كان المدني قد ألف عدّة كتب منها كتابه التاريخي حول قرطاجة " تاريخ شمال إفريقية و قرطاجنة في أربعة عصور"، الذي طبعه بتونس سنة 1927، و نفى من خلاله علاقة شمال إفريقية بالحضارة اللاتينية، معتبرا الفترة الرومانية بالمنطقة فترة استعمار، قاومتها وطنية " بربرية "

---

[107] ـ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،(1306-1889) - (1385-1965)، رائد من رواد الإصلاح في الجزائر، خطيب و كاتب بليغ، ضليع في الأدب و التاريخ و اللغة العربية و علوم الدين. انظر عنه، مجلة **الثقافة**، (عدد خاص بالإبراهيمي)، عدد87، شعبان - رمضان 1405/ مايو - يونيو1985، الجزائر.

[108] - Ali, MERAD, **Le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale**. Monton & Co. Paris, La Haye, 1967, p. 354

[109] ـ انظر، المدني، **حياة كفاح**، ج2، ص ص.9-15

مغاربية، مظهرا في كتابه بشكل واضح الاندماج و الانصهار العربي - البربري، المكوّن "لأمّة شمال إفريقية "[110].

أما محمد السعيد الزاهري[111]، أحد تلامذة الشيخ ابن باديس، فدعا صراحة الى وجوب الإسراع إلى الوحدة المغربية (المغاربية) مع بداية سنة 1929، و هي الوحدة التي من شأنها " أن تبلور الإرادة الجماعية، و الكفاح المشترك و التصميم الموحد لأبناء المغرب العربي " على مقاومة الاستعمار الجاثم على أرضهم[112].

أرسل الزاهري مقالته من مدينة تلمسان الى الطيب بن عيسى، و ابن عيسى كما سبق و اشرنا كان على علاقة بعمر بن قدور، يدعو فيها الى الوحدة المغربية (المغاربية). وقد مهد ابن عيسى لهذه المقالة في جريدته (الوزير) تحت عنوان:" حول مقالة قيّمة " نشرها في 21 فيفري، مبشرا ومتفائلا بدعوة الزاهري إلى إيجاد وحدة مغربية (مغاربية)، التي فيها " فوائد لا تحصى و منافع لا تستقصى، خصوصا و أن الوقت مساعد على ذلك، من حيث السياسة العليا الحاكمة في الشمال الإفريقي" و متعهدا له بالنشر، و لاسيما و هو من " دعاة تمكين العلائق بين سكان المغرب الأدنى و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى" و معتذرا له عن نشر المقال برمته لطوله و غزارة مادته و صحة معظم نظرياته، و ضيق نطاق الجريدة، رغم أن المراسل (الزاهري) " لا يريد اختزالا و لا تحويرا " لموضوعه.

حثّ الزاهري من خلال مقاله، على وجوب الوحدة مبرزا مقوماتها العرقية و اللغوية و الحضارية، مثنيا على جريدة الوزير و الصحف التونسية، التي أصبحت " تشعر باحتياجتها إلى أن تكون صحافة مغربية (مغاربية)" تهتم بالمغرب العربي ككل، مخاطبة أبناءه قاطبة، حتى أن قارئها لا يكاد يشعر " أهي بقلم تونسي أم جزائري أم مراكشي"[113]

---

110 - J – C, VATIN, " Conditions et formes de la domination coloniale en Algérie (1919-1945)", In **Revue Algérienne des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales**, Vol.IX, n° 4, décembre 1972, Alger, p.896

111 - محمد السعيد الزاهري، شاعر و كاتب و صحفي من رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر من مواليد سنة 1899 بقرية ليانة (بسكرة). انظر عنه، صالح، الخرفي، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، و عادل، نويهض،**معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان،1400/1980،ص.157، و محمد الصالح، الجابري، **النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962**، الدار العربية للكتاب، تونس و طرابلس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص ص. 36-37 ، و 50-53، و306-307.

112 - الجابري ، **مرجع سابق**، ص.307

113 - هي ميزة اتصفت بها الصحافة الوطنية في المغرب العربي خلال فترة الاستعمار، زالت هذه الصفة و اندثرت في فترة الاستقلال..!

و مبشرا بأن " الشباب المغربي (المغاربي) الناهض لا فرق بين الجزائري منه و التونسي ولا بين أحد منهما و بين المراكشي، بدأت عقليته تتجه في اتجاه واحد (...) و إذا تمّ ذلك ـوسيتم إن شاء الله ـ فسيكون كل مفكر في الجزائر أو في تونس أو في مراكش، يفكر بالمغرب[114](العربي) لا بخصوص جهته، و سيكون كل عامل من هذه البلاد يعمل لصالح المغرب (العربي) كلّه " لتتوحد الجهود لصالح المغرب العربي.

إن تاريخ بلاد المغرب العربي واحد، و هو شديد الاتصال ببعضه البعض، فضلا عن " الروابط الطبيعية"، و زيادة علي رابطتي التاريخ و الطبيعة، هناك الرابطة العرقية، فالمغاربة سلالة واحدة منحدرة من " البربر و العرب و الترك" امتزجت و صارت "جنسية إسلامية مغربية (مغاربية)"، إضافة الى الرابطة الحضارية من لغة و دين وعادات و أخلاق متقاربة و رابطة الوطنية المغربية.

و هذه الأمور كافية في أن تبعث " أمّة مغربية (مغاربية) ملتئمة، تدين بدين الإسلام و تتخلق بخلق القرآن، و تهتدي بهدي الرسول (ص)"، إذا ما تضافرت جهود " الكتاب والشعراء و القادة و الصحفيين" لمعالجة الأمراض الاجتماعية في المغرب العربي، بالدعوة الى " الإصلاح الإسلامي" و العمل على " تقوية الرابطة الإسلامية و إحيائها بين أقطار المغرب الثلاثة، و لنسم أنفسنا أبناء المغرب، و لنسع في إحياء مجد المغرب، و في إحياء ما كان للمغرب من أدب و علم، و لندع إلى الوحدة المغربية، و لنكن نحن أبناء الغرب فخرا للإسلام كما كان أسلافنا الأبرار، و لا نكن عارا عليه، و سبّة له"[115].

و الملاحظ أن مقال الزاهري، كان دعوة صريحة الى الوحدة المغاربية المبنية على أسس حضارية، و جاء المقال مع نهاية العشرينيات، و هو قمّة ما كانت تدعو إليه الحركة الإصلاحية في الجزائر، على اعتبار أن الزاهري هو أحد أقطابها.

---

114 ـ لسنا ندري، هل الزاهري استعمل في مقاله الكلمة المركبة (المغرب العربي) أم أنّه استعمل كلمة (المغرب) لوحدها؟ إذ كان من الشائع قبل هذا التاريخ استعمال بلاد المغرب، أو المغرب الإسلامي، أو شمال إفريقيا أو إفريقيا الشمالية. و هذا لعدم تمكننا من الحصول على المقال الأصلي المنشور بجريدة **الوزير** التونسية بتاريخ 1029/02/21 و 1929/04/04. لقد نقل كل من الخرفي، **الزاهري، مرجع سابق**، ص.13، و الجابري، **مرجع سابق**، ص.308، مقتطفات من مقال الزاهري، مستعملين الكلمة المركبة (المغرب العربي)، بخلاف ما ورد في نص المقال الذي نشره الخرفي، **الزاهري**،ص ص. 161-165، حيث وردت الكلمة (المغرب) فقط، مجردة من الصفة (العربي). و الكلمة المركبة (المغرب العربي) نجدها شائعة في أدبيات الثلاثينيات، و كان الزاهري و غيره يستعملونها. و هذا خلاف ما أكده لنا المرحوم **الشاذلي المكي**، من أنها استعملت لأول مرّة من طرف زعما مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947. في لقاء لنا معه بمنزله بابن عكنون بتاريخ 1985/08/21

115 ـ انظر، مقال الزاهري، " إلى الوحدة المغربية" في، الخرفي، الزاهري، ص ص.161-165.

تجاوز الاتجاه العربي للإصلاحيين بعد تأسيسهم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر 1931، بسرعة ميدان الطموحات الثقافية المعلّلة فقط بالواقع الجزائري، ليتخذ في الأخير طابع " الإيديولوجية السياسية "، و تمكن من أن يزعج ألسنة حال الرأي العام الفرنسي في الجزائر[116]، و فسر ذلك من قبل السلطات الفرنسية على أنّه عقيدة انفصالية مستوحاة من الخارج[117]، أي من الوطن العربي.

كان تأثير الأمير شكيب أرسلان كبيرا على زعماء حركات الإصلاح بالمغرب العربي، و بخاصة أولئك الذين لهم اتجاه عربي - إسلامي، فقد أصبح بالنسبة لرجال الإصلاح بالجزائر ملهما روحيا و مرشدا و مستشارا، و بخاصة في ميدان العروبة و الأمور السياسية الاستعمارية[118]، و كان كذلك بالنسبة للمراكشيين[119] و التونسيين، فجميعهم تتبعوا تحركات الأمير و مناهضته للاستعمار الفرنسي - الإنجليزي، و دعوته للوحدة العربية، من خلال اتصالاته بهم، و من خلال جريدته (الأمّة العربية)، فقد دعت هذه الجريدة إلى ضرورة " اتحاد الدول المشرقية " العربية في كتل على أمل تحقيق الوحدة العربية الشاملة، " فاتحاد سورية و العراق" ما هو إلا مرحلة أولى لاتحاد " شبه الجزيرة العربية"، و اتحاد هؤلاء جميعا في المشرق العربي، لا شك أنّه سيكون بمثابة أمثلة حيّة لاتحاد عرب المغرب العربي[120].

و حدد الأمير أرسلان مع نهاية سنة 1936 مراحل الوحدة العربية التي تشمل " كل سكان الوطن العربي، الذين تجمعهم وحدة اللغة و العقيدة و التاريخ المشترك و العادات والتقاليد و نفس الطموحات و الآمال"، و تخص هذه الوحدة " سورية و مصر و فلسطين والعراق و الحجاز و طرابلس و تونس و الجزائر و مراكش"، و رأى أن وحدة هذه البلدان

---

116 - نشير هنا الى كثرة المقالات التي كتبها ج، ديبارمي و موهانديس، و غيرهما في **نشرية لجنة إفريقية الشمالية (A.F.)** منبهين إدارة حكومتهم الفرنسية إلى " خطر القومية العربية " لدى علماء الجزائر على النظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر و كل منطقة المغرب العربي.

117 - MERAD, **Le réformisme, op. cit**. p.351

118 - **Ibid**, P.365 - لا ينبغي أن نتناسى هنا تأثير الشيخ محمد رشيد رضا و جريدته (المنار) على رجال الإصلاح في الجزائر، في ميدان العروبة أيضا، فقد كان الأمير شكيب أرسلان أحد تلامذة الشيخ رشيد رضا، و عن تأثير الرجلين و غيرهما في رجال الإصلاح في الجزائر، انظر، J.DESPARMET," Le Panarabisme et l'Algérie ",In **Bulletin du Comité de l'Afrique Française,(A. F.),**n° 6, juin 1936, p.314

119 - انظر مثلا عن علاقة الأمير أرسلان بالشيخ عبد السلام بنونة، الذي يعتبر أب الحركة الوطنية في المغرب الأقصى بالمنطقة الشمالية. الطيب، بنونة، **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان و الحاج عبد السلام بنونة**، مطبعة دار أمل، طنجة، المغرب، 1980/1400.

120 - Antoine, FLEURY, " Le mouvement national arabe à Genève durant l'entre-deux-guerres ", In **Relations internationales**, n° 19, automne 1979, Paris, p.351, informations inspirées de " Vers l'union arabe ", In **La Nation Arabe**, n° sept.-oct. 1931, et " L'unité arabe s'impose ", In **La Nation Arabe**, n° nov.-déc. 1931

من متطلبات الساعة، غير أنّه كان يرى أن هذه الوحدة ستتم وفق مراحل، نظرا للظروف التي يعيشها الوطن العربي وقتئذ، فقد جزأ الوطن العربي الى ثلاث كتل كبرى تتوحد فيما بينها، ثم تتجمع هذه الكتل في كتلة واحدة هي:" الوطن العربي "، و تشمل هذه الكتل الآتي:-

- الكتلة الأولى: مصر و العراق و سورية و فلسطين
- الكتلة الثانية : شبه الجزيرة العربية (الحجاز، اليمن، مسقط، عمان، البحرين)
- الكتلة الثالثة : المغرب العربي (طرابلس، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)

على أن يشرع كل بلد من هذه البلدان في التهيئة و العمل " لوحدة الأمّة العربية "[121].

و يبدو، أن زيارة الأمير أرسلان للمغرب الأقصى[122]المنقسم بين قوتين استعماريتين، كانت ضمن " استراتيجية " الوحدة العربية، و ذلك ليوحد الأمير النشاط السياسي و الإصلاحي بين الوطنيين، و ينسق العمل النضالي فيما بينهم في كلا الجناحين المغربيين الشمالي و الجنوبي، و في هذا الإطار اهتم " بالأمّة المغربية(المراكشية) "[123]، و بخاصة و أنّه تفطن للسياسة الفرنسية التي كانت تهدف بإصدارها للظهير البربري (16 ماي 1930) إلى تقسيم المغرب الأقصى إلى شتات من الأجزاء.

يلتقي مفهوم جمعية العلماء الجزائريين و رجالاتها للوحدة العربية مع "استراتيجية " الأمير أرسلان، و في هذا المجال تحرك العلماء في الجزائر بالتنسيق معه لنشر أفكار العروبة في المغرب العربي[124].

ولذلك تبنى رجال جمعية العلماء، خلال عقد الثلاثينيات، في استراتيجيتهم وحدة المغرب العربي، و كان في طليعتهم الشيخ ابن باديس، الذي أوضح في أحد مقالاته مع نهاية سنة 1936:" لمن أعيش ؟"، من أنّه يعيش " للإسلام و الجزائر"، فالجزائر هي " وطنه

---

121 - انظر، J., DESPARMET, " L'Afrique du Nord et le Panarabisme ", In **A. F.** , n° 2, février 1938, p.57, - نقلا عن استجواب للأمير أرسلان، صدر بجريدة الجزيرة الدمشقية بتاريخ 6 أكتوبر 1937 ، انظر كذلك، Robert, REZETTE, **Les partis politiques marocains**, Librairie Armand Colin, Paris, 1955, p.73 و قد اعتمد ريزيط على ما نقلته جريدة صوت الأهالي(**La Voix Indigène**) الجزائرية، عدد 1938/10/28، و على محاضرة ألقاها الأمير بدمشق سنة 1937، و على استجواب جريدة الجزيرة المذكورة.

122 - عن زيارة الأمير للمغرب الأقصى، انظر، حكيم محمّد، ابن عزوز، **وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان، أسبابها، أهدافها، نتائجها**، عرض و تعليق، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة و الفكر، تطوان.

123 - REZETTE, **op. cit**. p. 73-74

124 - DESPARMET, **A.F.**, n° 6/1936, **op. cit**. p.314

الخاص " تربطه بأهلها " روابط من الماضي و الحاضر و المستقبل "، و وراء وطنه الخاص، الذي عمل مع رجاله على وحدته، أوطان أخرى، كانت دائما على بال المصلحين، و أقرب هذه الأوطان:" المغرب الأدنى و المغرب الأقصى، اللذان ما هما و المغرب الأوسط إلا وطن واحد، لغة و عقيدة و آدابا و أخلاقا و تاريخا و مصلحة "، و وراء هذه الأوطان، الوطن العربي الإسلامي، ثم وطن الإنسانية العام[125].

و كان لمقال ابن باديس صداه في تونس، و بخاصة أثناء زيارته لها مع مطلع سنة 1937[126]، و يبدو أن الشيخ قد تحمس أكثر لفكرة وحدة المغرب العربي، بعد أن وجد التجاوب في تونس، إذ أنّه مدّ " يد الإخلاص و الولاء " من وراء الحدود الوضعية للجزائر، من خلال مجلة (الشهاب) إلى " رجال المغرب الأحرار " في كل من تونس و المغرب الأقصى، معتبرا إياهم إخوانا من " الأمّ و الأب " و شركاء في " الأصل و النسب"، و قد خلقهم الله مع الجزائريين " أمّة واحدة تشترك في وطن يربط الأطلس بين أجزائه، وضعته يد الله فلا تستطيع أن تحلّه يد البشر، و تشترك في لغة و دين، و شريكة في المحن و الآلام وتصرفات الأيام، و شريكة في كل المصالح الدينية و الدنيوية، و شريكة في الآلام الفسيحة و النظر الى المستقبل، بأعين متفائلة مغتبطة، و شريكة فوق ذلك، في ميدان الجهاد الوطني في سبيل الحرية و التحرير."[127]

زار الشيخ ابن باديس تونس عدّة مرات، و كانت زيارته لها في شهر جويلية 1937، لتحية زميله الشيخ عبد العزيز الثعالبي[128]، الذي عاد من المشرق العربي في 8 جويلية، والترحيب به في المغرب العربي[129]، ويبدو أن زيارة ابن باديس كانت كذلك، لتنسيق العمل

---

[125] ـ انظر، عبد الحميد، ابن باديس، " لمن أعيش ؟"، مجلة **الشهاب**، ج 10، م 12، غرة شوال 1355/سبتمبر 1936، و نشر كذلك في جريدة **البصائر**، عدد 11 شوال 1355/ 25 ديسمبر 1936. و مقال " لمن أعيش؟ "، هو ملخص لمحاضرة ألقاها الشيخ الإمام على أعضاء جمعية التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة.

[126] ـ انظر، جريدة **البصائر**، عدد 25 شوال 1355/ 8 جانفي 1937.

[127] ـ انظر، عبد الحميد، ابن باديس، " الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث "، الشهاب ، ج 11، م 12، ذي القعدة 1355/ جانفي 1937، ص ص. 480 - 491. و هو مقال مطول، حلّل فيه الأوضاع في المغرب العربي، و دعا فيه الى وحدته، انظر، ملخصا للمقال كذلك في: J., DESPARMET, " Le Panarabisme et la Berberie ", In **Renseignements Coloniaux**, n° 8 et 9, 1937, pp.194 - 199

[128] ـ عبد العزيز الثعالبي،(1874 ـ أكتوبر 1944)، علم من أعلام المغرب العربي، مصلح سياسي كبير، و كاتب و صحفي، ولد بتونس من أصول جزائرية. انظر عنه: أنور، الجندي، **عبد العزيز الثعالبي**، رائد **الحرية و النهضة الإسلامية**، **1879 - 1944**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984. و دراسة يوسف، مناصرية، **الحزب الحر الدستوري التونسي** ، **1919 - 1934** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1986/1987، ص ص. 91 -132، طبعت الرسالة في دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

[129] ـ عن صدى زيارات ابن باديس لتونس، انظر، **A. F.**, n° 6, juin 1937, p. 338, et n° 10, octobre 1937, p. 471, انظر كذلك، جريدة **الأمّة** (أبو اليقظان)، عدد 130، 10 جمادى الأولى1356/07/20/1937، و عدد 134، 9 جمادى الثانية 1356/08/17/1937

و الجهود في المغرب العربي، و بخاصة و أن الشيخ الثعالبي كان من دعاة الوحدة المغاربية. فحسب تقرير المقيم العام الفرنسي بتونس، أن الشيخين الثعالبي و ابن باديس، قد أجريا مع نهاية شهر جويلية محادثات حول موضوع " التنظيمات الإسلامية " منها توحيد الأحزاب في إطار قومي، و توحيد الأعمال الوطنية الفردية، و وحدة المغرب العربي، و اتفقا على تكوين مجلس مركزي، مهمته تنسيق الأعمال، و تسطير الأهداف الإستراتيجية المشتركة، ويحتمل التقرير الفرنسي أن يكون على قمة هذا المجلس " رئيس "، قد يكون هوالشيخ الثعالبي، أو قد تكون " قيادة ثلاثية " من الجزائر و تونس و المغرب الأقصى[130].

حاول بعد ذلك الشيخ ابن باديس، أن يمد حبال الأخوة و الوحدة الى الجهة الغربية من المغرب العربي، إذ حاول السفر الى المغرب الأقصى، لحضور تشييع جنازة المصلح المراكشي الشيخ أبي شعيب الدكالي[131] بعد وفاته، غير أن السلطات الفرنسية رفضت منحه تأشيرة الذهاب[132]، و كان قد حاول زيارة المغرب الأقصى سنة 1927، و منعته نفس السلطات[133].

و على كل، فإن " استراتيجية " العلماء السياسية لفكرة وحدة المغرب العربي، كانت قد بدأت مع مطلع الثلاثينيات ـ بعد تأسيس الجمعية ـ، و لم تكن هذه السياسة لتخفى عن أعين السلطات الفرنسية، التي كانت تتابعها، فقد خلص أحد المتتبعين لحركة الإصلاح بالجزائر سنة 1937، إلى أن عقيدة المصلحين الوحدوية تتمثل في الآتي:-

" أن الجزائر يجب أن تعود الى الإسلام على مراحل أربع:-

أولا:- أن تحصل على استقلالها، و تكون وحدتها على نموذج دولة بني زيان، و هي الأسرة الجزائرية الكبيرة.

---

130 - " Rapport sur la situation politique, sociale et économique, décembre 1937 " adressé le 29/01/1937 par le R.G. de France à Tunis à M. Yvon Delbos, M.A.E. à Paris. In **Watha'iq**, n° 3, 1985, MESRS/PNR/CNUDST, Tunis, p.27

131 ـ أبو شعيب الدكالي، (؟ ـ 1937)، من رجال الإصلاح بالمغرب الأقصى، بدأ دعوته الإصلاحية قبل الحرب العالمية الأولى بعد عودته من المشرق العربي . يذكر عنه عبد الوهاب بن منصور أنّه " لم يحرر مقالا و لا ألف كتابا..." انظر عنه، ابن منصور، **أعلام المغرب العربي** ، ج 2، المطبعة الملكية بالرباط، 1979/1399، ص . 202، و انظر كذلك الفاسي، **مصدر سابق**، ص. 153 -154

132- **MERAD, Le réformisme, op. cit**. p.371, (n. 2)

133 ـ انظر، أبو مالك، " أصداء الشيخ عبد الحميد بن باديس في المغرب الأقصى "، مجلة **الموقف**، عدد 5 ـ 6، رجب ـ شوال 1408/ مارس ـ يونيو 1988، المغرب الأقصى، ص ص. 123 - 130

ثانيا:ـ تتكتل بعد ذلك، مع الدولتين المراكشية و التونسية، لإقامة الإمبراطورية العربية ـ البربرية، التي أسسها في مرحلة (تاريخية) عبد المؤمن...

ثالثا:ـ عندما تتوحد شمال إفريقية، فإنها تلتحم بالإمبراطورية العربية، التي هي في طور التكوين في القاهرة و مكّة (المكرمة).

رابعا:ـ و أخيرا يصير (المغرب العربي) مقاطعة من مقاطعات الخلافة العالمية، التي يجب أن تسود أرض الإسلام إلى آخر الزمان..."[134].

و سياسة العلماء المغاربية العربية ـ الإسلامية هذه، كما يظهر، مماثلة و متماشية مع ما كان يدعو إليه الأمير شكيب أرسلان. و مهما يكن من أمر، فإن الحركة الإصلاحية تمكنت من أن تخلق نوعا من الوعي الحضاري الجماعي المشترك في المغرب العربي ، في إطار فكرة القومية العربية، التي أرسى لها الإصلاح جذورا عميقة في المنطقة، و التي تواصلت و استمرت خلال الحرب العالمية الثانية و بعدها.

ب ـ عاد الشيخ محمد الخضر حسين الذي تطورت نظرته عبر السنين إلى العمل الوحدوي المغاربي، و الذي سبق له و نشط مع الجماعة المغاربية المهاجرة خلال الحرب العالمية الأولى، و أسس مع ثلّة من المغاربة حين انتقل الى مصر، في شهر جوان 1924 " جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية "[135]بالقاهرة، و كان دورها المعلن هو السعي لرفع مستوى هذه الجالية المغاربية من الناحية الثقافية و الاجتماعية[136]، و إن كنا لا نملك الآن معلومات كافية عن استمرار نشاط هذه الجمعية، غير أن المعروف، هو أن رئيس هذه الجمعية الشيخ الخضر قد كثف من عمله و نشاطه خدمة للقضية المغاربية و الاسلامية. فأسس خلال الحرب العالمية الثانية جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، يوم أول ربيع الأول 18/1364 فبراير 1944[137]، و ترأسها الشيخ نفسه أما نائبه فهو الأمير مختار

---

134 - J., DESPARMET, " Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie, 1911-1937, - fin ", In **A. F.** n° 12, décembre 1937, p. 559

135 ـ انظر، مواعدة، **مرجع سابق**، ص.88-89

136 ـ **نفسه**، ص، 89

137 ـ انظر، الفضيل، الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، بيروت، لبنان، 1963/1383 ، (دون دار نشر).

الجزائري[138] و أمينها العام (سكرتارية) الشيخ الفضيل الورتلاني[139]، و عند تكوينها ضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي[140].

و تمثلت أغراض الجبهة في التالي:- " المادة 2: أغراض الجبهة: أ - السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية و استقلال شعوب شمال إفريقيا: تونس - الجزائر - مراكش ". ب - السعي لضم هذه الشعوب إلى جامعة الدول العربية ". و جاء في المادة 3: دستور الجبهة: " التضامن و تحريم العصبيات "، و في المادة 4: " تسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بجميع الوسائل المشروعة، كإنشاء صحف و فتح أندية و إيجاد شعب لها في مصر و خارجها إذا اقتضى الحال ذلك "[141]. و من الواضح إذن، أن الجبهة تأسست بهدف تحقيق استقلال المغرب العربي و وحدته، متحفزة بظهور الجامعة العربية، آملة أن تتبنى الشعوب العربية المستقلة قضية المغرب العربي...

غير أن أعمال الجبهة انحصرت في إطلاع الرأي العام العربي بالمشرق عن أحوال المغرب العربي، مستعملة منبر الصحافة إضافة الى إصدار المنشورات و البيانات و نشرها في الصحف العربية و الإسلامية، و توجيه البرقيات و المذكرات الى الدول العظمى والجامعة العربية و هيئة الأمم المتحدة، و مراسلة الملوك و الشخصيات السياسية بخصوص المغرب العربي و قضاياه المختلفة[142]. و بذلك كانت الجبهة بمثابة مكتب للإعلام بالمشرق العربي قبل إعادة بعث مكتب المغرب العربي بالقاهرة، و بمثابة لسان و صوت المغرب العربي بالمشرق، كما كانت قلعة لاستقبال " أحرار" المغرب العربي و احتضانها لهم، كاستقبالها للحبيب بورقيبة و محي الدين القليبي و الأمير عبد الكريم الخطابي[143]، و جماعة مكتب المغرب العربي بأوربا الذين التحقوا بمصر[144].

---

[138] - هو ابن الأمير بن عبد العزيز بن الأمير حسن الجزائري شقيق الأمير عبد القادر، كان مقيما ببيروت (لبنان) سنوات الثلاثينيات، ثم انتقل خلال الحرب العالمية الثانية مع زوجه الى القاهرة، وكانت لزوجه علاقة صداقة بالأديبة مي زيادة. استقينا هذه المعلومات من: سلمى، الحفار الكزبري، **مي زيادة، رسائل مخطوطة لم تنشر، 1912- 1940** ،(جمع تقديم و تحقيق)، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان 1982، ص ص.483-487.

[139139] - الشيخ الفضيل الورتلاني،(1906-1378/1959)، من علماء الجزائر. انظر عنه، علي، مرحوم، " مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني"، **الثقافة** ، عدد 34، شعبان/رمضان 1396- أغسطس/سبتمبر1976، الجزائر، ص ص.47 - 63.

[140] - الورتلاني، **مصدر سابق**، ص.283

[141] - **نفسه**، ص ص. 284 - 286

[142] - وردت في كتاب الورتلاني، **مصدر سابق**، الكثير من البرقيات و المذكرات و التهاني و الرسائل...الخ، و كلها حول نفس الغرض.

[143] - انظر، مواعدة، **مرجع سابق**، ص. 120، و أبو القاسم محمد، كرو، **محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق**، دار المغرب العربي، تونس 1973، ص. 36

[144] - كتب الورتلاني عن جماعة مكتب المغرب العربي بأوربا مقالا بعد استقبالهم بالقاهرة، بعنوان:" مجاهدون يعودون من الآخرة " في جريدة **الكتلة** المصرية بتاريخ 1946/03/3، انظر، الورتلاني، **مصدر سابق**، ص. 330 - 331

و نعود لمتابعة أفكار الوحدة المغاربية لدى حركة شابّة طموحة، سارت جنبا إلى جنب مع الإصلاح في المغرب العربي، كانت متأثرة به، و بالحركة السياسية المغاربية، ونقصد بها الحركة الطلابية.

ب ـ لدى "طلاب الوحدة"

تأسست جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، في شهر نوفمبر أو ديسمبر 1927 بباريس، و تم التصريح بها إلى محافظة الشرطة الفرنسية بتاريخ 28 ديسمبر من نفس السنة، و هي الجمعية التي انصهرت فيها جميع الجمعيات الوطنية لطلبة المغرب العربي، وتقول المصالح الفرنسية المختصة بالمستعمرات، أن حزب نجم شمال إفريقيا هو الذي أنشأ الجمعية الطلابية المغاربية (AEMNA)[145].

كان من أهداف الجمعية، حسب قانونها الأساسي لسنة 1928، أنّها ترمي إلى " تمتين روابط المودة و التضامن بين طلبة شمال إفريقيا، و ذلك بإنشاء ناد و مكتبة و إصدار مجلة باللسانين العربي و الفرنسي و القيام باجتماعات منتظمة "، كما أنّها ترمي الى " تشجيع شبان البلاد (المغرب العربي) على استكمال معلوماتهم بفرنسا (...) و تسهيل إقامتهم هناك، بمنحهم إعانات و قروض شرف و تأسيس دار لسكناهم (...) و الجمعية لا تشتغل بالسياسة"[146]. لكن الجمعية، وجدت نفسها مع توالي الأيام، مرغمة على الخوض في الأمور السياسية، مع بقائها أمينة لأهدافها، فبالإضافة إلى تمتين روابط المودة و التضامن بين أعضائها، كان لها نضال من أجل هدف مشترك واحد هو الاستقلال السياسي والاقتصادي و الثقافي للمغرب العربي[147].

---

145 ـ عن ظروف تأسيس جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة، و مؤتمراتها و نشاطاتها المختلفة، انظر ، رسالتي، **الاتجاه الوحدوي**، **مرجع سابق**، ص ص، 191-210، و 305-309، و 354-363.

146 ـ انظر، **القانون الأساسي لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين**، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط، تونس 1928. **في م. ت. ق**. AEMNA, Dos.A. 4. 44. **C. D. N**. Tunis.

147 - Noureddine, SRAIEB, " Politiques culturelles nationales et unité maghrébine ", In **Annuaire de l'Afrique du Nord**, 1970, Paris, 1971, p. 105, et REZETTE, **op. cit**. p.76

كان من أعضاء جمعية الطلبة، عدد من زعماء المغرب العربي في المستقبل، و قد اتخذت الجمعية عدّة مواقف من خلال مؤتمراتها السنوية[148] من التجنس و قضايا التعليم بمختلف مراحله و المطالبة بإصلاحه و توحيده في المغرب العربي و اللغة العربية، و قد اعتبرت " لغة رسمية " لمؤتمرات الطلبة، خلال مؤتمر الطلبة الثالث[149]، وهي مواقف تساير الإصلاح الديني في المغرب العربي. كما أن الطلبة كانوا يهتفون في كل مؤتمراتهم بعبارات مغاربية (يحيا شمال إفريقيا، إفريقيا الشمالية وحدة لا تتجزأ، عاشت تونس، عاشت الجزائر، عاشت مراكش، عاش المغرب العربي...الخ)، و هي شعارات من شأنها خلق الوعي المشترك بين الطلبة و الرأي العام في المغرب العربي، كما كانت تلقى القصائد الشعرية الممجدة للمغرب العربي و رجالاته و وحدته التاريخية و محنته الاستعمارية، الداعية في آن واحد الى الوحدة.و نتوقف هنا عند بعض تصورات الطلبة لوحدة المغرب العربي.

ففي مؤتمر جمعية الطلبة الثالث المنعقد بباريس بقصر التعاون(Palais de la Mutualité) فيما بين 26-29 ديسمبر 1933، علق الطلبة المؤتمرون على واجهة القصر "راية كبيرة ثلاثية الألوان: أخضر و أبيض و أحمر، جعلت رمزا لوحدة أقطار شمال إفريقيا الثلاثة "[150]، كما حضر المؤتمر وفد عن حزب نجم شمال إفريقيا برئاسة مصالي الحاج[151]، و خطب مصالي في المؤتمرين يوم اختتام أشغال المؤتمر[152].

أما المؤتمر الرابع، المنعقد بتونس بمعهد الخلدونية في شهر أكتوبر 1934، فإنّه عالج أمورا ذات أهمية تعلقت بوحدة المغرب العربي، فقد ذكر كتاب فرنسيون، من أن المؤتمرين وافقوا على " إجراءات شجاعة ضد فرنسا "، إذ أنّهم أقروا " مبدأ الاستقلال

---

[148] ـ كانت المؤتمرات تعقد في حواضر المغرب العربي، و عندما يمنع الطالبة من عقد مؤتمرهم بالمغرب العربي كانوا يلجأ ون الى عقده بباريس، انعقد مؤتمر الطلبة التأسيسي بقاعة التعاضدية (الموتيال Palais de la Mutualité) سنة 1930، و حضره مع الطلبة صالح بن يوسف عن تونس و علال الفاسي عن مراكش و فرحات عباس عن الجزائر، و أول مؤتمر رسمي لجمعية الطلبة عقد بتونس في شهر أوت 1931، و ثاني مؤتمر في الجزائر في شهر أوت 1932، و ثالث مؤتمر كان سيعقد في فاس و عقد في باريس في شهر ديسمبر 1933، و رابع مؤتمر بتونس في شهر أكتوبر 1934، و خامس مؤتمر بمدينة تلمسان في سبتمبر 1935، و سادس مؤتمر بمدينة تطوان سنة 1936...الى سنة 1950 ، و كانت جمعية الطلبة تصدر نشرات سنوية لأعمالها و نشرات سنوية لأعمال مؤتمراتها . توجد لدي بعض نشرات الجمعية.

[149] ـ انظر، **نشرة أعمال المؤتمر الثالث لطلبة شمال إفريقيا المسلمين**، باريس 1933، مطبعة الإتحاد ، تونس.

[150] ـ جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، **نشرة أعمال المؤتمر الثالث**، باريس 1933، مطبعة الإتحاد تونس، ص. 12

[151] ـ انظر، محمد، قنانش، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982،ص.61

[152] ـ **نشرة المؤتمر الثالث، مصدر سابق**، ص.166

المطلق لبلدانهم و اعتبروا المغرب العربي أمّة واحدة، تشتمل على المغرب الأقصى والجزائر و تونس، و دعواهم هذه، تستند على قاعدة مشتركة واحدة هي: الإسلام "[153].

و يبدو أن الكتاب الفرنسيين كانوا على حق فيما ادعوه، فقد ألقى الشاعر مفدي زكريا في هذا المؤتمر خطابا خلص من خلاله إلى عشر نقاط أساسية سماها " عقيدة الوحدة لشمال إفريقية "، و هي النقاط التي يمكن اعتبارها إيديولوجية مشتركة للطلبة لتوحيد المغرب العربي، نظرا لما احتوته من إيمان راسخ، باعتبار المغرب العربي وطنا واحدا لا يتجزأ، مطورة بذلك شعار جمعية العلماء الجزائريين من شعار جزائري إلى شعار طلابي مغاربي:" الإسلام ديننا و شمال إفريقيا وطننا و العربية لغتنا " و منها أيضا الدعوة إلى بذل النفس و المال في سبيل تحرير المغرب العربي، و العمل بدون هوادة على وحدته، كما نبذت التفرقة و سياسة الاندماج، و ربطت المغرب بالمشرق العربي، فالمغرب العربي " جزأ لا يتجزأ من جسم الشرق العربي " يرتبط به إلى الأبد بروابط اللغة و العروبة و الإسلام[154].

و يبدو أن المبادئ السابقة في عقيدة التوحيد و ما كان من توصيات في مؤتمرات جمعية الطلبة، و بخاصة مؤتمري تونس(1934) و تلمسان(1935)، هي التي دفعت أحد الطلبة الجزائريين بتونس، هو محمد العيد الجباري إلى إنشاء جمعية في شهر ديسمبر 1936 سماها " شبيبة شمال إفريقيا الموحدة "، التي من مبادئها:- " إفريقيا الشمالية وحدة لا تتجزأ " و هي "...أمّة واحدة يجب أن تظل أبد الدهر أمّة واحدة " و " الشمال الإفريقي شعب واحد، يجب أن تكون لغته و ثقافته و عاداته واحدة " و أنّه "...وطن واحد، يجب على بنيه أن يكونوا في جهادهم و النضال عليه واجهة واحدة "[155]. و وجه التشابه جلّي بين مبادئ هذه الجمعية - كما يظهر - و " عقيدة التوحيد " التي قدمها مفدي زكرياء في مؤتمر تونس سنة 1934.

---

153 - ARON, Robert et autres, **Les origines de la guerre d'Algérie**, Ed. Fayard, Paris 1962, p.65-66

154 - انظر عقيدة التوحيد، برسالتي، **مرجع سابق،** ملحق رقم 1، ص. 426-427، انظر كذلك، الرشيد، إدريس، " كيان المغرب العربي و آفاقه "، في كتاب **بناء المغرب العربي، مرجع سابق،** ص. 20-21، و محمد، ناصر، **مفدي زكريا، شاعر النضال و الثورة،** المطبعة العربية، غرداية، الجزائر 1984، ص ص.50-52.

155 - انظر، عمار، هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954، لافوميك الجزائر 1986، ص. 156، و انظر كذلك، REZETTE, **op. cit**. p.275، و كان الانتماء الى الجمعية سريا و اشتملت بطاقة العضوية على قسم المنخرط في الجمعية على الإيمان و العمل من أجل المبادئ الأربع الواردة في ظهر بطاقة العضوية، و فيها كذلك خريطة شمال إفريقية. انظر، REZETTE, **op. cit**. pp.386-389، انظر الملحق رقم 2، في رسالتي، **مرجع سابق،** ص ص. 428-429

بعد الحرب العالمية الثانية، عاد الطلبة الى نشاطهم النقابي الثقافي و الإصلاحي، عن طريق جمعيتهم، و كان أهم مؤتمر لهم عقدوه، هو المؤتمر الحادي عشر، المنعقد بتونس العاصمة، من 15 الى 22 سبتمبر 1950، و هو ثاني مؤتمر بعد الحرب، و هو في حدود علمنا، من أهم المؤتمرات الطلابية، نظرا للحضور الكثيف للشخصيات الرسمية و السياسية و المنظمات الوطنية، من نقابة و كشافة إسلامية و جمعية نسوية فضلا عن بعض المثقفين التونسيين[156]، و كان المؤتمر برئاسة عبد اللطيف بن جلون (من المغرب الأقصى)، وحضره سبعون طالبا من تونس و الجزائر و المغرب الأقصى، و من ليبيا[157] - لأول مرّة في حدود علمنا - هذا من جهة، و من جهة أخرى نظرا لما تضمنته تقاريره النهائية عن أهداف الحياة الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية و الحياة السياسية و آفاق مستقبل المغرب العربي.

و إن كنا لا نملك الآن محاضر جلسات المؤتمر، إلا أن المصادر أشارت إلى أن المؤتمر أنعقد في جو سياسي خاص، إذ عالج المؤتمرون عدّة نقاط بخصوص المغرب العربي إلى جانب قرارات مؤتمرهم، و تركزت فكرة الوحدة عندهم على " الجغرافية والتاريخ و الثقافة الواحدة و المصير المشترك"[158]، هذا بخلاف مؤتمرات جمعية الطلبة السابقة، التي اهتمت بالإصلاح بصفة عامة، و من ثمّة فإن المؤتمر لم يكن مؤتمرا طلابيا، بل كان مؤتمرا ذا أبعاد سياسية، لقد اختتم في جوّ جماهيري " منقطع النظير" بملعب جو أندري(Geo. André) في تونس، بحضور 10000 مواطن تحت إشراف باي تونس نفسه سيدي محمد الأمين باشا[159]، و خلال هذا الحفل تحمس الشباب و " نادوا بوجوب السعي للاستقلال التام الناجز الذي لا تشوبه شائبة للمغرب العربي"[160].

أما عن مقررات المؤتمر، فنص تقرير اللجنة الثقافية على عدّة مطالب. ففي باب المطالب العامة أقرّ المؤتمرون " اللغة العربية، لغة رسمية لكل بلدان المغرب العربي "

---

156 - " Le XI° Congrès de l'AEMNA – L'enthousiasme et l'audace ont procédé à ses travaux ", in **Mission** du 29/09/1950, Dos. A.4.44., **C.D.N.**, Tunis

157 - علي، الجندوبي،" المؤتمر الحادي عشر للطلبة المسلمين ينهي أعماله و يطالب بالاستقلال التام "، جريدة **الأسبوع**، عدد 25 سبتمبر 1950، في **نفس الملف**، Dos.A.4.44.

158 - **Mission** du 29/09/1950, **op. cit**.

159 - **Mission** du 29/09/1950, **op. cit**.

160 - الجندوبي، **الأسبوع**، 1950/09/25، **مصدر سابق**.

وألحوا على ضرورة تعميمها في التعليم بمختلف مراحله، إضافة إلى توحيد مناهج و برامج التعليم في كل المنطقة، مع إجباريته و مجانيته. و جدد الطلبة ثقتهم من خلال تقرير اللجنة السياسية في الجامعة العربية، و تمنوا منها مساندة البلدان العربية في الأمم المتحدة و دعمها للمغرب العربي للحصول على استقلاله، و عن ليبيا، عارضوا لائحة نوفمبر 1948 الصادرة عن الأمم المتحدة، و طالبوا عدم تنفيذها و أكدوا على وحدة و استقلال هذا البلد، كما أكدوا من خلال نفس اللائحة على " إرادة المغرب العربي حكاما و شعوبا رفض الانتماء إلى الاتحاد الفرنسي". و استنكروا تبعية الجزائر لفرنسا، مؤكدين على أن " الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، جغرافيا و تاريخيا و عرقيا و ثقافيا "، و أقر المؤتمرون عدّة لوائح سياسية بخصوص القضايا العالمية و المشكلة الاستعمارية. و في باب عنصر الحلف الأطلسي، رفض المؤتمر إدخال الجزائر في نظام دفاع الحلف، و قال أن المغرب العربي لا يعترف بالتزام دولي أجبر على الانتماء إليه، اللهم إلا إذا كانت أقطاره مستقلة ورغبت في ذلك. أما عن مذهب ترومان، فإن المؤتمر أكد على أن المغرب العربي يقبل المساعدة بناء على " النقطة الرابعة (IV° Point) لكن بشروط : أن لا تكون هذه المساعدة للنظام الاستعماري(الفرنسي)، بل للشعوب المستقلّة، و أن لا ترهن مقابل ذلك الثروات الوطنية، و أن تسلم المساعدة مباشرة إلى بلدان المغرب العربي.

و أصدرت اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية عدّة لوائح بشأن وضعية العامل و حول الاقتصاد و الفلاحة و الصّحة و السكن و مساهمة الطالب في ترقية هذه الميادين، و نقتصر هنا على بعضها، ففيما يخص الاقتصاد و الفلاحة، طالب المؤتمر بتحقيق التصنيع في المغرب العربي، و إعادة النظر في الاقتصاد و جعله يتلاءم و طموحات الشعوب المغاربية، و ذلك بتأميم جميع مصادر الثروات الوطنية و الشركات العمومية من نقل و كهرباء و غاز و مياه و مناجم...الخ، إضافة إلى تشجيع الصناعات التقليدية المحليّة و حمايتها بقوانين جمركية من المواد الأجنبية، و إنشاء بنوك وطنية للقرض مع نشر التكوين المهني و تعميمه. و في المجال الفلاحي، طالب المؤتمر بإنهاء السياسة الاستعمارية للأراضي الفلاحية وإدخال الإصلاح الزراعي و توزيع الأراضي على المزارعين وإدخال التعليم الفلاحي العصري،

وبإنشاء التعاونيات الفلاحية الإنتاجية، و إنشاء التعاونيات النموذجية و بنوك للقرض الفلاحي و القيام بحماية الأنعام و الحيوانات الأليفة...[161].

و رغم أننا لا نملك الآن معلومات كافية عن إيديولوجيات الطلبة الذين شاركوا في المؤتمر، إلا أنّه يبدو من الواضح، أنّهم كانوا مؤمنين بوحدة المغرب العربي و آفاقه، ومقتنعين بأفكار القومية العربية و الجامعة العربية، أما في المجال الاقتصادي و الاجتماعي، فكانوا مقتنعين بالأفكار الاشتراكية، و ذلك نتيجة ظهور المعسكر الاشتراكي، الذي كان ينادي حينئذ، في إطار صراعه مع المعسكر الرأسمالي، بضرورة تحرير الشعوب المستعمرة...

و وجه المؤتمر بخصوص نتائج أعماله، عدّة نداءات إلى الهيئات الوطنية و الدولية منها الأمم المتحدة و البلدان العربية و منظمة اليونسكو و المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالهيئة الأممية[162]، يدعوها من خلالها(نداءاته) تطبيق قراراته بخصوص المغرب العربي.

و ذكر برفيي عن مؤتمر تونس، أنّه انتخب ـ بناء على توصيات مؤتمر الطلبة بباريس سنة 1947 ـ أمانة دائمة مكلفة بتحضير مؤتمر استشاري " للاتحاد المغاربي للطلبة المسلمين(U.M.E.M.)[163]، على أن يكون هذا الاتحاد مقسما إلى ثلاث فيدراليات وطنية، غير أن الأمانة لم تتمكن من الاجتماع بتونس سنة 1952، فعقدت ندوة بالجزائر العاصمة أشرف عليها حزب الشعب الجزائري/ حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية (حزب ش.ج./ح.أ.ح.د.) في 23 جويلية، حرر خلالها الحاضرون " دستور الاتحاد "[164]، و بموجبه انصهرت جميع الجمعيات الطلابية المغاربية في الاتحاد[165].

---

161 - "Le XI° Congrès de l'Association de Etudiants Musulmans Nord Africains, Tunis, 15 au 22 septembre 1950 – Résolutions.", in **Mission** du 29/09/1950, Dos. A.4.44. Doc. N° 29, **C.D.N**. Tunis. انظر كذلك، بعض قرارات المؤتمر في: " من تقرير المؤتمر الأخير لطلبة إفريقيا الشمالية "، جريدة **المنار** الجزائرية، عدد 2، 13 رجب 20/1370 أبريل 1951، انظر الملحق رقم 1

162 - RIAD, " Le Docteur Ben-Jelloun, président du congrès (AEMNA) nous déclare ", in **Mission** du 29/09/1950

163 - Union Maghrébine des Etudiants Musulmans.

164 - PERVILLE, Guy, **Les étudiants algériens de l'université française 1880-1962**, Ed. du CNRS, Paris 1984, p.112

165 - **Ibid**. voir aussi, REZETTE, **Les partis, op. cit**. p.313

كان الهدف من المؤتمر الاستشاري - الذي عوض بالندوة - هو " إنشاء اتحاديات وطنية في الجزائر و المغرب الأقصى و تونس، على أمل تكوين اتحاد يضم الاتحاديات الثلاث على مستوى المغرب العربي[166]. غير أن الطلبة بعد هذا التاريخ، اتجهوا الى الاهتمام بقضايا بلدانهم " القطرية " و إنشاء جمعيات لهم في هذا الإطار. و لنعد الآن الى الحركة السياسية المغاربية الموازية للحركة الإصلاحية...

4- وحدة المغرب العربي في نظر الحركات السياسية الاستقلالية

أ - نجم شمال إفريقيا

ظهرت حركة سياسية عمالية في المهجر بفرنسا رسميا سنة 1926[167]، باسم نجم شمال إفريقيا، و كان الهدف الرئيس و الأساس لهذه الجمعية هو: وحدة النضال المغاربي لاستقلال المغرب العربي ببلدانه الثلاث: تونس و الجزائر و المغرب الأقصى[168].

و تؤكد الشهادات و الروايات التاريخية أن تأسيس النجم، كان بمبادرة الأمير خالد[169]، بعد نفيه من الجزائر الى فرنسا سنة 1923، و الأمير هو الذي أضفى على النجم الصبغة المغاربية، و هي الوجهة التي تبدو في نظرنا مؤكدة، فقد كان و هو بالجزائر "واسطة للحركات المغاربية "[170]، و اعتبرته إحدى الجرائد الإيطالية سنة 1922: " الرجل الأكثر أهمية في العالم الإسلامي الشمال إفريقي، و هو يقود الحركة (الوطنية) في الجزائر وتونس و المغرب الأقصى(...)، و هو بالنسبة للجزائريين كغاندي الهند أو زغلول مصر"[171]، و أن الأمير هو الذي لقن العمال و هو بفرنسا من خلال محاضراته و تنقلاته

---

[166] - PERVILLE, **op. cit**. p.112

[167] - قدمت تواريخ مختلفة لنشأة النجم، فيما بين فيفري و جوان، و كلها تتفق في السنة 1926.

[168] - انظر حول ظروف نشأة النجم و أعماله الوحدوية، رسالتي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص.211-265.

[169] - الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر (1875 - 1936) ، انظر عنه، سعد الله، الحركة، ج2، ص ص.381- 394. و Mahfoud KADDACHE, L'Emir Khaled, **documents et témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien**, OPU-ENAP, Algér 1987, pp.15-26, et Charles-Robert, AGERON, " L'Emir Khaled, petit fils d'Abdelkader, fut-il le premier nationaliste algérien? ", in **R.O.M**.,n° 2, 2° semestre 1966, pp.9-42 ، لم يحظ الأمير خالد الى اليوم - في حدود علمنا - بدراسة منفردة.

[170] - انظر، رسالتي، **مرجع سابق**، ص ص. 97 - 107

[171] - KADDACHE, **op. cit**. pp.129-133

"كلمة السر Mot d'ordre "، و هي" استقلال شمال إفريقيا "، و قد انتشر و شاع استعمال هذه الكلمة بين العمال المهاجرين المغاربة[172].

و بذلك نشأ نجم شمال إفريقيا وحدويا مغاربيا بتسميته و في أصوله، و هناك من يذهب إلى أن " النجمة " الواردة في شعاره مع الهلال، ذات الخمسة رؤوس، لم تكن "صدفة "، إنما " اختيارا " و امتدادا لمجد الجد الأكبر الأمير عبد القادر و مسعاه لتوحيد "شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى قناة سويس "[173] (خمسة بلدان)، و لعل النجمة اختيرت كرمز للدين الإسلامي بأركانه الخمسة الأساسية، أما الأمير عبد القادر، فظل أعضاء النجم يمجدونه و يعتبرونه في خطابهم و أدبياتهم، رمزا تاريخيا من رموز المقاومة المغاربية ضد الاستعمار، و من ثمّة فإن النجم ولد وحدويا و كان استمرارا لحركة الأمير خالد بالجزائر و إيديولوجيته المستمدة من مستجدات الساحة المغاربية و طبيعة النظام الاستعماري بالمنطقة.

و نقتصر هنا على بعض توجهات النجم و تصوراته من خلال برامجه و قوانينه ونشاطاته المختلفة. لقد تبنى النجم منذ ولادته ـ الرسمية ـ الدفاع عن حقوق العمال المغاربة والدفاع عن قضية بلادهم المغرب العربي، إذ جاء في قوانينه الأساسية التأسيسية بتاريخ "الأحد 20 جوان 1926 " ما يلي:-

" المادة الأولى: أسست جمعية في باريس باسم نجم شمال إفريقيا، و هي جمعية لمسلمي الجزائر و تونس و المغرب الأقصى.

" المادة الثالثة : هدف الجمعية الدفاع عن المصالح المادية و المعنوية و الاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا و تربيتهم اجتماعيا و سياسيا.

" المادة الرابعة: تسير الجمعية وفق القوانين(...)، همها تربية مسلمي شمال إفريقيا على الحياة في فرنسا، و رفع مطالب أهالي شمال إفريقيا أمام الرأي العام.

" المادة الخامسة: أنّها ستقدم كراسة مطالب مستعجلة مشتركة عن الجزائر و تونس والمغرب الأقصى، و أنّها تسعى لتحقيقها لدى السلطة بكل الوسائل(...) التي من شأنها

---

[172] - Mohamed, LEBJAOUI, **Vérités sur la Révolution Algérienne**, Ed. Gallimard, Paris 1970, pp. 20-24

[173] - LEBJOUI, **op. cit**. pp.20-25, et Salah, MATHLOUTI, **Le Méssalisme** , Thèse de 3° cycle, Vincennes, Paris VIII, 1975, p.78-79.

تحرير(Emancipation) كل مسلمي شمال إفريقيا. ثم تأتي المطالب الاستعجالية المتمثلة في 11 نقطة[174].

و الملاحظ من خلال القوانين الأولى للنجم، أنه كان يطالب بحقوق كل المغاربة ، وأخذ على عاتقه المطالب المستعجلة التي طالب بها الأمير خالد في الجزائر، و عمّمها النجم على بلدان المغرب العربي، و هي مطالب اجتماعية إصلاحية في معظمها، غير أن جمعية النجم مرت بسرعة إلى مطلب سياسي، تمثل في مبدأ " الاستقلال "، وقد أصبح هذا المبدأ قاعدة و أرضية لنجم شمال إفريقيا مع مطلع سنة 1927. إذ أصبحت أدبيات و منشورات النجم تحمل " مبدأ الاستقلال لكل شمال إفريقيا "، لقد أقرّ النجم عمليا " مبدأ الاستقلال " وفكريا " مبدأ الثورة " و استراتيجيا " مبدأ وحدة الشمال ـ الإفريقي "[175]، و هي المبادئ التي نادى بها قادة النجم في مؤتمر بروكسال، إذ جاء على لسان مصالي الحاج[176] بعد مشاركته في المؤتمر:" إنّنا قد عرفنا الرأي العام العالمي ببرنامج الاستقلال السياسي وبوحدة شمال إفريقيا "[177]، و أدرج المبدأ في نفس السنة في القوانين الأساسية، إذ أصبحت المادة الثالثة:" من أهداف الجمعية الأساسية، تنظيم الكفاح من أجل استقلال بلدان إفريقيا الشمالية الثلاثة، و بفضل النشاطات يجب توسيع وحدة الحركة الوطنية الثورية لشمال إفريقيا "[178].و حين أعاد النجم النظر في قوانينه الأساسية بتاريخ 19 فيفري 1928 أقرّ وحدة المغرب العربي كإطار للنضال المشترك في المادة الرابعة[179]، و ركزت نفس القوانين على عناصر جديدة، أكدها النجم في برنامجه المصادق عليه في جمعيته العامة بتاريخ 28 ماي 1933، حيث ركز على تكريس العمل لوحدة المغرب العربي و تجسيده بواسطة توحيد الحركة الوطنية المغاربية، و التركيز على المقومات الوطنية المغاربية في اعتماده اللسان المشترك:" اللغة العربية " و " احترام العقيدة الدينية الإسلامية حسب تعاليم القرآن

---

174 - Dos. ENA, B.3.33, Statuts du 20/06/1926, **C.D.N**. Tunis.

175 ـ قنانش، **مصدر سابق**، ص.48

176 ـ مصالي الحاج (1898 - 1974)، انظر عنه، بمناسبة ذكرى ولادته المئوية، **Réflexions, Messali Hadj 1898-1998, Parcours et témoignages** , ouvrage collectif, Casbah-Ed. Alger 1998.

177 - **Hadj, MESSALI, (Les mémoires de...) 1898-1938**, Ed. J.C. Lattès, Paris 1982, p.285.

178 - Mahfoud, KHADDACHE," ENA, PPA-MTLD. Permanence de la revendications de l'indépendance ", in **Actes du colloque de l'ENA**, du 27 février au 1° mars 1987, Centre Culturel Algérien, Paris, Publications du C.C.A., Paris 1988. p.124

179 ـ انظر القوانين في ملاحق دراسة مثلوتي: MATHLOUTI, **op. cit**. pp.127-129

(الكريم)[180]. و أكد النجم من الناحية الإيديولوجية بعد جمعية 1933، التعلق " بمبادئ الوحدة الإسلامية" و تمثل ذلك في الآتي:-

"- الاستقلال الكامل لشمال إفريقيا

"- الدفاع عن الدين الإسلامي

"- وحدة كل مسلمي شمال إفريقيا[181]. و أصبح النجم بذلك من هذه الفترة يدافع عن القيم الحضارية الى جانب مطالبه السياسية، و اقترب في هذا الجانب من حركة الإصلاح.

دافع النجم عن مبادئه المغاربية من خلال النشريات و المنشورات (Tracts) ومن خلال الصحافة : الإقدام الباريسي، و الإقدام الشمال إفريقي، و إقدام نجم شمال إفريقيا، بين (1926-1928) و جريدة الأمّة (1930-1939) و كلّها باللغة الفرنسية[182].

و حاول مؤسسو النجم جذب المغاربة الى جمعيتهم، فوضعوا على رأس النجم خلال نهاية سنة 1926 و مطلع سنة 1927 السيد الشاذلي خير الله، و راسلوا بعض الشخصيات على الساحة المغاربية، و حاولوا استدراج الطلبة، و لذلك اعتبرت الشرطة الفرنسية جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين فرعا من فروع النجم لتعامل بعض الطلبة معه، إذ ساهم البعض منهم بالكتابة في جريدة النجم " الأمّة " كالتونسي أحمد بن ميلاد و أحمد كسوس الجزائري و محمد حسن الوزاني المراكشي و غيرهم. و حين حلّ النجم خلال سنة 1933، ساهم كل من الوزاني المراكشي و التونسيان الهادي نويرة و سليمان بن سليمان في بعث النجم من جديد تحت اسم " نجم شمال إفريقيا المجيد "، و في غياب قادة النجم بين الأسر و النفي خلال سنتي 1935 - 1936 نشط في إدارة النجم الى جانب الجزائري يحياوي السيدان الهادي نويرة و سليمان بن سليمان[183].

و انتهز النجم كذلك، المناسبات الدينية و الوطنية للتعبير عن أفكاره و مبادئه، إذ لا تمر مناسبة إلا و عقد النجم تظاهرة صاحبتها الخطب و الكلمات و " الصرخات " باسم

---

180 - انظر، عبد الحميد، زوزو، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1930**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،(د.ت). ملحق رقم 1، ص.188-189. و قنانش، **الحركة، مصدر سابق**، ص ص.55-58.

181 - MATHLOUTI, op. cit. p.197

182 - انظر، رسالتي ، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص. 231-237

183 - انظر، **نفسه**، ص ص. 237-245

وحدة شمال إفريقيا و يحيا الشمال الإفريقي، و استقلال شمال إفريقيا...الخ[184]، و من ذلك مثلا، فخلال تجمع 5 أوت 1934، الذي حضره حوالي 800 مغاربي، عرض لأول مرّة علم المغرب العربي بألوانه الثلاثة : الأبيض و الأخضر و النجمة و الهلال بلون أحمر[185]، وترمز الألوان الثلاثة إلى:-

- الأبيض - رمز الجزائر البيضاء،
- الأخضر - رمز تونس الخضراء،
- الأحمر - رمز مراكش الحمراء، و بذلك كان العلم وحدويا شاملا لأقطار المغرب العربي الثلاثة[186]، و عندما عرض العلم هتف الحاضرون:" بتحيا الجزائر، يحيا الاستقلال، عاش نجم شمال إفريقيا...!"[187]

ب - " من المستوى المغاربي إلى المستوى القطري": حزب الشعب الجزائري

خلال سنة 1936، بدأ النجم يهتم بالقضية الجزائرية، أو ينزلق نحو " القطرية الجزائرية" - إن صحّ التعبير - نتيجة عدّة معطيات لا مجال لذكرها هنا، إذ سرعان ما حلّ النجم من طرف سلطات الاستعمار (1937/01/26) ليقوم على أنقاضه حزب الشعب الجزائري في 11مارس من نفس السنة، و بداية من إنشائه كما هو واضح من تسميته، بدأ نشاطه الوطني القطري، أو الانزلاق من العمل القومي المغاربي إلى الوطنية الجزائرية، ويذكر مصالي الحاج عن هذا التحول ما يلي:" كان هدف النجم هو الدفاع عن كل شمال إفريقيا، و بواسطة حزب الشعب أردنا تحديد نشاطنا في الجزائر مع احتفاظنا بعلاقاتنا مع تونس و الرباط ، يجب إذن إعادة النظر في برنامجنا السياسي"[188] و في تصريح آخر له أمام قاضي الاستنطاق الفرنسي في 2 نوفمبر 1937 اثر إيقافه بتهمة إعادة بعث جمعية محلّة قال:" أنا لست متهما بإعادة إحياء جمعية حلّت، إن حزب الشعب الجزائري ليس امتدادا لنجم شمال إفريقيا، فالجمعيتان لهما قوانين و أهداف مختلفة تماما، فالنجم هدفه الاستقلال الكامل لشمال إفريقيا، أما حزب الشعب فله برنامج جزائري بحت، وهدفه الحصول على تحرير

---

184 - **نفسه**، ص ص. 246-260

185 - يقول مصالي الحاج في مذكراته " العلم الجزائري!"، انظر، MESSALI, **op.cit**. p.175

186 - انظر، محمد عباس، " شهادات: بلقاسم راجف، داعية الاتحاد، الحلقة الأولى"، جريدة **الشعب**، الأربعاء 19 جمادي الأولى1406/ 29 جانفي 1986.

187 - MESSALI, **op. cit**. p.175

188 - MESSALI, **Les mémoires, op. cit**. p.245

للجزائر مشابه للنظام في سوريه!"[189]، و رغم ذلك فإننا لاحظنا أن مبادئ و فلسفة النجم قد بقيت سائدة لدى مناضلي حزب الشعب، إذ لم تتغير الخطة بل تغير " الاسم فقط"[190] والتراجع عن " وطنية الحزب المغاربية" إلى " الوطنية الجزائرية القطرية" ما هو إلا تراجع استراتيجي[191]، فقد احتفظ حزب الشعب بعلاقته بالوطنيين المغاربة في تونس ومراكش و بمساعيه الوحدوية قبيل الحرب العالمية و أثناءها و ما بعدها.

و في الإطار السابق، و رغم سياسة القمع و الاضطهاد و الإبادة التي سلكتها السلطات الاستعمارية الفرنسية تجاه الجزائريين و تجاه أعضاء و مناضلي حزب الشعب الجزائري إلا أن الحزب واصل إيديولوجية " النجم"، إذ أصبحت فكرة حزب الشعب هي بعث جبهة لوحدة النضال على مستوى المغرب العربي[192]من أجل الاستقلال و عدم تفاوض أي قطر من أقطار المغرب العربي مع أية قوة محتلّة (فرنسا أو اسبانيا) و أن كل مبادرة عمل يجب أن تكون عامة مع استبعاد كل عمل ثوري يسلك مسلكا قطريا[193]و لذلك أرسل حزب الشعب وفدا إلى تونس بداية من شهر ماي 1945 للتحاور حول " وحدة العمل" مع أعضاء الحزب الدستوري الجديد وأعضاء الدستور القديم و ظلت الاتصالات جارية خلال سنتي 1945/1946 ، و في نفس الفترة كانت الاتصالات جارية كذلك، عن طريق وفد آخر مع أعضاء حزب الاستقلال بالمغرب الأقصى، و الملاحظ أن هذه الاتصالات قصد التنسيق على مستوى المغرب العربي من أجل وحدة النضال من أجل الاستقلال ظلت مستمرة بين الحركات الوطنية بمختلف تشكيلاتها[194]غير أنها لم تفض إلى تصور لوحدة المغرب العربي السياسي مستقبلا، إذ ظلت الاتصالات تراوح مكانها في مجال تنسيق النضال من أجل الاستقلال و في فكرة وحدة المغرب العربي " العاطفية " - إن صحّ التعبير- و اجترار عوامل الوحدة الحضارية، و هو الأمر الذي يمكن ملاحظته كذلك على مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة.

---

189 - Fouad, SOUFI," De l'ENA ou PPA. Continuité ou rupture? Implantation et développement du mouvement national dans l'Ouest algérien 1936-1938", in Centre Culturel Algérien, **L'étoile Nord-Africaine et le mouvement national algérien. Actes du Colloque de l'ENA**, du 26 février au 1° mars 1987, Publications du C.C.A. Paris, 1988. p.

190 - قنانش، **الحركة الاستقلالية، مصدر سابق**، ص.83

191- MATHLOUTI, **op. cit**. p. 130

192 - لقاء مع المرحوم الشاذلي المكي، 1985/08/21

193 - Ben-youcef, BEN-KHEDA, **Les origines du 1° novembre 1954**, Ed. Dahleb, Alger,1989, p. 107

194 - انظر، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص. 337-348

ج ـ " الوحدة من أجل الاستقلال! "

1 ـ مؤتمر المغرب العربي و مكتب المغرب العربي

انعقد مؤتمر المغرب العربي بين 15و24 فيفري سنة 1947 بالقاهرة[195]و حضره ممثلو الحركات الوطنية بالمغرب العربي[196]و قد نجح الوطنيون في توحيد جهودهم وتمكنوا من إقناع شخصيات قومية عربية و إسلامية[197]بارزة ـ لأول مرّة ـ بضرورة المشاركة في هذا النشاط و محاولة حملها على اتخاذ موقف مشترك تأييدا للقضية المغاربية و كان في طليعتهم عبد الرحمان عزام الأمين العام للجامعة العربية.و من أهم أعمال الوطنيين المغاربة هو إعادة بعثهم لمكتب المغرب العربي في اليوم الثاني للمؤتمر، و كان مكتب المغرب العربي قد نشأ بأوربا سنة 1943[198]عالج المؤتمرون من خلال لجان الموضوعات التالية:- 1- الاستعمار الفرنسي و الأسباني 2- تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب 3- المغرب العربي و الجامعة العربية 4- عرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية 5- توحيد جهود المكاتب المغربية(المغاربية) في مصر.[199]

خرج المؤتمرون بقرارات تؤكد على العمل الوحدوي المغاربي، إذ أقروا من خلال الموضوع الأول بطلان معاهدتي الحماية على تونس و المغرب الأقصى و عدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر، و بإعلان " استقلال البلاد "(أي المغرب العربي) و بجلاء القوات الأجنبية عنها، و رفض الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي و اعتبار أيام احتلال المغرب العربي أيام حداد في جميع أقطار المغرب(5 يوليو، 12 مايو، 30 مارس). أما في الموضوع

---

[195] ـ عن ظروف انعقاد المؤتمر، انظر، **نفسه**، ص ص. 363-369

[196] ـ حضر ممثلون عن رابطة الدفاع عن مراكش و عن حزب الشعب الجزائري و الحزب الحر الدستوري(الجديد) و هم كما قدمهم الرشيد إدريس في **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1981 ص. 71، 1- عبد الكريم ثابت، 2- عبد الكريم غلاب، 3- إدريس السوسي، 4- عبد المجيد بن جلون، 5- محمد بن عبد الله، 6- المهدي بن صابر، 7- أحمد الوزاني، 8- أحمد المليح، 9- محمد الفاسي، 10- أمحمد بن عبود، 11- الطيب سليم، 12- الهادي السعيدي، 13- يوسف الرويسي، 14- حسين التريكي، 15- الحبيب ثامر، 16- علاله العويني، 17- خليفة حواس، 18- الشاذلي المكي، 19- الرشيد إدريس، 20- الطاهر بن صالح، 21- أحمد المدني، 22- الأمين المدني، 23- الطيب بن أحمد، و الملاحظ أن أمحمد بن عبود و محمد الفاسي الحلفاوي، كانا عضوين رسميين بالجامعة العربية، يمثلان المنطقة الشمالية الخليفية بالمغرب الأقصى

[197] ـ بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص. 368

[198] ـ عن نشأة مكتب المغرب العربي بأوربا خلال الحرب العالمية الثانية، انظر، **نفسه**، ص ص. 313-321

[199] ـ درس المؤتمرون الموضوعات في ست(6) جلسات، استغرق بعضها عشر(10) ساعات، انظر، يوسف، الرويسي، " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة 4 ـ دور مكتب المغرب العربي في دمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة"، **م.ت.م.** عدد 15-16، جويلية 1979، تونس، ص.106

الثاني فأقروا ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية في كل قطر و الاندماج في حزب واحد أو تكوين جبهة وطنية واحدة، و إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في المغرب العربي بالاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال و الجلاء، و هذا بتكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط و تنسيق العمل لكفاح مشترك إل جانب توحيد المنظمات العمالية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و توجيهها توجيها قوميا. و في باب الموضوع الثالث أقرّ المؤتمرون مطالبة الجامعة العربية بإعلان بطلان الحماية على تونس و المغرب و عدم شرعية احتلال الجزائر و بعرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية لتحقيق الاستقلال الكامل، و ضرورة تعيين ممثلين للمغرب العربي بالجامعة العربية، و مطالبة الجامعة بالعمل على نشر الثقافة العربية في كامل بلاد المغرب و حلّ مشكلة الطلاب المغاربة بالمشرق العربي لإتمام دراساتهم.و أقِرّ في الموضوع الرابع عرض قضية المغرب العربي على الأمم المتحدة و هيئاتها و الهيئات الدولية للمطالبة باستقلال المغرب العربي.أما في الموضوع الخامس فقرر المؤتمرون ما يلي:" تكون رابطة الدفاع عن مراكش و الوفد المراكشي في لجان الجامعة العربية و مكتب حزب الشعب الجزائري و مكتب الحزب الحر الدستوري(الجديد) مكتبا يسمى: مكتب المغرب العربي" بالقاهرة.

و الملاحظ أن ممثلي الأحزاب المذكورة في الموضوع الخامس هم الذين عقدوا مؤتمر المغرب العربي و أعادوا " بعث " مكتب المغرب العربي في اليوم الثاني للمؤتمر كما سبق و أشرنا، و لنا أن نشير كذلك أن جميع قرارات المؤتمر التي اتخذت حسب الموضوعات، كانت متبوعة بتحاليل تاريخية و موضوعية لتبرير اتخاذ تلك القرارات، كما أنها لم تعطنا تصورا ـ و لو بسيطا ـ لوحدة المغرب العربي بعد الاستقلال. و يبدو أن مكتب المغرب العربي، فضلا عن نشاطاته المختلفة في المشرق العربي و بلدان العالم،[200] قد ظل مرتبطا بروح قرارات المؤتمر، و هو ما لاحظناه و لاحظه غيرنا، فقد لخص كاتب فرنسي الاتجاه السياسي لمكتب المغرب العربي سنة نشأته في النقاط التالية:ـ أنّه مكتب:ـ

1ـ لا يقبل غير حلّ واحد: الاستقلال الكامل لدول المغرب العربي الثلاث التي ستختار نظمها السياسية بحرية

2ـ رفض الاتحاد الفرنسي رفضا تاما في أي شكل كان

---

[200] ـ عن نشاطات مكتب المغرب العربي و فروعه، انظر دراستي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص.363-395

3- عدم المفاوضة على أي اتحاد إلا بعد الحصول على الاستقلال

4- ليس مكتب المغرب العربي شيوعيا و لا فاشستيا و لا اشتراكيا، انه ديمقراطي

5- درس مكتب المغرب العربي الإصلاح الاجتماعي الذي يجب اتخاذه في المغرب العربي، لكنه ترك تنفيذ هذا المشروع حتى الحصول على الاستقلال[201].

2- " بين مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي"

لعل من الأعمال المهمّة، التي قام بها مكتب المغرب العربي بالقاهرة، بعد فترة وجيزة من تأسيسه، هو ترتيب عملية لجوء الأميرعبد الكريم الخطابي[202]إلى القاهرة في 30 ماي1947[203]و بذلك تعزز المكتب " بالقائد التاريخي" للثورة الريفية، و تعززت الدعاية أكثر لقضية المغرب العربي، و بلغت أوجها في تلك الأيام[204]، ثم تأسيسه للجنة تحرير المغرب العربي يوم 5 جانفي 1948 برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي، و قد نشر ميثاق هذه اللجنة في معظم الصحف المصرية يوم 6 جانفي[205]،و نص ميثاق اللجنة على ما يلي:-" المغرب العربي بالإسلام كان و للإسلام عاش و على الإسلام سيسير في حياته المستقبلة، و هو جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة، و تعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي و لازم.

" الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة: تونس والجزائر و مراكش.

" لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال.

" لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.

" لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال.

---

201 - جاك، كاني،" مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 و بداية مكتب المغرب العربي في القاهرة: عملية ابن عبد الكريم"، (تعريب أمحمد بن عبود)، **م.ت.م** ، عدد25-26، جوان 1982، تونس، ص.11، نقلا عن ب. فريديريكس P. Frederix، جريدة **لاديبش ماروكان**،1947/07/13

202 - لاحقا الفصل الموالي.

203 - عن عملية لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي و أفراد عائلته إلى مصر، انظر دراسة كاني، **نفس المرجع**، ص ص. 13-15

204 - من رسالة لعبد الخالق الطريس بالقاهرة بتاريخ 1947/06/4 إلى أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الإصلاح الوطني بتطوان، انظر، أمحمد بن عبود، " وثائق عن بداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة"، **م.ت.م.** عدد 25-26، جوان 1982، تونس، ص ص.123-126، في الوثيقة كذلك، وصف لعملية لجوء الأمير عبد الكريم إلى مصر.

205 - انظر، كاني، **م.ت.م.** عدد 25-26، **مرجع سابق**، ص.26، انظر كذلك، إدريس، **ذكريات**، **مصدر سابق**، ص ص.139-141، و ابن عبود، **م.ت.م.** عدد 25-26، **مصدر سابق**، ص ص.132-135

" للأحزاب المنضمة إلى " لجنة تحرير المغرب العربي" أن تدخل في مفاوضات مع ممثلي الحكومتين الفرنسية و الإسبانية، على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات أولا بأول.

" و حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام، لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية." و قد وافق و أمضى ميثاق اللجنة الأمير عبد الكريم الخطابي و ممثلو الأحزاب الوطنية المغاربية.

و الملاحظ أن ميثاق اللجنة لا يختلف كثيرا عن مواضيع و قرارات مؤتمر المغرب العربي، غير أن ميثاق اللجنة أضاف "عنصر الإسلام" و ركز عليه، بخلاف قرارات المؤتمر التي ركزت على " المفهوم القومي العربي". ثم أن اللجنة - في رأيي - " صورة ثانية موسعة" لمكتب المغرب العربي، نظرا لأنها ضمت ممثلي الأحزاب المكونة لمكتب المغرب العربي، بالإضافة إلى معظم الأحزاب و الشخصيات السياسية المغاربية التي لم تشارك في المؤتمر. ثم أن الدارس لا يستطيع التفريق بين نشاطاتها، بداية من تأسيسها، ونشاطات مكتب المغرب العربي، و هذا لتداخلهما و تشابكهما، و يبدو أن المكتب قد اقتصر على العمل الإعلامي، في حين أن اللجنة كان من أعمالها العمل السياسي و الدبلوماسي وكانت تهدف إلى أعمال أكثر ثورية في المجال السياسي، و هي العقيدة التي كان الأمير عبد الكريم مقتنعا بها تجاه الاستعمار و اقتنع بها غيره من الثوار المغاربة كما سيأتي في مناسبة لاحقة.

فحين دبر أعضاء مكتب المغرب العربي لجوء الأمير عبد الكريم إلى القاهرة، نظروا إليه كـ"قيمة تاريخية و أسطورة يجب استغلالها " في المجال السياسي و الدعائي لقضية المغرب العربي، أما من جانبه، فإن شخصيته القوية لم تكن لتتيح له القيام بهذا الدور، إنّه كان يريد الاضطلاع كليّا بمسؤولياته كـ" زعيم و قائد"[206]، أما عن لجنة تحرير المغرب العربي، فشهادة يوسف الرويسي - الذي كان على علاقة طيبة بالأمير - تقول أنّها (اللجنة) لم تتمكن من تحقيق الأهداف التي سطرتها لنفسها، و مرجع ذلك، الخلافات الشخصية

---

206 - محمد، زنيبر،" دور عبد الكريم في حركة التحرر في المغرب"، في **الخطابي و جمهورية الريف**، (ندوة 18-20 جانفي 1973)، ترجمة بإشراف صالح بشير، دار ابن رشد للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 1980، ص.405

والتباينات السياسية العميقة الموجودة بين أعضائها[207]، ففي حين كان الأمير يعتبر أن تحقيق المطامح القومية للمغرب العربي تمر بالطريق الثوري و بالكفاح المسلح كأسلوب وحيد للقيادة، كان الزعماء الآخرون يتمسكون بالنضال السياسي[208]، و هو الانطباع الذي خلص إليه كذلك الدكتور سليمان بن سليمان الذي استقبل في القاهرة من طرف أعضاء المكتب و اللجنة فيما بين جانفي و مارس 1948[209]، الذي أورد أن الأمير كان يريد تنظيم ثورة شاملة في المغرب العربي وفق ميثاق اللجنة، و أن التونسيين و المراكشيين لم يكونوا راضين بسلطته، فالمراكشيون كانوا خاضعين " لسلطة السلطان و حزب الاستقلال" والتونسيون " خاضعون لسلطة بورقيبة"، و كلا الطرفين كان لا يريد أن تفلت السلطة من يده لصالح الأمير[210].

لم يتحدث الدكتور ابن سليمان عن الجزائريين في المكتب و اللجنة بالقاهرة! هل كانت حقوقهم مهضومة داخل الهيئتين؟! أم أنّهم كانوا خاضعين لسلطة الأمير عبد الكريم ونظرته إلى قضية المغرب العربي؟! سنترك الإجابة عن هذين السؤالين لتطور الأحداث بعد مطلع الخمسينيات كما سيأتي لاحقا.

---

207 ـ عن الخلافات في مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، انظر، دراستي، **الاتجاه الوحدوي**، **مرجع سابق**، ص ص.395-406

208 ـ انظر، يوسف، الرويسي،" شهادة"، **الخطابي و جمهوريّة الريف**، **مصدر سابق**، ص.417

209 - Sliman, BEN SLIMAN, **Souvenirs politiques**, Collection mémoire, Ed. Cérès Productions, Tunis,1989, pp.242-257

210 -**Ibid**. p. 246

الفصل الثاني

المحاولات السياسية الثورية الوحدوية

1ـ انطلاقا من المهجر..!

2ـ انطلاقا من المغرب: تجربة الأميرين عبد المالك و عبد الكريم

أ ـ الأمير عبد المالك الجزائري

ب ـ الأمير عبد الكريم الخطابي

3ـ من لجنة العمل الثورية...إلى الثورة الجزائرية

أ ـ لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية

ب ـ البحث عن السند الثوري المغاربي

ج ـ معادلة تعميم الثورة بالمغرب العربي و " الدعوة إلى القطرية "

1 ـ انطلاقا من المهجر..!

من الأمور التي قام بها المغاربة " للجنة استقلال الجزائر و تونس " الدعاية الفعالة بين الجنود المغاربة المتواجدين في جيوش الحلفاء[1] أو الأسرى منهم لدى الألمان، فقد كان من مهامهم أثناء الحرب العالمية الأولى إقناع الجنود المغاربة بالتطوع في الحركات الجهادية التي تساندها الدولة العثمانية ضد فرنسا[2]. و لذلك كان صالح الشريف قد تنقل مرارا إلى جبهات القتال في مواجهة الجنود المسلمين المقاتلين ضمن قوات الحلفاء، و كان يوجه إليهم خطابات، يتحدث فيها عن " الجهاد"[3] عن طريق مكبرات الصوت، و رافقه في رحلاته البارون شابنجر (Schabinger)[4]. كما قام صالح الشريف بزيارات عديدة إلى معسكر الهلال (Hadbmoud Tager)، و شارك في إدارته و وضع برامجه، مراعيا فيه الظروف الخاصة بالأسرى المسلمين[5]، و حضر افتتاح مسجده، و هو المعسكر الذي أنشئ في ونسدورف (Wuensdorf)، على مقربة من برلين، و جلبت إليه ألمانيا الأسرى المسلمين الذين كانوا يعملون في صفوف الحلفاء، و كانوا قد وزعوا في بادئ الأمر على معسكرات مختلفة[6]، في شتى أنحاء ألمانيا مع الأسرى الأوربيين. كان يقوم بالرقابة في هذا المعسكر، الضباط الألمان الذين يعرفون اللغة العربية، و كان الهدف من جمعهم بهذا الشكل، هو تيسير مهمة نشر الدعاية بينهم لقبول الأهداف الألمانية ـ العثمانية، و لتمكينهم من إقامة شعائرهم الدينية، و كانت تنتهز فرصة الأعياد الدينية لإقامة الاحتفالات التي تلقى فيها الخطب للتأثير بها على الجنود و تحريضهم على الجهاد ضد الفرنسيين و الإنجليز. و كان المعسكر مزار كل الضيوف العرب الذين نزلوا ألمانيا أثناء الحرب، و من الذين زاروا هذا

---

1 ـ قدر كرو، **محمد الخضر ، مرجع سابق**، ص. 24، الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي في واجهات القتال بما يزيد عن 200 ألف جندي.

2 ـ **نفسه** ، ص. 25

3 ـ هاين، " قومي من شمال إفريقيا"، **مرجع سابق**.

4 ـ انظر، آنده، **مرجع سابق**، ص . 57

5 ـ هاين، " قومي من شمال إفريقيا"، **مرجع سابق**.

6 ـ من المغاربة الذين قاموا بالدعاية بين الأسرى في المعسكرات عبر ألمانيا قبل جمعهم في معسكر الهلال، الشيخ محمد الخضر حسين و محمد الصالح جميل، انظر، " Panislamisme ", Gouvernement Tunisien, Surveillance politique indigène, Tunis , 25/02/1920, " Extrait d'un rapport sans signature ni date, brochure de 5 p. remis par un indigene tunisien, Dos.B.3.16,**C.D.N**.

المعسكر، الأمير علي باشا بن الأمير عبد القادر[7]. كما أنشئت بالمعسكر مجلة أطلق عليها " الجهاد "، ظهرت لأول مرّة في شهر مارس 1915 ببرلين، و طبع منها 15 ألف نسخة، وصدرت بلغات مشرقية مختلفة منها العربية، و كان توزيعها قاصرا على الأسرى المسلمين[8]، وكانت المجلة نصف شهرية، و كان يكتب افتتاحياتها الشيخ صالح الشريف. ومن الذين كتبوا في هذه المجلة، الحاج عبد الله الجزائري (رابح بوكابويه)[9] و الشيخ محمد الخضر حسين[10].

كان عدد الأسرى المغاربة بمعسكر الهلال، كما نقله أحد الكتاب من تقرير لسفارة أسبانيا ببرلين سنة 1917، حوالي 2500 جزائري و 500 تونسي و 200 مراكشي[11]، أدمج منهم حوالي 800 جندي ضمن القوات العثمانية[12]. و لتجنيد الجنود الأسرى ضمن القوات العثمانية، تنقل كل من إسماعيل الصفائحي و عبد العزيز جاويش مرتين بين استانبول و برلين، و تمكنا في المرة الأولى من تجنيد 800 جندي و ضابط، و في المرة الثانية 480 جندي و ضابط[13]، نقلوا إلى استانبول و أدمجوا ضمن قوات غير نظامية عرفت باسم " التشكيلات "، كونتها حكومة الدولة العثمانية خلال الحرب، هدفها تحرير بلدان العالم الإسلامي، و هي الهيئة التي كانت بقيادة علي باش حامبه، و كان يساعده في مهمته العقيد علي رضا، قائد الفصيلة الأولى لقيادة الأركان العثمانية[14].

و في إطار هيئة " التشكيلات "، قررت الحكومة العثمانية سنة 1916 تأسيس هيئة لغزو المغرب العربي و تحريره، إذ تم تعيين سليمان الباروني واليا على طرابلس الغرب،

---

7 ـ آنده، **مرجع سابق**، ص ص. 58- 60

8 ـ آنده، **مرجع سابق**، ص.59-60، ذكر آجرون أن مجلة بالفرنسية، بعنوان " الواجب Devoir " كانت تصدر بألمانيا، كان يحررها الملازم محمد الجزائري (؟) و هو أحد الضباط الفارين من الجيش الفرنسي إلى ألمانيا " لمقاتلة أعداء الدين ". و لعلها كانت ترجمة لمجلة الجهاد. انظر، AGERON, **Hist. de l'Alg**. T.II, **op.cit**. p.263

9 ـ هو رابح بن بلقاسم بوكابوية، المعروف باسم الحاج عبد الله، و هو ضابط جزائري فرّ من الجيش الفرنسي مع بداية الحرب من أوربا إلى استانبول، و في سنة 1915 أصدر بها كتيبا باللغة الفرنسية بعنوان " الاسلام في الجيش الفرنسي" ، و أصدرت له لجنة استقلال الجزائر و تونس كتيبا ثانيا بلوزان سنة 1917 بعنوان " الجهاد و مسلمو شمال إفريقيا ". انظر، آنده، **مرجع سابق**، ص. 59 و AGERON, **Hist. De l'Alg**. T.II. **op cit**.p.263

10 ـ انظر، آنده، **مرجع سابق**، ص.60.

11 - GOLDSTEIN, **op. cit**. p.179

12 ـ هاين ، " ألمانيا و العالم الإسلامي "، **مرجع سابق**.

13 - " Panislamisme ", Dos. B.3.16. **op. cit**.

14 - **Ibid**.

وانتقل إلى ليبيا بعد الانتصارات التي حققتها الحركة السنوسية[15] على الاستعمار الإيطالي، و بدأ في تنظيم المقاومة، و بعث رسله لنشر الدعوة للمقاومة في الجزائر و تونس و المغرب الأقصى، و كان قد ربط صلته قبل ذلك، مع بداية الحرب الكبرى، بمنطقة وادي ميزاب بالجنوب الجزائري[16]، في وقت كان رجال الحركة السنوسية يناوشون القوات الفرنسية على الحدود الجنوبية التونسية[17]، و تذكر الوثائق في هذا الصدد القائد الجزائري محمد برالي، الذي كان يتمتع بنفوذ كبير على الحدود الطرابلسية ـ الجزائرية[18]، و قد دامت هذه المناوشات من سنة 1916 الى 1921، و ينبغي أن نشير كذلك، إلى مقاومة التوارق التي استهدفت المراكز الاستعمارية في الصحراء، و قد امتدت من " أعالي النيل الى أدرار "[19]، بالجنوب الغربي الجزائري، و كانت على صلة بالحركة السنوسية[20]، و هناك انتفاضة منطقة الشرق الجزائري، التي شملت منطقة الأوراس و بسكرة، و قد عزاها الكتاب الفرنسيون إلى أسباب اقتصادية و اجتماعية مختلفة[21]، في حين أنها كانت انتفاضة تحررية دينية مرتبطة بما يدور في العالم الإسلامي .

هذه الأحداث من المقاومة لتحرير المغرب العربي، تندرج في إطار الوحدة القومية الإسلامية، و لذلك نجد مجموعة من المغاربة " الخطرين النشطين " في مصر ـ أثناء تصاعد الأحداث السابقة بمنطقة المغرب العربي ـ يحاولون التسلل إلى المنطقة عبر مصر وليبيا لتفجير ثورة بمنطقة المغرب العربي، فقد أخبر السفير الفرنسي وزارة خارجيته، بمراسلة من القاهرة في 16 نوفمبر(1915) على وجود الأمير عبد القادر بن الأمير علي باشا[22] و الشيخ بشيز (بسيس أو بشير؟) و علي باش حامبه و الشيخ صالح الشريف، وجاء في مراسلة أخرى في 21 جانفي (1916) له، من أنّه حاول إيقافهم و لكنه لم يفلح، لاختفائهم

---

[15] ـ عن نشاط الحركة السنوسية خلال الحرب، انظر، Martine, MULLER, " Les Senoussis dans la première Guerre Mondiale, une page d'histoire de la Libye à travers les archives militaires françaises", in , **Sou'al**, n° 2, Juin 1982, (France).

[16]- MULLER, **Sou'al**, n°2, **op.cit**. p.146 et Bechir, TLILI, " L'Algérie au lendemain de la Grande Guerre, revendications et réformisme, un document inédit sur la situation politique et administrative des indigènes de l'Algérie (1920-1921)", Extrait **des Cahiers de Tunisie**, T.XXII, n°87/88, 1974, p.111

[17] - MAHDJOUBI, **op. cit**, p.147

[18] ـ الجنحاني، **مرجع سابق**، ص. 53

[19] ـ انظر، الفاسي، **مصدر سابق**، ص. 53-54

[20] ـ انظر، سعد الله، **الحركة**، ج2، ص.232-233

[21] ـ انظر مثلا، AGERON,"**L'Algérie algérienne**", **op. cit**. pp.97-122

[22] ـ قتل الأمير عبد القادر(الحفيد) في أكتوبر سنة 1918 بدمشق، برصاص فرسان الثورة العربية، و بتحريض من الإنجليز (لورانس العرب)، انظر عنه، محمد السعيد (الأمير)، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص.111-112، و Suleiman, MOUSSA, **Songe et mensonge de Lawrence**, La bibliothèque Arabe, Sindbad , Paris, 1973, p.245 ، و انظر كذلك، محمد، بلقاسم، " الأمير عبد القادر الحفيد" في **دراسات و شهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص ص. 373-381

بالإسكندرية، و أنه كان سيلقي عليهم القبض في 19 نوفمبر (1915)، لأنهم أخذوا موعدا مع أحد " العملاء السريين " الفرنسيين، غير أنهم " أخلفوا الموعد "، و تبين أنهم مروا " بكفر الزيات و المنصورة "، و أن صالح الشريف قد انتقل بعد ذلك إلى برلين ليؤسس " لجنة استقلال الجزائر و تونس "، في 7 جانفي 1916[23] ، السالفة الذكر.

أما علي باش حامبه، فيبدو أنّه اختفى بمصر الى صيف سنة 1916، ذلك أن وزارة الخارجية الفرنسية، قد طلبت من السلطات البريطانية إلقاء القبض عليه عن طريق قنصليتها في الإسكندرية، و طلبت القنصلية البريطانية بدورها من الوزارة الفرنسية صورة لعلي باش حامبه لتنفيذ الطلب الفرنسي بواسطتها[24].

و مما لا شك فيه، أن تواجد هؤلاء الزعماء المغاربة بمصر، يندرج في إطار التخطيط لإثارة منطقة المغرب العربي، و مهما يكن من أمر، فإن علي باش حامبه، عاد الى استانبول و في سنة 1917، حاول تنظيم و تدريب فيلق من الجنود المغاربة، الذين نقلوا من ألمانيا، لينزله بالغواصات الألمانية على شواطئ طرابلس الغرب، حتى يقوم بحركة مسلحة تستهدف تحرير المغرب العربي، و كانت القيادة المعنوية لهذا الفيلق لعلي باش حامبه نفسه، و قبل أن يحين موعد مغادرة علي باش حامبه لاستانبول للقيام بمهمته في المغرب العربي، أصيب بمرض مات على إثره، دون أن يقوم بمأموريته[25].

و كان في هذه الأثناء باستانبول، عبد العزيز جاويش و صالح الشريف و الشيخ محمد الخضر حسين، و قد عاصروا نهاية الحرب هناك، و عندما شاهدوا أساطيل الحلفاء تمر في مضيق البوسفور[26]، هربوا الى ألمانيا رفقة الأمير شكيب أرسلان[27]، و قد انتقل في هذه الأثناء كذلك، محمد باش حامبة من جنيف الى برلين، معلقا الأمل على مساعدة

[23] - Correspondance confidentielle du Président du Conseil M.A.E. à M. Alapetite, RG. De RF. à Tunis, du 4/02/1916, in **Le Temps** du 5/03/1976, Dos.B.3.11. Doc.32, **C.D.N**. Tunis

[24] - Correspondance du 3/09/1915 et du 26/07/1916, Doc. N°33, in Dos.B.3.11, **op. cit**.

[25] - انظر، الفاسي، **مصدر سابق**، ص. 54-55

[26] - عمّ الاستياء أهالي المغرب العربي، حتى " الموالين منهم لفرنسا" عند سماعهم بسقوط عاصمة الخلافة استانبول. انظر، MAHDJOUBI, **op. cit**. p.190

[27] - انظر، آنده، **مرجع سابق**، ص. 62

الحكومة الألمانية، في وقت ازدادت فيه العداوة بين برلين و باريس، إثر انهزام ألمانيا في الحرب[28].

و ينبغي لنا أن نتسآل هنا، عن انتقال هؤلاء المغاربة إلى برلين، الذي جاء مع نهاية الحرب و خيبة أملهم في مؤتمر السلام، و اقتناعهم بأن فرنسا لا تغير من سياستها في المغرب العربي، هل كانوا يؤمنون بالعمل الثوري، و كانوا يريدون إكمال تلك المهمة التي كان ينوي علي باش حامبه تنفيذها؟!.

لقد لمسنا ذلك من خلال الرسائل التي بعث بها محمد باش حامبه الى الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتونس خلال سنتي 1919 و 1920[29]، غير أن الأقدار لم تمهلهم ليواصلوا مسيرة وحدة المغرب العربي، إذ توفى الشيخ صالح الشريف و علي باش حامبه، كما سبق وأشرنا، و قتل الأمير عبد القادر و مات أبوه علي باشا، و الشيخ إسماعيل الصفائحي، وأدركهم محمد باش حامبه و تفرق المغاربة الآخرون، فحلّ الشيخ محمد العتابي بمصر، والشيخ محمد الخضر حسين بدمشق ثم القاهرة، و لا ندري مصير بقية المغاربة المهاجرين و الجنود الأسرى و الفارين من قوات الحلفاء. و لكن و موازاة مع محاولة هؤلاء المغاربة لإشعال نار الثورة عن طريق الجهة الشرقية للمغرب العربي في إطار فكرة الجامعة الاسلامية، هناك من أشعلها من الجهة الغربية لبلاد المغرب العربي و في نفس الإطار ونفس الفكرة...

2ـ انطلاقا من المغرب : تجربة الأميرين عبد المالك و عبد الكريم

أ ـ الأمير عبد المالك الجزائري.

---

[28] ـ انظر، الجنحاني، **مرجع سابق**، ص.55

[29] ـ أرسل محمد باش حامبه إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي عشر رسائل، انظر، Dos.B.1.28, Doc, n°59, **C.D.N.**, Tunis و بنفس الملف مقتطفات من هذه الرسائل، انظر، Chedli, KHAIRALLAH, "Mohamed Bach-Hamba", in **La Voix du Tunisien**, du 2/02/1932, Doc.n°38.

تبدو أسباب حركة الأمير عبد المالك الجزائري[30] بالمغرب الأقصى ضد التواجد الفرنسي غامضة في انطلاقتها ، لقلّة وثائقنا عنها[31]، لكن رغم غموضها، لا يمكننا أن نعتبرها حركة عفوية منعزلة عن أحداث العالم الإسلامي، إن ثمّة مؤشرات لدينا تجعلنا ندرجها كحركة تحررية وحدوية مغاربية، مرتبطة بحركة جماعة المغاربة المهاجرين الوحدويين في إطار تيار الجامعة الإسلامية و الخطة الألمانية ـ العثمانية لإثارة المستعمرات الإسلامية ضد الاستعماريين الإنجليزي و الفرنسي، و قد عمل هؤلاء المغاربة المهاجرين خلال الحرب العالمية الأولى على محور" استانبول ـ جنيف ـ برلين"، وعمل عبد المالك على محور آخر مواز هو محور" برلين ـ مدريد ـ طنجة و تطوان".

كان الأمير عبد المالك ضابطا بالجيش العثماني و على صلة بحركة الشبان الأتراك، هرب إلى مصر ثم حلّ بطنجة سنة 1902[32] عندما سمع بثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي الجزائري، التحق به ليحارب الفرنسيين، و عندما ألقى بوعمامة السلاح سنة 1904، التحق بجيش السلطان المراكشي عبد العزيز و عين بعد ذلك في حدود سنة 1909 مفتشا عاما للشرطة الشريفية(العلوية) بطنجة[33]

تظاهر عبد المالك بالولاء لفرنسا، أثناء عمله بالشرطة في طنجة، إذ مع بداية الحرب الكبرى، بعث ببرقية " ولاء" إلى رئيس الجمهورية الفرنسية[34]، و يبدو أن البرقية قد وجهها عبد المالك أثناء تواجده بفرنسا، حيث كان " يتداوى من مرض الربو"[35]، لكنه عندما عاد إلى المغرب الأقصى مرورا باسبانيا أعلن الثورة ضد الفرنسيين.

---

30 ـ الأمير عبد المالك الجزائري، هو الابن الثاني قبل الأخير للأمير عبد القادر، ولد بدمشق سنة 1285هـ/1868م و بها تعلم، و إلى جانب اللغة العربية تعلم اللغتين التركية و الفرنسية، تأثر بحركة الجامعة الإسلامية، كان طموحا و مغامرا في مجرى حياته، انتمى مع نهاية القرن 19 إلى الجيش العثماني ، و ارتقى إلى رتبة مقدم Lieutenant-colonel مع مرتبة " مساعد في معسكر السلطان" ، التحق بطنجة مرورا بمصر سنة 1903، أعلن الثورة على فرنسا انطلاقا من المغرب الأقصى مع مطلع سنة 1915 (في شهر مارس)، توفي في 6 أوت 1924. انظر عنه، أبو القاسم، سعد الله، " وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب" ، **م. ت. م.** عدد1، جانفي 1974، تونس، ص.ص. 52-68، وانظر كذلك رسالتي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق** ،ص ص.73-96 و BARDIN, op.cit. pp.179-180 و انظر كذلك Léon, ROLLIN," Dans le secteur oriental – Mort d'Abd-el-Malek", in **Bulletin du Comité de l'Afrique Française (A.F)**, n° 8, aout 1924,p.471

31 ـ لم تقدم إلى اليوم في حدود علمنا دراسة عن ثورة الأمير عبد المالك بناء على الوثائق الأسبانية.

32 - BARDIN, **op. cit**. p.180

33 ـ انظر، سعد الله، **م. ت. م.** عدد1، **مرجع سابق**، ص.54 و BARDIN, **op.cit**.p.180

34 - BARDIN, **op. cit** .p.180

35 ـ سعد الله، **م. ت. م.** عدد1، ص. 54

كان الأمير عبد المالك، قد عاش أحداث المشرق العربي و القضية المغربية (المغاربية)، و كان مؤمنا بالجامعة الإسلامية، و بفكرة " الجهاد" و متعلقا " بفعائل أجداده"[36]، و لذلك أراد أن يلعب " دورا من الدرجة الأولى" في الحوادث التي كانت تجري في العالم الإسلامي. و هناك عدّة عوامل كانت تؤيد طموحاته، منها ماضي أسرته التاريخي و " تعلمه في الشرق الأدنى خلال عهد النهضة العربية و تدريبه العسكري و عمله في الجيش العثماني و المراكشي و الشرطة، ثم خبرته بأبعاد " المسألة الشرقية" و " المسألة المراكشية، قد زودته هذه الأمور بمعرفة كاملة لمشاكل وقته[37]. و لما كان الوضع مشجعا، مع انطلاق الحرب العالمية الأولى، و تلقى عبد المالك التأييد الألماني ـ العثماني له، أثناء عودته من فرنسا، حيث اتفق في مدريد مع سفير ألمانيا الكونت دي راتبور على " خطة مشتركة" لفتح جبهة ضد الفرنسيين ، و تعهدت له ألمانيا و الدولة العثمانية بالمساعدة إذا نجحت الخطة " على إقامة مملكة واحدة تضم المغرب و الجزائر"[38]. هذه الظروف فتحت"آفاقا لامعة أمام مطامحه، التي كانت تحدوه، لأن يصبح أمير إفريقيا الشمالية"[39]، ولذلك نادى بتحريرها[40]، و أعلن ثورته، مختارا الجهة الغربية للمغرب العربي.

عندما انطلقت حركة الأمير عبد المالك، أرسل الرسل و المناشير إلى المغرب الأقصى و الجزائر مبشرا بثورته، و لم يكن عمله مقتصرا على هذين القطرين فحسب، بل أرسل الرسل و المناشير كذلك إلى جنوب تونس " لدعوة أهلها إلى الجهاد المقدس"[41]، وحاول ربط صلته بابن أخيه الأمير خالد كما سيأتي توضيحه، و كان من جهة أخرى، على علاقة بأخيه الأمير علي باشا[42]، و على علاقة بأفراد عائلته ببلاد الشام.

ربط الأمير عبد المالك صلته بأخيه الأمير علي باشا، الذي كان قد عين نائب قبل انطلاق حركة أخيه عبد المالك، بالمجلس الوطني العثماني[43] (مجلس المبعوثان)، و أصبح

---

36 ـ **نفسه**، ص. 57

37 ـ سعد الله، **الحركة**، ج2، ص. 243

38 ـ سعد الله، **م. ت. م.** عدد1، ص.54

39 ـ سعد الله، **الحركة**، ج2، ص.243

40 ـ **نفسه**، ص.249

41 ـ سعد الله، **م.ت.م.** عدد1، انظر الوثيقة الأولى، ص.60

42 ـ انظر رسالة الأمير عبد المالك إلى أخيه الأمير علي، **نفس المرجع**، ص.57

43 - " Sur le front marocain – L'action d'Abdelmalek au début de l'année nouvelle", in l'**A. F.** n°1 et 2, janvier – février 1916,p. 5

المتحدث باسم حركة عبد المالك في المشرق و موضع سره هناك[44]. و قد سافر الأمير علي إلى أوربا ـ عدّة مرات ـ و تنقل مع المغاربة المهاجرين خلال الحرب بين برلين و جنيف واستانبول، الذين تعاملوا مع مكتب استعلامات الشرق الأدنى[45]، و من ذلك فإن مكتب وكالة وولف(Wolff) أصدر رسائل و منشورات دعائية مع انطلاق ثورة عبد المالك، منها رسالة موجهة " من الأمير عبد المالك إلى أخيه الأمير علي" تصف الأول " بأمير فاس" وتتحدث عن انتصاراته على فرنسا و تحريره " للدار البيضاء التي اتخذها عاصمة له"[46].

كان الأمير علي كأخيه عبد المالك متأثرا بفكرة الجامعة الإسلامية، و هو الابن السابع للأمير عبد القادر[47]، و اشتهر بتعاطفه و عمله لصالح دولة الخلافة الإسلامية، و بكرهه للاستعمار الفرنسي، فقد وصفه قنصل فرنسا بدمشق السيد أوتافي(Ottavi)(1911-1912) في صيف سنة 1912، على أنّه من " أذكى أبناء الأمير" و أكثرهم تأثيرا ببلاد الشام، و من صفاته " العنف و الجشع و التشدق و كره الأجانب و بخاصة الفرنسيين، فهو يكرههم من الأعماق"[48].

و لما كان الأمير علي أكثر تأثرا بتيار الجامعة الإسلامية، و أكثر ميلا لسياسة الدولة العثمانية، فقد استقبله السلطان العثماني و وزير داخليته في ديسمبر 1914، و وجهته لجنة الاتحاد و الترقي إلى برلين في 14 ديسمبر في مهمة لزيارة الأسرى الشمال أفارقة لإقناعهم بضرورة التطوع في الجيش العثماني[49].

و لما سافر الأمير علي إلى برلين اصطحب معه الشيخين صالح الشريف و إسماعيل الصفائحي، و من خلال نشاط الأمير علي، يبدو أنّه كان المنسق بين حركة أخيه الأمير عبد المالك و جماعة المغاربة بالمهجر و السلطات الألمانية و العثمانية في سبيل تحرير المغرب

---

[44] ـ سعد الله، **م.ت.م**. عدد1، ص. 57

[45] ـ مكتب استعلامات الشرق الأدنى كان تابعا لوزارة الخارجية الألمانية، استحدثته ألمانيا في إطار اهتماماتها بالعالم الإسلامي في سنة 1905، بعد زيارة الإمبراطور الألماني للدولة العثمانية و بلاد الشام في نهاية القرن 19، و كان على رأسه المستشرق الألماني اليهودي الرحالة فان ماكس أوبنهايم.

[46] ـ ترجمت منشورات وكالة وولف إلى عدّة لغات (عربية و ألمانية و تركية و فرنسية) روجتها نفس الوكالة مع مطلع سنة 1915. انظر، **l' A.F.** n°1 et 2, 1916, pp.4-16

[47] ـ توفي الأمير علي باشا سنة1336هـ/1918. انظر، نويهض، **معجم أعلام، مصدر سابق**، ص. 106

[48] - BARDIN, **op. cit**. p.180-181

[49] - **Ibid.** p. 185

العربي. ذلك أن عبد المالك كان على علاقة بالمغاربة المتواجدين بألمانيا و سويسرا أثناء الحرب، فحسب رسالة أحد العملاء الفرنسيين من برلين، أن هناك " أهالي" مقيمين في سويسرا و آخرين في برلين، اشتركوا في " الدسائس" ضد فرنسا و أن " عبد المالك، هو وسيلتهم الرئيسية" و هم:" علي باش حامبة، و الملازم الأول الحاج عبد الله، الضابط الفار من الجيش الفرنسي، و سيدي علي أحموش و سيدي محمد الشرقاوي، و الشيخ محمد العتابي و محمد الكبير خان شريف سنبال(Sambal ?)"[50].

و هناك اعتبارات أخرى، تبدو من خلالها الأبعاد المغاربية لحركة الأمير عبد المالك، منها: أنّه " جزائري"، و اتخاذه للمغرب الأقصى الحديث العهد بالاستعمار، منطلقا لتحرير المغرب العربي، يأتي كإيمان منه بوحدة المنطقة المصيرية الدينية والتاريخية، و هو نفس الشعور الذي نظر به المراكشيون إلى الأمير عبد المالك كذلك، الذي أعلن ثورته ليدعم المقاومة في المغرب الأقصى، حيث كانت به أربع " مناطق كبرى " لا تزال في ثورة ضد فرنسا، و لم تخضع بعد لسلطاتها المركزية[51]. كما يمكن أن نترجم شعور المراكشيين بوحدة المقاومة في المنطقة، في التفافهم حول الأمير عبد المالك من جهة، و من جهة أخرى، في أنّهم لم يكونوا يعيشون وقتئذ بمعزل عن أحداث بقية أقطار المغرب العربي، بخلاف ما يؤكده كثير من الكتاب الفرنسيين، من أن المغرب الأقصى، برزت شخصيته كمجتمع قائم بذاته، تفصله عدّة موانع عن العالم العربي الإسلامي، و تلك سياسة اتبعتها فرنسا من منطلق عزل المغرب.[52]

و رغم استحكام الرقابة في المغرب الأقصى من جانب السلطات الفرنسية، فإن الدعاية العثمانية ـ الألمانية، قد نشطت بالمنطقة الشمالية لمراكش مع بداية الحرب و أثناءها، و كانت تستعمل كل الوسائل المتمثلة في الرسائل و المنشورات ضد فرنسا، و كانت

---

50 -" Menées des nationalistes turcs et panislamistes ", Correspondance de M. Marcilly, Chargé d'Affaires de la France à Berlin à M. Millerand, Président du Conseil, M.A.E.- Berlin le 23 juin 1920- M.A.E./DAP et C, **Archives d'Outre-mer**, Aix-en-Provence, 29H.35

51 -Roger, LE TOURNEAU, **Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane, 1920-1961**, A. Colin, Paris, 1962, p. 175

52 ـ انظر مثلا، شارل ـ أندري، جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية**، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1396هـ/1976، ص. 163، و روم، لاندو، **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة نقولا زياده، مراجعة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص. 37-38 ، و غيرهما...

"تضرب على وتر الاستقلال و المطامح الوطنية "[53]، و هي الدعاية التي رافقت ثورة الأمير عبد المالك. و كان الماريشال ليوتي ـ المقيم العام الفرنسي بالمغرب ـ يدرك هذا الوضع الخطير في المغرب الأقصى، إذ قدم تقريرا مفصلا إلى سلطات بلاده سنة 1915، ضمنه معلومات عن دور سفارات " ألمانيا و النمسا و المجر و تركيا في اسبانيا " في محاولة " إثارة المنطقة "، و عن دور العملاء الألمان الذين يعملون على ترتيب " خطة " ضد فرنسا، و عن رواج المنشورات و النشريات الدعائية لصالح الدولة العثمانية و ألمانيا، وأن بعض هذه النشريات و النداءات التحريضية ضد فرنسا في المغرب العربي كان يحررها رجال من أمثال الأمير علي باشا و الشيخ صالح الشريف التونسي[54]، أي جماعة لجنة استقلال الجزائر و تونس و مجلة المغرب.

رغم هذه " الحرب من النشريات و المنشورات "، التي قامت بترويجها مصالح الدعاية العثمانية الألمانية، و الجماعة المغاربية المهاجرة بأوربا في المغرب العربي ـ بما في ذلك المغرب الأقصى ـ و التي رافقت حركة الأمير عبد المالك، إلا أن مسألة " سكوت " مجلة المغرب، الصادرة بجنيف بين 1916-1918 عن الأمير عبد المالك و حركته، تبقى تثير عندنا كثيرا من التساؤلات!؟

ليس من هدفنا هنا تتبع الأحداث العسكرية الناتجة عن تصادم قوات الأمير عبد المالك التي كونها من قبائل الشمال المراكشي مع القوات الفرنسية، و لا أطوار حركته التي انطلقت بداية من شهر مارس 1915 حين اختفى ـ حسب المصادر الفرنسية ـ من طنجة، إنما هدفنا هو إبراز دوره الثوري في محاولة تحريره للمغرب العربي، انطلاقا من المغرب الأقصى ـ الحديث العهد بالاستعمار الفرنسي ـ الذي لم يكن هادئا في العديد من مناطقه أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث كانت المنطقة الحدودية بين " المغرب الأسباني" و " المغرب الفرنسي" الممتدّة من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر الملوية غربا تعج وقتئذ بالثوار بتأثير الدعاية و التحريض الألماني و دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا. و على ما

---

[53] - J. ROGER-MATHIEU, **Mémoires d'Abd-el-Krim**, Ed. Libraïrie des Champs-Elysées, Paris, 1927, p.59

[54] ـ انظر تقرير الماريشال ليوتي إلى السيد دالكاسي وزير الشؤون الخارجية و السيد ميلليران وزير الحرب بفرنسا، بتاريخ 27 أوت 1915، في: **Lyautey l'Africain, T.III, Textes et lettres du Maréchal Lyautey, 1915-1918**, Présentés par Pierre Lyautey, Paris, 1956, pp.34-42

يبدو كان دخول الدولة العثمانية الحرب، هو الذي هز وجدان عبد المالك الديني في أواخر سنة 1914، بناء على اتفاقه مع الألمان، فتوجه إلى داخل المغرب لتنظيم قواته و فتح جبهة ضد فرنسا [55].

ربط الأمير مالك في شمال مراكش ـ منطقة الريف و جبالة(الجبل)ـ و في المناطق المجاورة " للمغرب الفرنسي" صلات مع الكثير من القبائل الريفية و كون بها فرق وفصائل مقاومة أزعجت القوات الفرنسية و جعلتها في " حالة طوارئ دائمة " خاصة خلال سنوات:1915-1917، و لذلك عمل الماريشال ليوتي كل ما في وسعه لعزل ثورة عبد المالك عن الجزائر، نظرا للخطورة التي أصبحت تشكلها، إذ زار ليوتي منطقة تازه في شهر ماي 1916، و أمر بسد " المنفذ نحو الجزائر " و وضع وحدات عسكرية متحركة في منطقة تاوريرت(Taourirt) و أقام حزام أمن محكم في كل " قطاع نهر الملوية الأسفل، بين خط السكة الحديدية و مصب النهر، و تفقد ليوتي المنطقة ثانية مع مطلع شهر جوان، و اطلع بنفسه على " الوضعية المحكمة " بين تاوريرت و غرسيف(Guercif) و الدبدو (Debdou) و ماهريجة(Mahiridja) و تازه، و وجه نشاط وحدات عسكرية نحو نهر الملوية الأوسط، و وضع قيادة الوحدات العسكرية في الدبدو، و أطلق عليها اسم " وحدات منطقة الملوية الوسطى"[56]، و عمل ليوتي في نفس الوقت على فصل حركة عبد المالك عن الثائر الشنقيطي أحمد هبة الله ماء العينين[57] في جنوب المغرب الأقصى و شمال موريطانيا الذي كان أيضا عبد المالك على اتصال معه[58].

---

[55] ـ انظر عن أطوار حركة الأمير عبد المالك و اتصالاته المتعددة بالقبائل و الثائرين، دراستي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص.86-97

[56] - " Sur le front marocain – Mai - juin 1916" in l' A.F. n° 7,1916, p.247

[57] ـ كانت حركة أحمد هبة الله ماء العينين امتدادا لحركة والده الشيخ ماء العينين ـ شيخ الطريقة الفاضلية ، التي أسسها جدّه محمد الفاضل القلقمي ـ الذي أخذ على نفسه عبء الجهاد ضد الفرنسيين الذين احتلوا موريتانيا مع نهاية القرن 19. و لما توفي الشيخ ماء العينين (29 شوال 1328هـ/ 1910/10/28) تولى " الخلافة " بعده ابنه أحمد هبة الله، الذي وسع نطاق الجهاد إلى جنوب المغرب الأقصى كذلك، و توفى أحمد هبة الله سنة 1919م. انظر، " Mà ' Al-Aynayn al-Khalkami ", In **Encyclopédie de l'Islam, T.V., Livraison 91-92**, Paris, 1983, p.896, et **T.V., Livraison 93-94**, Paris, 1984, p.897-898

[58] ـ كان أحمد هبة الله ، هو الآخر على اتصال بالألمان و العثمانيين، و كان جهاده في إطار " الخلافة الإسلامية" ، انظر نص رسالة موجهة من ممثل الدولة العثمانية و سفير ألمانيا بمدريد إلى " مولاي أحمد هبة الله " عن طريق قنصل ألمانيا بالعرائش، و الرسالة عبارة عن تهنئة للشيخ الثائر على انتصاراته في المغرب الأقصى لتحريره من " ظلمَة الفرنصيص " و تعرض الرسالة المساعدة الألمانية ـ العثمانية، و هي بتاريخ 1917/02/10، و بها الطابع العثماني للسلطان محمد رشاد و طابع سفير ألمانيا بمدريد، انظر، " El-Hiba et les Allemands ", In **l'A.F.** n° 1-2 et 3, jan.-mars 1918, pp.24-25، و انظر كذلك تقرير ليوتي المؤرخ في 1917/10/12. **Lyautey l'Africain, T.III, op. cit**. pp.248-253

وطد الأمير عبد المالك علاقته بكثير من القبائل الريفية و زعمائها، و منها علاقته بمحمد بن عبد الكريم[59] - زعيم الثورة الريفية كما سيأتي لاحقا - قبل أن يتصل بأبيه عبد الكريم - شيخ قبيلة بني ورياغل - ، إذ أصبح محمد بن عبد الكريم، رجل اتصالات الأمير عبد المالك مع القوات المركزية من خلال إسبانيا للحصول على العتاد و الأسلحة[60]. فمع مطلع جويلية 1915، حضر العميل الألماني فارل Farle، إلى مليلية و اتصل بمحمد بن عبد الكريم، فأوصله هذا الأخير إلى أبيه عبد الكريم بضيعة أجدير، حيث طلب الألماني فارل من عبد الكريم أن يعدّ قوة من 2000 رجل مقاتل، مقابل عروض مالية ألمانية ، و يضعها تحت يد عبد المالك الجزائري[61].

على اثر هذه الاتصالات، طلب الماريشال ليوتي من السلطات الاسبانية، أن تلقي القبض على محمد بن عبد الكريم[62] و أبيه، فألقت إسبانيا القبض في مليلية على الابن، وأودعته السجن في 6 سبتمبر 1915 بتهمة " الخيانة " و أخفقت في القبض على الأب عبد الكريم، و كان سجن الابن ، بعد أن أطلعت سلطات فرنسا السلطة الإسبانية على " محادثة " جرت بين محمد بن عبد الكريم و الضابط الفرنسي فيسانت سيست Vicente Sist رئيس المكتب الأهلي " بالمغرب الفرنسي"، جاء فيها:" أنّه (محمد) و أباه (عبد الكريم) يحلمان بتحرير الريف، و أنّهما يريدان مناهضة الحلفاء و مفاوضة الأسبان بشأن الريف"[63]. غير أن البعض يرى أن عملية سجن الابن، هي التي جعلت الأب عبد الكريم يعلن مساندته الصريحة " للقضية الألمانية"، ابتداء من شهر فيفري 1916[64]، فقام بنقل الأسلحة والذخيرة للأمير عبد المالك، في شهر جوان من نفس السنة[65]، مما جعل الأسبان يطاقون سراح الابن محمد في بداية شهر أوت، و بعد خروجه بحوالي شهرين، أعلن أبوه عبد الكريم، أنّه لا يؤيد " الألمان و الأتراك" في مهمتهم، و قام بزيارة عبد المالك و أبلغه ذلك في سبتمبر[66]، و عاد الوفاق بين عبد الكريم و الأسبان، و لا ندري الآن سبب هذا التراجع.

---

[59] - ROGER-MATHIEU, **op. cit**. p. 64-65

[60] - سعد الله، **الحركة**، ج 2، ص.240

[61] - Germain, AYACHE, **Les origines de la guerre du Rif**, Publications de la Sorbonne, SMER, Rabat, 1981, pp.209-211

[62] - ROGER-MATHIEU, **op. cit**. p.60

[63] - AYACHE, **op. cit**. p. 221

[64] - **IBID**. p. 231

[65] - J. LADREIT de LACHARRIERE, " Abd-el-Krim, instrument et profiteur du Bolchévisme ", In **Revue des Sciences Politiques**, 4° année, T.XLVIII, juillet-septembre 1925, Paris, p.445-446

[66] - AYACHE, **op. cit**. pp. 236-238

و إذا كان الأمير عبد المالك، بكسبه للوطنيين المراكشيين، قد هزّ التواجد الفرنسي في المغرب العربي انطلاقا من المغرب الأقصى، بتهديده المتكرر لتازة و فاس[67] و مناطق مختلفة أخرى من المغرب الأقصى، و بخاصة خلال سنة 1917، حيث شكل " تهديدا خطيرا" لفرنسا، لتلقيه كمية ضخمة من المال و السلاح و المعدات من ألمانيا[68]، فإنّه عند وقوع الهدنة بين القوات المركزية و الحلفاء سنة 1918، بدأ الأمير عبد المالك عهدا جديدا "كان أقسى تجربة عليه من العهد الأول، فقد تخلى عنه جميع الأتراك و الألمان " و الأتباع و الأنصار، و أجرى سلسلة من المفاوضات مع الفرنسيين و لما لم تؤد إلى نتيجة، لجأ إلى الاتصال بالسفارة العثمانية بمدريد التي لم يحصل منها على أيّة وعود لحالة الدولة العثمانية بعد الحرب[69].

و ازدادت أمور عبد المالك صعوبة ابتداء من سنة 1921، إذ من الملاحظ، أن ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي، قد انطلقت في هذا التاريخ ضد الأسبان، و حاول هذا الأخير استدراج فرنسا إلى جانبه، لتعترف له باستقلال الريف، إذ حاول الاتصال بالرئيس الفرنسي حين مجيئه إلى فاس سنة 1922، غير أن الرئيس الفرنسي أعرض عن ذلك[70]، و اتصل عبد الكريم بالماريشال ليوتي، عن طريق المراسلة مدعيا له أن " ضباط إسبانيا، إن لم نقل حكومة إسبانيا..." تساعد عبد المالك الجزائري لإثارة المشاغب لفرنسا على حدود وادي الورغة[71] - الحد الطبيعي الفاصل بين المنطقتين، شمال تازة و فاس - ، محاولا بذلك تأليب فرنسا على إسبانيا على حساب الأمير عبد المالك، و كان عبد المالك لا يزال على اتصال بعبد الكريم إلى نهاية سنة 1922. و وجه الأمير عبد الكريم وفدا إلى باريس سنة 1923[72]، بقيادة أخيه أمحمد و صهره ابن الحاج محمد بن الحتمي[73] يطلب من فرنسا مساعدته، غير

---

67 - Léon, ROLLIN, " Dans le secteur oriental – Mort d' Abd-el-Malek ", In l' **A.F.** n° 8, aout 1924, p.471

68 - حسب معلومات استقاها الماريشال ليوتي من أحد المراكشيين الريفيين، المدعو: مولاي بوعزّة، أن عبد المالك أعطى تعليمات لأتباعه لتحضير " محطات إنزال (Terrains d'atterrissages)" لاحتمال حصوله على طائرات من ألمانيا ! انظر، **Lyautey l'Africain, T.III, op. cit** pp.297-299

69 - انظر، سعد الله، **م.ت.م**. عدد1، **مرجع سابق**، ص ص 56-68

70 - محمد، العلمي، **زعيم الريف، محمد عبد الكريم الخطابي**، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،1968، ص. 24

71 - Jacques, HUBERT, **L'aventure riffaine et ses dessous politiques**, imprimerie J. Bière, Bordeaux, France, 1927, pp. 15-23

72 - قابل الوفد الريفي بباريس، النائب الشيوعي بيرطون(Berton) و الوزير الفرنسي بانليفي و السيد بيرتي دو لاروكا في مقر وزارة الشؤون الخارجية، انظر العلمي، **مرجع سابق**، ص. 41

73 - ROGER-MATHIEU, **op. cit**. pp. 113-117

أن هذه اشترطت عليه " لكي تقدم له المساعدة، أن يحارب الأمير عبد المالك و يخرجه " من الريف، و بناء على ذلك، بدأت المواجهة بين الأميرين، و لمّا لم يكن عبد المالك يملك قوة تمكنه من الوقوف في وجه عبد الكريم، لجأ إلى المنطقة الأسبانية و " طلب مساعدة إسبانيا " و جرى اتفاق بينه و بينها، تعهدت بمقتضاه بتقديم المساعدة المادية له[74]. و في شهر ماي 1923، كان عبد المالك في تطوان يجند الجنود، غير أن فرنسا احتجت لإسبانيا، على أساس أنّه كان قد أعلن الجهاد ضدها، و لذلك عزلته إسبانيا[75]، غير أنّه في السنة الموالية استطاع تجنيد عددا من الريفيين، خرج بهم في حملة باتجاه عزب المدار(Azib el-Midar) ضد الريفيين من أتباع عبد الكريم، فأصابته طلقات نارية قتل على إثرها في 6 أوت 1924[76]. وقد " ادعى الريفيون أن الأسبان هم الذين قتلوه، بينما ادعى هؤلاء، أن الريفيين، هم الذين فعلوا به ذلك"[77].

حارب عبد المالك فرنسا، اقتداء بوالده الأمير عبد القادر، و كانت له " أهداف دينية ووطنية من تحرير الجزائر و المغرب"[78]، لكنّه اختار أن يضرب فرنسا من أضعف مراكزها: المغرب الأقصى، لأنّه وجد جذور فرنسا في الجزائر قويّة، و من هنا يبدأ دوره كزعيم لإفريقيا الشمالية[79]، حيث حاول بالمغرب(مراكش) توحيد المقاومة و زعمائها في المنطقتين الفرنسية و الإسبانية، و حاول تفجير الوضع في كل المغرب العربي. لكن في الوقت الذي بدأت فيه حركة عبد المالك تضعف و تفتر بعد الحرب العالمية، لقلّة المساعدة وانسحاب الأعوان و الأتباع، انطلقت حركة أخرى بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي ضد الأسبان، و تختلف حركة الأمير عبد المالك عن حركة الأمير عبد الكريم، في كونها: وحدوية مغاربية، في إطار الحركة التحررية الإسلامية بمفهومها الواسع، منذ بدايتها، ساعدتها ظروف الحرب و القوات المركزية و تغاضي الأسبان عن نشاطها في الريف، أما حركة عبد الكريم، فكانت تحررية " محليّة " في انطلاقتها، أرادت تحييد فرنسا و اعترافها بها، غير أن فرنسا، رأت فيها تهديدا لكيانها الاستعماري بالمغرب العربي، فانقلبت عليها

---

[74] ـ سعد الله، **م. ت. م.** عدد1، ص. 56
[75] ـ سعد الله، **الحركة**، ج2، ص. 243
[76] ـ نقل جثمان الأمير عبد المالك إلى سبتة على ظهر باخرة حربية إسبانية، ثم نقل إلى تطوان حيث دفن بها، و بعث الجنرال الإسباني بريم ودي ريفيرا برقية تعزية إلى ابنه الحسن. انظر، l'**A. F.** n° 8, 1924, op. cit. p.471
[77] ـ سعد الله، **م. ت. م.** عدد1، ص. 56
[78] ـ **نفسه**، ص.57
[79] ـ سعد الله، **الحركة**، ج2، ص. 248

وتحالفت مع إسبانيا على إنهائها، و هنا اكتست حركة الأمير عبد الكريم طابع الثورة التحررية المغاربية، و إن اختلف زعيم الحركة الأخير مع الأول، " على الإستراتيجية وعلى الحلفاء"[80]، فإن الحركة الثانية، استفادت من الحركة الأولى، و زعيم الحركة الثانية سبق له و أن تعامل مع زعيم الحركة الأولى و ساعده منذ سنة 1916.

ب ـ الأمير عبد الكريم الخطابي

لاشك أن محمد بن عبد الكريم الخطابي، استفاد من حركة الأمير عبد المالك الجزائري، لكن في الوقت الذي بدأت تضعف فيه مقاومة عبد المالك، انطلقت الثورة الريفية بقيادة عبد الكريم سنة 1921 ضد إسبانيا، و تدهورت علاقات الأميرين لاختلافهما عن " الإستراتيجية و الحلفاء، و كانت النتيجة ضعف كليكما " و هزيمتهما الواحد تلو الآخر[81]، حيث قتل عبد المالك و استسلم عبد الكريم بعده.

كانت ثورة الأمير عبد المالك، حركة " مغاربية " في إطار تيار الجامعة الإسلامية، من حيث انطلاقها و جهودها في محاولة توحيد المقاومة في المغرب الأقصى، في حين اكتست ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي، هي الأخرى، بالطابع " المغاربي " بعد التدخل الفرنسي إلى جانب إسبانيا للقضاء عليها، و استفادت من " تجربة " المقاومة المغاربية بمختلف أشكالها و الوضع الدولي لما بعد الحرب العالمية الأولى، و قبل أن نتطرق إلى الثورة الريفية و بعدها المغاربي، نعطي لمحة مختصرة عن عبد الكريم الخطابي وعائلته[82].

قائد الثورة الريفية هو محمد بن عبد الكريم، و قد اشتهر بالاسم الثاني " عبد الكريم " و هو في الواقع اسم أبيه، الذي بدأ المقاومة ضد الأسبان، و توفي في 7 أوت 1920[83].

---

80 ـ سعد الله، **الحركة**، ج2، ص. 249

81 ـ **نفسه** ، ص. 361 و ص. 388

82 ـ للمزيد أكثر عن عائلة الأمير عبد الكريم الخطابي، انظر، مذكرتي: **الأمير عبد الكريم الخطابي و الثورة الريفية**، و هي مذكرة أنجزتها في نهاية السنة الأولى ماجستير (1983/1982) للانتقال إلى السنة الثانية ماجستير تحت إشراف الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، بمعهد التاريخ، جامعة الجزائر. و انظر كذلك، دراستي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص.107- 122

83 - AYACHE, **op. cit**. p.302-303

ويعود أصل عائلة عبد الكريم إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، لكن هذه الدعوة، لم يتم التعبير عنها بقوة و تأكيدها إلا من طرف محمد بن عبد الكريم[84].

حلّ جد عائلة عبد الكريم الخطابي الأول، الذي جاء من مدينة ينبع، على ساحل البحر الأحمر بالحجاز، عند قبيلة بني ورياغل، التي تحتلّ في الريف، المنطقة الممتدّة من الحسيمة إلى تارغيست، و ذلك خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، و عاشت عائلة عبد الكريم في أجدير، و أصبح لها تأثير في قبيلة بني ورياغل، و تجاوز هذا التأثير في بعض الأحيان، حدود بني ورياغل إلى قبائل ريفية أخرى خلال الحرب العالمية الأولى، و لا نعرف عن عبد الكريم (الأب) الشيء الكثير، فقد ولد حوالي سنة 1860، في ضيعة أجدير، ولا نعرف كيف درس و وصل إلى مرتبة " الفقيه "[85] في قبيلته، فالشهادة الأولى تقدمه لنا كقاض، ولي القضاء سنة 1894 من طرف السلطان مولاي الحسن، و لم يكن عمره بعد يتجاوز الأربعين[86].

و يبدو أن إسبانيا استعملت عبد الكريم من آل الخطابي ـ لوقت ـ لتقلل من نفوذ بعض العائلات، التي كان لها هي الأخرى تأثير في الريف، كعائلة حميدو الوزانية في منطقة "سنادة"، و عائلة الخمالشة التي قطنت منابع وادي الورغة[87] شمال مدينة فاس.

لم يكن عبد الكريم ـ على ما يبدو ـ مهتما بالسياسة إلى سنة 1907، لاهتمامه بأحواله الشخصية و عائلته الكبيرة[88]، غير أن أحوال بلاده(مراكش)، بعد مؤتمر الجزيرة ، جعلته يدرك قواعد اللعبة الأجنبية، ابتداء من فرض الحماية الفرنسية و الأسبانية على المغرب، حيث يرتبط من هذا التاريخ نشاطه السياسي بنشاط ولديه محمد و أمحمد.

أما محمد، فهو الذي اشتهر باسم أبيه عبد الكريم، و هو الذي قاد الثورة الريفية بمساعدة أخيه أمحمد و عمّه عبد السلام الذي كان من أنداده. ولد محمد في سنة 1882 في أجدير، و حفظ عن أبيه القرآن الكريم، و تعلم مبادىء الكتابة و أحكام العبادات، ثم أرسله

---

84 ـ انظر، محمد سلام، أمزيان، **عبد الكريم الخطابي و حرب الريف**،مطبعة المدني ، القاهرة، 1391/1971، ص. 9

85 ـ لم تكن رتبة " الفقيه" رسمية كالقاضي مثلا، بل كان الفقيه رجلا محترما يصالح بين الناس و يعلمهم أمورهم الدينية، و أطلقت كلمة الفقيه ـ آنئذ ـ في الريف على كل من نال قسطا من الدراسة ، و عادة كان يُشرف على كتاب أو مدرسة.

86 - AYACHE, **op. cit**. p.158-159

87 - **Ibid**. p. 156

88 - **Ibid**. p.160-161

والده للدراسة بتطوان، و عندما بلغ محمد سن العشرين، أرسله والده عبد الكريم مع عمّه عبد السلام إلى جامع القرويين بفاس للدراسة الثانوية، و لمّا عاد من فاس التحق بمليلية، و في سنة 1907، اختارته السلطات الإسبانية معلما للأطفال المراكشيين، بمدرسة صغيرة أقامتها هناك، و بقي معلما إلى سنة 1913، و هي السنة التي عين فيها قاضيا ـ منصب أبيه سابقا ـ بمكتب شؤون الأهالي، ثم قاضيا للقضاة، و هو المنصب الذي بقي فيه إلى سنة 1918، حيث هرب إلى أجدير بدعوة من أبيه عبد الكريم، كما اشتغل محمد إلى جانب التدريس و القضاء، بالصحافة في جريدة " رسالة الريف Telegrama del Rif" التي كان يديرها الأسباني كانديدو لوبيرا Candedo Lobera بمليلية، فحرر صفحتها العربية إلى سنة 1915[89].

أما الابن الأصغر أمحمد، فقد أرسله أبوه عبد الكريم إلى مليلية لمزاولة دراسته، ثم التحق بمدرسة المعلمين بموقادور (الصويرة حليا)، ثم عاد إلى مليلية و بها حصل على البكالوريا سنة 1917، فأرسل إلى مدريد على نفقة الحكومة الإسبانية، و التحق بكلية المناجم سنة 1919، و هي السنة التي رجع فيها إلى عائلته بأجدير كذلك، بدعوة من أبيه[90].

ظل الأسبان يحتفظون ببعض المراكز الساحلية المراكشية (El-présidos) إلى تاريخ معاهدة الحماية الفرنسية ـ الأسبانية على مراكش سنة 1912، و لم تستطع إسبانيا ـ بمقتضى معاهدة الحماية ـ فرض حمايتها على الريف و جبالة (الجبل)، فإلى سنة 1921، لم تكن إسبانيا قد بسطت نفوذها سوى على بعض القبائل المجاورة لمليلية في الجهة الشرقية للريف، أما في الجهة الغربية فقد أخضعت بعض القبائل المجاورة لتطوان[91].

كانت إسبانيا قد بدأت هذه السياسة خلال سنة 1919، مع مجيء ألندي سالازار إلى السلطة الإسبانية، الذي أنشأ " اللفيف الأجنبي " و حصر مهمته في المغرب الأقصى، ونظر إلى حرب الريف، التي كانت قد بدأت سنة 1909، على أنها مجرد " مسألة سياسية

[89] ـ انظر، عن حياة محمد بن عبد الكريم الخطابي (الأمير)، AYACHE, **op. cit**. ، و دراستي، **عبد الكريم الخطابي و الثورة الريفية، 1921-1926**، (مذكرة نهاية السنة الأولى ماجستير) معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1982/1983.

[90]- AYACHE, **op. cit**. p.194

[91]- Attilo, GAUDIO, **Rif, terre marocaine d'épopée et de légende**, Ed. R. Julliard, Paris, 1962, p.99

استعمارية خارجية بسيطة"[92]، و عين في مراكش على رأس الإقامة العامة بتطوان الجنرال بيرنجر، الذي قام بعمليات واسعة النطاق في المنطقة الغربية من الريف، و وطد نفوذه بها ، و انتقل إلى قاعدة النكور بالقرب من الحسيمة في 19 فيفري 1919، محاولة منه في اكتساح المنطقة الوسطى للريف. في هذه الأثناء لاحظ الأسبان مقاطعة عبد الكريم و ابنيه محمد و أمحمد لهم، و هم أصحاب التأثير في المنطقة الوسطى للريف، فطالب الأسبان بمعاقبتهم[93].

كان عبد الكريم من وراء مقاطعته للأسبان، يدرك سياستهم التوسعية، و كان يريد أن يبقى على " الحياد" أي يريد " استقلالية الريف"[94]، غير أن الهوة بدأت تتعمق بينه و بين الأسبان مع بداية السياسة الأسبانية الجديدة تجاه الريفيين المبنية على الظلم و الوشاية، فقد قام الجنرال سيلفستر، أحد قواد الجيش الأسباني بجولات مراقبة لكل المراكز الإسبانية مدعما سلطاتها العسكرية، و زاد من إغاضة القبائل و استفزازها بتصرفاته التعسفية، تلك التصرفات التي جعلت القبائل تلجأ إلى عبد الكريم طالبة منه محاربة إسبانيا، و بدأت القبائل تلتمس بعضها بعضا محاولة وضع خطة مشتركة للدفاع عن نفسها، شعورا منها بالخطر الزاحف، و بدأ عبد الكريم مع منتصف شهر جوان 1920، يغشى الأسواق في الريف، لإسماع نداءاته التي طالب من خلالها بضرورة الدفاع عن الريف، و بخاصة بعد أن أقدم الجنرال سيلفستر على احتلال الجهة الشرقية من الريف، و بدأ يكتسح الريف الأوسط، ووصل بقواته في 15 ماي إلى منطقة دار دريوش(Dar Drius)[95]، و قبل نهاية شهر جوان، كان عبد الكريم على رأس قوات بلغت 400 مقاتل، كان ابناه محمد و أمحمد قد أعداها للكفاح، توجه بها إلى تفرسيت[96].

لم يكن عبد الكريم إلى هذه الأثناء ـ على ما يبدو ـ يريد الحرب، بل ربما كان يريد فقط، الجواب على استفساراته التي وجهها إلى السلطات الأسبانية، يريد من خلالها احترام حقوق الريفيين، فقد بقي عبد الكريم معسكرا اثنتين و عشرين يوما في تفرسيت، مرض

---

92 - L. URRITIA et H. LAROSE, **Introduction à l'Espagne contemporaine**, Ed. Masson & Cie éditeurs, Paris, 1962, p. 99

93 - AYACHE, **op. cit**. p.279

94 -ROGER-MATHIEU, **op. cit**. pp. 69-71

95- AYACHE, **op. cit**. p. 300-301

96 -Pierre, FONTAINE, **Abd-el-Krim, origine de la rébellion Nord-Africaine**, Ed. Les sept couleurs, Paris, 1958, p. 20-21

بعدها، فعاد به ولداه محمد و أمحمد إلى أجدير في 19 جويلية، حيث توفي يوم 7 أوت، أما قواته فبقيت متمركزة بتفرسيت، و لم تستطع الدفاع عنها، فدخلها الأسبان يوم 5 أوت[97].

تكهنت إسبانيا اثر وفاة عبد الكريم (الأب) أن القضية أصبحت في صالحها، غير أنها في الواقع تطورت لغير صالحها، إذ حلّ محمد بن عبد الكريم محلّ أبيه[98] ـ و حمل اسمه ـ في قيادة الريفيين، و بدأ يقلق القوات الأسبانية المتقدمة بغاراته و هجماته، مطالبا إسبانيا بالتعقل و الانسحاب من الأراضي الريفية ، غير أن الجنرال سيلفستر تعنت، و طلب من عبد الكريم (محمد) تسليم نفسه و قواته، في حين كانت سلطات مدريد تريد بأوامرها إخضاع الريف " إخضاعا تاماً و مذهلا بانتصار ساحق"[99].

واصل الجنرال سيلفستر عملياته العسكرية مع نهاية سنة 1920، فاحتلّ عدّة مناطق في الريف الأوسط، و مع مطلع سنة 1921، احتلّ منطقة أنوال و عسكر بها[100]، و كان الجنرال بيرنجر المقيم العام في هذه الأثناء، قد انتهى من احتلال معظم بلاد الريف الغربي، و جاء في زيارة تفتيش و عمل إلى جزيرة النّكور ـ بالقرب من الحسيمة ـ مع بداية أبريل، وأعطى أوامره لقصف المناطق الريفية، حيث قامت المدفعية الأسبانية بين 10 و 13 أبريل بقصف منازل الريفيين من قاعدة النّكور، التي كانت مدعمة بالطيران و سلاح البحرية[101].

أثناء القصف المدفعي للريف، بايع الريفيون عبد الكريم رئيسا (قائدا) لهم[102]، وحدثت عدّة مناوشات و معارك أهمها معركة " ظهر أوبران " في الفاتح من شهر جوان 1921، غنم خلالها عبد الكريم عتادا عسكريا استعمله في إنشاء " نواة عسكرية ريفية عصرية "، و كانت هذه المعركة بمثابة البداية الفعلية للثورة الريفية. حاول الجنرال سيلفستر أن يرد الاعتبار لقواته بهجمات ضد الريفيين، غير أنّه تكبد خسائر فادحة بداية من منتصف شهر جويلية فانسحب إلى منطقة أنوال و عسكر بها بقواته، فهاجمه عبد الكريم بقواته ـ لم تتعد خمسة آلاف رجل ـ و بعد خمسة أيام من القتال حاول سيلفستر الانسحاب بقواته ـ حوالي

---

97 - AYACHE, **op. cit**. p.302-303

98 ـ منذ هذا التاريخ (أوت 1920) أصبح الابن محمد يحمل اسم أبيه: عبد الكريم. أنظر، العلمي، **مرجع سابق**، ص.20

99 - FONTAINE, **Abd-el-Krim, op. cit**. p.25

100 - AYACHE, **op. cit**. p.309-310

101 - **Ibid**. p.319-320

102 - **Ibid**. p.321-322

20 ألف مقاتل - إلى مليلية، غير أنّه وجد نفسه محاصرا، و هاجمه الريفيون هجوما حماسيا، فسقطت أنوال يوم 21 جويلية بيد قوات عبد الكريم[103].

كانت " كارثة أنوال Le désastre d'Anoual" - كما يسميها الكتاب - بمثابة " هوة من الوحل و الدماء، فرقت بين الريفيين و الأسبان إلى الأبد..."، إذ ابتداء من هذه "الكارثة"، كبد الريفيون الأسبان في جلّ المعارك خسائر جسيمة في الأرواح و المعدات إلى سنة 1925، أوردتها عدّة أدبيات[104].

لكن ليس من هدفنا هنا تتبع الأحداث العسكرية الريفية مع الأسبان، بقدر تتبعنا ما آلت إليه الثورة الريفية من طموحات مغاربية، أمام الانتصارات التي أحرزها الريفيون، فقد أعلنوا " دولة جمهورية الريف" في 15 محرم 1340 الموافق لـ19 سبتمبر 1921[105] وطدوا أركانها على دعائم استوجبتها الحرب بهياكل تشريعية و تنفيذية و قضائية وإدارية[106]، و بايعوا عبد الكريم " أميرا " عليهم في 14 جمادي الأولى 1341 الموافق للفاتح فيفري 1922[107]، و الذي اتخذ لنفسه نسبة " الخطابي "، و كانت " دولة جمهورية الريف " في الواقع تهدد الوجود الاستعماري الفرنسي بالمغرب العربي كله.

من المغرب " الفرنسي" تابع الماريشال ليوتي الأحداث " المأسوية " الأسبانية باهتمام متزايد، و كان ينظر إلى الثورة الريفية، و تطورات أحداثها بحذر شديد، و بخاصة بعد أن تغير الوضع لصالح الثورة الريفية مع الأسبان مع نهاية سنة 1923 و مطلع سنة 1924، فقد نظر ليوتي إلى انتصارات الأمير عبد الكريم، على أنها " اهتمام أولي " من اهتماماته، و لذلك بدأ يثير المتاعب للأمير بتحريض القبائل للحدود ضد الثورة الريفية[108].

---

103 - انظر، بلقاسم، **الاتجاه، مرجع سابق**، ص ص. 115-117

104 - من الكتب التي تتبعت أحداث الثورة الريفية مع الأسبان و الفرنسيين: العلمي، **مرجع سابق**، و أمزيان، **مرجع سابق**، و FONTAINE, **Abd-el-Krim, op. cit**. et du meme auteur, **L'étrange aventure riffaine, Pétrole – Intelligence – Service,** Ed.J.Renard, Paris 1943 et Leon, GABRIELLI, **Abd-el-Krim et les évenements du Riff 1924-1926**, Ed. Atlantides, Casablanca 1953 و من الدراسات AYACHE, **op. cit**.

105 - انظر، الفاسي، **الحركات، مصدر سابق**، ص. 140 و FONTAINE, **Abd-el-Krim, op. cit**. p.37

106 - عن مؤسسات الثورة الريفية ، انظر، GABRIELLI, **op. cit**. pp. 42-46

107 - FONTAINE, **L'Etrange, op. cit**. p. 66-67

108 - العلمي، **مرجع سابق**، ص.42

و قرع ليوتي ناقوس خطر الثورة الريفية في 27 فيفري 1924، في تقرير له إلى رئيس المجلس و وزير الشؤون الخارجية السيد بوانكاري، جاء فيه:" إن عبد الكريم يمكنه أن يصير في أحد الأيام عظيما، و أنّه يرفع لواء الاستقلال الإسلامي، الذي بدأ يرتفع على جبهتنا الشمالية..."، و في 24 مارس طلب ليوتي من حكومته السماح له بتخطي وادي الورغة، الحد الطبيعي الفاصل بين المغرب " الفرنسي" و المغرب " الأسباني"[109]، فأعطت الحكومة الفرنسية الأوامر لليوتي في 10 ماي بتخطي وادي الورغة، الخط الذي اعتبره ليوتي في تقاريره المتوالية إلى حكومته " ضروريا لأنه خط مهم في حرية الاتصالات مع إفريقية الشمالية، يضمن التموين و الأمن لجهاز الاحتلال "[110]، و هناك "... دولة إسلامية قوامها قومية شمال إفريقية ـ بما في ذلك مصر ـ بدأت تنتظم نفسها[111]، وكانت الذريعة في ذلك، هي قضية " تعصب إسلامي سيؤدي إلى الجلاء الفرنسي عن المغرب والجزائر و كل إفريقية الشمالية "[112].

و هكذا، أضحى لفرنسا من المؤكد بعد موت الأمير عبد المالك، أن تقاتل الأمير عبد الكريم للقضاء عليه منفردا بحركته، بعد أن أيدته لحين من الوقت، و أوقعت بينه و بين الأمير عبد المالك الجزائري!

و لما هاجمت فرنسا " جمهورية الريف"، ردّ عليها الأمير عبد الكريم بهجومات شاملة، أسقط بها مراكزها الواحد تلو الآخر، و كبدها خسائر فادحة، وهدد مدينتي فاس وتازه، فخافت فرنسا من امتداد الثورة إلى كل أقطار المغرب العربي، حيث اكتسبت الثورة الريفية العطف و التأييد، فسعت إلى التفاوض مع إسبانيا فيما بين فاتح ماي و جويلية 1925، انتهت المفاوضات بإبرام عدّة معاهدات تعاون في الميدان العسكري و السياسي للقضاء على الثورة الريفية[113].

---

109 ـ انظر، بول، إينزوار، "حرب الريف و البرلمان الفرنسي "، في **الخطابي و جمهورية الريف**، (ندوة بباريس ، 18-20 جانفي 1973)، ترجمة بإشراف صالح بشير، دار ابن رشد للطباعة و النشر، بيروت، لبنان 1980، ص. 136-137

110 ـ على حد تعبير وزير الحربية الفرنسي السابق، ماجينوMaginot، انظر، " Les débats parlementaires sur le Maroc – Débats du 28/05/1925", in l' **A. F.**, n°6, juin 1925, p. 193

111 ـ انظر، لاندو، **مرجع سابق**، ص. 150

112 ـ على حد تعبير بانليفي، رئيس المجلس الفرنسي، انظر، **A. F**. n°6, **op. cit**. p.200-201

113 ـ عن المفاوضات للقضاء على الثورة الريفية، انظر، أمزيان، **مرجع سابق**، ص.214، و كذلك، GABRIELLI, **op. cit**. p.226-227

و بتحالف فرنسا و أسبانيا، أصبح من الواضح ـ بسبب التفوق العسكري للدولتين ـ أن انهيار الثورة الريفية، قد أضحي أمرا مقضيا، حيث استسلم الأمير عبد الكريم إلى القوات الفرنسية في 27 ماي 1926، و تم نفيه إلى جزيرة لارينيون La Réunion بالمحيط الهندي في 27 أوت من نفس السنة، و قد بقي بالمنفى مع أفراد عائلته إلى سنة 1947، حيث حلّ بمصركما عرفنا، و عاود نشاطه السياسي الوحدوي المغاربي.

و غاية ما يمكن الإشارة إليه حول ثورة الأمير عبد الكريم، التي استفادت من الوضع في المغرب، و من حركة الأمير عبد المالك، هو: أن الأمير عبد الكريم قد أبعد ـ بخلاف الأمير عبد المالك ـ فكرة " الجهاد " في حركته، حتى لا تؤلب ضده أسبانيا " أوربا المسيحية"[114]، كما أن سير أحداث الثورة الريفية و انتصاراتها على الأسبان، هي التي وسعت طموحات الأمير عبد الكريم في إعلانه " لجمهورية ريفية" ثورية، أصبحت تهدد بصيتها الكيان الاستعماري الفرنسي بالمغرب العربي ككل، و اكتسبت الثورة الريفية " بعدا مغاربيا" عندما تحالفت فرنسا مع أسبانيا ضدها، فوجه الأمير عبد الكريم النداءات إلى المغاربة داعيا إياهم إلى الثورة ضد الاستعمار، و من ذلك " النداء" الذي وجهه بتاريخ 26 محرم 1344 الموافق لـ15 أوت 1925 إلى " الأمة الجزائرية و التونسية " للوقوف معه لطرد الاستعمارين الفرنسي و الإسباني من المغرب العربي، مشيدا من خلاله بالجنود الجزائريين و التونسيين الفارين من الجيش الفرنسي، و المقاتلين إلى جانبه، داعيا إلى الإتحاد لتكوين " عصبة واحدة " لدحض الأعداء، ليتهيأ للمغاربة " تشكيل جمهورية ضخمة تكون أركانها جميع بلاد شمال إفريقية "[115]، فاستجابوا له بإمكاناتهم و لو بأضعف الإيمان.

وقد تنبهت السلطات الفرنسية إلى وجود عاطفة مغاربية مع الثورة الريفية، قد تؤدي إلى خطر كبير عليها بالمنطقة[116]، فقامت باعتراض كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إثارة المنطقة بالتنسيق مع ثورة الأمير عبد الكريم، فشددت رقابتها على الرجال الوطنيين، لتجريد الحركات الوطنية من قياداتها و رموزها المناضلة النشطة، كما قامت بطرد بعضهم و نفيهم

---

114 ـ صرح الأمير عبد الكريم لضابط المخابرات الفرنسية غابرييلي ـ و كانت له عدّة لقاءات مع عبد الكريم قبل دخول فرنسا الحرب إلى جانب أسبانيا ـ في لقاء لهما:" ... أن الحروب الصليبية، قد مضى وقتها، و نحن نريد أن نعيش مع الجميع في سلام..." مستبعدا فكرة " الجهاد "، انظر، GABRIELLI, **op. cit**. pp. 85-89

115 ـ انظر مثلا نص " نداء من الأمير عبد الكريم في أصله العربي، و قد وجد في مدينة بجاية بالجزائر، في شهر ديسمبر 1925. انظر، محمد قنانش و محفوظ قداش، **نجم الشمال الإفريقي، 1926-1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984، ص ص.26-33

116 ـ ليس لدينا تاريخ معين لبداية التعاطف في المغرب العربي مع ثورة الريف، لكن يبدو، أنه بدأ مع انتصار الريفيين في أنوال 1921 على القوات الأسبانية.

بمبررات مختلفة، فنفت الشيخ إبراهيم أطفيش إلى مصر في شهر فيفري 1923، و هو جزائري كان منخرطا بالحزب الحر الدستوري التونسي، لشدّة حنقه على الاستعمار الفرنسي[117]، ثم ضايقت الشيخ عبد العزيز الثعالبي، زعيم الحزب الدستوري، الذي غادر تونس في 26 جويلية من نفس السنة نحو المشرق العربي[118] و تبعه نفي الأمير خالد من الجزائر، بعد أن ضايقته السلطات الفرنسية و المعمرون، فغادر سنة 1923 الجزائر إلى مرسيلية ثم مصر[119]، وكذلك نفي أحمد توفيق المدني[120] و عبد الرحمان اليعلاوي من تونس إلى الجزائر[121] سنة 1925، و هي السنة التي نفت فيها الأمير خالد من فرنسا إلى المشرق العربي بتهمة " التواطؤ مع الأمير عبد الكريم و الشيوعيين"[122]، و كذلك قيادة جامعة عموم العملة التونسيين(.C.G.T.T) و على رأسهم محمد علي الحامي في شهر نوفمبر، و حاول على الحامي الالتحاق بالثورة الريفية بعد نفيه عن طريق مدينة طنجة[123]

و مع أننا لا نملك الآن، أدلة تدين هؤلاء المنفيين، على أنهم كانوا على اتصال بالأمير عبد الكريم الخطابي، و الذين - يبدو - أنهم كانوا متعاطفين معه خلال تاريخ نفيهم، إلا أن إبعادهم عن منطقة المغرب العربي خلال سنة 1923، لا يزال يثير لنا كثيرا من التساؤل والشكوك! فقد كان الأمير عبد المالك الجزائري لا يزال في ثورته ضد فرنسا، و كان الأمير عبد الكريم قد أحرز عدّة انتصارات على الأسبان و أعلن " جمهوريته"! و لذلك سعت فرنسا وبخاصة بعد تحالفها مع إسبانيا، إلى إفراغ الحركات الوطنية المغاربية من "قياداتها وزعاماتها و رجالها المؤثرين" و إخراس جميع الأفواه و الجرائد المغاربية، التي كانت تثير همم المغاربة و تنشر أخبار الحرب في الريف، بعد رؤيتها لتعاطف منطقة المغرب العربي

---

117 - انظر، الجابري، **مرجع سابق**، ص. 272-273 و ص. 277

118 - لا تزال قضية مغادرة الشيخ الثعالبي لتونس إلى المشرق العربي، تثير بعض التساؤلات!؟ لكنه، يبدو أنه تعرض لمضايقة لوسيان سان المقيم العام الفرنسي، إذ تذكر جريدة فرنسية استعمارية، أنّه غادر تونس " بمحض إرادته... بعد أن تخلى عنه أصدقاؤه...!" انظر، **La Tunisie Française**, du 27 juillet 1923

119 - Mahfoud, KADDACHE, **Histoire du nationalisme algérien – Question nationale et politique algérienne, 1919-1951**, T.I, SNED, Alger 1980, pp. 115-117

120 - " III, Le Destour, la presse arabe en Tunisie, le mouvement corporatif indigène, les évènements du Rif ", in l' **A. F., Chronique de Tunisie**, (aout 1922-1928), pp. 303-308

121 - الجابري، **مرجع سابق**، ص. 276

122 - أوردت **نشرية لجنة إفريقية الفرنسية**، نقلا عن جريدة الطان(Le temps)، أن الأمير خالد بن الهاشمي، قد تمّ إيقافه في الإسكندرية بمصر، و هو يحمل جواز سفر مزور، كان سيعود به إلى باريس، و تحدثت الجريدة عن تعاطف الأمير خالد مع الأمير عبد الكريم الخطابي، و أوردت أنه قد حول إلى محكمة حكمت عليه بخمسة أشهر سجنا، و تضيف الجريدة مشيدة بعمل حكومتها هذا، قائلة ، أنه لا يجب أن تترك " إفريقية الشمالية فريسة لكل المشاغبين، في وقت يواصل جيشنا فيه الحملة على عبد الكريم..."، انظر، **L'A. F**. n° 9, septembre 1925, p.469

123 - انظر بخصوص نشاطاته السياسية، المعلومات التي نشرها بناء على أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، جعفر، ماجد، **فصول في الأدب والثقافة**، الدار العربية للكتاب، تونس - طرابلس، 1984، ص ص.193-202

كلها مع الثورة الريفية و التحاق بعض الشخصيات المغاربية بالثورة الريفية، إضافة إلى فرار الكثير من الجنود المغاربة من صفوف جيشها والتحاقهم بالثورة[124].

و مهما يكن من أمر، فإن الفترة التي تغيب فيها " بطل الريف "(1926-1947) عن الساحة السياسية المغاربية، قد جعلت منه " رمزا بطوليا " للكفاح الثوري المغاربي إلى جانب الأمير عبد القادر، فقد اعتبرت حركة " نجم شمال إفريقيا " نفسها " وريثة حقيقية " لكل من الأمير عبد القادر وحفيده خالد و الأمير عبد الكريم و الشيخ عبد العزيز الثعالبي[125]،ومن صلب هؤلاء وغيرهم تواصل العمل السياسي الثوري في المغرب العربي.

3ـ من لجنة العمل الثورية... إلى الثورة الجزائرية

أـ لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية

هبت رياح قوية و عنيفة على الحركات الوطنية في المغرب العربي بين سنوات 1937- 1945، أدت إلى تشتيت مسير تيار الفكر الوحدوي في المنطقة. و يعود ذلك لعدّة عوامل منها: العوارض المبشرة بالحرب العالمية الثانية و ما صاحبها من تكتلات دولية ودعاية و أطماع استعمارية و منها تعسفات السلطات الاستعمارية الفرنسية تجاه الحركات الوطنية و رجالها، فاندلاع الحرب وما صاحبها...و مع ذلك تواصل تيار الوحدة المغاربي، ومنه تيار الوحدة السياسي الثوري من طرف مناضلين كانوا يدركون جيدا أهداف دول المحور النازية و الفاشية، و شر الحلفاء الاستعماريين، و كانوا يدركون أن الحرب العالمية لا تعنيهم و ليس لهم ما يجنونه من ورائها، و لهذا أسس مناضلو حزب الشعب الجزائري هيئات ثورية سرية مستفيدين من المستجدات العالمية.

---

124 ـ عن صدى الثورة الريفية في المغرب العربي، انظر، دراستي، **الاتجاه، مرجع سابق**، ص ص. 122-138

125 - MESSALI, **op. cit**. p.153 et KADDACHE, **L'Emir Khaled, op. cit**., p.71

إذ كشفت المخابرات الفرنسية سنة 1940، أن أعضاء من حزب الشعب الجزائري أسسوا " مكتبا مركزيا للعمل الشمال الإفريقي " كان " سريا جيدا " مركزه الجزائر العاصمة، و له فروع في تونس و المغرب الأقصى. و أن هذا " المكتب " أعطى تعليمات صارمة إلى أعضائه في 9 فيفري 1940 منها: عدم مراسلة أي مناضل كان في حزب الشعب منخرط في الجيش الفرنسي، و عدم الاتصال بأي مناضل منخرط بحزب الشعب، باستثناء " أعضاء الحزب الجديد "(أي المكتب)، و عدم ترك أي أثر عند الاتصال " بالحزب" في تونس أو المغرب الأقصى، و عدم إتباع أي تعليمات من أي طرف كان، إلا تلك الصادرة عن " المكتب المركزي"، و قالت التعليمات كذلك " يجب الحذر من أولئك الذين يدعون أنّهم منّا، و هم في واقع الأمر يعملون لصالح الحكومة "[126].

كان من فروع المكتب المركزي في الجزائر: عنابة و قسنطينة و تبسة و سطيف وتلمسان، و تعامل المكتب ـ حسب نفس المصادر ـ مع الأحزاب في تونس و المغرب الأقصى و سائر فروعه بواسطة " شفرة "(Code) خاصة، و ذكرت نفس الهيئة (المخابرات) أنها تمكنت من معرفة أحد العاملين في منظمة المكتب المركزي، هو محمد بعداش، نائب رئيس قديم لحزب الشعب بعنابة، و كان يرمز إلى اسمه في " الشفرة" بـ"بدش الخضراء" (Badch de Khadra)[127].

لنا أن نتساءل هنا، هل كان المكتب المركزي هو القيادة الجديدة لحزب الشعب الجزائري؟! أم فرعا من فروع " لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية (CARNA)؟! أم جماعة مستقلة عن هذه أو تلك؟! إذ رغم ندرة مصادرنا عن المكتب المركزي، إلا أن هناك

---

126 ـ أورد المكتب الثاني الفرنسي تقريرا عن " المكتب المركزي للعمل الشمال إفريقي " و " الشفرة Code" المستعملة من قبله في نشرية المعلومات العامة **Bulletin d'informations générales** رقم 24 بتاريخ 1940/05/24، و كانت التعليمات التي وجهها المكتب المركزي إلى مناضليه بعبارات و حروف شفريّة، أوردتها نفس النشرية كما هي و قامت بترجمتها. انظر، Ahmed, KHALED, **Documents secrets du 2° Bureau, Tunisie-Maghreb, dans la conjoncture de pré-Guerre, 1937-1940**, Etude documents, Index, Société tunisienne de diffusion, Tunis 1983. انظر **النشرية** رقم: 24/1940,pp.699-702، و من الرموز المستعملة في الشفرة مثلا:(NZ= تونس) (FF= المغرب الأقصى)، (PG= مناضلو باريس و جريدة الأمّة)، (MR= المكتب المركزي للعمل الشمال إفريقي، الجزائر)، (Société, Etablissement= حزب، خلية)،(Commerce= نضال، نشاط)...الخ، انظر ملحق رقم: 3، بدراستي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص. 430-432

نشر الكاتب خالد نشريات المكتب الثاني الشهرية السرية جدا فيما بين 1937/1940، و كان للمكتب الثاني شبكة لتبادل المعلومات فيما بين تونس والجزائر و المغرب الأقصى و الكونغو و العاصمة باريسَ، و كان المكتب الثاني يصدر نشرياته بعنوان: نشرية المعلومات Bulletin de renseignements فيما بين 1937/1939، و مع اندلاع الحرب الكبرى أصبحت بعنوان: نشرية الإعلام العام Bulletin d'Informations Générales و قدم لها الكاتب و علّق عليها.

127 - **Ibid**.

بعض الإشارات سنشير إليها لاحقا، تجعلنا نربط هذا المكتب بلجنة العمل الثورية، رغم بعض التحفظ إلى أن يظهر ما يؤكد أو ينفي ذلك...

فقد اختار بعض مناضلي حزب الشعب، بعد أن خاب أملهم في السياسة الاستعمارية و الجبهة الشعبية و العمل السياسي الذي لا يمكن أن يحرر البلاد، فاتجهوا إلى العمل الثوري، و أسسوا مع بداية سنة 1939 جمعية أسموها " لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية CARNA"، كان هدفها الأول هو الحصول على السلاح اللازم عن أي طريق كان لتفجير ثورة تحررية[128] في المغرب العربي[129]. أما العناصر المعروفة المؤسسة و المسيرة لهذه اللجنة فهم : الرشيد أوعمارة و عبد الرحمان ياسين و محمد هني و الحاج شرشالي و محمد طالب و بوقادوم و عبدون و الشريف ساحلي و الماحي و مصطفى باشا[130].

اتصل أعضاء اللجنة بألمانيا، إذ توجهت مجموعة منهم في شهر جوان 1939 إلى ألمانيا و هم : عبد الرحمان ياسين و الرشيد أوعمارة و محمد طالب و عمر حمزة و أحمد فليته و لخضر مقيدش، فاستقبلتهم سلطاتها فيما بين 20 و 15 جويلية ، حيث أخذوا فكرة عن تقنيات التخريب و حرب العصابات[131] فيما وراء نهر الراين[132]، و وعدتهم ألمانيا بالمساعدات حالة اندلاع الحرب، و تمكنوا من دخول الجزائر عشية اندلاعها[133]. و يبدو أن الذي سهل لهم مهمة الاتصال بالألمان، إلى جانب عبد الرحمان ياسين، هو السيد راجف بلقاسم، الذي انطلق من بلجيكا مع مناضل يدعى ربوح و دخل مدينة برلين، و كلف الرشيد أوعمارة ليخبر مصالي الحاج سجين الحراش (الجزائر) بالمهمة[134].

كلّف أوعمارة بدوره السيد معروف ليطلع مصالي الحاج عن تأسيس لجنة العمل الثورية، و بذهاب جماعة من أعضائها إلى ألمانيا. لكن مصالي أدان هذه المحاولة و طلب من جماعة اللجنة الاستقالة من حزب الشعب الجزائري، و أبعدهم بعد ذلك من الحزب،

---

128 - Mahfoud, KADDACHE, **Histoire du nationalisme algérien, question nationale et politique algérienne 1919-1951, T.II**, SNED, Alger 1980, p. 597

129 ـ انظر، عبد الرحمان، رزاقي،" الحركة الوطنية و فكرة العمل المسلح "، مجلة **الباحث**، عدد 2، نوفمبر 1984، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، ص. 24-25

130 ـ انظر، دراستي، **الاتجاه، مرجع سابق**، ص. 292

131 ـ رزاقي، عدد1984/2، **مرجع سابق**، ص.24-25

132 - AGERON, **Hist. De l'Algérie, T.II, op. cit**. p.359

133 - KADDACHE, **Hist. Du nationalisme, T.II, op. cit**. p.597

134 ـ محمد، عباس،" شهادات: بلقاسم راجف، داعية الاتحاد، الحلقة 2 " جريدة **الشعب**، الخميس 20 جمادي الأولى 1406/01/30/1986

واعتمد مصالي في قيادة حزبه على الجماعة المحبوسة معه في سجن الدار البيضاء (الجزائر)[135].

و إبعاد جماعة لجنة العمل الثورية من حزب الشعب، هو الذي دفعنا إلى القول بأن "المكتب المركزي للعمل الشمال إفريقي" هو فرع من فروع لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية، إن لم نقل هي نفسها، و حملت التسميتين معا، ذلك لأن جماعة المركزي، كان من ضمن تعليماتهم إلى أعضائهم: عدم الاتصال بأي مناضل قديم في حزب الشعب أو تلقي تعليمات من أي طرف كان...الخ، و يبدو أن التعليمات المشار إليها أعطيت إلى مناضلي المكتب المركزي بعد فصل جماعة اللجنة من حزب الشعب... ثمّ أن كلا الهيئتين تحمل اسما مغاربيا متقاربا و هدفها واحد هو الكفاح المسلح على مستوى منطقة المغرب العربي.

اعتمدت لجنة العمل الثورية في هيكلتها على التنظيم الهرمي من زمر و خلايا وقطاعات، و كان على رأسها مجموعة من الشباب لا يتجاوزون سن العشرين، منهم السعيد عمراني و عبد الرحمان طالب و عبد الرحمان سماعي و محمد دهيم، و منهم سيد علي عبد الحميد و محمد عبدون و محمد شرقي، و من الذين انضموا إليها محمد بلوزداد و مراد ديدوش. و كان للجنة ـ على ما يبدو ـ فرع بباريس كان يتزعمه راجف بلقاسم و عبد الرحمان ياسين[136].

استفادت لجنة العمل الثورية من الكشافة الإسلامية الجزائرية ـ التي أسسها محمد بوراس[137] سنة 1935، بفضل مساعدات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [138]، وحاول خلال سنة 1936 الوصول إلى إنشاء " اتحادية شمال إفريقية للكشافة الإسلامية"[139] ـ مستغلة روادها و كشّافيها و رؤساء فروعها و جمعياتها " كالفلاح" و " القطب"، و من أعمال اللجنة مظاهرة 30 سبتمبر 1943. و عندما كانت السلطات الفرنسية تلاحق

---

135 - KADDACHE, **Hist. Du nationalisme, T.II, op. cit**. p.597-598

136 ـ انظر، دراستي، **الاتجاه، مرجع سابق**، ص. 294

137 ـ محمد بوراس، من مواليد 26 أفريل 1908، خالط أوساط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر العاصمة، ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض في 1941/05/28، و أعدم في نفس السنة بتهمة التعامل مع الألمان. انظر، Mohamed, DEROUICHE, **Le Scoutisme, école du patriotisme**, Ed. ENAL-OPU, Alger 1985, pp. 42-45

138 - **Ibid**. p. 24-25

139 - **Ibid**. p. 29

أعضاءها، انتموا تمويها لأعمالهم و نشاطاتهم الثورية إلى الجمعيات الرياضية والكشفية[140]، و من أعمالها كذلك جمع و شراء الأسلحة[141] و الدعوة إلى عدم الانخراط في الجيش الفرنسي و إلى مقاطعة حملة فرنسا في جمع المال لصالح الجيش الفرنسي تحت شعار " مليار الحرية"[142]، و تنظيم خلايا اللجنة، و كان عناصرها يجتمعون بمدرسة " الرّشاد " بالجزائر العاصمة[143].

وقفت في وجه لجنة العمل الثورية عدّة عراقيل منها: أن دول المحور لم تف بوعودها في تقديم المساعدات إلى عناصرها، و أن هؤلاء خاب أملهم في الألمان[144] والإيطاليين[145]، و منها رفض مصالي الحاج التعاون مع ألمانيا و فصل عناصر اللجنة من الحزب، ثم هناك عدم وجود جهاز سري منظم لتعبئة الجماهير الشعبية و نقص الأسلحة، وهناك أيضا النزول الأنجلو- أمريكي بالجزائر في 8 نوفمبر 1942، كما أن أغلب المناضلين البارزين في حزب الشعب كانوا بسجون الإدارة الفرنسية[146]، هذا فضلا عن صعوبة الاتصال بتونس و المغرب الأقصى، إذ رغم حمل اللجنة لعنوان ثوري مغاربي، فإنها اقتصرت على العناصر الجزائرية - باستثناء عبد الرحمان ياسين التونسي - و العمل في الجزائر و فرنسا فقط.

و مهما يكن من أمر، فإن اللجنة كان هدفها تنظيم مقاومة مسلحة في المغرب العربي مستغلة الظرف العالمي، و لاشك أن حزب الشعب الجزائري قد استفاد من تجاربها، بعد خروج زعمائه من السجون، إذ وجد هؤلاء أن اللجنة قد كونت مجموعات من الشباب وخلايا للمناضلين على مبادئ حزب الشعب، كانوا بمثابة القاعدة للحزب في المستقبل،

---

140 - DERIOUCHE, **op. cit**. p. 96-97

141 - حسب حربي، أوقفت السلطات الفرنسية عضوين في 1944/12/2، حاولا شراء الأسلحة من الجيش المرابط بمدينة جيجل، كانا ينتميان إلى شبكة شبه - عسكرية، كانت تحت قيادة محمد طالب، و المعروف أن طالب كان عضوا بلجنة العمل الثورية الشمال إفريقية. انظر، Mohammed HARBI, **Aux origines du F.L.N., le populisme révolutionnaire en Algérie**, C. Bourgeois, Editeur, Paris 1975,p. 19

142 - رزاقي، **الباحث**، عدد 1984/2، ص،29

143 - يقول رزاقي، نفس المرجع و ص، أنّهم كانوا يجتمعون بمدرسة "الراشد". أما السيد علي عبد الحميد، و هو من الذين انتموا إلى اللجنة الثورية سنة 1939، و كان تحت مسؤولية محمد طالب فيقول: مدرسة " الرشاد"، انظر، محمد، عباس،" حديث الاثنين - مع المناضل سيد علي عبد الحميد" جريدة **الشعب**، 8 ربيع الأول 1986/11/10/1407

144 - يقول محمود عبدون، أن الرشيد أوعمارة سافر للمرة الثانية للاتصال بالألمان في فرنسا بعد سقوطها للحصول على مساعدات، غير أن هؤلاء عرضوا عليه مهمة التجسس لصالحهم مقابل مبلغ من المال، في حين اتصلت جماعة من اللجنة بقنصلية إيطاليا بالجزائر، و من خلال هذا الاتصال، فهمت الجماعة بأن الجزائر كانت ستقسم في حالة انتصار دول المحور بين إيطاليا التي ستأخذ قسما منها و تلحقه بتونس، و الجزء الباقي يلحق بالمغرب و تأخذه ألمانيا. انظر، محمد، عباس،" حديث الاثنين - نضال من داخل إدارة الاحتلال - السيد محمد عبدون "، جريدة **الشعب** ، 9 شوال 1986/06/16/1406

145 - ذكر حربي أن إيطاليا ساعدت عناصر لجنة العمل الثورية بالأموال عن طريق قنصليتها بالجزائر العاصمة. انظر، HARBI, **Aux origines, op. cit**. p. 105 (N.59)

146 - رزاقي، **الباحث**، عدد 1984/2، ص. 24-25

ونظرا لسرية اللجنة، فإن الإدارة الفرنسية كانت تنسب أعمالها إلى حزب الشعب، و كان للجنة دور في دفع الجماهير إلى مظاهرات ماي 1945[147]، و لعل هذه الأعمال، هي التي دفعت قيادة حزب الشعب إلى أن تتسامح مع عودة مناضلي اللجنة الثورية إلى صفوف الحزب، بعد أن توسط لهم السيد الشاذلي المكي لدى مصالي الحاج سنة 1944[148]. هذا إضافة إلى أن لجنة العمل الثورية كانت " بديلا " لدعوة الوحدة المغاربية في الإطار الفرنسي التي دعت إليها بعض الأطراف السياسية في تونس و الجزائر و التي سنعود إليها في مناسبة لاحقة، و التي كان يرفضها حزب الشعب الجزائري، الذي كان يدعو إلى توحيد الكفاح.

ب ـ البحث عن السند الثوري المغاربي

رغم سياسة التقتيل و القمع و التعسف التي اتبعتها فرنسا في أقطار المغرب العربي فيما بعد الحرب العالمية[149]، إلى أن هناك إفرازات جديدة على المستوى الإقليمي و العربي و العالمي دفعت ـ على ما يبدو ـ إدارة حزب الشعب الجزائري إلى العودة لربط أواصر الدعم و الوحدة من جديد مع تونس و المغرب الأقصى، حيث أصبحت فكرة الحزب هي بعث جبهة لوحدة النضال على مستوى المغرب العربي[150] من أجل الاستقلال، و عدم تفاوض أي قطر من أقطار المغرب العربي مع أية قوة محتلة (فرنسا أو إسبانيا) و أن كل مبادرة عمل يجب أن تكون عامة مع استبعاد كل عمل ثوري يسلك مسلكا قطريا[151].

إذ بداية من شهر ماي 1945، أرسل حزب الشعب الجزائري وفد إلى تونس العاصمة يتكون من الأمين دباغين و عبد الله (مبارك)[152] فيلالي، و التحق بهما الشاذلي المكي، و

---

147 ـ رزاقي، **الباحث**، عدد 1984/2، ص. 30

148 ـ من **لقاء مع المرحوم الشاذلي المكي** بتاريخ 1985/08/21

149 ـ نشير هنا إلى أحداث شهر ماي 1945 في الجزائر. و في تونس، أحداث قريتي زمردين و بني حسان في جوان 1946 ثم محاصرة الوطنيين في مؤتمر ليلة القدر 23/22 أوت من نفس السنة و إلقاء القبض على مجموعة منهم. و في المغرب الأقصى، مظاهرات شهر جانفي 1944 و ما صاحبها، و مأساة الدار البيضاء في 7 أبريل 1947 ...الخ

150 ـ من **لقاء** مع المرحوم **الشاذلي المكي** بتاريخ1985/08/21

151 - BEN-KHEDDA, **Les origines, op. cit**. p.107

152 ـ تذكر بعض المصادر عبد الله، و أخرى تذكر مبارك. و المعروف عند أعضاء حزب الشعب الجزائري، أن عبد الله فيلالي هو نفسه مبارك، انظر، BEN-KHEDDA, **Les origines. Op. cit**. p.107

حاول الثلاثة جس النبض مع كل التيارات السياسية في تونس[153] للتحاور حول " وحدة العمل" في المغرب العربي[154].

و ذكر لي المرحوم الشاذلي المكي أن اجتماعا عقد ببيت الشاذلي بن القاضي، شيخ الزيتونة، في شهر جوان حضره الشيخ الفاضل بن عاشور، و صالح بن يوسف و علالة البلهوان عن الدستور الجديد، و الشيخ محي الدين القليبي و صالح فرحات عن الدستور القديم، إلى جانب وفد حزب الشعب، و أقرت خلاله " اتفاقية لوحدة النضال في المغرب العربي"، و هي الاتفاقية التي ذهب بها دباغين إلى المغرب الأقصى حيث اتصل بالمهدي بن بركة و قادة حزب الاستقلال، الذين باركوها و وقعوا عليها هم كذلك[155].

و جاء في مذكرات ابن سليمان، أن دباغين ظل في غدو ورواح بين تونس و المغرب الأقصى مرتين أو ثلاث مرات لكل قطر خلال سنتي 1946/1945 محاولا تنسيق النشاط النضالي في المغرب العربي، و قال ابن سليمان أن دباغين اشتكى له قائلا: " أن الأمور ليست على أحسن ما يرام! " أثناء تحاوره مع عضوي الدستور المنجي سليم و علالة البلهوان، ذلك لأن جماعة الدستور الجديد لا تريد العمل على المستوى المغاربي،و طلب منه بعض الانطباعات عن وحدة العمل، غير أن ابن سليمان طلب مهلة للإجابة، و في زيارة دباغين الثانية لتونس، قال ابنِ سليمان ـ عضو الحزب الشيوعي التونسي وقتئذ ـ : لا تنتظر شيئا من هذه الاتصالات..!"[156]. و تمثلت اقتراحات وفد حزب الشعب، حسب رواية دباغين، في " عمل ثوري و مسلح في الجزائر مع تحرك سياسي في تونس "، و أراد التونسيون من جهتهم معرفة محتوى و مناهج هذا العمل[157].

أما عن جانب الاتصال بالمغرب الأقصى، فإن دباغين و فيلالي اتصلا بالمهدي بن بركة الذي أوصلهما بدوره بأحمد بلافريج و عمر بن جلون و محمد بن ناصر، و كان

---

[153] ـ من **لقاء الشاذلي المكي**، انظر كذلك، BEN-KHEDDA, **Les origines, op. cit**. p. 107

[154] - BEN SLIMAN, **op. cit**. p.218-219

[155] ـ من **لقاء مع الشاذلي المكي**. انظر كذلك، محمد، عباس، " حديث الاثنين ـ مع المناضل حامد روابحية، الحلقة 1 "، جريدة **الشعب** ، 12 جمادى الأولى 1987/01/12/1407

[156] - BEN SLIMAN, **op. cit**. p.218-219

[157] - **Ibid**. p. 219 (N.1) و ذكر ابن خدّة أن الدستور اقترح بالإضافة إلى مقترحات حزب الشعب " العمليات العسكرية في الجنوب التونسي و المظاهرات في الشمال..!" و يذكر ابن خدة أن " الوثيقة " ضاعت في الجزائر، و قال ربما توجد في تونس أو المغرب الأقصى، انظر، BEN-KHEDDA, **op. cit** p.107-108

الأخير مسؤولا عن خلايا حزب الاستقلال بمنطقة وجدة. و تذكر المصادر أن المحادثات كانت " صارمة " بين الطرفين، ذلك أن المراكشيين نظروا إلى الجزائر " نظرة تكبر"، على أساس أنها بعيدة عن الاستقلال، بسبب قانونها الخاص باعتبارها " عمالة (ولاية) فرنسية"، في حين أن بلادهم أجدر بالحصول " على السيادة" لكون فرنسا تعترف بالمغرب (مراكش) كمملكة ![158]، و رغم ذلك، فإن المراكشيين أمضوا على " الاتفاقية"، لكن نفس الذي صرح به ابن سليمان لدباغين في زيارته الثانية لتونس، صرح به الجزائري الحاج حسين السليماني ـ الذي كان متابعا و فارا بالمغرب من الإدارة الفرنسية منذ 1943 ـ لدباغين و فيلالي، بعد اطلاعه على "الوثيقة" قائلا:" لا يمكنكم انتظار أي جديد من حزب الاستقلال، إن الذي أمضى الوثيقة من حزب الاستقلال (ابن ناصر) شخصية غير مرموقة في الحزب..!"[159].

و مهما كان من أمر، فإن التونسيين و المراكشيين، وافقوا على " الوثيقة "[160] أو "الميثاق"[161]، التي أقرت التنسيق في المغرب العربي على المبادئ التالية:-

ـ تحضير العمل المشترك من أجل استقلال المغرب العربي ـ بما في ذلك الكفاح المسلح.

ـ لا تفاوض انفرادي مع أية قوة محتلة إلا بموافقة الطرفين الآخرين. و حملت الوثيقة أمضاء محمد الأمين دباغين عن حزب الشعب الجزائري، و المنجي سليم و علالة البلهوان عن الدستور الجديد، و محمد بن ناصر عن حزب الاستقلال[162]. و قد ظلت هذه الوثيقة فاقدة لأية أهمية ـ ربما ـ لعدم جديّة الدستوريين و جماعة حزب الاستقلال[163].

أما حزب الشعب الجزائري ـ حركة انتصار الحريات الديمقراطية ـ أشير إليه اختصارا، حزب/ حركة انتصار الحريات ـ فإنه تدعيما لاتجاهه المغاربي و لنشاط مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، فإنه بادر إلى طرح فكرة النضال الموحد من جديد على المستوى المغاربي، ففي مؤتمر زدين (ولاية عين الدفلى حاليا) المنعقد مع نهاية 1948 و مطلع سنة 1949، قال تقرير الحزب/ حركة انتصار الحريات:"

---

158 - BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.107 & BEN SLIMAN, **op. cit**. p. 219,(N.1)

159 - BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.109

160 ـ من **لقاء الشاذلي المكي**. انظر كذلك، عباس، **الشعب**، 1987/01/12، **مرجع سابق**، و BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.107

161 ـ يذكر دباغين كلمة " الميثاق "، انظر شهادته في: BEN SLIMAN, **op. cit**. p.219,(N.1)

162 - BEN-KHEDDA, **op. cit**. pp.107-109

163 - **Ibid**. p. 109

...إن المغرب العربي هو وحدة إستراتيجية بالتضاريس و التاريخ و الاضطهاد الاستعماري الواحد، و تطلعات جماهيره العميقة الواحدة، لذلك فإن كل عمل تحرري لا يتخذ من المغرب (العربي) ككل، كإطار إستراتيجي يعتبر عملا انتحاريا..."، و سبر التقرير بوضوح المشاكل التي يمكن أن تعترض وحدة الكفاح قائلا:" فالجزائر قد تفشل(...) إذا وضعت من أسبقيات نضالها الاهتمامات المغاربية، التي تتطلب وحدة وجهات النظر و المشاعر و المصالح لدى المسيرين" بالمغرب العربي. و تمّ التأكيد على اتصال الأمير عبد الكريم بالحزب/ حركة انتصار الحريات، و نظر الحزب إلى العلاقات مع الدستور الجديد و حزب الاستقلال على أنها كانت مطبوعة - دائما - بعموميات كلامية، فعلى الحزب/ حركة انتصار الحريات إذن، أن يوسع من مهامه نحو الشرق (تونس) و الغرب (مراكش)، " فالمنظمة الخاصة"[164] مستعدة لإيفاد مسؤولين متمرسين للمساعدة على تنظيم هياكل مشابهة (في تونس و مراكش) لما عندنا..." (خلايا شبه - عسكرية)، و يمكن بذلك لقيادات الأحزاب الثلاثة أن تنشئ "قيادة مغاربية" تكون هي الوسيلة الأساسية لإنهاء مأساة الاستعمار في المغرب العربي[165].

و إذا كان هناك من علّق قائلا أن قضية التضامن مع تونس و مراكش قد رفضت في مؤتمر زدين، بسبب الأوضاع السياسية المختلفة لبلدان المغرب العربي و اهتماماتها الداخلية بالثورة المسلحة[166]، فذلك راجع - ربما - إلى فشل الحزب/حركة انتصار الحريات في مساعيه خلال سنة 1949، بهدف دراسة " إمكانية تكوين جبهة مسلحة مغاربية"، حيث أرسل وفدا إلى المغرب الأقصى في شهر جانفي، تألف من السيدين محمد خيضر و الحاج محمد شرشالي، و قابل الوفد علال الفاسي و المهدي بن بركة، غير أن هؤلاء رفضوا إنشاء تنظيمات مشتركة على المستوى العسكري، و كانوا ينتظرون طرح مشكلة بلادهم سياسيا من قبل السلطان[167]، و أرسل وفد آخر إلى تونس، تألف من السيدين حسين الأحول (الأمين العام للحزب) و أحمد بن بله[168] - الذي أصبح بداية من ربيع 1949 على رأس المنظمة

---

164 - عن المنظمة الخاصة، انظر، M'Hamed, YOUSFI, **L'Algérie en marche**, T.I, ENAL, Alger 1984 & du même auteur, **Le complot (1950-1954),** T.II, ENAL, Alger 1986

165 - Mohammed, HARBI, **Les archives de la Révolution Algérienne**, Ed. J. A. Paris 1979, voir doc. N° 1,pp.15-49

166 - YOUSFI, **T.I, op. cit**. p.90

167 - H. AIT-AHMED, " Sur le Maghreb et le mouvement national algérien. Interview de …", in **Sou'al**, n° 2, juin 1982, p.112

168 - هناك وفد آخر أرسل إلى تونس - على ما يبدو - إذ ذكر آيت أحمد أن الوفد تألف من السادة: بوقادوم و دردور و ابن بله - مسؤول المنظمة الخاصة بالمنطقة الوهرانية -. انظر، AIT-AHMED, **Sou'al**, N° 2, p.113 و ذكر لي الأستاذ الزميل مصطفى نويصر أن رجلا آخر تنقل مع الوفد دون أن يذكر اسمه متخصص في المتفجرات، كان سيدرب المناضلين التونسيين، هو العربي بن مهيدي، هذا ما ذكره له الرئيس أحمد بن

الخاصة ـ و تم للوفد الاتصال بصالح بن يوسف، الأمين العام للدستور الجديد[169] و الحبيب بورقيبة، غير أن المسيرين التونسيين تحفظوا تجاه هذه المسألة[170] بل رفضت رفضا واضحا[171].

و ذكر ابن خدة أنّه تقرر رغم ذلك، الالتقاء في اجتماع يضم الأحزاب الثلاثة، و تمّ ذلك فعلا في ندوة عقدت بطنجة في شهر ماي 1950، و هي الندوة التي حضرها عن الجزائر الحاج محمد شرشالي و محمد خيضر و عن حزب الاستقلال علال الفاسي، و عن الشمال المراكشي عبد الخالق الطريس، أما الدستور (الجديد) فقاطع الندوة[172]، إذ كان بورقيبة قد دخل في اتصالات مع الرأي العام الفرنسي بباريس، بداية من 12 أفريل عارضا برنامجه الإصلاحي الداعي إلى سياسة التعاون مع فرنسا[173]، و قد أدت هذه السياسة (الحوار) إلى بعض التجاوب من قبل المسؤولين و ممثلي الرأي العام الفرنسيين، و كلّلت في نهاية المطاف بظهور حكومة مختلطة فرنسية ـ تونسية في 17 أوت 1950 برئاسة محمد شنيق[174]، و بذلك تكون ندوة طنجة فارغة المحتوى و بدون نتيجة...

و عادت الدعوة السياسية إلى العمل المغاربي الموحد خلال سنة 1951 و مطلع سنة 1952، بعد " المؤامرة الاستعمارية في أفريل 1950" في الجزائر[175]، و الأزمة الفرنسية التونسية[176] التي أفضت إلى إقامة جبهات على مستوى الأقطار[177]، فالدعوة إلى تأسيس جبهة على مستوى المغرب العربي، حيث اجتمعت الأحزاب المغاربية في شانتيي (فرنسا) بمقر إقامة مصالي الحاج يوم 28 جانفي 1952، حيث أمضت على تصريح مشترك نص

بله، و هذه المعلومة صرح بها الأستاذ نويصر في ملتقى خاص بالذكرى الخمسين لانعقاد مؤتمر طنجة، بإشراف اتحاد المؤرخين الجزائريين بمقام الشهيد ، الجزائر، 28/27 أفريل 2008

[169] ـ انظر، عبد الرحمان، ابن العقون، **الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الثالثة، 1945-1954**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص.31 و BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.152

[170] - BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.152

[171] ـ ذكر آيت أحمد أن السيد صالح بن يوسف وصف اتصالات جماعة وفد حزب/حركة انتصار الحريات بالدستوريين بالعمل " الصبياني " (Enfantillages) ! . انظر، AIT-AHMED, **Sou'al**, n° 2, p.113

[172] - BEN-KHEDDA, **op. cit**. p.152

[173] ـ و أ / ت ح و ت، **وثائق 11، الاستعداد للمحنة الثالثة ـ 2 ـ الحزب الدستوري الجديد يدخل في حوار أخير 1950 - 1951** ، تونس 1984، ص ص. 97-196

[174] ـ **نفس المصدر**، ص ص. 199 - 276

[175175] ـ اكتشفت المخابرات الفرنسية في سهر مارس 1950 شبكة المنظمة الشبه ـ عسكرية (المنظمة الخاصة.o.s)، فألقت القبض على أعضائها، و اتخذت من ذلك ذريعة لإلقاء القبض على المئات من مناضلي الحزب/حركة انتصار الحريات، و زجت بهم في السجون و المعتقلات و بدأت محاكمتهم في شهر أفريل، انظر، YOUSFI, **Le complot, op. cit**.

[176] ـ بدأت الأزمة في شهر ديسمبر 1952 و انتهت بعزل حكومة شنيق و إلقاء القبض على زعماء الدستور الجديد، انظر، الحبيب، بورقيبة، **حياتي**، آرائي، **جهادي**، ط2، وزارة الإعلام، تونس1983، ص ص،240-242

[177] ـ انظر، دراستي، **الاتجاه**، **مرجع سابق**، ص ص. 343-344

على " ضرورة اتحاد الأحزاب المغربية (المغاربية) في كفاحها ضد العدو المشترك"[178]، و كلّل هذا الاجتماع، الذي ترأسه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يوم 2 فيفري بإنشاء "جبهة وحدة و عمل" و أمضت نفس الأحزاب على " ميثاق " الجبهة، الذي نشر في الصحف المغاربية في شهر مارس، و مما قاله الميثاق أنه، أصبح من اللازم على جميع الأحزاب و المنظمات الوطنية بالمغرب العربي " أن تنظم جبهة مشتركة لمقاومة قوات الاستعمار المتكتّلة "، و نصت مواد الميثاق على تعهد الأحزاب على متابعة الكفاح ومضاعفته في سبيل تحرير المغرب العربي، و على تنسيق الأنشطة و بحث الأحوال، وتقرر تأليف لجنة " اتحاد و عمل الشمال الإفريقي"[179].

و الملاحظ أن الجبهة لم تؤد أي دور على المستوى المغاربي، بل ظل ميثاقها حبرا على ورق، ذلك أن معطيات جديدة عطلت مهامها منها : تطور الأمور في كل من تونس والمغرب الأقصى، و الانزلاق نحو العمل القطري، فقد كانت المسألة التونسية على المستوى الخارجي قد أدرجت في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة، و أحرزت على بعض النجاح، أما على المستوى الداخلي، فإن مناوشات " الفلاقة"(المجاهدين) التونسيين للجيش الفرنسي، كانت هي كذلك قد انطلقت مع نهاية 1951. أما في المغرب الأقصى، فإن المقاومة بدأت انطلاقا من حوادث الدار البيضاء يومي 7 و 8 ديسمبر، اثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 ديسمبر 1952، و ازدادت الأوضاع تفاقما بعد خلع السلطان محمد بن يوسف (محمد الخامس) في 20 أوت 1953 من قبل السلطات الفرنسية، التي وضعت موضعه محمد بن عرفة العلوي، و كانت مسألة المغرب الأقصى هي الأخرى، قد أدرجت في دورة هيئة الأمم المتحدة خلال سنة 1952. و مع تصاعد الأحداث و تطورها في كلا القطرين المغربيين دخلت السلطات الفرنسية في مفاوضات مع هذين القطرين، التي ستفضي إلى استقلالهما كما هو معروف سنة 1956.

---

[178]- الأحزاب هي: عن الجزائر: حزب/ حركة انتصار، جمعية العلماء، حزب البيان، و عن المغرب الأقصى: حزب الاستقلال، حزب الإصلاح الوطني، حزب الوحدة المغربية، حزب الشورى و الاستقلال، و عن تونس: الدستور القديم، الجبهة الوطنية التونسية، الدستور الجديد، انظر، جريدة **المنار**، عدد15/ 6 جمادي الأولى 1371/ 1952/02/1

[179] - انظر، " ميثاق الجبهة المغربية" في جريدة **المنار**، عدد 19، 2 رجب 1952/03/28/1371، و " ميثاق اتحاد أحزاب شمال إفريقيا "، **البصائر**، عدد 185، 28 جمادي الثانية 1952/03/24/1371

ج ـ معادلة تعميم الثورة بالمغرب العربي و " الدعوة إلى القطرية "

و إذا كان بورقيبة قد أعدّ مع جماعة المكتب السياسي لحزب الدستور الجديد برنامجا محدودا لأعمال التخريب و المقاومة المسلحة بتونس لتدعيم العمل السياسي و الدبلوماسي، فإنّه كان يوجد بجانب هذا الاستعداد فصائل أخرى من الشباب التونسي كانت قد استعدت للعمل المسلح متأثرة ببعض أفكار الأمير عبد الكريم الخطابي، و كانت أفكار هذه الفئة عن الكفاح المسلح أكثر جذرية و ألصق بما تقتضيه بلورة إستراتيجية موحدة للكفاح التحرري على مستوى المغرب العربي كله، و لكنها لم تلبث أن التقت مع التشكيلات الرسمية (للحزب الدستوري الجديد) في صعيد واحد[180]. و سنعود إلى ذلك في الفصل الموالي.

كانت حكومة محمد شنيق و الدستوريون الجدد، خلال نهاية سنة 1951، قد دخلوا في مفاوضات مع فرنسا، نتجت عنها بعض الآمال، لكنها سرعان ما تعثرت نتيجة بداية المقاومة، و أدت إلى هروب صالح بن يوسف و محمد بدرة إلى القاهرة و الالتحاق بمكتب المغرب العربي مع مطلع سنة 1952[181].

أما في القاهرة، فكان الأمير عبد الكريم قد استقبل في شهر سبتمبر 1951 الدفعة الأولى لإطارات جيش التحرير، التي كانت قد تلقت تكوينها العسكري في العراق، و هي متكونة أساسا من التونسيين و الجزائريين و المراكشيين[182]، إضافة إلى المغاربة المتكونين بالمدارس العسكرية المصرية من طرف مكتب و لجنة تحرير المغرب العربي منذ سنة 1948، فقد أورد سليمان بن سليمان الذي زار جماعة المكتب و اللجنة في شهر مارس 1948، أن الدكتور الحبيب ثامر ـ عضو المكتب و اللجنة ـ أخبره عن تكوين مجموعة من التونسيين في مصر على " تقنية أجهزة الإشارة و الراديو T.S.F. " دون علم بورقيبة، نظرا لأنّه (بورقيبة) " لا يكتم السر"[183]! و تدعم كذلك مكتب و لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، باستقبالهما لكل من السيدين آيت أحمد و أحمد بن بله خلال سنتي

---

180 ـ عبد الحميد، مهري،" أحداث مهدت لفاتح نوفمبر 1954"، مجلة **الأصالة**، عدد خاص، 22 رمضان/ذو الحجة 1394/ نوفمبر/ ديسمبر 1974، الجزائر، ص. 11-12

181 - LEBJAOUI, **op. cit**. p. 125 (n.1)

182 - REZETTE, **op. cit**. p.241

183 - BEN-SLIMAN, **op. cit**. p. 257

1953/1951، و كان المكتب في هذا الوقت مسيرا من طرف علال الفاسي و صالح بن يوسف و محمد خيضر، و حلّ هذا الأخير بالقاهرة أيضا سنة 1950، أما اللجنة فكانت مسيرة من طرف الأمير عبد الكريم و أخيه أمحمد، و خلال سنة 1953 كلف الرئيس عبد الناصر السيد فتحي الديب بشؤون المغرب العربي(184)، و أصبح هذا الأخير على علاقة برجال المكتب و اللجنة بالقاهرة.

و على ما يبدو، فإن تطورات الأمور في تونس، هي التي دفعت مكتب و لجنة تحرير المغرب العربي إلى عقد اجتماع خلال سنة 1952 بالقاهرة، قصد الاتفاق على القيام بعمل ثوري مماثل لما يحدث في تونس، و محاولة تعميمه في كل المغرب العربي، فأنشأ علال الفاسي بعد ذلك، جيش التحرير المغربي(المراكشي)، و طلب من قيادة حزب الاستقلال في المغرب الأقصى أن يكون قائد هذا الجيش هو: محمد الدويري و يساعده علال عبد الكبير ابن المهدي الفاسي، لكن قيادة الحزب اقترحت بدل الدويري الدكتور عبد الكريم الخطيب(185).

و هذا الوضع في مراكش و تونس، كان عاملا من عوامل انشقاق جماعة حزب الشعب الجزائري/ حركة انتصار في مؤتمرها الثاني (أبريل 1953)، و أدى إلى ظهور جماعة أسست " اللجنة الثورية للوحدة و العمل"، و كان من أهدافها حماية الحزب، و من جهة ثانية، أن تكون اللجنة وسيلة ثورية حقيقية من أجل تحطيم الاستعمار الفرنسي، إلى جانب الأشقاء في تونس و المغرب الأقصى(186). و فعلا كان الثوار التونسيون يلتجئون إلى المناطق الشرقية الجزائرية، و كانت تقدم إليهم المساعدات ، و التحق بصفوفهم مجموعة من الثوار الجزائريين، منهم السيد الأزهر شريط و السيد العقبي(187) و غيرهم، كما سيأتي في مناسبة لاحقة.

---

184 - LEBJAOUI, **op. cit**. p. 125

185 ـ انظر، عبد الكريم، غلاب، " من رابطة الدفاع عن مراكش حتى مكتب المغرب العربي"، **العلم السياسي**،(المغرب)، عدد4، أكتوبر 1982، ص ص. 9-17

186 ـ انظر، محمد العربي، الزبيري، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1404/1984، ص. 151-152، و انظر كذلك، AGERON, **Hist. Contemp. De l'Algérie, T.II, op. cit**. p.594

187 ـ انظر، " اجتماع 22 التاريخي ـ ندوة ـ"، مجلة **الباحث**، عدد 2، نوفمبر 1984، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، ص. 16-17

و في خضم هذه الظروف، تكونت شبكة للتنسيق على مستوى المغرب العربي، فقد جاء عن السيد مهري، أنّه اتصل خلال شهر ماي 1953 بشابين مغربيين (مراكشيين) كانا على اتصال بجهات ثلاث: الأمير عبد الكريم و مصالح المخابرات المصرية و بعض ممثلي حزب الشعب في مكتب المغرب العربي، و هما : الهاشمي الطود و حمادي الريفي، و كان هدفهما الإسهام في تنسيق حركة مسلحة في المغرب العربي كله، و ذكر أنهما اتصلا بعدد من المسؤولين في الديوان السياسي (الدستور الجديد) بتونس قبل مجيئهما إلى الجزائر، وكانا ينويان الذهاب إلى المغرب الأقصى، و في الجزائر تمّ لهما الاتصال ببعض مسؤولي حزب الشعب منهم السيد محمد بوضياف و مهري، و تمّ الاتفاق على استكمال البحث بعد رجوعهما من مراكش و إعطاء صورة عن الوضع هناك، للاتفاق نهائيا على خطة تضمن تنسيق الكفاح في المغرب العربي، و تمّ ذلك فعلا بعد رجوعهما، و قد حملا معهما صورة مشجعة عن الوضع في الجزائر[188].

و بتطور الوضع في المغرب الأقصى، و نفي السلطان محمد الخامس (20 أوت 1953) و تعويضه بسلطان موال للإدارة الفرنسية (ابن عرفة) و تنامي المقاومة المسلحة، أسس علال عبد الكبير الفاسي شبكة لجلب السلاح و تدعيم المقاومة بالتنسيق مع الدكتور حافظ إبراهيم و عبد الرحمان اليوسفي بإسبانيا و البلدان الأوربية[189]، و بذلك توسعت المقاومة في المغرب الأقصى، حيث أصبحت خلال شهر أكتوبر في الشمال المراكشي بقيادة عبد الخالق الطريس، رئيس حزب الإصلاح الوطني[190]، و تحدثت الإدارة الفرنسية عن مجموعات قتالية مسلحة تدربت بإسبانيا، و تنتمي إلى " حزب المقاومة السري" الذي كان مركزه تطوان، و ذكرت أن نفس الحزب، استقبل مجموعة من " المخربين" تلقوا تكوينهم العسكري بالقاهرة، و أنّهم كانوا على علاقة بحزبي الإصلاح الوطني و الاستقلال[191].

و تكونت عدّة مراكز سرية في المغرب الأقصى و ليبيا و إسبانيا و بعض البلدان الأوربية الأخرى، نشطت انطلاقا منها عدّة وجوه ثورية منهم : أحمد بن بله و محمد بوضياف و مصطفى بن بوالعيد و العربي بن مهيدي و كمال ساكر و الزليطني و عبد

---

188 ـ انظر، مهري، **الأصالة** ، عدد 22، **مصدر سابق**، ص. 16-17

189 - LEBJAOUI, **op. cit**. p.126
190 - REZETTE, **op. cit**. p.236
191 - **Ibid**. p. 241

العزيز شوشان و عبد الكبير الفاسي و صالح بن يوسف و عبد الله الصنهاجي و محمد المكناسي و الأزهر شريطي و غيرهم، خلال سنتي 1954/1953، كانت مهمتها الحصول على السلاح و التنسيق على مستوى المغرب العربي من أجل تفجير كفاح مشترك على مستوى كل المنطقة[192].

أما في القاهرة، فبدأت الدعوة خلال صيف 1953 إلى ضرورة عقد ميثاق جديد للجنة تحرير المغرب العربي، و برر محمد حسن الوزاني - زعيم حزب الشورى و الاستقلال - أحد الداعين إلى التجديد، أن لجنة تحرير المغرب العربي الأولى قد فشلت في مهمتها " نتيجة الأنانيات المريضة بحب الرئاسة و الزعامة و الحزبية الضيقة و احتكار الشهرة..."، و أنّه حاول و ممثلي بعض الأحزاب المغاربية جمع الشمل على أساس: " عدم التمثيل الحزبي و إنكار الذات و التخلي عن كل رئاسة و زعامة و احتكار داخل اللجنة..."[193]، ويظهر من خلال كلام الوزاني، أن اللجنة كانت منقسمة[194] إلى اتجاهين : اتجاه يريد المحافظة على اللجنة كما كانت في السابق بقيادتها القديمة، و اتجاه آخر، كان يرى أن اللجنة الأولى قد فشلت و لم تصبح " جبهة عمل و كفاح كما أرادها ميثاقها."[195]، و هم الداعون إلى التجديد، و كانوا ضد قيادة اللجنة، و رأوا أن الأمير عبد الكريم، قد تجاوزته الأحداث[196].و هم في واقع الأمر الدعاة إلى " القطرية" و الإصلاح و التفاوض الانفرادي مع المستعمر، كما سيأتي لاحقا.

و على ما يبدو، فإن السلطات المصرية، التي كانت تتابع الأحداث بالمغرب العربي، قد باركت مسعى تجديد ميثاق اللجنة، بهدف تقييم الوضع و الاطلاع على الظروف والملابسات التي يعيشها شعب المنطقة، إذ شرعت بالتنسيق مع الجامعة العربية في الاتصال بالأمير عبد الكريم و شقيقه أمحمد و جميع الأطراف الحزبية المغاربية بالقاهرة، بداية من شهر مارس 1954، و عقد الاجتماع يوم 3 أبريل 1954 بدار الأمانة للجامعة العربية وحضره قادة و ممثلو الأحزاب المغاربية، و حضره إلى جانب ممثلي حزبي الجزائر (حزب

---

192 - انظر عن هذه الشبكة مثلا: LEBJAOUI, **op. cit**. pp. 126-133

193 - محمد حسن، الوزاني، تصريحات صحفية، ج1، مؤسسة محمد حسن الوزاني، الرباط ، 1986، ص ص. 156-171

194 - عن الاختلافات بمكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، أنظر، دراستي، الاتجاه الوحدوي، ص ص. 395-406

195 - الوزاني، تصريحات، مصدر سابق، ص ص. 156-171

196 - إدريس، **بناء المغرب العربي، مصدر سابق**، ص.30

الشعب و حزب البيان) عضوان من الشباب ممثلين للجنة المركزية المنشقة عن قيادة مصالي الحاج في حزب الشعب[197].

و يلاحظ عن هذا الاجتماع، غياب الأمير عبد الكريم، الرئيس الدائم للجنة، و سبب غيابه يبقى الآن بالنسبة لنا سرا مجهولا، أما الشاذلي المكي، عضو مكتب المغرب العربي واللجنة منذ تأسيسهما، فيبدو، أنّه تخلى أو أبعد، و أصبح دوره ثانويا في تمثيل الجزائر باللجنة، بحلول بعض العناصر المسيرة في حزب الشعب/ حركة انتصار بالقاهرة خلال سنة 1950 و 1952. و تبقى تساورنا بعض التساؤلات عن عدم مشاركة الشيخ الفضيل الورتلاني و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء في هذا الاجتماع، وكلاهما كان بالقاهرة خلال هذه الفترة!

ترأس الاجتماع السيد عبد المنعم مصطفى و حضره فتحي الديب و عزت سليمان كمساعدين له[198]، و في اليوم الموالي تمّت الموافقة على " ميثاق " جديد للجنة تحرير المغرب العربي، في غرّة شعبان 1372 الموافق 4 أبريل 1954[199]، و أساسه ـ في رأينا ـ تكريس فكرة القطرية بخلاف ميثاق لجنة 1948، و هذا رغم ما تضمنه من مواد تحث على التعاون المغاربي.

و لنا أن نلاحظ هنا، أن " الحزبية الضيقة " التي تحدث عنها الوزاني، لم تكن لدى القيادة القديمة للجنة التحرير، إنما كانت في واقع الأمر، لدى الداعين إلى تجديد ميثاق اللجنة، و بخاصة إذا علمنا جوهر الخلافات القديمة بين كل من الوزاني و علال الفاسي، الأمين العام للجنة تحرير المغرب العربي ـ قبل تجديد الميثاق ـ و التي تعود إلى سنة 1937/1936 وقت انشقاق كتلة العمل المغربية (المراكشية) بسببهما.

و المتتبع لمواد " الميثاق الجديد"، يظهر له البون الشاسع بين الميثاقين، فالأول (1948) دعا صراحة إلى تعميم الكفاح في كامل أقطار المغرب العربي و دعا إلى وحدته، ونبذ التفاوض الانفرادي القطري مع المستعمر، في حين أتى الميثاق الجديد ـ في نظرنا ـ

---

197 ـ الشاب الأول هو مسعود مزياني (أحمد بن بله)، أما الشاب الثاني، فهو حسب بعض مصادر الثورة الجزائرية: آيت أحمد.
198 ـ انظر، فتحي، الديب، **عبد الناصر و ثورة الجزائر**، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص ص. 21-25
199 ـ **نفسه**، ص. 27-28

ليكرس العمل القطري في المغرب العربي و يعمّمه، و هذا عكس ما ذكره الوزاني في تصريحه.

و ما لاحظناه، تؤكده رسالتان لعلي (علالة) البلهوان، الأولى بتاريخ 6 أبريل، والثانية بتاريخ 4 ماي 1954، وجههما إلى الرشيد إدريس بكراتشي بباكستان[200]، و البلهوان هو ممثل الدستور الجديد و أحد الموقعين على الميثاق الجديد. قال في الرسالة الأولى:" ... و قد تمّ أخيرا بالقاهرة بإعانة الجامعة العربية إعادة تنظيم لجنة تحرير المغرب العربي، التي أصبحت تضم الأحزاب و الهيئات السياسية المغربية (المغاربية) كلها على أساس الاستقلال، كل قسم خاص بقطر من الأقطار الثلاثة (كذا) بشؤونه جميعا المال و النشر و الاتصال، وسمي كل قسم وفدا (...) و لنا الحرية المطلقة في جميع أعمالنا[201] و قد أمضينا أمس الميثاق الجديد(...) أما حزب الشعب الجزائري، فلم يوقع لأن الجامعة (العربية) قبلت توقيع حزب البيان..."

و قال البلهوان في الرسالة الثانية :"... لقد نظمنا هنا لجنة تحرير المغرب العربي على أساس جديد (...) و قد عرضت عدّة مشاريع و قدمنا نحن التونسيون مشروعنا أيضا ودافعنا عليه بالأدلة الواقعية فنجح (...) و هو مقام على المبادئ التالية: يعمل كل قطر وباستقلال تام عن بقية الأقطار، لأن أهله أعرف بما فيه و بإمكانياته (...) و لأن كل قطر له وضعه الخاص، و لأن عملا مشتركا بين وفود الأقطار الثلاثة يعطل الأعمال كلها و يدخل الفوضى و الاضطراب و الخصومات كما علمتنا التجارب في مكتب المغرب العربي. لا دخل للجنة التحرير في سياسة كل حزب من الأحزاب، و لا في أعماله، ما عدا بعض المبادئ الوطنية القّارة، كالاستقلال و عدم الدخول في الوحدة الفرنسية، و عدم قبول السيادة المزدوجة. و لا دخل للجنة التحرير في شؤون مكاتبنا (...) فعملها يقتصر على الاتصال بالجامعة و دولها، على أن وفد كل قطر مستقل في ذلك..."

---

[200] ـ انظر، إدريس، **بناء المغرب العربي**، ص.30-31

[201] ـ انظر، مواد الميثاق الجديد، رقم 3، 4، 5، 6، 8، بدراستي، **الاتجاه الوحدوي**، ملحق رقم: 5، ص ص. 435-437

و من خلال أقوال البلهوان إذن، يظهر دور لجنة التحرير " المجدّدة "، فاللجنة في واقع الأمر، ميّعت و أصبحت مجرّدة من كل نفوذ و سلطة، و انبثقت لتدعيم و تكريس العمل القطري، نظرا لأنّها لا تنصّ في مواد ميثاقها الجديد صراحة على وحدة المغرب العربي ووحدة الكفاح من أجل الاستقلال .

و يقول فتحي الديب أن الاجتماع سادته روح الخطابة، و حاول ممثل كل حزب أن يظهر حزبه بأنّه القوة الوحيدة في تحقيق المعجزات، مع إشارات مباشرة وغير مباشرة للتشكيك في قدرات الأحزاب الأخرى، كما عارض ممثلو أحزاب أخرى في الاجتماع، وركز المراكشيون و التونسيون على المطالبة بدعمهم ماليا حتى يستقلان، ثم يأتي دور تحرير الجزائر. و عندما أعطيت الكلمة في اليوم الثاني للشاب الجزائري (أحمد بن بله)، الذي تلخصت كلمته في الكفر بالحزبية و بنقد ممثلي الأحزاب في اعتمادهم على المقاومة السلبية، و أنّه و إخوة له في الجزائر آمنوا بالكفاح المسلح ضد الاستعمار، و كل ما يطلبونه هو " السلاح ليقاتلوا به"[202]، ردّ عليه ممثلو الأحزاب المراكشية و التونسية بدورهم، على "أن الوضع بالجزائر لا يسمح بأي كفاح مسلح بها (...) و أنّه لا أمل (...) بالجزائر ما لم تتحرر كل من تونس و المغرب". أما محمد خيضر، فإن تدخله تطابق مع كلام أحمد بن بله، و هاجم كل من يعطي لنفسه الحق في التعرف على حقيقة الوضع بالجزائر، و أكد على أن أي كفاح بالمغرب العربي لا يشمل الجزائر مقضى عليه بالفشل[203].

و ذكر الديب أن خلافات أخرى وقعت أثناء توقيع الميثاق، فزعيم حزب الاستقلال (الفاسي)، رفض التوقيع بحجة أن الاجتماع لا يضم زعماء الأحزاب و قادتها و عيّن ممثلا ليوقع نيابة عنه، الأمر الذي دفع صالح بن يوسف إلى الامتناع عن التوقيع كذلك، ليحلّ محلّه مساعده في تمثيل الحزب[204].

و فضلا عن الخلافات التي سادت الاجتماع، نلاحظ أن ميثاق اللجنة الجديد، جاء ليكرس العمل السياسي أكثر من العمل النضالي الإيجابي، كما أن المجتمعين لم ينتخبوا مكتبا

---

202 - انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 25-26

203 - **نفسه**، ص. 27-28

204 - الديب، **مصدر سابق**، ص.28

جديدا لإدارة اللجنة، و أنّهم لم يشيروا إلى بقاء المكتب القديم أو زواله. و يبدو أنّهم أرادوا إبعاد الأمير عبد الكريم و شقيقه من على رأس اللجنة الجديدة، بحكم أن الأمير و شقيقه لم يحضرا هذا الاجتماع و لا وقعا على ميثاقه، و كانا قد انتخبا بصفة دائمة على رأس اللجنة منذ 1948. هل كانت الأحداث قد تجاوزت الأمير لكبره و أفكاره الثورية القديمة و قلّة معلوماته عن الأوضاع بالمغرب العربي ؟ أم أنّ هناك أمورا أخرى ستكشفها المصادر مستقبلا ؟!

إن كل ما لدينا الآن، أن الفصائل و التشكيلات التي كانت تؤمن بالوحدة القومية ووحدة الكفاح في المغرب العربي، قد عقدت اجتماعا تنسيقيا في شهر جويلية 1954 بمدينة برن (سويسرا) حضره ابن بله و مصطفى بن بو العيد و عبد الكبير الفاسي[205]، و أسست في شهر أوت من نفس السنة " قيادة خارجية لجيش التحرير"(المغاربي)، و قد ضمت القيادة أحمد بن بله من الجزائر و حمادي الريفي من المغرب الأقصى و عز الدين عزوز من تونس، و هو من جماعة صالح بن يوسف، و كانت مهمة القيادة هو الكفاح المشترك في البلدان المغاربية الثلاثة[206]. و كان الأمير عبد الكريم على علاقة بهذه الفصائل، و حين اندلعت الثورة الجزائرية، أرضت مطامحه، و رأى فيها انتصارا لأفكاره و مصلحة لوجهة نظره[207]. و باندلاع الثورة الجزائرية إلى جانب المقاومة في تونس و مراكش ضد المستعمر من جهة، يحتدم الصراع من جهة أخرى، بين دعاة وحدة المغرب العربي ومصيره الواحد و دعاة " القطرية" و التفاوض الانفرادي مع المستعمر، و هو الأمر الذي كان يريده المستعمر، و ذلك ما سنحاول معالجته في الفصل الموالي.

---

205 - LEBJAOUI, **op. cit**. p. 128-129
206 - YOUSFI, **T.II, op. cit**. p.145

207 - الرويسي، " شهادة"، **الخطابي و جمهورية الريف، مصدر سابق**، ص. 418

الفصل الثالث

الثورة الجزائرية: فرصة وحدة المغرب العربي

1ـ جيش تحرير المغرب العربي في تونس
أ ـ المقاومة الأولى (1952ـ1954)
ب ـ المقاومة الثانية (1954ـ1956): تكامل وحدة كفاح المغرب العربي
ج ـ من جيش التحرير " الوطني " إلى " التحرير المغاربي "
د ـ تلاحم المقاومة التونسية مع الثورة
2ـ جيش تحرير المغرب العربي في مراكش
أ ـ عن بداية المقاومة في مراكش و التنسيق المغاربي
ب ـ جيش " التحرير المغربي" أو " تحرير المغرب العربي "؟!
ج ـ " جزائري " على رأس جيش التحرير المغربي!

1- جيش تحرير المغرب العربي في تونس

أ - المقاومة الأولى (1952-1954)

وقف الشعب التونسي و المغربي مع الجزائر في خندق واحد خلال المواجهة ضد الاحتلال الفرنسي أثناء الثورة التحريرية ، إذ فتح البلدان حدودهما و قدما التسهيلات فيما يتعلق بمرور الأسلحة و الذخيرة، أو تنقل الجرحى و المتعبين من المجاهدين عبر الحدود بحثا عن العلاج أو التماسا للراحة أو التحاقا بمركز تكوين أو إيواء اللاّجئين الجزائريين، فقد أصبحت الأراضي التونسية و المراكشية ، و بخاصة الأشرطة الحدودية المشتركة، الامتدادات الطبيعية التي وجدت فيها الثورة منذ انطلاقتها السند القوي و المرتكز الثابت والملجأ الآمن، و كانت قواعد خلفية حقيقية متقدمة، و بذلك نقول - دون نكران للدعم والمساندة - أن القضية الجزائرية في تونس[1] و المغرب[2] كانت حاضرة بحكم التاريخ والجغرافيا و بحكم الفكر الوحدوي المغاربي في الذاكرة الجماعية للمنطقة.

أما الثورة الجزائرية فأكدت في هذا الإطار وفاءها للمبادئ الأساسية للحركة الوطنية بداية من المقاومة في القرن التاسع عشر، و التيار الثوري الاستقلالي في القرن العشرين ، الداعية في نداءاتها و نصوصها و برامجها إلى وحدة المغرب العربي، فقد نص محررو "بيان أول نوفمبر 1954" الثوريون على " إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية" و " تحقيق وحدة شمال إفريقيا في الإطار العربي الإسلامي"، أي الدولة الجزائرية في دوائر الانتماء الثلاث: المغرب العربي و العالم

---

[1] - بخصوص الدعم و المساندة و قواعد الثورة الخلفية بتونس، انظر، عميرة، علية الصغير، **اليوسفيون و تحرر المغرب العربي**، ط. المغاربية للطباعة و الإشهار، تونس 2007. و حبيب حسن، اللولب، **التونسيون و الثورة الجزائرية (1954-1962)**، أطروحة شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2007. و وزارة المجاهدين، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، **القواعد الخلفية للثورة الجزائرية - الجهة الشرقية - 1954-1962**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (رئيس المشروع: محمد بلقاسم، الأعضاء: الطاهر جبلي و معمر العايب)

[2] - بخصوص الدعم و المساندة و قواعد الثورة بالمغرب، انظر، " الدعم المغربي لحركة التحرير الجزائرية"، مجلة **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، سنة 2004/1425، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، و لنفس الهيئة، " الندوة المغاربية: وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة و جيش التحرير"، الرباط 12/10 ذو القعدة 1422 - 26/24 يناير 2002، مجلة **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص.

العربي و العالم الإسلامي، و هو نفس ما أكدته جبهة التحرير الوطني في قوانينها الأساسية بعد انطلاق الثورة. و بناء على هذا، نعود الآن إلى محاولة استحضار التفاعل الثوري لوحدة المغرب العربي في القطرين تونس ثم المغرب الأقصى مع الثورة الجزائرية.

مرّ تعامل تونس مع الثورة الجزائرية بمرحلتين: المرحلة الأولى ما بين 1954 - 1956، و المرحلة الثانية ما بين 1956 - 1962، فالمرحلة الأولى شهدت شبه التحام بين المقاومة في تونس و الثورة في الجزائر، نتيجة التنسيق الحاصل بين الداعين إلى تحرير المغرب العربي و وحدته، أما في المرحلة الثانية، فقد بقي الدعم قائما من طرف تونس للثورة الجزائرية، و لكن في إطار تكريس الفكرة القطرية في كل المنطقة، نتيجة انتصار دعاة القطرية التي كانت تخدم مصالح المحتل.

احتلت تونس، كما هو معروف، بعد احتلال الجزائر، و فقدت تونس سيادتها كذلك على مرحلتين: فقدت السيادة الخارجية في معاهدة باردو عام 1981، ثم فقدت سيادتها الداخلية اثر اتفاقية المرسى عام 1983، و بعد نضال الشعب التونسي و تلاحمه المشترك الطويل مع أقطار المغرب العربي الأخرى، استرجعت تونس استقلالها كذلك على مرحلتين: اتفاقيات 1955 التي استرجعت بها الاستقلال الذاتي الداخلي، ثم استرجاع الاستقلال التام في 20 مارس 1956، و من بداية المقاومة إلى تاريخ الاستقلال ظهر الخلاف على أشده بين بورقيبة و صالح بن يوسف، الذي كان وقتذاك أمينا عاما للحزب الدستوري الجديد، إذ اعتبر صالح بن يوسف الاتفاقيات المبرمة مع فرنسا عام 1955 " خطوة إلى الوراء"، بينما اعتبرها بورقيبة و مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المنعقد بصفاقس أيام 15-18 نوفمبر 1955 " مرحلة نحو الاستقلال التّام"، و بالفعل دخلت تونس/بورقيبة في مفاوضات مع حكومة " غي موليه" الفرنسية أفضت إلى منح تونس الاستقلال بموجب بروتوكولات 20 مارس 1956 في نطاق التعاون و التكافل مع فرنسا[3].

بدأت الاضطرابات في تونس، اثر عملية القمع الفرنسي للوطنيين التونسيين، بعد

3 - Philipe, TRIPIER, **Autopsie de la guerre d'Algérie**, Ed. France empire, Paris 1972, p.226

القطيعة بين حكومة شنيق و السلطات الفرنسية سنة 1951، إذ قامت فرنسا باعتقال عشرات الآلاف من التونسيين و الزّج بهم في السجون و المحتشدات مثل محتشد رمادة و جلال (بنقردان) و زعرور(قرب منزل جميل) و المحمدية و سرفيار (قرب فندق الجديد) وتبرسق، إضافة للثكنات و مقرات الجندرمة و السجون المدنية و العسكرية، هذا إلى جانب استعمال العنف و التعذيب في حق المواطنين و المحاكمات الجائرة، ففيما بين جانفي 1952 و ماي 1953، حوكم حوالي 2600 تونسي، صدرت ضدهم أحكام قاسية[4]، و قد تمكن صالح بن يوسف، الأمين العام للحزب، و صالح بدرة من الإفلات من قبضة المستعمرين وفرا إلى مصر كما عرفنا[5]، و قد أدت الاضطرابات إلى سقوط عشرات القتلى من المواطنين في كل من تونس العاصمة و بنزرت و الحمامات و القيروان و سوسة و صفاقس، و كانت أحداث مدينة تونس عنيفة شارك فيها العمال و الطلبة و النساء و طلبة جامع الزيتونة، و في بنزرت هاجمت جماعة وطنية مسلحة دورية للحرس العسكري الفرنسي أدت إلى قتل أحد أفرادها[6].

و ازدادت الاضطرابات و المظاهرات ضراوة في تونس بعد أن أطرتها النقابات العمالية بقيادة النقابي المغاربي فرحات حشاد، و امتدت التظاهرات الشعبية إلي الجنوب التونسي كله، و سار المواطنون بالآلاف في كل من صفاقس و قابس و قفصة و نفطة وتوزر و مدنين و جرجيس، و لجأ المواطنون إلى حرب العصابات، فقطعوا أسلاك الهاتف وحطموا السكك الحديدية و الجسور و الطرق، و بخاصة طرق المواصلات الرابطة بين تونس والجزائر، لمنع وصول النجدات الفرنسية من الجزائر[7].

في خضم هذا الوضع المتأزم بتونس، شرع فريق من الوطنيين، بعضهم من المناضلين في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل و بعضهم في صفوف الحزب الدستوري التونسي و آخرون من عامة الشعب التونسي كانوا كلّهم يؤمنون بفكرة الكفاح المسلح[8]، في

---

[4] - المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، (1881-1964)**، تأليف ثلّة من الأساتذة الباحثين بالمعهد، جامعة منوبة تونس، 2008، ص ص. 154-156

[5] - سابقا، الفصل الثاني، ص. 34

[6] - انظر، الطاهر، عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1930 - 1956**، مكتبة الجماهير، بيروت، لبنان 1976، ص.117-118

[7] - عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 118-119

[8] - يذكر السيد عبد الحميد مهري بناء عل معلومات استقاها من المناضل التونسي الطاهر قيقة وقدمها إلى السيد محمد بوضياف " أن العناصر التي بدأت العمل المسلح في تونس تمتاز بنوع من الاستقلالية عن حزب الدستور، و أن بعضها يجد تشجيعا من الحبيب بورقيبة شخصيا، و لكن توجد

تكوين نواة سرية للحركة المسلحة، فجمعوا السلاح و هيأوا الرجال المدربين على حمل السلاح، و كان من هؤلاء من حارب في فلسطين، و من الذين كانوا أول من بادر إلى حمل السلاح و الالتحاق بالجبال و تكوين جيش التحرير التونسي الطاهر الأسود (لسود) و بلقاسم البازمي وسعد بعر و علي بو الشنب المرزوقي و أحمد الأزرق و مصباح الجربوع والساسي البويحي و عمار بني[9].

تكونت "عصابات" المقاومين المعروفة بحركة " الفلاقة" منذ جانفي 1952 من خارج الأحزاب و دون إذن منها، و نشطت خارج أوامرها و دون تمويلها، حتى و إن عمل الحزب الدستوري الجديد على تأطيرها و توجيهها دون اعتراف رسمي بها[10]. و قد انخرط في المقاومة حوالي 2700 مجاهد تزعمهم وقادهم رجال من أمثال الأزهر الشرايطي (جهة قفصة) و الطاهر الأسود [11] (جهة بني زيد ثم الهمامة فأولاد عيار و ماجر) و الساسي الأسود (جهة قفصة ثم الكاف) و الطيب الزلاق (الشمال الغربي) و حسن بن عبد العزيز (جهة الساحل) و عبد اللطيف زهير(جنوب الساحل) و محجوب بن علي (جهة بنزرت وخمير) و لعجيمي بن مبروك (جهة جلاص) و عمار سلوغة (جهة الهمامة) و بلقاسم البازمي (جهة الكاف) و هلال الفرشيشي (الشمال الشرقي) و مصباح الجربوع و أحمد الأزرق (منطقة تطاوين و مدنين)[12].

مع اشتداد المقاومة و اقتراب موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر ديسمبر 1952، قامت " اليد الحمراء" باغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد يوم 5 ديسمبر من نفس السنة، قبل سفره إلى نيويورك لعرض القضية التونسية على جمعية الأمم المتحدة، فكان لاغتياله الأثر العميق في نفوس أنصاره و رفاقه من الوطنيين الذين صعدوا إلى الجبال

عناصر كثيرة متأثرة بفكر الأمير عبد الكريم الخطابي، الذي يرى أن الاعتماد على الأحزاب للانتقال إلى مرحلة الكفاح المسلح ضرب من العبث "، انظر، شهادة مهري،" مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح "، في: **جيش التحرير المغاربي 1948-1955، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 11-12 ماي 2001**، تحت إشراف دحو جربال، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص. 29

[9] ـ عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 121-122

[10] ـ **موجز تاريخ، مرجع سابق**، ص. 161

[11] ـ تكتبه بعض الأدبيات (المصادر) الطاهر لسود و البعض الأخر الطاهر الأسود، و نشير إليه بالأسود.

[12] ـ **نفسه**، ص. 162

لحمل السلاح[13]، كما كان أثر اغتياله بليغا كذلك على مستوى المغرب العربي، و بخاصة في المغرب الأقصى حيث انطلقت المقاومة كما سيأتي لاحقا.

و قد ازدادت المقاومة خلال سنة 1953، و لما بلغت أوجها في تونس سنة 1954، شكلت فرنسا وزارة محمد مزالي، أحد أعضاء وزارة محمد شنيق، و أوكلت إليها إصلاحات 4 مارس 1954، و التي منها إطلاق سراح المساجين و إلغاء المحتشدات، و في هذا الإطار لعب محمد المصمودي مندوب حزب الدستور الجديد دورا باتصالاته المتكررة بكل من "إدغار فور" و " منديس فرانس" و " فرانسوا ميتران" و اطلاعهم على الحالة الصحية المتدهورة لرئيس الحزب الحبيب بورقيبة - الموجود بالمنفى وقتئذ -، و بواسطة المصمودي اتضحت سياسة بورقيبة تجاه فرنسا المتمثلة في " إمكانية التعاون مع فرنسا" لتصفية الجانب الوطني الثوري " المتطرف"[14]، المؤمن بوحدة الكفاح و التحرير و وحدة المغرب العربي.

ب - المقاومة الثانية (1954-1956): تكامل وحدة كفاح المغرب العربي

اكتملت الوحدة النضالية و حركة التحرير في المغرب العربي خلال سنة 1954، فقد كانت قد انطلقت المقاومة في المغرب متزامنة مع المقاومة في تونس، و اشتعلت الثورة الجزائرية في نوفمبر 1954، فاستبشر لها أحرار المغرب العربي خيرا، في وقت كان منديس فرانس يتفاوض في جنيف لإنهاء الحرب في الهند الصينية بعد كارثة بيان بيان فو على الجيش الاستعماري الفرنسي، و هو في بداية توليه رئاسة الوزراء الفرنسية، فأراد أن يخرج بلده فرنسا من المأزق، فأمر بنقل بورقيبة من منفاه " بقروا" إلى قصر " لافرتي" بالقرب من باريس في 16 جويلية 1954 و تقابل معه، و بعدها، ذهب منديس فرانس إلى تونس و أعلن في خطاب رسمي له أمام الباي بقرطاج بضرورة " استقلال تونس الداخلي"، فاعتبر الدستور الجديد هذا التصريح نقطة تحول في السياسة الفرنسية، و شكلت حكومة

---

13 - عبد الله، مصدر سابق، ص. 126-127

14 - نفسه، ص. 129-130

تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار في 7 أوت 1954 ، و بدأت المفاوضات التونسية الفرنسية في 4 سبتمبر من نفس السنة [15].

أثناء المفاوضات - سبتمبر 1954 إلى 3 جويلية 1955 - طلبت الحكومة الفرنسية من بورقيبة، أن يوجه تعليماته إلى الثوار بتسليم أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية، فأرسل بورقيبة مندوبين في هذا الأمر إلى المقاومين، و فعلا اقتنع جزء كبير من الثوار بتسليم السلاح والعودة إلى الحياة الطبيعية[16].

عاد بورقيبة إلى تونس، بعد توقيع الاتفاقيات (3جويلية) بين الحكومة التونسية وحكومة إدغار فور - بعد سقوط حكومة منديس - ، و كان وقتها صالح بن يوسف، الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، على رأس وفد تونسي بمؤتمر باندونغ، و لمّا بلغه أمر توقيع الاتفاقيات، أعلن في تصريح له:" أن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعتها تونس مع فرنسا... إن الاتفاقية تنص على أن فرنسا لها الحق وحدها في التصرف في مصيرنا الخارجي و الدفاعي، و أن الدولة التونسية تلتزم بأن تسخر لفرنسا البلاد و أهلها وثروتها إذا ما احتاجت فرنسا لذلك بموجب اتفاقياتها... هكذا أصبحت البلاد داخلة في الوحدة مع فرنسا، التي طالما قاومها الشعب التونسي."[17]. عارض الاتفاقيات كذلك الحزب الحر الدستوري القديم و لجنة صوت الطالب التونسي و قيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية ودوائر جامع الزيتونة و خاصة جانب مهم من الحزب الدستوري الجديد، و قد تزعم هذا الصف المعارض صالح بن يوسف، الذي عاد إلى تونس في 13 سبتمبر، و شن حملة ضد اتفاقيات 3 جوان 1955 معتبرا إياها " خطوة إلى الوراء"، لأنّها اعترفت للاستعمار بما لم تعترف به معاهدة باردو(1881)[18]، كما أنّها كذلك خيانة لما اتفق عليه الوطنيون المغاربة من ضرورة المقاومة حتى تحرير المغرب العربي كاملا[19] تحت راية العروبة والإسلام[20]، و بعبارة أدق، كان الصراع حول انتماء تونس الجيو - سياسي المستقبلي، إذ

---

15 - عبد الله، **مصدر سابق**، ص ص. 132-134

16 - **نفسه**، ص.135

17 - **نفسه**.

18 - عن الاستقلال في منظور بورقيبة و منظور بن يوسف، انظر، عميرة، عليّة الصغير، **اليوسفيون و تحرّر المغرب العربي**، ط. المغاربية للطباعة و الإشهار، تونس، 2007، ص ص. 13-23

19 - **موجز تاريخ، مرجع سابق**، ص. 169

20 - عميرة،عليّة الصغير، " حول الاغتيال السياسي في المغرب العربي (1950-1979)"، مجلة **روافد**، عدد 9، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2004، ص. 283

أن موقف صالح بن يوسف هو " تونس جزء من المغرب العربي و من الأمّة العربية الإسلامية " يقابله موقف بورقيبة و هو التوجه نحو الغرب " ارتباطا و تكافلا مع فرنسا، ومستقبل تونس في العالم الحر(Le monde libre)[21].

ظهر بذلك في تونس تياران[22] حول مفهوم الاستقلال، أحدهما يمثل الاتجاه القومي المطالب بالاستقلال التام لتونس و وحدة الكفاح في المغرب العربي و يمثله ابن يوسف، وانضم إليه الثوار الذين رفضوا تسليم أسلحتهم، أما الجناح الثاني، فهو الذي قبل بالمفاوضات و اتفاقيات 3 جويلية 1955، و يمثله بورقيبة و أنصاره و المتخلين عن السلاح.

و نلاحظ أن الطرفين كانا موحدين في المقاومة الأولى (1952-1954)، أما في المقاومة الثانية (1954-1956) أو ما سمي " بالثورة الثانية"، فالصراع بينهما قد اتخذ طابع البحث عن الزعامة في قيادة المقاومة و ضمان الحظوة و الموقع السياسي لدى أنصار الطرفين، إذ نجد في صف بورقيبة من السياسيين من أمثال الباهي الأدغم و المنجي سليم وعلالة بلهوان و الطيب المهيري و الهادي نويرة و الرشيد إدريس و جلولي فارس و محمد المصمودي و الصادق المقدم و عزوز الرباعي و غيرهم.. و في المقابل أشياع صالح بن يوسف من أمثال يوسف الرويسي و علي الزليطني و حسين التريكي و عبد العزيز شوشان و إبراهيم طوبال و غيرهم.. و في ميدان قواد المقاومة نجد في الصف البورقيبي: الأزهر الشرايطي و الساسي الأسود و محجوب بن علي و حسن بن عبد العزيز و العجيمي بن مبروك و مصباح الجربوع... و في صف ابن يوسف قادة من أمثال الطاهر الأسود و الطيب الزلاق و الهادي قدورة و الطاهر بن لخضر الغريبي و مصباح النيفر و عبد الله البوعمراني و عبد اللطيف زهير و عمّار بني...[23]

استطاع بورقيبة بمساعدة السلطات الفرنسية، حتى يمكن لفرنسا أن تحتوي الحركة الثورية و تصفيتها من أن يحدّ من قوة الجناح الأول، و اختارت فرنسا من جهتها بورقيبة حماية لمصالحها من جهة، و من جهة أخرى تعاملت معه و أخرجته من المنفى و قربته لأنّها

---

21 - عميرة علية، اليوسفيون، **مرجع سابق**، ص. 24

22 - انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 96-97

23 - انظر، عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 25-26

أدركت " أن لا تفاوض دون بورقيبة"، لأنّه رئيس أهم حزب وطني في تونس، و قادر على إقناع جماهير حزبه و قيادته على القبول بالقرارات الحاسمة و قد برهن على ذلك عندما أقنع قادة المقاومة بتسليم أسلحتهم أواخر نوفمبر 1954، ذلك أن فرنسا كانت تدرك كل تفاصيل بناء شخصيته، فما كان منها إلا أن تختار بورقيبة، فهو الذي قال عنه الدبلوماسي الأمريكي روبار مورفي (R. Murphy):" لم ألتق خارج فرنسا برجل أكثر فرنسيّة من بورقيبة في العالم العربي و لم أجد أحدا عربيّا أقلّ عروبة منه"[24]، أما ابن يوسف فشأنه شأن بورقيبة، فقد تكون في معهد كارنو الفرنسي بتونس و درس القانون في جامعة باريس، لكنّه أصبح مكروها لدى فرنسا نتيجة انتقاله إلى القاهرة سنة 1952، حيث تناغم صوته مع صوت جمال عبد الناصر و لجنة تحرير المغرب العربي و حركة عدم الانحياز، فأصبح يرمز له بالتآمر ضد فرنسا و الالتقاء مع أعدائها لإخراجها من المغرب العربي، و بخاصة بعد تحالفه مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية و مع قادة ثورة نوفمبر 1954[25].

و عندما عاد ابن يوسف إلى تونس في 13 سبتمبر 1955، بدأت مرحلة سياسية من الصراع بينه و بورقيبة، إذ انقسم الحزب الدستوري الجديد إلى الأمانة العامة للحزب (صالح بن يوسف) و المكتب السياسي للحزب (بورقيبة)، و سرعان ما تحول الانقسام إلى مرحلة من التصفيات و الدمار و الخطف و الاغتيالات بين الطرفين[26]، و خاصة و أن اليوسفيين كانوا منذ أواخر 1955 عصابات مسلحة يقودها الطاهر الأسود مثل مجموعات الطيب الزلاق و الهادي قدورة و الناصر الوصيف و عبد اللطيف زهير و عبد الله البوعمراني و رضا بن عمار وغيرهم، تنشط في تعاون مع وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري ضد رموز الاستعمار و خصومهم من البورقيبيين و تواصلت المشادات بين الفرقاء حتى صائفة 1956 و ذهب ضحيتها أكثر من 400 شهيد من اليوسفيين، نظرا لتدخل الجيش الفرنسي ضدهم، و واصل ابن يوسف ـ الذي فر من تونس هروبا من الإيقاف في 28 جانفي 1956 إلى القاهرة ـ معارضته للاتفاقيات و لحكومة بورقيبة، و تعرض أتباعه في تونس إلى المحاكمات و المتابعات التي تواصلت إلى سنة 1963[27].و مع هذا كله، و بعد

---

24 ـ انظر، عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 72، مقولة مورفي، نقلا عن: Jean LACOUTURE, **Cinq hommes et la France**, Ed. du Seuil, Paris, 1961, p.175

25 ـ **نفسه**، ص.73.

26 ـ عن الصراع بين بورقيبة و صالح بن يوسف، انظر، عبد الله، **مصدر سابق**، ص ص. 137-155

27 ـ **موجز تاريخ، مرجع سابق**، ص. 170

إعلان الحكومة الفرنسية الاعتراف باستقلال المغرب الأقصى، سافر بورقيبة إلى فرنسا وأقنع حكومتها، بأن من مصلحتها أن تمنح تونس الاستقلال التام في نطاق التكافل مع فرنسا، أسوة بالمغرب الأقصى، حتى لا تقوي الجناح " المتطرف" الثوري في المغرب العربي، فمنحت حكومة غي موليه الفرنسية، بموجب بروتوكول 20 مارس 1956، استقلال تونس التام في نطاق التكافل مع فرنسا[28]. و هذا أمام اشتداد المعارضة اليوسفية المسلحة وتهديدها للأمن بالبلاد و ارتباطها بالثورة المسلحة في الجزائر[29].

ج - من جيش التحرير "الوطني" إلى "المغاربي"

في خضم الصراع السياسي بين بورقيبة و ابن يوسف، كان قد تكون بتونس جيش التحرير بقيادة الطاهر الأسود، و جاء ذلك مع ظهور معطيات جديدة على الساحة العربية، منها ثورة 23 جويلية بمصر و تبنيها لقضية تحرير المغرب العربي و وحدته، و منها اندلاع الثورة الجزائرية، إضافة إلى اتجاه ابن يوسف المنادي بالاستقلال التام و توحيد الكفاح المسلح مع الثورة الجزائرية و جيش التحرير المغربي(المراكشي)، في مقابل تصريحات بورقيبة و التي منها:"...إن ما يربطنا بالعرب ليس إلا من قبيل الذكريات التاريخية، و إن من مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب و بفرنسا بصورة أخص، و إن مرسيليا أقرب لنا من بغداد أو دمشق أو القاهرة..."، و قال أيضا:"... إن اجتياز البحر الأبيض لأسهل من اجتياز الصحراء الليبية..."[30].

في هذه الظروف وجه الطاهر الأسود[31]، قائد جيش التحرير التونسي " بيانا " للشعب العربي في تونس في شهر فيفري 1956 قال فيه:" إننا نعلن على رؤوس الملأ

---

[28] - انظر، عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 168-169

[29] - **موجز تاريخ، مرجع سابق**، ص. 173

[30] - عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 154-155

[31] - الطاهر الاسود (أو لسود)، ولد الطاهر بن محمد صالح الأسود اليزيدي بالحامة سنة 1911 في قبيلة الخرجة، و تلقى تعليما محدودا بالكتّاب، و تمّ تجنيده سنة 1930 لمدّة ثلاث سنوات حيث تدرب على مختلف الأسلحة و خاصة المدفعية، حيث أتقن استخدام مدفع "75مم"، ثم عاد إلى الحياة المدنية لينخرط في الحزب الحر الدستوري التونسي (القديم) ثم انسلخ عنه و انتمى إلى الدستور الجديد و أصبح فيه من العناصر الفاعلة، و عرف بميوله الراديكالية في استعمال الكفاح المسلح لإزالة الاستعمار من المغرب العربي، شارك في المقاومة التونسية الأولى (1952-1954) و في "الثورة الثانية" (1954-1956)، سلم نفسه للسلطات التونسية سنة 1956، و توفي 20 مارس 1996. انظر عنه، عروسية، تركي، " عام مرّ على وفاته: الطاهر لسود... بين بورقيبة بن يوسف و عبد الناصر... أيّة علاقة؟ "، مجلة **الوطن**، (تونس)، جوان 1997، ص ص. 9- 13، و لنفس الباحثة، " الكفاح المسلح و مشروع وحدة المغرب العربي في الخمسينيات (الطاهر الأسود نموذجا) "، محاضرة مرقونة (15 ص) بحوزتي أمدني بها مشكورا الزميل الأستاذ مصطفى نويصر.

للشعب التونسي و الشعب الفرنسي و العالم بأسره ، أنّنا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريا وطنيا تونسيا، و أن مهمة هذا الجيش هو تحرير وطننا العزيز من قاذورات الاستعمار وأذنابه... وقد قررنا ضم جيشنا المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين و المغاربة..."[32] ويحث نفس البيان " الشعب على القيام بواجبه في هذا الصراع الفاصل ضد الاستعمار، ويحذر كل من تحدثه نفسه بالوقوف ضد هذه الحركة النضالية المسلحة، و ينذر من يتبع أولئك الذين تنكروا للمبادئ الوطنية و القيم الكفاحية..."، و قد انضم إلى جيش التحرير مناضلون من الحزب الدستوري(القديم) و المتعاطفون مع الثورة الجزائرية[33]. و كان هذا البيان كما يبدو، يلمح إلى استمرار الكفاح المسلح في تونس الذي توفرت شروطه باندلاع الثورة الجزائرية و المقاومة المراكشية، و شعاره لا مفاوضة مع الاستعمار إلا بعد جلاء آخر جندي فرنسي من تراب المغرب العربي، و هو ما نصت عليه مواثيق الحركة الوطنية المغاربية، و بخاصة مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي. و جاء البيان نتيجة ارتياح الطاهر الأسود " للإمكانات اللازمة " التي كانت ستوفرها له مصر في حالة إحياء المقاومة بتونس من جديد بالتنسيق مع رجال الثورة في الجزائر، و هذا بعد الاجتماع الذي تمّ بينه و عبد العزيز شوشان من جهة و فتحي الديب و إسماعيل صادق من جهة أخرى بمزرعة شحن الأسلحة بالقرب من طرابلس بتاريخ 24 نوفمبر 1955[34].

كوّن الطاهر الأسود عدّة فرق لجيش التحرير الوطني التونسي، و نظم لها قيادات عبر كل التراب التونسي، و على مستوى الحدود التونسية الجزائرية[35]، و قبل أن يغادر ابن يوسف تونس متوجها إلى طرابلس، كان قد عقد اجتماعا في بيته في جانفي 1956 لقيادات جيش التحرير، الذي أريد له أن يكون جيش تحرير المغرب العربي كله، و قد حضر هذا الاجتماع من الجانب التونسي ابن يوسف و علي الزليطني و الطاهر الأسود و الطيب الزلاق، و من الجزائر عباس لغرور و السعيد عبد الحي، و من المغرب(مراكش) مجموعة

---

32 - تركي، **الوطن**، جوان 1997، ص. 12، و لنفس الكاتبة، " **الكفاح المسلح**..."، ص. 8، **مرجعان سابقان**.

33 - عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 153-154

34 - انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص ص.132-139

35 - انظر، فرق جيش التحرير و قياداتها، في، عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 156

من قيادة جيش التحرير بقيادة محمد البصري [36]. و بلغ ابن يوسف الحاضرين رغبة عبد الناصر في اللقاء بهم للتشاور معهم عن كيفية إمدادهم بالسلاح لتحرير المغرب العربي[37].

في إطار الإعداد و التنسيق مع المقاومين في الجزائر و المغرب، سافر الطاهر الأسود برا في رحلة شاقة إلى القاهرة مع مطلع سنة 1956، و التقى بفتحي الديب و عبد الناصر و أحمد بن بلّة و عباس لغرور و المهدي بن عبود قصد وضع خطة النضال المسلح الموحد[38]، و تفيد المصادر و شهادات المعاصرين في تلك الأحداث، أن اتصالات فعليّة تمّت بين هذه الأطراف لبعث قيادة موحدة لحركات التحرير في إطار ما سمى " جيش تحرير المغرب العربي"، الذي أصدر أول بيان[39] له في شهر أكتوبر 1955، ممضى من "حركة المقاومة المغربية و جبهة التحرير الوطني "[40]، لكن دون إمضاء الطرف التونسي، و كان التحاق التونسيين لاحقا في بداية 1956 كما ذكرنا، بعد اجتماع تمّ بين ابن يوسف والطاهرالأسود من تونس و السعيد عبد الحي و عباس لغرور عن جبهة التحرير الوطني ومحمد البصري عن جيش التحرير المغربي[41] و المهدي بن عبود[42].

وفي يوم 24 فيفري من نفس السنة، انعقد اجتماع آخر بالقاهرة تحت الرعاية المصرية بين قادة الجيوش الثلاثة، حضره عن تونس الطاهر الأسود و البشير الصباح وأحمد بن بله و عباس لغرور عن الجزائر و عبد الكريم الخطيب عن المغرب ، و تقرر فيه بعث قيادة موحدة لجيوش التحرير الثلاثة، و الالتزام بمواصلة الكفاح المسلح حتى تحرير كامل المغرب العربي، و التزمت مصر من جهتها بتمويل هذه المقاومة بالسلاح عن طريق رئيسها عبد الناصر ذاته[43]، و بناء على ما أورده الأستاذ عميرة عليّة الصغير، نقلا عن شهادة الطاهر الأسود، فان عبد الناصر اقترح باتفاق المجتمعين أن يكون الطاهر الأسود "رئيس لجنة تحرير شمال إفريقيا"، و يضيف نفس الأستاذ أن الطاهر الأسود عند التسجيل

---

[36] ـ عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 157، انظر كذلك، تركي، **الوطن**، جوان 1997، ص.12، و لنفس الكاتبة، " **الكفاح المسلح**.."، ص. 8

[37] ـ تركي، **الوطن**، جوان 1997، **مرجع سابق**، ص. 12

[38] ـ **نفسه**.

[39] ـ **انظر الملحق رقم:** 2+3

[40] ـ انظر، شهادة أحد المؤسسين و القائد العام لجيش التحرير المغربي الدكتور عبد الكريم الخطيب،مؤسسة بوضياف، **جيش التحرير المغاربي**، **مصدر سابق**، ص ص. 193-198

[41] ـ عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 131

[42] ـ تركي، **الوطن**، جوان 1997، **مرجع سابق**، ص.12

[43] ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 170-172

معه(أي شهادته) أخرج " طابعا " ذكر أن عبد الناصر أرسله له يحمل عبارة " الطاهر لسود اليزيدي، القيادة الثورية لتحرير الشمال الإفريقي"[44].

كما تمّ الاتفاق في هذا الاجتماع على توحيد جيوش التحرير في المغرب العربي، ورسمت له خطط موحدة، و اتُفِقَ على إرسال عناصر من الجيش للتدرب على أساليب القتال و فنون الحرب إلى الخارج. و بعد وصول ابن يوسف إلى طرابلس و استقراره بها لحين من الوقت، بدأ جيش التحرير التونسي في التنسيق مع جيش التحرير الجزائري على العمل المشترك، و قد وقعت معارك كبيرة بين جيش التحرير التونسي و الجيش الفرنسي في عدّة أماكن منها بن خداش و تطاوين و قفصة و نفزاوة و القصرين، كما وقعت معارك أخرى بين جيش التحرير التونسي من جهة و الجيش الفرنسي و قوات بورقيبة من جهة أخرى، وكان الجنوب التونسي مسرحا لها، و خاصة في منطقة بني خيرش و تطاوين و قفصة وقبلى و القصرين، و كان الجيشان الجزائري و التونسي يقاتلان جنبا إلى جنب، و خاصة في منطقة أم العرائش و الرديف و يقظة، و كان الشعب العربي في تونس يمون الجميع إيمانا منه بوحدة الكفاح المشترك[45] في المغرب العربي.

في خضم أحداث تونس و فترة حصولها على الاستقلال الذاتي ثم " الاستقلال التام في إطار التكافل مع فرنسا"، تكونت وحدات عسكرية مشتركة جزائرية تونسية " لمحاربة الاستعمار و أعوانه" في تونس و الجزائر[46]، و اتخذت عدّة إجراءات للتنسيق في التنظيم و إمداد المقاومة بالسلاح و الذخيرة، و تمكين المعارضة التونسية من "تحرير البلاد"، التقى ابن بله و ابن يوسف عدّة مرّات في القاهرة و طرابلس، و تكونت لجنة تنسيق بينهما مع نهاية سنة 1955، و كان عبد الناصر وقتئذ المدعم الأساسي لحركات التحرير في

---

44 ـ انظر، عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 105، نقلا عن شهادة الطاهر لسود بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.(هـ.20)

45 ـ عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 158-159

46 ـ يمكن الرجوع بخصوص الوحدات العسكرية المشتركة التونسية الجزائرية، إلى دراسة: Amira, ALEYA SGHEIR," Les Tunisiens et la Révolution Algérienne 1954-1958", in **Acte du 1° congrès du forum d'histoire contemporaine** sur: Méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghrèb, Publications de la Fondation Temimi Pour la Recherche Scientifique et de l'Information (F.T.R.S.I.), Zeghouan, Tunis, septembre 1998, PP. و دراسة: Annie, REY GOLDZEIGUER, " La frontière Algéro-Tunisienne pendant la Guerre d'Algérie dans les Archives Militaires de Vincennes ", في: **أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنيين التاسع عشر و العشرين**، المنعقد أيام 18، 19، 20 نوفمبر 1993، بنزل الديبلوماسي بتونس، جامعة تونس الأولى، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس 1995

المغرب العربي، عن طريق ممثله فتحي الديب[47]، و قد نسق الديب في اجتماع له مع الطاهر الأسود، القائد العام لجيش التحرير التونسي، في طرابلس بتاريخ 24 نوفمبر 1955[48]، و في إطار المبادرة المصرية تكونت قيادة مشتركة للكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي، و تمّت الموافقة على " خطة النضال المسلح الموحدة" بالقاهرة بتاريخ 24 فيفري 1956 من طرف " زعماء حركات التحرير بالمغرب العربي" كما سبق و أشرنا.

خطط المجتمعون برنامجا للإمداد بالسلاح بالمساعدة المصرية عن طريق ليبيا، بعد التزام الوزير الأول الليبي مصطفى بن حليم بتسهيل عملية المرور عن طريق مركزي زنزور و بني غشير، و كان الطاهر الأسود و نائبه (ابن أخته) البشير و أحمد بن بله المسؤولين الرئيسيين في تمرير الأسلحة عبر ليبيا، و كانت الدفعات الأولى في هذه العملية ما بين 20 مارس و 6 أبريل 1956، تمثلت في عتاد عسكري تمّ تمريره حسب التقارير الفرنسية، بواسطة قوافل محملة في مناطق بن غردان و جنوب غرب نفطة أدخلت إلى تونس و سلمت إلى الفصائل العسكرية المشتركة الجزائرية التونسية، التي كانت تنشط على مستوى القطر التونسي و على مناطق الحدود، و كان على رأس بعض هذه الفصائل قادة مجاهدون من الجزائر، يقاومون في تونس و بالثورة الجزائرية على حد سواء[49]. و عن الإطار السابق كانت قد ضبطت خطة عسكرية منذ 24 نوفمبر 1955 في اجتماع بطرابلس بين الطاهر الأسود من جهة، و فتحي الديب و اسماعيل صادق تمّ بموجبها تقسيم البلاد التونسية إلى ست مناطق عسكرية: منطقة الجنوب العسكري، منطقة قابس، منطقة صفاقس، منطقة سوسة، منطقة الكاف، و منطقة تونس[50].

و إذا كانت الخطة السابقة لم تنفذ ـ في حدود علمي بناء على ما أورده الديب في كتابه و ما توفر لدي من معلومات ـ نتيجة تسارع الأحداث خلال فترة المقاومة التونسية و محاولة تلاحمها مع الثورة الجزائرية، فإن مصر عبد الناصر الثورية قد وفّت كل التزاماتها وتعهداتها تجاه المقاومة في تونس و الثورة الجزائرية، و بخاصة فيما يتعلق بالإمداد

---

47 ـ الديب، **مصدر سابق**، ص ص. 132-134

48 ـ **نفسه**، ص ص. 170-174

49 -ALEYA SGHAIER, " Les Tunisiens..", **op. cit**. pp. 114-120

50 ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص ص.132-139

المشترك للمقاومين بالسلاح و العتاد الحربي بالمغرب العربي إلى تاريخ حادثة " اختطاف الطائرة" التي كانت تقل الوفد الخارجي للثورة[51] و إلى ما بعده.

وضعت المقاومة التونسية في إستراتيجيتها محاربة الفرنسيين و استهدافهم و شمل نشاطها منذ أواخر سنة 1955 و حتى بعد صائفة 1956 كامل الشريط الحدودي مع الجزائر و كامل جبال الجنوب التونسي تقريبا، و شارك فيها ما يزيد عن 1500 مقاتل، و كانت وقائعها حربا حقيقية تدخل فيها الجيش الفرنسي كما لم يتدخل في السابق بآلياته الثقيلة وبطائراته و فاق عدد شهداء هذه المرحلة من المقاومة عدد شهداء سنوات المقاومة الأولى، و لعله كان ضعفه. و لهذا رأت فرنسا في المقاومة اليوسفية خطرا رئيسيا على وجودها في الجزائر، و بخاصة و أنّه كان في إستراتيجية " جيش التحرير الوطني التونسي" التّلاحم مع " جيش التحرير الوطني الجزائري"، و كان الثّوّار التونسيون من الحدود مع ليبيا إلى الحدود مع الجزائر في الجنوب يمثّلون همزة وصل حيويّة لإمداد الثورة الجزائرية بالسلاح الآتي من الشرق[52]، و هذا البعد الإستراتيجي لم يكن خافيا عن فرنسا و عن جيشها. لذا كان القرار السياسي الفرنسي في تحويل الدولة التونسية النّاشئة إلى دولة "قادرة"، يعني دولة "مستقلّة" تخدم الإستراتيجية الفرنسية، أوّلا في المحافظة على مصالحها في تونس، و ثانيا بضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي، و ثالثا تحجيم المعارضة اليوسفية وإبطال خطابها التحرري في العالم العربي، الذي كان يتلقى الدعم السياسي و المادي ممن تعتبره فرنسا آنذاك عدوا رئيسا لها هو نظام الثورة في مصر عبد الناصر حتى أن مقاومي الجزائر كانت تنعتهم الدعية الفرنسية آنذاك بـ"مرتزقة القاهرة"[53].

د ـ تلاحم المقاومة التونسية مع الثورة!

---

51 ـ نشير هنا إلى شحنات الأسلحة التي كانت تسلم إلى رجال المقاومة التونسية و الثورة الجزائرية على السواء في الجهة الشرقية من المغرب العربي، و إلى الشحنات التي كانت تسلم إلى جيش التحرير المغربي و الثورة الجزائرية كذلك على الجهة الغربية من نفس المنطقة. انظر، الديب، مصدر سابق، المستندات في ملاحق الكتاب.

52 ـ و هذا ما يؤكده البشير القاضي المسؤول الجزائري عن قاعدة طرابلس في شهادته عن دعم اليوسفيين و تعاونهم مع الثورة الجزائرية. انظر، مؤسسة بوضياف، **جيش التحرير المغاربي، مصدر سابق**، ص ص. 174-177

53 ـ عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص.87-88

شارك مجموعة من الجزائريين في المقاومة التونسية بداية من سنة 1951، إيمانا منهم بوحدة الكفاح و مصير المنطقة الواحد، و نذكر منهم هنا على سبيل المثال، القائد الجيلاني بن عمر و الطالب العربي قمودي و القائد عبد الكريم هالي و القائد عبد الحي السعيد و العربي فرجاني و علي زوازرية و محمد بن عمر و عماره موساوي و عبد القادر عاشور و خزاني دردوري و كيلاني الأرقط و العيد بركة و أحمد مصطفى تواتي و الهادي بوعزيز و العربي العابد و فرحات الصغير زكور[54]، و كان منهم من شارك في الحرب متطوعا في فلسطين ثم في المقاومة بتونس من أمثال الأزهر شريط و الحاج صالح صفصاف و العربي جنة و بن طيبة لحسن و الحاج مصطفى زرفاوي[55] و غيرهم.. جاهد هؤلاء جميعا ضد القوات الفرنسية في تونس، و عندما بدأت الثورة الجزائرية، فيهم من التحق بها و فيهم بقي بتونس، إيمانا منهم بوحدة المقاومة، في فصائل جيش التحرير التونسي بقيادة الطاهر الأسود و صالح بن يوسف. و الملاحظ أن هؤلاء كلهم سقطوا شهداء - في حدود علمنا - خلال سنوات 1955-1958 سواء أكان ذلك بتونس أو الجزائر نتيجة لمعطيات المغرب العربي فيما بعد سنة 1956، و فيهم من كلف بمهمة إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح و العتاد عبر الحدود.

و من الذين انتموا إلى المقاومة في تونس ثم التحق بالثورة الجزائرية سنة 1954، القائد الجيلاني بن عمر و الأزهر شريط، و قد التحق الجيلاني بن عمر بالثورة في الجزائر بعد أن اشترى كمية من الأسلحة بتونس و كون بها فرقة من الجنود، خاض بها معارك ضد قوات الاحتلال بمناطق الرديف و تبسة و جنوبها، و كانت له اتصالات شخصية مع مصطفى بن بو العيد، و كلفه أحمد بن بله بحراسة قوافل الأسلحة القادمة من الشرق، و ظل مواصلا عمله و سعيه في هذه الميادين[56]، كان ابن عمر مسؤولا نائبا لقائد ناحية تبسة الأزهر شريط على الحدود الشرقية إلى أقصى الجنوب التونسي على رأس حوالي 400 مجاهد إلى غاية وفاته[57]، أما الأزهر شريط، فإنه التحق بالجزائر بعد أن سلم المقاومون

---

54 - انظر عن هؤلاء المجاهدين الشهداء، سعد العمامرة و الجيلالي العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، (د. ت. ط.).

55 - زروال، **اللمامشة في الثورة، دراسة**، ط. دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ، ص ص. 64-68

56 - الجيلاني بن عمر، من مواليد 1926 بوادي سوف، استشهد في 1955/10/20 بالمكان المسمى سندس بمنطقة زاريف (الجزائر)، انظر عنه، العمامرة، **مرجع سابق**، ص ص.26-30

57 - زروال، **اللمامشة في الثورة**، مصدر سابق، ص ص. 123-126

التونسيون أسلحتهم، و كان من أوائل المجاهدين بالثورة الجزائرية، و أصبح قائدا عاما لناحية تبسة يساعده كل من عمر البوقصي و ساعي فرحي و الجيلاني بن عمر[58].

و من أبرز القادة في صفوف المجاهدين اليوسفيين: الطاهر الأسود و الطيب الزلاق و محمد قرفة و عبد اللطيف زهير و الطاهر البوعمراني و الهادي الأسود و علي درغال والعجمي المدور و إبراهيم الأريل و عمار بني و الطاهر الغريبي و البشير بن منصور وعلي بن أحمد المحضاوي و أحمد الأزرق و ناصر بن مسعود العاشق(باك الناصر) ومحمد بن ضو العبيدي و محمد بن مصباح النيفر، قاد هؤلاء مئات المقاومين في فصائل منفردة أو ضمن وحدات قتالية مشتركة مع ثوار الجزائر و خاضوا عدّة معارك و شمل نشاطهم كامل الشريط الحدودي و جل جبال الجنوب التونسي من أواخر 1955 إلى ما بعد 20 مارس 1956، شارك فيها ما يزيد على ألفي مجاهد من الطرفين في 51 مجموعة (فصيلة) مقاومة، دخلت مع الجيش الفرنسي و حلفائه من النظام التونسي الناشئ في معارك حقيقية، شاركت فيها طائرات و دبابات القوات الفرنسية، و أدخلت هذه الفصائل الاضطراب فعلا على الوجود الفرنسي في تونس و على خططه الأمنية في المغرب العربي و بخاصة في الجزائر[59]، و كلفته خسائر معتبرة في الأرواح و المنشئات الاستعمارية[60].

و نشير هنا إلى بعض الفصائل و الفرق المشتركة التي قاتلت على طول الحدود الجزائرية التونسية، بالتراب الجزائري أحيانا و بالتراب التونسي أحيانا أخرى، فيما بين نهاية سنة 1954 و مطلع سنة 1957، بناء على معطياتنا المتواضعة[61].

أهم هذه الفصائل المشتركة: فصيلة الطيب الزلاق و أحمد الشريف، و بها حوالي[62] 100 مقاتل و كانت مقسمة إلى أربعة فرق، و كانت تنشط في منطقة بوشبكة وبني خمير

---

58 ـ زروال، اللمامشة في الثورة، مصدر سابق، ص ص.123-126

59 ـ عن النشاط العسكري على الحدود الجزائرية التونسية، انظر، GOLDZEIGUER, "La frontière Algéro-Tunisiennes..",**op. cit**. pp.41-89

60 ـ حسب إحصاء للقوات الفرنسية نهاية 1956، كانت الخسائر كالتالي: " 600 قتيل، 2000 مفقود (90% منهم مسلمون فرنسيون!)، 400 مدرسة محروقة أو منهوبة، إسقاط 50000 عمود هاتف، 6000 ضيعة فلاحية مخربة، 70000 رأس ماشية مذبوح أو مسروق، 500000 شجرة مثمرة منزوعة أو مقطوعة، 12 مليون شجرة من الكروم أزيلت". **نفسه**، ص. 55-56

61 ـ انظر بخصوص الفصائل و الفرق المشتركة: ALEYA SGHAIER, " Les Tunisiens..", op. cit. pp.114-119 ، و دراسة اللولب، **التونسيون و الثورة الجزائرية، مرجع سابق**، ص ص. 438-448. فالأول (علية الصغير) يقدم لنا ثلاث فصائل كانت ثائرة خلال شهري أفريل و ماي سنة 1956، و 11 فصيلة خلال صيف 1956، أما الثاني (اللولب) فقدم لنا عدّة فصائل و فرق فيما بين 1954-1957 بطريقة غير منهجية يغلب عليها الخلط في أسماء قادة الفصائل و الفرق و تكرارها دون تصحيحها، رغم رجوعه إلى الأرشيف الفرنسي!

62 ـ استعملنا هنا متعمدين الكلمة التقديرية (حوالي)، لأن العدد الإحصائي في القتال من الأسرار و من ثمّة فهو تقديري.

وجبل الوسط، و عمل الزلاق كذلك مع فصيلة عبد المجيد التي كان بها حوالي 100 مقاتل في جبال بني خمير و جهة الكاف.و فصيلة عبد القادر السوفي مؤلفة من 40 إلى 50 مقاتلا و بها فرقة تابعة للحاج نوري البعصوصي(أو البلوسي)، و بها فرقة أحمد الطاهر النايلي، ونشطت في منطقة القصرين و شمال فريانة و مناطق بوعيسى و الهمامة و جنوب هنادره. و فصيلة علي درغال بن علي اللموشي متكونة من 40 إلى 60 مقاتلا و قاتلت في منطقة جبل مرابط و أم العرائس و قفصة و جبال مراطة. و فصيلة محمد الجبالي بن عمر وبها حوالي 40 مقاتلا و نشطت بمنطقة الجريد. و فصيلة عبد الله الشيخ البوعمراني و بها حوالي 200 مقاتل مقسمة إلى سبع فرق، و كان بها الطالب العربي السوفي و كان يساعده العبيدي بن الصغير المدعو بابي، و بها كذلك محمد بن العربي بن الصامت، و كانت تقاتل في منطقة جبال الجريد و تمغزة و جبل عرباطة و الجبل الأبيض و جبل مانع روحه ونفطة، إلي جانب فرق مشتركة أخرى منها: فرقة عبد الله بن زايز، و فرقة حسن بن عبد الحفيظ ، وفريد عثمان أحمد، و الأزهر بن عثمان، و علي بن أحمد بن علي، و محمد بن خليفة المباركي، وبلقاسم بن عبد الله. و هناك فصيلة الزين الأسود بن عبيد اللموشي قائد فصيلة "السيف الأسود" و بها حوالي 30 مقاتلا، و كانت تنشط بمنطقة الردايف. و فصيلة صدوق الكامل بن عبد الرحيم المؤلفة من حوالي 200 مقاتل و نشطت بمنطقة وزان جنوب الذهيبات. و فصيلة ناصر لوصيف المؤلفة من حوالي 300 مقاتل و كان مجال عملها الدويرات و شنيني وغرماسة. و فصيلة الطاهر بن لخضر الغريبي و بها حوالي 200 مقاتل و نشطت في جبال الجريد و شماله، و كان الطاهر الأسود مفتشا و قائدا عاما للفصائل المشتركة الجزائرية التونسية على رأس قوة متألفة من حوالي 180 مقاتلا.

كان شعار هذه الفصائل الجهادي تحت راية وحدة المصير في تحرير المغرب العربي، كما كانت سببا حاسما في التحول بتونس من اتفاقيات الاستقلال الداخلي(الذاتي) إلى الاعتراف بالاستقلال التام باعتراف مسؤولي السياسة الاستعمارية الفرنسية[63]. و تفيد بعض المصادر أن التنسيق و الالتحام كان بين المقاومين في تونس و الجزائر متبادلا بما في ذلك "كلمة السر" لقبول التونسيين المتطوعين في صفوف الثوار الجزائريين[64]. هذا فضلا عن

---

[63] - عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 42-43
[64] - عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 109

مئات المعارك و الاشتباكات و المناوشات و الكمائن و الغارات التي خاضها اليوسفيون لوحدهم أو بالاشتراك مع الفصائل الجزائرية أو " العصابات" المشتركة ضد قوات النظام البورقيبي و القوات الفرنسية أو القوات البورقيبية الفرنسية المشتركة في الجنوب و الجنوب الشرقي التونسي و جبال قفصة و شط الجريد و على طول الحدود، و التي دامت إلى صيف 1957[65].

و ظلت ليبيا حتى سنة 1956 مركزا " للقيادة العليا لجيش التحرير الوطني التونسي" تحت إشراف " القائد العام" صالح بن يوسف و الإشراف المباشر على الفرق المقاومة من القائد الطاهر الأسود - على الأقل - حتى شهر ماي 1956، تاريخ عزل الأسود و سجنه المحتمل من صالح بن يوسف ليعيّن خلفا له العجمي المدوّر ثم الطاهر بن لخضر الغريبي واعتماد مصطفى المرزوقي بمثابة " المراقب السياسي" للجيش[66]. و يبدو أن هذا الأمر هو السبب في استسلام الطاهر الأسود في 3 جويلية 1956 للسلطات التونسية[67]، في حين تذهب أدبيات أخرى إلى أن سبب استسلامه بمدنين، جاء بعد سماعه ببروتوكول 20 مارس 1956 و استقلال تونس، الذي يعني عنده نهاية الكفاح المسلح[68]، و هو ما نستبعده.

إذ تفيد المصادر الفرنسية، أنّ اتفاقا حصل بين " الأمانة العامة" لجيش التحرير التونسي بقيادة الطاهر الأسود - قبل عزله - و جبهة التحرير الوطني مفاده ما يلي:

1- عبد الحي (السعيد) له السلطة و مهمة الاتصال مع القيادة العليا و التنسيق معها

2- ضرورة التدخل الكثيف للجزائريين بتونس

3- لا يتصل المقاومون الجزائريون إلا بشعب " الأمانة العامة" لتلقي المعلومات و الإعانة

4- فقط المتطوعون الذين يعتمدهم الطاهر الأسود يمكن إدماجهم في الوحدات الجزائرية

5- العصابات المشتركة يجب أن تكون تحت قيادة جزائرية

6- الإعانة و الدعم يضمنه اليوسفيون لتسريب السلاح

---

65 - عن المعارك و العمليات العسكرية .. انظر، عليّة الصغير، **نفسه**، ص ص. 111-124، انظر كذلك GOLDZEIGUER, "La frontière Algéro-Tunisiènne..", **op. cit**, pp.41-89

66 - عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 108

67 - **نفسه**، ص. 102

68 - عاش الطاهر الأسود تحت الإقامة الجبرية في منزل بالمنزه، و عندما أعدم أخوه الهادي، أصبح الصمت شعاره و اعتزل الحياة فنقل من تونس العاصمة إلى الروحيّة و هي منطقة بعيدة توجد بجهة سليانة، و لم ينقل إلى مسقط رأسه بالحامة. انظر، تركي، **الوطن**، جوان 1997، **مرجع سابق**، ص. 12

7- اليوسفيون يكونون بدورهم فرقهم المسلحة، و التنظيم السياسي العسكري يكون مماثلا لتنظيم الجزائريين

8- العصابات الجزائرية بتونس يمكن أن توفر السلاح و الذخيرة لليوسفيين

9- الجزائريون يلتزمون بتقديم الإعانة المالية للقيام بالعمليات المشتركة

10- يجب إشعار الجزائريين عندما يدخل اليوسفيون في التمرد الشامل[69].

كان موطن الحامة بتونس، بلد الطاهر الأسود، الواقع غرب قابس على بعد 30 كلم منها، مركزا مهما لتخزين الأسلحة الآتية من ليبيا، و منه كانت توزع على مختلف فصائل المقاومة في تونس و الجزائر على حد سواء[70]. و كان من أهم الفصائل ، فصيلة الطيب الزلاق، التي يبدو، أنّها تكونت في بداية الأمر من 17 جنديا في شهر فيفري 1956، بمنطقة منقار البطة (Bec du canard) بغار الدماء، و سرعان ما تكاثر جنودها حتى بلغت حدود 110 مقاتل، و كانت هذه الكتيبة مشتركة بها جزائريون و تونسيون، و اشتغلت بالتنسيق مع فصيلة جزائرية بقيادة محمد الشريف و أحمد الخيلي على طول خط سوق الأربعاء والجبل الأبيض[71]. و أما الطيب الزلاق فهو من قدماء المقاومين، انتمى إلى المقاومة في ربيع 1954 و سلم سلاحه في شهر ديسمبر من نفس السنة، غير أنه عاد إلى صفوف المقاومة في جانفي 1956 في إطار المعارضة اليوسفية لاتفاقيات الاستقلال الداخلي و في تناغم و تنسيق مع ثوار الجزائر، تحت راية العروبة و الإسلام و التحرير الشامل للمغرب العربي و وحدة السلاح، وبعد مقاومته الشرسة، و أمام ضربات الجيش الفرنسي و ملاحقات القوات التونسية بقيادة محجوب بن علي و تضييق الخناق عليه سلم نفسه في مجموعة من 7 مقاومين من فصيلته ليلة 7 ماي بسيدي مسكين[72].

كان تركز المقاتلين الجزائريين و التونسيين بجبال منطقة قفصة و الجريد و الظهر وشريط المناجم، و كان لهؤلاء تنسيق مع مجاهدي منطقة وادي سوف، و كان التنظيم العسكري في قطاع قفصة مدعم من طرف منظمة سرية تدعى " السيف الأسود"، و كانت هذه المنظمة تقوم بالدعاية للمقاومة و تقوم بجمع الأموال و المعلومات. و كان الجزائريون

---

69 - عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص. 109-110 نقلا عن أرشيف الجيش الفرنسي(تقرير الجنرال باتيف Baillif)

70- ALEYA SGHAEIR, " Les Tunisiens..", **op. cit**. pp. 113-115

71 - عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 177-178

72 - انظر عنه، عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص ص. 125-140

في هذه المنطقة بقيادة محمد العربي بن عمر السوفي، أما التونسيون فكانوا بقيادة الطاهر بن الأخضر الغريبي، و هو من نفطة[73]. و تقدم التقارير الفرنسية الفصائل المشتركة و تعداد أفرادها، قائلة أنّها كانت تشتغل في تهريب السلاح و مقاومة الجيش الفرنسي، و عددها 11 فصيلة، و من أهمها و أنشطها الفصيلة التي كان أحد قادتها الطالب العربي[74].

و الطالب العربي القمودي[75] من الجزائريين الذين انتقلوا إلى تونس، و استقر بمدينة الرديف، عاملا بمنجم الفوسفات إلى أن اندلعت المقاومة التونسية، فشارك فيها ماديا وسياسيا، و عند اندلاع الثورة الجزائرية كان من الرجال الأوائل الذين اتصلوا بمصطفى بن بو العيد و البشير شيهاني و الجيلاني بن عمر، فكلفوه بتموين الثورة و إمدادها بالسلاح وتوعية الجماهير، و كان الطالب يعمل ضمن قيادة ابن عمر، و باستشهاد هذا الأخير، تولى الطالب بنفسه قيادة فرقة من الجيش بالحدود الجزائرية التونسية، بالمنطقة الخامسة بالولاية الأولى، و كان مكلفا بجلب الأسلحة عبر الحدود الليبية و منها إلى الجزائر، ثم كلفته قيادة الثورة بقيادة جيش صغير لحماية شرايين و طرق إمداد الثورة بالسلاح الواردة من الشرق، و نتيجة لذلك ذاع خبر جيشه، فهرع إليه المجاهدون و ظل جيشه في تكاثر و ازدياد حتى بلغ مع سنة 1957 حوالي 900 مجاهد، خاض بهم حوالي 47 معركة و عملية، حتى استشهاده سنة 1957[76].

و أثناء سرعة المد الثوري للمقاومة، قامت قيادة الأوراس التي كانت تحت إشراف البشير شيهاني أثناء فترة غياب مصطفى بن بو العيد ـ بالسجن فيما بين 1955/02/12 إلى 1955/11/11 ـ بتعيين القائد السعيد عبد الحي و كلفته بإنشاء قاعدة تنظيمية بتونس العاصمة رفقة عبد الكريم هالي، الذي كُلف بالاتصال مع الخارج لجلب السلاح عن طريق ليبيا، و كان ذلك في أوائل سنة 1955[77].أما الرجل الثاني عبد الكريم هالي[78]، فالتحق بالثورة الجزائرية منذ شهر نوفمبر 1954 بمنطقة الأوراس رفقة شيهاني و عبد الحي

---

73 -ALEYA SGHAEIR, " Les Tunisiens..", **op. cit**. p.117
74 - **Ibid**. p.118

75 ـ انظر عنه، العمامرة، **مرجع سابق**، ص.35-36
76 ـ انظر، **نفسه**، ص.35-36
77 ـ **نفسه**، ص ص. 39-41
78 ـ عبد الكريم هالي من مواليد بلدة قمار بوادي سوف سنة 1930، حفظ القرآن الكريم، درس بالزيتونة بتونس و تحرج منها سنة 1954 متحصلا على شهادة " العالمية"، كان عضوا بالحركة الطلابية الجزائرية، التحق بالثورة الجزائرية سنة 1954، و استشهد خلال سنة 1957. انظر عنه، العمامرة، **مرجع سابق**، ص. 39-40

وغيرهما، شارك في العديد من المعارك، و اختارته قيادته ليكون مسؤولا خارج التراب الجزائري لإمداد الثورة بالتمويل و التموين، فأرسل إلى تونس في الفترة التي عين فيها زميله عبد الحي، فالتحق بتونس ثم طرابلس، و شرع في العمل و الاتصال بالقادة هناك، وهم بن بله و خيضر و أحمد توفيق المدني، و باقي أعضاء مكتب المغرب العربي الذين كانوا بالقاهرة، و أنشأ جسرا بريا لقوافل السلاح من طرابلس إلى الجزائر مرورا بالتراب التونسي، بحيث كاد " أن يكون المنفذ الوحيد للثورة من الناحية الجنوبية الشرقية"، و كان يربط عمله هذا بعمل رفيقه في النضال عبد الحي، و شارك هالي في العديد من المعارك التي دارت في أقصى الجنوب التونسي ضد القوات الفرنسية المرابطة هناك لمنع مرور قوافل السلاح و التموين الموجهة للثورة[79].

أما القائد عبد الحي[80]، فهو من خريجي الزيتونة بتونس سنة 1954، و كان قبل ذلك يلتقي خلال سنة 1948 في متجر أخيه إدريس بمحمد بلوزداد المكلف وقتئذ ـ من طرف حزب الشعب/حركة انتصار ـ بناحية قسنطينة، و غالبا ما كان يحضر هذه اللقاءات العربي ابن مهيدي، فيدور الحديث عن السياسة و الحركة الوطنية و العمل الثوري المسلح ضد الاستعمار، و بذلك نمت فيه الروح الوطنية، و أثناء الدراسة بتونس عمل عضوا نشيطا في الحركة الطلابية، و كان من الطلائع الأولى في ثورة نوفمبر 1954 رفقة زميله عبد الكريم هالي بمنطقة الأوراس، إلى جانب شيهاني و ابن بو العيد و عباس لغرور و ابن عمر[81].

شارك عبد الحي في العديد من المعارك ضد المستعمر، مكنته من إظهار شخصيته، مما جعل القادة بالأوراس يحملونه مسؤولية تنظيم الثورة بتونس أوائل سنة 1955، فأصبح يمثل جيش و جبهة التحرير الوطني بتونس، و مارس هذه المسؤولية بكل جدّ و حكمة وشجاعة، فركز قواعد النظام في كامل التراب التونسي، بداية من القطر الليبي، فكان همزة الوصل التي ربطت الداخل بالخارج في تزويد الثورة بالسلاح و العتاد و الرجال، مما أعطى

---

79 ـ **نفسه**، ص.39-40

80 ـ السعيد عبد الحي، من مواليد سنة 1927 ببلدة قمار بوادي سوف، حفظ القرآن الكريم و مبادئ اللغة العربية و التحق بالزيتونة، و تخرج منها، اهتم بأمور بلاده منذ فترة الأربعينيات من القرن العشرين، كان من الطلائع الأولى لثورة نوفمبر 1954 التحررية. انظر عنه، العمامرة، **مرجع سابق**، ص. 41-42

81 ـ **نفسه**، ص. 41

الثورة في البداية قوتها و هيبتها[82]، و كان قد أرسل مع مجموعة من المجاهدين للقيام بمهمة التسليح بالتنسيق مع الوفد الخارجي بالقاهرة من قبل شيهاني[83].

والملاحظ أن القائد شيهاني كان قد أرسل في شهر أبريل 1955 المجاهد عثمان حوحه مبعوثا خاصا إلى صالح بن يوسف، و كان الهدف من ذلك هو التنسيق بين المجاهدين الجزائريين و التونسيين في إطار مواصلة الكفاح و تعميمه على مستوى المغرب العربي، وقد جرى الاتصال سريا في جزيرة جربة، و في هذا اللقاء تعهد ابن يوسف بتقديم الدعم والمساندة للثورة و على مواصلة الكفاح في تونس بشرط أن يعينهم المجاهدون الجزائريون بالسلاح و غيره إلى استقلال البلدين، و ناقش الرجلان فكرة تجسيد جيش تحرير المغرب العربي الذي تمت الموافقة عليه دون قيد أو شرط[84].

و نتيجة لهذا الاتصال و التنسيق بين قادة المقاومة بالمغرب العربي، فإن البشير شيهاني سعى إلى تجسيد ذلك ميدانيا، فإنه كوّن جناحا عسكريا أطلق عليه اسم " جيش تحرير المغرب العربي" من مجاهدين جزائريين و تونسيين تحت قيادة المجاهد الجيلاني بن عمر في المكان المسمى "قنيشة" ما بعد الجبل الأبيض بجبال اللمامشة، و خاض هذا الجيش معارك كثيرة في الحدود الجزائرية التونسية، و بعد استشهاد ابن عمر عهد بالقيادة إلى المجاهد خميسي أوقاد المدعو سي صالح (لعله صالح الرشاشي) الذي استشهد بالأراضي التونسية، فخلفه على رأس قيادة هذا الجيش أحمد عثماني المعروف بفريد. و عندما كون شيهاني هذا الجيش على حدّ قول الكاتب محمد زروال، فإن ذلك كان عن أمره الشخصي، أي دون أن يأخذ موافقة أي مسؤول آخر أعلى رتبة منه في ذلك[85]، و هو كلام مناقض لما ذكره عن اتصال شيهاني المستمر ببن بلّه[86] و ابن يوسف بجزيرة جربة، و المعروف أن ابن يوسف كان على علاقة ببن بلّه هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن شيهاني كان قد أمر الأخضر حمّه بوجوب تنظيم منطقة وادي سوف، و أن يهاجم مراكز الاستعمار في منطقة فزان و على الأخص مركز غدامس و قاط و أن يتوغل بعد ذلك في الأراضي الليبية حيث

---

82 ـ العمامرة، **مرجع سابق**، ص.41

83 ـ انظر، محمد، عباس، " مع المناضل الشيخ حامد روابحية ـ 2 ـ "، جريدة **الشعب** ، عدد 19 جمادي الأولى 1407 هـ/1987/01/19

84 ـ زروال، **اللمامشة في الثورة، مرجع سابق**، ص.389

85 ـ **نفسه**، ص. 389-390

86 ـ محمد، زروال، **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية ـ الولاية الأولى نموذجا ـ** طبعة خاصة بمناسبة الذكرى 45 لعيد الاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر،(2007)، ص.150

يتصل بعلي الزليطني في ضيعته ـ مركز إمداد و تدريب ـ الذي سيوصله إلى بن بلّه و علي محساس بهدف الحصول على الأسلحة[87]، و قد ظل شيهاني في اتصال مع محساس حين حلّ بطرابلس و تونس[88]، و كان قد بعث بهدية تمثلت في مسدس نائب حاكم مدينة تبسة الفرنسي المقتول هدية للرئيس جمال عبد الناصر[89] بعد معركة الجرف الشهيرة (سبتمبر 1955)، ألا يكون البشير شيهاني بذلك أحد رموز المقاومة في المغرب العربي؟ قد تكشف لنا الشهادات و الوثائق ذلك مستقبلا! و على كل فشيهاني راح شهيدا و ضحية للخلافات على القيادة في الولاية الأولى أثناء سجن مصطفى بن بوالعيد وهي الخلافات التي استمرت حتى بعد استشهاده[90]، و التي ليست من اهتمامات هذا العمل.

بدأ المسؤولون التونسيون مع مطلع سنة 1956، يتبرمون من تعدد المتحدثين باسم الثورة الجزائرية، فطلبوا عن طريق اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا من مسؤولي الثورة بالداخل إيفاد مسؤول يسوي هذه المسألة بتونس، فاتصل عبان بحامد روابحية[91] لسابق علاقته بتونس، فسافر هذا الأخير أواخر شهر مارس 1956، و اتصل هناك بالباهي الأدغم و الطيب المهيري الوزيرين في حكومة ابن عمار، فشرحا له أمور قيادة الثورة في تونس[92]،و كان ذلك بعد إعلان استقلال تونس، الذي كانت ترفضه العناصر القومية المغاربية، التي كانت على علاقة بالثوار الجزائريين ذوي نفس الاتجاه.

علم روابحية أن هناك مسؤولا عن الثورة، هو عبد الحي، فاتصل به و اتفق معه على أن يتعامل مع الحكومة التونسية بصفة رسمية، بصفته ممثلا للثورة، و على هذا الأساس قدمه للمسؤولين التونسيين، و قد استحسن عبد الحي هذا الموقف من روابحية و عرض عليه

---

87 ـ زروال، **اللمامشة في الثورة، مرجع سابق**، ص. 143 ، و انظر كذلك لنفس الكاتب، **إشكالية القيادة**، ص.150

88 ـ انظر الوثيقة رقم 11، رسالة عبان رمضان بتاريخ 1955/11/4 في: Mabrouk, BELHOCINE, **Le courrier Alger le Caire 1954-1956 et le Congrès de la Soummam dans la révolution**, Casbah-Ed. Alger, 2000, pp.108-110

89 ـ **نفسه**، ص. 180-181

90 ـ يمكن الرجوع حول أمر الخلافات على القيادة في الأوراس إلى: زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**.

91 ـ حامد روابحية، من مواليد سنة 1918 درس على يد الشيخ العربي التبسي، تخرج من الزيتونة، التحق بحزب الشعب الجزائري سنة 1944، كلف بمهمة إلى تونس رفقة آيت حسين في مارس 1956، انتقل في نفس السنة إلى القاهرة، ثم عين على رأس بعثة جبهة التحرير ببغداد (1956 - 1961)، بعدها انتقل إلى المغرب الأقصى إلى غاية الاستقلال. انظر عنه، عباس، **الشعب**، عدد 87/01/12، **مصدر سابق**، و عدد 87/01/19، **مصدر سابق**.

92 ـ عباس، **الشعب**، عدد 87/01/19، **مصدر سابق**.

البقاء بتونس لتنظيم جبهة التحرير، على اعتبار أن عبد الحي يمثل جيش التحرير الوطني، غير أن روابحية اعتذر بمبرر أنّه جاء إلى تونس في " مهمة"[93].

عاد روابحية إلى الجزائر، و قدم تقريرا عن مهمته إلى عبان [94]، الذي ما لبث أن طلب من روابحية الالتحاق بتونس نهائيا مع آيت الحسين بصفته ممثلا لجبهة و جيش التحرير الوطني في مكان عبد الحي. و قد حلّ فعلا روابحية بتونس يوم 12 ماي 1956، والذي استقبل ببرودة من طرف جماعة عبد الحي، و الجدير بالذكر - على حد قول روابحية - أن وثيقة الاعتماد، كانت قد وصلت إلى عبد الحي قبل أن تصل إلى روابحية، و التي مفادها التعاون فيما بينهما، لكن عبد الحي كتب تقريرا إلى قيادة الأوراس يعلمهم بوجود نظام جديد حلّ بتونس ينافس النظام القديم بها، و من هنا بدأ التصادم بين الطرفين[95].

ظلت جماعة عبد الحي ترفض التعامل مع جماعة روابحية إلى أن تمّ عقد لقاء مصالحة، أسفر عن تكوين هيئة يرأسها عبد الحي و ينوب عنه روابحية و آيت الحسين، ومع ذلك ظلت الأمور متوترة بين الطرفين، نتيجة توترها بين ممثلي الثورة في " الداخل والخارج"، إلى أن دبرت " مؤامرة" ضد جماعة عبد الحي، فحجزت الأموال التي كان يجمعها لصالح الثورة من طرف القوات التونسية، و تمّ إلقاء القبض عليه، بحجة التعامل مع " عناصر موالية للخارج"! و تمّ إطلاق سراح العناصر الجزائرية التي كان يحتجزها عبد الحي " الموالية للداخل"، بما في ذلك روابحية و آيت الحسين، و حدث كل هذا بعد أن طلب مسؤولو " الداخل"(الجزائر) من السلطات التونسية التدخل لإنقاذ المسؤولين المبعوثين من العاصمة الجزائرية، كما تلقت نفس السلطات طلبا بعدم التدخل من " أحد أعضاء الوفد الخارجي" بالقاهرة[96]. و من هنا نفهم الصراع الذي سيحدث مستقبلا حول قرارات مؤتمر الصومام، و هو صراع إيديولوجي في الواقع، بين دعاة القطرية الجزائرية - إن صح التعبير-

---

93 - عباس، **الشعب**، عدد 1987/01/19، **مصدر سابق**.

94 - مع مطلع سنة 1955 برزت قيادة جديدة للثورة في الداخل، تمركزت في الجزائر العاصمة بقيادة عبان رمضان و كريم بلقاسم و أعمر أوعمران ، تدعمت هذه النواة من القيادة بعناصر موالية لعبان، و بمرور الوقت استطاع عبان توسيع الجبهة و دعمها بقادة حزب البيان الجزائري و جمعية العلماء الجزائريين، ثم بدأ الاتصال مع باقي الولايات، لخلق قيادة جديدة للثورة تعمل على مركزة السلطة بيدها. انظر، عمار، بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1979، ص. 387. تعمل هذه القيادة المركزية، على غرار السلطة في تونس، وفق المبادئ الشوفينية " القطرية" متخلية عن المبادئ القومية المغاربية العربية/الإسلامية.

95 - عباس، **الشعب**، عدد 87/01/19، **مصدر سابق**.

96 - **نفسه**.

و دعاة الوحدة القومية المغاربية في الإطار العربي الإسلامي، ذلك أن جماعة عبد الحي كانت على اتصال وثيق بجماعة الوفد الخارجي الذي كان يعمل وفق المنهج الفكري الأخير.

بعد الحادث السابق بين المجاهدين الجزائريين في تونس بين ممثلي " الداخل والخارج"، حلّ بتونس علي محساس[97]، من ليبيا بأمر من مسؤولي الوفد الخارجي بالقاهرة، ليحلّ محلّ عبد الحي، أما الشيخ روابحية و زميله، فقد طلبا من الداخل تعويضهما، لأنهما أصبحا يقدران بأن مهمتهما بتونس قد انتهت، و كان الرّد هو تحويلهما إلى القاهرة، ويذكر روابحية أنّه نزل القاهرة يوم 18 سبتمبر 1956 و عايش بها حادث اختطاف الطائرة و بها أعضاء " الوفد الخارجي" يوم 22 أكتوبر، كما عايش العدوان الثلاثي عل مصر في نهاية الشهر، إضافة إلى الحصار الذي ضرب على مصر، هذه الأحداث اضطرت الشيخ روابحية إلى ملازمة مصر إلى غاية أواخر ديسمبر، حيث عاد إلى تونس لتدبير أمور ارتحاله إلى القاهرة[98].

صادف روابحية في تونس مجيء الدكتور الأمين دباغين مسؤول " الوفد الخارجي" الرسمي الجديد بعد مؤتمر الصومام، الذي اصطحب معه روابحية و إبراهيم مزهودي إلى طرابلس، حيث عاد هناك ضحايا حادث التصادم في شهر سبتمبر 1956 بين جماعة عبد الحي وعباس لغرور و جماعة من الأوراس في لاكانيا ماتيلدفيل، إحدى ضواحي مدينة تونس[99]، و هو الحادث الذي أودى بحياة المجاهد الزين عباد و بشير عيدودي، و جرح فيه مسؤولون أمثال الأزهر شريط و ساعي فرحي والوردي قتال، و هذه الأحداث لم تكن تعجب محساس الذي كان يحاول السيطرة على الموقف بتونس[100].

---

[97] ـ أحمد محساس، أو مهساس، المدعو في الثورة علي، ولد ببودواو (بومرداس، الجزائر) سنة 1923، في عائلة تشتغل الفلاحة، غادر سنة 1940 مقاعد الدراسة و هو في المرحلة الثانوية، انضم إلى شبيبة حزب الشعب الجزائري في بلكور بالجزائر العاصمة سنة 1941، و في مؤتمر الحزب سنة 1947 عين عضوا باللجنة المركزية، ثم أصبح عضوا بالمنظمة الخاصة شبه العسكرية، إلقي عليه القبض بعد اكتشاف أمر المنظمة الخاصة سنة 1950، و قد فرّ من سجن مدينة البليدة رفقة رئيسه أحمد بن بله، و هرب إلى فرنسا سنة 1952 و انضم إلى اتحادية الحزب هناك، كان من الحياديين أثناء أزمة حزب الشعب/حركة انتصار سنوات 1952-1954، كان من مؤسسي اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، و سرعان ما غادرها متوجها إلى القاهرة فليبيا فتونس، بعد استقلال الجزائر، أصبح وزيرا للفلاحة و من أعضاء مجلس الثورة، ثم بعد 1965 في المعارضة... لا يزال إلى يومنا هذا على قيد الحياة ـ أطال الله في عمره ـ ومضات مستقاة من كتابه: Ahmed, MAHSAS, **Le mouvement révolutionnaire en Algérie**, Ed. L'Harmattan, Paris, 1979

[98] ـ عباس، **الشعب**، عدد 87/01/19، **مصدر سابق**.

[99] ـ عن هذه القضية انظر، زروال، **اللمامشة في الثورة**، **مصٰدر سابق**، ص ص.326-342

[100] ـ **نفسه**، ص ص. 361-363، و انظر كذلك، عباس، **الشعب**، عدد 87/01/19، **مصدر سابق**، و كتابه: **رواد الوطنية**، دار هومة ، الجزائر، 2004، و بالكتب نفس الشهادة، و ضمنه مجمل الشهادات التي أجراها مع المناضلين و المجاهدين ، التي كان قد نشرها من قبل في الصحف الجزائرية.

كان محساس وهو بأوربا، قد استأذن الوفد الخارجي بالقاهرة بالدخول إلى الجزائر العاصمة لسابق معرفته الجيدة بالمنطقة، بعد إلقاء القبض على رابح بيطاط، قائد المنطقة الرابعة في 16 مارس 1956 من قبل السلطات الفرنسية، فأشاروا عليه بالتوجه إلى شرق القطر الجزائري لمهام تنتظره هناك، و استطاع أن يصل إلى القاهرة رغم المشاكل التي اعترضته و رفيقه محمد بوضياف، و منها التحق بمنصبه الجديد بصفته ممثلا لجيش و جبهة التحرير الوطني على الحدود الشرقية للجزائر، و لعب محساس دورا بارزا في إمداد الثورة الجزائرية بالسلاح و العتاد[101]، و قد ترأس محساس لفترة من الوقت قواعد أمداد الثورة بطرابلس قبل التحاقه بتونس مع نهاية سنة 1955، و كان على علاقة بشيهاني و الوفد الخارجي للثورة بالقاهرة[102]، غير أن الأحداث تطورت و بسرعة خلال سنة 1956 حيث سادت الفكرة القطرية لدى النخب القيادية في المغرب العربي وبدأت سلطاتها المركزية "تتآمر" لتتخلص من العناصر الثورية المغاربية، و سنعود إلي هذه الأمور في مناسبة لاحقة[103]، وقبلها سنلقي بعض الأضواء على جيش تحرير المغرب العربي في الجهة الغربية للمنطقة (أي مراكش).

2ـ جيش تحرير المغرب العربي في مراكش

أ ـ عن بداية المقاومة بمراكش و التنسيق المغاربي

سبق و أشرت أن التفكير في الكفاح المسلح كان مرسخا بصفة عامة لدى الطبقة الشعبية بالمغرب العربي بعد الحرب العالمية الأولى، نتيجة " تصلب" السياسة الاستعمارية من جهة، و نتيجة تلاحم الحركات الوطنية المغاربية من جهة ثانية، لكن القيادات السياسية في ذات الحركات أصبحت مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين "قيادات سياسية تقليدية" تجاوزها الدهر و استفرغت مهمتها و أدت دورها في تهيئة الرأي العام و إعداده

101 ـ انظر، محمد، عباس، **ثوار عظماء**، دار هومة الجزائر، 2003، ص.153

102 ـ انظر الوثيقة رقم:11، في: Mabrouk, BELHOCINE, **op. cit.** pp. 108-110

103 ـ لاحقا، الفصل الرابع.

لفكرة الاستقلال[104] و التحرر و الوحدة في المغرب العربي، و كذلك كان الشأن في المغرب الأقصى كما كان في كل من تونس و الجزائر.

و في هذا الإطار كان قد أتى إلى المغرب العربي الهاشمي الطود و حمادي الريفي مبعوثين من طرف الأمير عبد الكريم في شهري ماي و جوان 1952 ليتصلا بالسيد مهري و بوضياف و ابن بوالعيد بمنطقة الأوراس على أمل تنظيم كفاح مسلح مشترك في المنطقة كما سبقت الإشارة.

كان الهاشمي الطود صاحب 17 سنة قد سافر إلى القاهرة انطلاقا من القصر الكبير سنة 1947، و حين وصل إلى تونس رافقه زميله الجزائري محمد إبراهيم بالقاضي في الرحلة مشيا إلى القاهرة تحدوهما الرغبة في مواصلة الدراسة بالمشرق العربي، و بعد إعلان تقسيم فلسطين في 29 نوفمبر 1947، و حين جاء وفد من فلسطين و فيهم الشيخ الأمين الحسيني و اتصلوا بالأمير عبد الكريم، و وجه الأمير " نداء" للعالم الإسلامي بالجهاد في فلسطين، التحق من المغرب العربي تسعمائة متطوع، فانضم الطود و بالقاضي إلى صفوف المقاومين المغاربة في فلسطين[105]، و قد التحق الطود بعد ذلك بالأكاديمية العسكرية ببغداد قبل أن يلتحق بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة إلى جانب الأمير عبد الكريم، و الهاشمي الطود من جيل الشباب اليائس من الأحزاب السياسية الوطنية التقليدية، وكان الطود من طلائع جيش تحرير المغرب العربي[106].

لم يكن الهاشمي الطود المتخرج الوحيد من المدارس العسكرية المشرقية برتبة ضابط، بل تخرج معه ستة طلبة آخرين من تونس و الجزائر و المغرب كانوا قد أرسلوا معه في 17 أكتوبر 1948 للدراسة في الكلية العسكرية بالعراق من طرف لجنة تحرير المغرب العربي،عادوا إلى القاهرة في شهر جوان 1951، و منهم الجزائري ابن القاضي، و منهم

---

[104] ـ انظر، محمد الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول و مطامح الشعوب**، ط2، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983 ص.21

[105] ـ عبد السلام الهاشمي، الطود، " جذور التّنسيق، شهادة مؤسس "، **جيش التحرير المغاربي 1948-1955**، **أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف**، الجزائر، 11-12 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص.15-17

[106] ـ انظر، Benjamin, STORA, **Algérie – Maroc, histoires parallèles, destins croisés**, Ed. Barzakh, Alger, 2002, p. 42 نقلا عن شهادتي السيد الشعيبي و الهاشمي الطود بمدينة الرباط في شهر جانفي 2000، و قد انتمى الرجلان إلى جيش تحرير المغرب العربي وكلاهما من مواليد سنة 1930.(انظر، هـ. 7)

حمادي العزيز المعروف في المستندات الفرنسية باسم " حمادي الريفي"[107]، و عندما عاد طلاب البعثة[108] أصبحوا تحت تصرف لجنة تحرير المغرب العربي لخدمة الأهداف التي على أساسها تأسست، و خلال مدّة شهرين تقريبا كانت كلها اتصالات بممثلي الأحزاب الوطنية المغاربية المتواجدة في القاهرة من أجل تنظيم جيش تحرير المغرب العربي، وتأسيس جبهة للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، انتهت هذه الاتصالات بعقد اجتماع تحت رعاية إحدى لجان الجامعة العربية بالإسكندرية في صيف 1951، حضره أمينها العام، وترأس الاجتماع الأمير عبد الكريم بحضور القادة السياسيين: علال الفاسي و أحمد بن سودة عن المغرب و محمد خيضر و الشاذلي المكي عن الجزائر والرشيد إدريس عن تونس[109].

رأت لجنة تحرير المغرب العربي لتحقيق الأهداف السابقة تكليف الضّباط: عز الدين عزور التونسي[110] و حمادي العزيز (الريفي) و الهاشمي الطود و عبد الحميد بالهاشمي من المغرب للقيام بمهمة استطلاعية إلى ليبيا و تونس للتّعرُّف على المناخ السياسي و دراسة إمكانية تحويل ليبيا إلى قاعدة متقدمة في طبرق و بنغازي و طرابلس لإقامة معسكرات للتدريب، و جمع الأسلحة و إيواء المتطوعين للمقاومة في الذهاب والإياب، بعدها عاد الطود إلى القاهرة لتقديم نتائج المهمة إلى الأمير عبد الكريم و مكث في طرابلس حمادي الريفي وعبد الحميد بالهاشمي، و على ضوء النتائج و الاتصالات كلفت لجنة تحرير المغرب العربي حمادي العزيز و الهاشمي الطود بنفس المهمة إلى كل من الجزائر و المغرب الأقصى[111].

و عن هذه الاتصالات يذكر زكي مبارك بناء على مذكرات حمادي العزيز (الريفي) المخطوطة بعنوان:" جيوش تحرير المغرب العربي: هكذا كانت البداية"، أن حمادي الريفي

---

107 ـ زكي، مبارك، " **الثورة الجزائرية في بعض المذكرات و الشهادات و الوثائق المغربية**"، ص. 1 (من محاضرة مرقونة بحوزتي، أمدني بها مشكورا الزميل الأستاذ مصطفى نويصر)، أما زكي مبارك، فهو دكتور أستاذ باحث بالمعهد الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.

108 ـ الطلاب السبعة هم: ـ محمد إبراهيم القاضي، جزائري، سلاح الهندسة ـ يوسف العبيدي، تونسي، سلاح المدرعات ـ الهادي عمير، تونسي، سلاح المشاة ـ أحمد عبد السلام الريفي، مغربي، سلاح المشاة ـ عبد الحميد الوجدي، مغربي، سلاح المشاة ـ الهاشمي عبد السلام الطود، مغربي، سلاح المدرعات ـ محمد حمادي العزيز (الريفي)، سلاح المدفعية. انظر، زكي، مبارك، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم الخطابي و إشكالية استقلال المغرب**، منشورات فيديبرانت، المغرب الأقصى، 2003، ص. 70-71

109 ـ زكي، **الثورة الجزائرية، مصدر سابق**، ص ص.1-2

110 ـ كان الملازم الأول عز الدين عزوز قد قام برحلة استطلاعية أولى إلى تونس بأمر من الأمير عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي في نهاية سنة 1949 و مطلع سنة 1950، غير أنّه وجد الأمور غير مشجعة على القيام بالكفاح المسلح و بخاصة لدى مسؤولي المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد. انظر، Azzedine, AZOUZ, **L'histoire ne pardonne pas, Tunisie: 1938-1969**, L'Harmattan/Dar Ashraf Editions, Paris/Tunis, 1988, pp.131-139

111 ـ **نفسه**، ص. 2

و الهاشمي الطود قابلا عبد الحميد مهري بناء على توصية من السيد الطاهر قيقة التونسي - وهو على حد شهادة مهري مثقف و كاتب تونسي معروف، ومناضل في حزب الشعب الجزائري و في الدستور ومؤمن بقضية وحدة المغرب العربي[112] - و قد أخبر مهري المكتب الإداري لحزب حركة انتصار/حزب الشعب بقدومهما و بمهمتهما، و قرر المكتب الإداري الاجتماع بهما و الاستماع إليهما فورا، فالتقى بهما أحمد بودا(أو بوده) و أحمد مزغنة و بعض المسؤولين منهم مهري و محمد العربي دماغ العتروس و مولاي مرباح[113]، و يذكر حمادي العزيز أن سؤالنا كان الآتي:" إذا قامت حركة تحريرية موحدة في بلاد المغرب العربي فما موقفكم منها؟ هل تنضمون إليها؟ إذا قررتم الانضمام إليها فما هي شروطكم السياسية و العسكرية و الإدارية (اللوجستيكية)؟ "، و قد أجابهم بودا أن الموضوع مهم و يحتاج إلى دراسة و مشورة و اتفاق جماعي، و دام الاجتماع حوالي ثلاث ساعات، و كُلف مهري بضيافتهما، و أثناء ذلك تعرفا على السيد رشيد القسنطيني (محمد بوضياف) الذي تحدث معهما و قال:" إذا كان المغرب مستعد للثورة فهو مستعد للثورة"، وحدّد (أي بوضياف) موعدا لثورته في منتصف شهر سبتمبر سنة 1952[114].

و يذكر حمادي العزيز أن أحمد بودا " أصر على ضرورة وجود دولة كبرى تعاوننا... أجبناه نحن بأن الذي نستطيع ضمانه لهم هو معاونة بعض الدول العربية و جامعة الدول العربية و بعض الدول الإسلامية"، و في اليوم الثاني استقبلهما السيد بن يوسف بن خدة و السيد مولاي مرباح و كان حاضرا السيد مهري، فأخبرهما بن خدة أن الأخوين بودا ومزغنة سافرا إلى القاهرة لتنصيب السيدين محمد خيضر و فرحي السعيد (آيت أحمد الحسين) لكي يمثلا الحركة في مصر بدل الشاذلي المكي، و يضيف حمادي:" أخبرناهم بالجو السياسي في المغرب"[115] فردّ بن خدة:" نعرف الجو السياسي في المغرب، هو مشابه للجو في تونس، و نتمنى له النجاح... طلبنا منكم معاونة دولة كبرى و الآن، و بعد

---

[112] - مهري، **جيش التحرير المغاربي، مصدر سابق**، ص. 30

[113] - محمد العربي دماغ العتروس و مولاي مرباح ، من الذين ذكرهم كذلك الهاشمي الطود في شهادته، و ذكر أن السيد عبد الحميد مهري قدم لهما (أي الطود و حمادي الريفي) تقريرا سياسيا عن الأوضاع بالمغرب العربي، و هو التقرير الذي أهداه الطود إلى مؤسسة بوضياف. انظر، الطود، **جيش التحرير المغاربي، مصدر سابق**، ص. 19-20

[114] - زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص.2-3

[115] - عن اتصالات الطود و الريفي، بمسؤولي الحركات الوطنية الاستقلالية في المغرب العربي. انظر كذلك، شهادة الطود، **جيش التحرير المغاربي، مصدر سابق**، ص ص. 20- 24

الدراسة و المشاورة ألغينا هذا الطلب و تركنا أمره للظروف، شروطنا عند تنظيم الحركة التحررية الموحدة في بلاد المغرب العربي هي:

1- مشاركتنا في القيادة السياسية

2- مشاركتنا في القيادة العسكرية

3- يمثلنا في القاهرة محمد خيضر و فرحي السعيد (آيت أحمد)[116].

أشار إلى هذا اللقاء السيد مهري قائلا أن ذلك تمّ خلال شهر ماي 1953[117]، و يبدو أن ذلك قد تمّ خلال سنة 1952، فقد تعرض بوضياف إلى هذا الأمر في كتابه:" التحضير للفاتح من نوفمبر 1954"[118]، مؤكدا أن ذلك تمّ في ربيع 1952، و هي السنة التي أعيد فيها بعث المنظمة الخاصة[119]، حيث حلّ الضابطان المكلفان من الأمير عبد الكريم بالإعداد لعمل ثوري منسق على مستوى المغرب العربي، و قد اتصلا بقيادة الحزب (حركة انتصار/حزب الشعب) و لم يجدا التجاوب المطلوب، فاتصلا بطريقة غير رسمية بالسيد مهري الذي أوصلهما إلى بوضياف، و بناء على ذلك قام بوضياف باستدعاء ديدوش مراد ليحضر اللقاء مع الضابطين العائدين من المغرب لبحث عملية الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي. و بعد هذا اللقاء قام بوضياف المسؤول عن ناحية قسنطينة في المنظمة السرية بالاتصال بالعربي بن مهيدي نائبه في الشرق الجزائري[120]. و وصل بعد ذلك إلى مصر المناضلان الفاران من السجن مسعود زياني (أحمد بن بلّة) و بلقاسم تيطاوين - علي محساس على ما يبدو- في شهر ماي 1953[121]، و أصبح ابن بلّة عضوا بمكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي في الوفد الجزائري إلى جانب خيضر و أيت أحمد، أما محساس فكلف بإمداد الثورة بالسلاح انطلاقا من ليبيا و تونس كما سبق و عرفنا.

و من الملاحظ، أن " الأزمة" في حركة الانتصار/حزب الشعب كانت قد بدأت في إدارتها و بين أعضائها المسؤوليين و تفاقمت في هذا التاريخ حسب كل الشهادات و المصادر

---

116 - زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص. 3

117 - **سابقا**، الفصل الثاني، ص. 36 و ما يليها.

118 - Mohamed, BOUDIAF, **La préparation du 1er novembre 1954**, Collection El Jarida, Imprimerie S.I.M., Paris 1976, p.21-22

119 - يذكر السيد عبد الحميد مهري أن المنظمة أعيد تكوينها بقرار من مؤتمر أفريل 1953 و أطلق عليها اسم " البركة"، انظر، مهري، **جيش التحرير المغاربي، مصدر سابق**، ص. 33

120 - انظر، زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص. 3-4

121 - **نفسه**، ص. 4-5

الجزائرية، و كان قد ظهر جيل جديد يؤمن كل الإيمان بالكفاح المسلح في الجزائر و على مستوى المغرب العربي ، ومنهم بوضياف و ديدوش و ابن مهيدي و ابن بلّه و ابن بو العيد وغيرهم من مفجري ثورة نوفمبر.

و يذكر حمادي الريفي أن العلاقة توطدت بينه و ابن بلّة و بقية الضباط المغاربة ومنهم الضابط التونسي عزوز الذي تكلف بإعداد الثورة في تونس انطلاقا من ليبيا، و بعد عدّة اجتماعات في شقة عزور بالقاهرة اتفق هؤلاء الضباط بحضور ابن بلّة على تأسيس جيوش تحرير المغرب العربي على النحو التالي:-

أ- جيش تحرير تونس

ب - جيش تحرير الجزائر

ج - جيش تحرير المغرب

د - تأسيس قيادة عامّة موحدة في الخارج ريثما يتم نقلها إلى أي قطر من أقطار المغرب العربي

هـ - تأسيس قيادات خارجية لكل جيش تحرير في الخارج، ريثما يتم نقلها داخل كل قطر.

و - إعلان الحرب التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي، و على الاستعمار الإسباني، فيما إذا نكثت الحكومة الإسبانية بالوعود التي واعدت بها الجامعة العربية، أو اتخذت موقفا معاديا للحركة الوطنية المغربية. و تناولت الاجتماعات كذلك مسألة شراء الأسلحة و سبل نقلها إلى المغرب العربي برا و بحرا[122].

هل يفهم من الاتصالات السابقة أن الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي كان سيعمّ المنطقة سنة 1954؟ لقد ذكر الديب أن اتفاقا مسبقا كان قد تمّ بين قادة اللجنة الثورية في الجزائر مع بعض قادة عمليات المقاومة في مراكش على تفجير ثورة منظمة في مراكش في نفس التوقيت مع الثورة الجزائرية إلا أن التصور الخاطئ للمراكشيين بصعوبة قيام الجزائريين بخطوة التفجير الثوري جعلت المراكشيين يترددون و اندلعت الثورة في

[122] - زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص ص.5-6، و يذكر الضابط عز الدين عزوز أن فكرة جيوش تحرير المغرب العربي في الأقطار الثلاثة هي من وحيه بعد زيارته الاستطلاعية الثانية إلى تونس سنة 1952،على أن يكون لكل جيش و في كل قطر قيادة خاصة به تخضع لقيادة أركان عامة بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي مع زعماء تونس و الجزائر و المغرب الأقصى المتواجدين بالقاهرة! انظر، AZZOUZ, **op. cit**. pp.144-145

الجزائر، فتفاجأ المغاربة المراكشيون و استبشروا في توسيع نطاق العمليات و إمكانية التنسيق مع قادة الثورة الجزائرية[123].

و حول النشاطات المغاربية السابقة، رفع السيد جون فوجور (Jean Vaujour) مدير الأمن العام بالجزائر خلال شهر أفريل 1954 إلى سلطاته تقريرا مطولا بعنوان "الكومندوس[124] الشمال إفريقي" تحدث من خلاله عن وجود مجموعات منظمة في مصر وليبيا بما في ذلك " المغرب الأسباني"، قائلا:" أن هذه المجموعات الإرهابية مسيرة من طرف الأمير عبد الكريم و أخيه أمحمد الخطابي، و أنها مدعمة ماديا و معنويا من السلطات المصرية و الليبية و الجامعة العربية حيث ضمنت لها التكوين العسكري و العناية، و أن السادة خيضر و آيت أحمد و بن بلّه يولون كل الاهتمام بهذه المسألة".

و يضيف التقرير أن تنظيما باسم " جيش التحرير" قد تمّ إنشاؤه بأرض طرابلس متكون من الشباب المغاربي، و أن هناك مركزا للتدريب أنشئ بغرب الإسماعيلية به 25 رجلا في طور التكوين سيواصلون بعد ذلك تدريباتهم بليبيا، لقد هيأ عبد الكريم إذن منظمة لها تكوينا " بدائيا لكن دقيقا " فيما يخص التخريب. و أن العراق فتح مدرسة عسكرية للشباب المجندين الأجانب:" متطوعون شمال أفارقة أرسلوا عادة إلى مصر عن طريق تونس و ليبيا، و أحيانا من فرنسا و إيطاليا، أما المراكشيون فإنهم يتنقلون إلى مصر من طنجة ملاحةً. و تتفق المعلومات أن مرور الجزائريين و المراكشيين بتونس ميسر من طرف جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة ذات الاتجاه المصالي"، و للتوضيح فإن " التكوين بالمراكز يعتمد على استعمال جميع الأسلحة و آليات الحرب، من تطبيق على مختلف وسائل التخريب و حرب العصابات"، أما الدروس فتقدم من طرف طلبة قدماء متخرجين من المدرسة العسكرية السورية أو المصرية، و " النظام المصري يسرح لهؤلاء الطلبة مواصلة دروس التحضير العسكري المنظم من طرف لجنة الثورة المصرية، و الطلبة موزعون على مختلف المراكز الموجودة بمصر و بخاصة بمركز العباسيّة"، إذ مع نهاية سنة 1953 تابعت

---

[123] ـ الديب، **مصدر سابق**، ص. 56

[124] ـ كانت قد تكونت مجموعة مقاتلة من طرف علي الزليطني بليبيا بعد اغتيال فرحات حشاد (ديسمبر 1952) باسم " كمندوس فرحات حشاد" غير أن هذه المجموعة قضت عليها القوات الفرنسية على الحدود التونسية الليبية. و انعقدت خلال أيام 21 إلى 30 ديسمبر 1952 " ندوة ضباط شمال إفريقية" بالقاهرة التي رفعت انشغالاتها بتعميم الكفاح المشترك بالمغرب العربي إلى القادة السياسيين بالقاهرة، غير أنها لم تجد التشجيع الكافي من هؤلاء باستثناء ممثل الجزائر محمد خيضر. انظر، AZZOUZ, **op. cit.** pp. 174-180

مجموعة من ثلاثين رجلا تربصا دام نصف سنة، أطرها ضباط مصريون و ألمان، و عند عودة هؤلاء المتكونين إلى شمال إفريقيا، أصبحوا بدورهم يجندون أفرادا ينتمون إلى الأحزاب الانفصالية، ليقدموا لهم في مجموعات صغيرة " التكوين الابتدائي الضروري للقيام بمهام الإرهاب و التخريب"[125].

أما حمادي العزيز (الريفي) فقد طلب منه بن بلّة بعد اندلاع الثورة الجزائرية، نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربطهما، بالتوجه الفوري إلى الجزائر للمساهمة في معركة التحرير ولربط الاتصال و التنسيق بين قادة الثورة الجزائرية و المغربية بعد موافقة الأمير عبد الكريم رئيس لجنة تحرير المغرب العربي و شقيقه المكلف بالشؤون الحربية في نفس اللجنة. و سافر حمادي رفقة بن بلّة من القاهرة إلى بنغازي، و من بنغازي أكمل حمادي الرحلة لوحده بعد أن زوده بن بلّة ببطاقة تعريف جزائرية مزورة باسم مستعار هو: فاتحة محمود بن مسعود، صادرة من بلدية عين التوتة (ماك ماهون سابقا) جنوب باتنة، أعدّها له أصدقاء عبد الرحمان (ابن بوالعيد) وسلمه رسالة " مشفرة" في كتاب يقدمه إلى السيد منصور (بوضياف)، على أن يتعاون حمادي مع السيد عبد الحكيم (بن مهيدي)[126]، و قد أعدّ بن بلّه كذلك بطاقة للضابط التونسي عز الدين عزور الذي كان سيلتحق بالثورة رفقة رضا بن عمار، غير أن عزور لم يلتحق مقدما مبررا في أن ابن عمار كان في خدمة صالح بن يوسف في حين كان هو(عزوز) على خلاف كبير مع بن يوسف[127] و كان قد تعرض إلى محاولتي قتل من طرف أنصاره و على رأسهم علي الزليطني[128] و لذلك نجده قد أصبح من المدافعين عن سياسة بورقيبة، و التحق بداية من شهر سبتمبر 1955 بالولايات المتحدة الأمريكية مشتغلا بإحدى شركات البترول التي عمل بها بليبيا[129]!

و يحكي حمادي الريفي أشواط تنقلاته من طرابلس إلى زوارة فقابس مشيا بمساعدة تونسيين و جزائريين، فانتقاله إلى الجزائر العاصمة في القطار يوم 12 نوفمبر 1954، حيث تكفل به مناضلون في حي بوزريعة و القصبة، و مكث مختفيا عشرة أيام في انتظار الاتصال

[125] -STORA, **Algerie-Maroc, op. cit**. p.42-43, extraits du rapport des services de J. Vaujour, in C. PAILLAT, **Deuxième dossier secrèt de l'Algérie**, Presses de la cité, Paris, 1962, pp.16-20

[126] - زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص.6-7

[127] - قدم عز الدين عزور مبررات واهية في عدم التحاقه بالثورة ، انظر كتابه، AZZOUZ, **op. cit**. P.188-189

[128] - **Ibid**, pp. 180-183 et pp. 192-194

[129] - **Ibid**, pp.195-198

بالسيد عبد الحكيم (بن مهيدي) في وهران، الذي كان من المفروض أن يعمل بجانبه ويتعاون معه في التنسيق مع قيادة الحركة التحررية. لكن بعدها تمّ ربط الاتصال بالسيد رابح (كريم بلقاسم) رئيس منطقة ولاية القبائل. انتقل حمادي إلى تيزي وزو و التقى بالسيد رابح، الذي استقبله استقبالا طيبا و قال له:"... كان من المقرر أن تتوجه إلى وهران لتتعاون مع السيد عبد الحكيم، لكن الظروف سارت سيرا لم نكن قد توقعناه، ستبقى معنا في المنطقة حتى تتجلى الأمور و نجري الاتصالات."، و يضيف الريفي أنه حضر اجتماعات الولاية الشهرية: نوفمبر و ديسمبر 1954، و اجتماع شهر جانفي 1955، و عندما كان سيحضر اجتماع شهر فيفري، جرح في ساقه اليسرى التي كسر عظمها و وقع أسيرا رفقة السيد عبد الله فاضل في قرية إيغيل بوالقاصي بدوار معاتقة بناحية تيزي وزو اثر هجوم شنته القوات الفرنسية[130]. و يبدو ـ لنا ـ أن قضية حمادي الريفي، كانت من الأسباب التي أخرت العمل الثوري بمراكش المتزامن مع الثورة الجزائرية.

بدأت بوادر العمل الفدائي المسلح في المغرب الأقصى ـ و كان من المفروض أن يبدأ في الجزائر بأفراد المنظمة الخاصة ـ قبل عزل محمد الخامس و نفيه في شهر أوت 1953، و هذا يؤكد المنبت الشعبي و مجمل عمل الحركة الوطنية بمراكش منذ مطلع القرن العشرين، و ليس بعد عزله كما يروج لذلك بعض كتاب المخزن العلوي و ما استمدته منهم كثير من الأدبيات العربية و الأجنبية، أما عن الأدبيات المراكشية فإنّها بصفة عامّة عندما تتحدث عن فترة الخمسينيات من القرن العشرين و ما بعده فإنّها تقتصر على ذكر العموميّات أو تلتزم "الصمت"، و إن تحدثت فإنها تتحدث ملاينة و مداهنة، ملصقة كل الأعمال والأحداث "بمولانا الملك" أو " سيدنا" على حد تعبير مصالي الحاج[131].

---

[130] ـ نقل حمادي العزيز إلى سجن باربروس بالجزائر العاصمة، و قدم بعد ذلك أواخر جانفي 1957 إلى المحكمة العسكرية الفرنسية، التي حكمت عليه بالإعدام الذي تحول إلى الأشغال الشاقة، و نقل بعد ذلك إلى فرنسا، من سجن إلى آخر، و كان آخرها سجن طول (Toul)، و تمّ إطلاق سراحه في 19 جوان 1962. انظر، زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص. 7-8

[131] ـ ذكر مصالي الحاج أن المراكشيين لا يريدون الانضمام إلى " النجم" دون رضا " سيدنا" (السلطان مولاي يوسف)! انظر، MESSALI, **Les mémoires..op. cit**. p. 155

لعب بعض الثوار المغاربة منذ عام 1951[132] إضافة إلى قواعد حزب الاستقلال ـ بعيدا عن القيادة ـ دورا أساسيا في تفجير الوضع في المغرب الأقصى، " عندما تأسست أول خلايا المقاومة بالدار البيضاء في 7 أبريل[133].. و لم يكن السلاح متوفرا، فقد كان في حوزتنا ثلاث مسدسات فقط " على حدّ شهادة الحسين برادة، أحد رجال المقاومة بالمغرب الأقصى[134]، بل يمكن القول أن تجذير العمل السياسي الثوري في قواعد حزب الاستقلال قد تبلور في المظاهر التي تمت في جرادة ـ قرب الحدود الجزائرية ـ المغربية، و التي قادها العمال المغاربة سنة 1948 بسبب قضية فلسطين، و قد سلط الفرنسيون قمعا رهيبا على المتظاهرين تمّ خلاله تقتيل عدد كبير، ثم تأتي مذابح "الكاريير سانترال" في شهر ديسمبر 1952، و عدد ضحاياها يقدر بسبعمائة قتيل حسب بعض المصادر المغربية[135]، لتتفاقم الأمور بالدار البيضاء نتيجة إقدام السلطات الفرنسية بواسطة "اليد الحمراء"الإرهابية باغتيال المناضل النقابي التونسي فرحات حشاد يوم 5 ديسمبر من نفس السنة[136]، الذي كان قد أظهر طموحات في إقامة نقابة عمالية مغاربية موحدة[137].

لقد انتظمت مظاهرات كبرى يومي 7 و 8 ديسمبر بالدار البيضاء إثر اغتيال فرحات حشاد بتونس، و هي الأحداث التي ذهب ضحيتها أكثر من 60 مغربيا و 6 من الأوربيين، لتليها عدّة أحداث منها انتفاضة الوطنيين بمدينة وجدة يوم 16 أوت 1953 ليتفاقم العمل ضد الفرنسيين بعد نفي السلطان، و منها حادثة محاولة قتل السلطان " الدميّة " ابن عرفة يوم 11 سبتمبر 1953 من طرف المناضل علال بن عبد الله ـ الذي قتل في نفس اليوم ـ و منها إقدام مجموعة من الثائرين على إخراج القطار السريع الرابط بين الدار البيضاء و الجزائر العاصمة من السّكة يوم 7 نوفمبر، إضافة إلى تفجير السوق المركزي بالدار البيضاء عشية

---

132 ـ نشير هنا إلى المقاومة التي قادها أحمد أحنصال (الحنصالي) في منطقة تادلة بالأطلس الأوسط ما بين 13 ماي و 13 جويلية 1951، و هي المقاومة التي جندت لها السلطات الاستعمارية الفرنسية 10000 مقاتل، عن هذه المقاومة انظر، مبارك، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص ص.101-117

133 ـ يجب أن ننبه هنا لهذا التاريخ، فهو ذكرى انتقال الملك إلى طنجة سنة 1947، تربط المصادر التاريخية المراكشية بصفة عامة الأحداث بسيرة الملك.

134 ـ انظر، محمد، خليدي و حميد، خباش، **جيش التحرير المغربي، مجلس القيادة**، منشورات إفريقيا، الرباط، 1449/1999، ص. 52، و الكتاب هو عبارة عن استجوابات صحفية (شهادات) مع بعض الزعماء الأحياء في مجلس قيادة جيش التحرير في الخمسينيات من القرن العشرين و هم السادة: الدكتور عبد الكريم الخطيب، ص ص.4-43 و الحسين برادة، ص ص. 47-75 و مولاي الغالي العراقي، ص ص. 77-103 و حسن صفي الدين، ص ص. 105-123 و السعيد بونعيلات، ص ص. 127-143، جمعت و طبعت في شكل كتيب. اشير إليه (جيش التحرير.. مجلس القيادة).

135 ـ الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول و مطامح الشعوب، ط 2، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983 ص.23-24

136 ـ عن اثر اغتيال فرحات حشاد بالمغرب، انظر، زكي، مبارك،" الشهيد فرحات حشاد رائد العمل النقابي الوحدوي المغاربي"، **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، سنة 2002، مرجع سابق، ص ص. 161-174

137 ـ انظر، رسالتي، **الاتجاه الوحدوي، مرجع سابق**، ص ص. 339-354

عيد رأس السنة (نهاية سنة 1953) و الذي أدى إلى مقتل 18 أغلبهم من الفرنسيين و جرح 40 آخرين[138].

ب ـ جيش "التحرير المغربي[139]" أو" تحرير المغرب العربي" ؟!

كانت قد تشكلت بحزب الاستقلال مجموعات للمقاومة في المدن الرئيسية بالمغرب الأقصى في هذه الفترة من التاريخ، كانت تختلف فيما بينها في كيفية تنظيم معاقل المقاومة، إذ بعد تفجير السوق المركزي فرّ قادة المقاومة إلى المنطقة الشمالية (المغرب الأسباني)، وكان منهم عبد الله الصنهاجي الذي لعب دورا أساسيا في تكوين جيش التحرير المغربي، حيث حلّ بالقصر الكبير، و نظم مجموعة من المقاومين (حوالي 34 مقاوم)، حيث حدثت وقتها أزمة بين هذه المجموعة و استقلاليي (حزب الاستقلال) بمدينة تطوان، غير أن هذه المسألة لم تكن لتؤثر على علاقتهم بالثائرين الجزائريين[140]، و هم العناصر الاستقلالية التي حلّت بتطوان هروبا من المنطقة الجنوبية بعد عملية السوق المركزي في الدار البيضاء.

حلّ هؤلاء المناضلون الاستقلاليون بتطوان خلال شهر جويلية 1954 و منهم الحسين برادة و بلحاج العتابي و محمد الأنصاري و الداحوس الصغير و فيفي[141] و السعيد بونعيلات[142] و حسن صفي الدين[143]،أما الغالي العراقي فكان قد التحق من مدينة الجديدة بالجنوب بمدينة طنجة في شهر جوان 1946، و خلال سنة 1953 ارتبط بمجموعة من المناضلين منهم عبد الرحمان اليوسفي و عبد اللطيف بن جلون و عبد الكبير الفاسي و أحمد زياد، و التحق في شهر بتطوان، و يذكر العراقي أن حسين برادة و السعيد بونعيلات أبلغاه " بسخطهما " على أحمد زياد[144]، و كان هذا الأخير قد عينه علال الفاسي و عبد الكبير الفاسي مسؤولا عن اللاجئين بالمنطقة الخليفية و ممثلا لحزب الاستقلال بعد اتصالهما بالمقيم

---

138 - STORA, **Algerie-Maroc, op. cit**. p.40

139 ـ بعد استحواذ مراكش على كلمة " المغرب" بعد الاستقلال (1956) بدل مراكش و التي تشتق منها كلمة (Maroc) بالأجنبية، أصبح التلاعب بالألفاظ ساريا في كل الأدبيات المراكشية، إذ يسمى عندهم جيش تحرير المغرب العربي ـ و كانت بياناته الأولى بهذه التسمية ـ جيش التحرير المغربي، و كذلك الأمر بالنسبة لمصطلحات أخرى، مثل المغرب العربي الذي غالبا ما يذكرونه بـ" المغرب الكبير" لحاجة في نفس يعقوب!.

140 - STORA, **op. cit**. p.40

141 ـ انظر، **جيش التحرير.. مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.49-50

142 ـ **نفسه**، ص.130

143 ـ **نفسه**، ص. 107

144 ـ **نفسه**، ص ص.80-83

العام الاسباني الجنرال فالينو في لقاء بمدريد. و في هذه الفترة كانت هذه العناصر المناضلة بتطوان قد ارتبطت بعناصر الثورة الجزائرية في أواخر سنة 1954 ومطلع سنة 1955 وعلى رأسها محمد بوضياف عن طريق الجزائري حسين القادري(أو الكادري) الذي أرسلته قيادة الثورة الجزائري للاتصال برجال المقاومة بالمغرب[145].

و يذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب الذي كانت له اتصالات سابقة بالعناصر الثورية في الجزائر[146] و كان منتميا للمقاومة بالمغرب الأقصى و كان وقتئذ مكلفا بجمع المساعدات بفرنسا للمقاومة، أن عبد الكبير الفاسي طلب منه التنقل رفقته إلى مدريد حيث تم لهما الالتقاء ببن بلّة و الدكتور حافظ إبراهيم اللذان طلبا منه الالتحاق بتطوان لحلّ المشاكل الموجودة هناك " فالإخوان مستاءون من أحمد زياد المسؤول عن علاقتهم بالإدارة الاسبانية، لأنّه يعرقل عملهم و تسبب في تأخير باخرة السلاح دينا " العروسة" إذ أخبر السلطات الاسبانية بمجيئها"، و بذلك انتقل عبد الكريم الخطيب إلى تطوان حيث التقى بالمقاومين الذين عرفهم بالدار البيضاء[147].

و قد تمكن الخطيب من إقناع زياد بالسفر إلى القاهرة، أما هو فرجع إلى مدريد حيث وجد في انتظاره بالمطار بن بلّة و حافظ إبراهيم و عبد الكبير الفاسي، الذين طلبوا منه السفر على التو إلى القاهرة لاطلاع المسؤولين المصريين على الأمر، و إبلاغهم أن لا يرسلوا الباخرة حتى يصل زياد إلى القاهرة، و لما وصل الخطيب إلى القاهرة اتصل بعلال الفاسي وأخبرا فتحي الديب و عزت سليمان بما يجري في المنطقة، و لما وصل زياد وضع في السجن العسكري بالقاهرة[148]. رجع بعد ذلك الخطيب إلى فرنسا، لكن بعد فترة قصيرة طلب منه عبد الكبير الفاسي مرافقته إلى مدريد، حيث تم لهما الاجتماع مع عبد المنعم النجار

---

[145] - **جيش التحرير.. مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص ص. 51-53

[146] - عبد الكريم الخطيب من مواليد 2 مارس 1921 بمدينة الجديدة ، درس الطب بالجزائر العاصمة و تخرج منها سنة 1945 فالتحق بباريس و تخرج طبيبا جراحا سنة 1951 كانت له ارتباطات بجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في الجزائر و فرنسا و مع رجال الحركة الوطنية المغاربية، انظر عنه، برادة، **مسيرة التحرير**، منشورات إفريقيا، الرباط، 2000، ص ص.191-194. و الخطيب " من أصول جزائرية "، انظر، عبد الرحيم، الورديغي، **الخفايا السرية في المغرب المستقل، 1956-1961**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1982، ص. 111 و زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 179

[147] - انظر، محمد، خليدي و حميد خباش، **جهاد من أجل التحرير، الدكتور عبد الكريم الخطيب، الدكتور حافظ إبراهيم**، منشورات إفريقيا، الرباط، 1999، شهادة (استجواب) الخطيب، ص.11. الكتاب عبارة عن استجوابين صحافيين (شهادتان) للدكتور الخطيب ص ص. 10-56 و للدكتور حافظ إبراهيم ص ص.57-87. و أشير للكتاب " **جهاد من أجل التحرير**".

[148] - يذكر الديب أن أحمد زياد كان ينقل أخبار المناضلين أولا بأول للفرنسيين و الأسبان و لذلك استدرج إلى القاهرة و وضع في السجن في سرية تامة مع أحمد مزغنة و الشاذلي المكي. انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 100

الملحق العسكري المصري، الذي طلب من الخطيب تولي مسؤولية جيش التحرير المغربي بحضور حافظ إبراهيم و عبد الكبير الفاسي و عبد الرحمان اليوسفي[149]. و يبدو أن ذلك كان لكون الخطيب وطني مراكشي " غير متحزب" و عضو في حركة المقاومة السرية بالدار البيضاء، و أخيرا لكونه من أصول جزائرية و بهذه الصفة فهو يحظى بثقة القادة الجزائريين و المراكشيين على السواء[150].

و يذكر الخطيب أنه لما عاد إلى تطوان و تسلم المسؤولية، تكونت قيادة الجيش المعروفة بـ"لجنة تطوان" من سبعة أعضاء هم: الخطيب و حسن صفي الدين و سعيد بونعيلات و حسين برادة و عبد الرحمان اليوسفي و الغالي العراقي و الدكتور المهدي بن عبود بعد رجوعه من أمريكا، و تشكل مجلس للثورة من سبع و عشرين عضوا يرأسه الخطيب نفسه، و منهم: محمد العتابي و محمد المكناسي و محمد الداحوس و إبراهيم فردوس و علال الفاسي و عبد الكبير الفاسي و القاضي ملال و عبد اللطيف بن جلون و المدني الأعور و أحمد شنطر...و آخرون، و كانت مهمة المجلس استشارية، كما تكون مركز للجيش بالناظور كلف فيه عباس المساعدي(المسعيدي أو المسعدي) بالتدريب العسكري وعبد الله الصنهاجي بالتموين، و تكونت لجنة عليا مغربية - جزائرية فيها: بن بله وبوضياف و خيضر و آيت أحمد و بن مهيدي من الجانب الجزائري، و الخطيب و عبد الرحمان اليوسفي و حسن صفي الدين و بونعيلات و برادة و العراقي من الجانب المغربي وحافظ إبراهيم[151](التونسي)، تفرعت عنها " لجنة التنسيق"

كان يجب انتظار صيف 1955 في إيكس لي بان (Aix-les Bains) وقت بداية المفاوضات حول استقلال المملكة[152] حيث يبدأ الحديث عن تكوين جيش التحرير الوطني المغربي، إذ تكونت " لجنة تنسيق" جيش التحرير المغاربي(المغرب العربي) في 15 جويلية 1955 بالناظور بعد لقاءات متعددة جرت في كل من مدينتي تطوان و الناظور من طرف أربعة أعضاء هم: علي الدريدي (بوضياف) و أحمد بن محمد بن عبد القادر (بن المهيدي)

---

[149] - انظر، **جهاد من أجل التحرير، مصدر سابق**، ص.12، تولي الخطيب مسؤولية الكفاح بمراكش لأنّه " موضع ثقة.. المراكشيين و الجزائريين"، انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص.101

[150] - زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 179

[151] - **جهاد من أجل التحرير، مصدر سابق**، ص. 12-13

[152] - حول هذه المفاوضات. انظر، - " Les entretiens Franco-Marocaines d'Aix-les-Bains (22-28 aout 1955), Procès verbaux ", in **Dossiers de l'Histoire du Maroc (D.H.M.)**, n° 1, juin 1996, pp.2-6

وعبد الله (عبد الرحمان الصنهاجي) و عباس بن عمر (المساعدي)[153]، كانت هذه اللجنة - التي لم تكن لها أية صلاحية حسب الخطيب[154]- بمثابة " القيادة العسكرية الميدانية"، مهمتها قيادة الحركة التحريرية المسلحة، و يبدو أن اللجنة فرضتها ضرورة تزويد ولاية وهران بما يحتاجه المجاهدون من سلاح و خصوصا بعد أن تمكنت الثورة الجزائرية من الحصول على كمية مهمة منه نقلتها إلى شواطئ الناظور في آخر مارس 1955 الباخرة " دينا"[155] التي حملت الدفعة الأولى من السلاح المصري إلى الحركة التحريرية المغاربية[156]، و قرر هؤلاء أن تكون شرارة انطلاق المقاومة بالمغرب الأقصى بالتنسيق مع الثورة الجزائرية يوم الأحد 2 أكتوبر 1955 " انطلاقا من الساعة الصفر و ليس قبل ذلك"[157].

و هناك من يذهب في القول إلى أن مخطط عمل جيش التحرير المغاربي أعدّ في أوت 1952 - كانت المنظمة الخاصة قد بعثت في أفريل من نفس السنة - و تأكد من خلال لقاء مدينة برن بسويسرا (جويلية 1953)[158] و لقاء مدريد في أعقاب جولة بوضياف، وتعزز التنسيق بين أولى الشبكات و رجال المقاومة في بداية أكتوبر 1953. و لضمان مرور الأسلحة و اللاجئين إلى المنطقة الشمالية عقد عبد الكبير الفاسي اتفاقا مع الجنرال غارسيا فالينو(Valino) المحافظ السامي الإسباني، الذي طلب بالمقابل أن يكون على علم بالتحضيرات للثورة. و قد عاد بوضياف عدّة مرات إلى شمال المغرب ليتكفل بهذا التحضير المسلح (أوت 1954 ثم في نهاية 1954 و بداية 1955)، و في ربيع 1955 عندما زار بوضياف المغرب و كانت قد ازدادت نشاطات المقاومة، اقترح المناضلون المغاربة يوم 18 جوان 1955 - ذكرى استشهاد الزرقطوني[159] يوم 18 جوان 1954- لكن الوقت كان مبكرا جدا، و أثناء اجتماع خماسي في مدريد حضره عبد الكبير الفاسي و الخطيب و اليوسفي عن المغرب و بن بلّة و بوضياف عن الجزائر، تمّ الاتفاق على تاريخ 20 أوت 1955 و هو

---

[153] - زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص.9

[154] - انظر، **جهاد من أجل التحرير، مصدر سابق**، ص.13

[155] - عن قصة السفينة " دينا " و مغامرة أفرادها، انظر، BOUZAR, Nadir, **L'Odyssée de Dina**, Ed. Bouchène/ENAL, Alger,1993, p.124

[156] - زكي، مبارك،" المغرب و الثورة الجزائرية، دعم شعبي غير محدود و مؤازة حكومية صريحة"، في **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، مجلة تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، أكدال، الرباط، 1425هـ/2004، ص. 25 ، و قوانين اللجنة و أعضاؤها و تنظيماتها تلخصها الوثيقة التي نشرها الكاتب في الملحق الثالث. انظر **ملحق الرسالة رقم: 1**

[157] - STORA, **op. cit**., p.48

[158] - سابقا، الفصل الثاني، ص. 41

[159] - محمد الزرقطوني من مواليد 1927 بالدار البيضاء، من رجال المقاومة السرية الأوائل بمراكش ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض بعد عملية السوق المركزي بالدار البيضاء و مات بالسجن بعد ابتلاعه لحبة سم في 18 جوان 1954. انظر عنه، برادة، **مسيرة التحرير، مصدر سابق**، ص ص.186-190

تاريخ نفي الملك (20 أوت 1953) لإعطاء هذا اليوم الدلالة المغاربية[160]، وعلى اعتبار أن اليوم يصادف كذلك هجمات الشمال القنسنطيني، هل كان ذلك منسقا مع قادة هذا الهجوم؟! فمصادرنا ـ الآن ـ لا تشير إلى هذا التنسيق بين قادة المقاومة في مراكش والمجاهد يوسف زيغود، لكن يبدو، أن قادة الثورة الجزائرية حين عقدوا مؤتمر الصومام في هذا اليوم كانوا يؤكدون البعد المغاربي لهذا التأريخ.

لكن هناك من يقول أن فترة بداية الكفاح المشترك قد حددت في الفترة ما بين 15 و30 أوت 1955، و تقرر تكوين قيادة عسكرية مشتركة في المغرب العربي باسم " القيادة العسكرية العليا لشمال إفريقيا " تضم مندوبا عن كل جيش في الأقطار الثلاثة، و تمّ اتخاذ قرار جماعي بعدم إيقاف الكفاح المسلح بأي قطر " ما لم تجاب مطالب الشعب العربي بكل دول شمال إفريقيا الثلاث"[161]، و يبدو أن القيادة العسكرية العليا قد عُهِد بها للطاهر الأسود كما سبق و أشرنا.

وقبل انطلاق المقاومة بالمغرب كانت قد رست في منطقة كبدانة ليلة 31/30 مارس 1955 بشاطئ "كابوياو ـ رأس الماء Cap d'eau" بالقرب من الناظور السفينة أو اليخت " دينا"[162] بفضل مجهودات كل من بن بلّة و بوضياف و عبد الكبير الفاسي و غيرهم، إلى جانب رجال المخابرات المصرية، و على متنها طاقمها البحري و سبعة من الجزائريين أتموا تدريبهم العسكري من بينهم محمد بوخروبة (هواري بومدين) و النذير بوزار المدعو عبد القادر و حمولة عتاد عسكري (أسلحة و ذخيرة و مفجرات)، استقبلها بن مهيدي وخمسون فردا من رجال المقاومة بالمغرب، تسلمت الثورة الجزائرية منها 204 بندقية مع معدات أخرى و تسلمت المقاومة بمراكش 96 بندقية مع معدات كذلك[163] تمّ إخفاؤها في دار المقاوم حمدون شوراق صديق بوضياف[164] لتسلم إلى المقاومة عشية انطلاقها، لتأتي

---

160 ـ روني، غاليسو،" تهميش الشعبوية الثورية: مشروع جيش التحرير المغاربي و التخلي عنه"، **جيش التحرير المغاربي، مرجع سابق**، ص. 72-73، يذكر عبد الكريم الخطيب قائلا:" نظرا لما يحمله هذا اليوم من دلالات... اتفقنا مع الجزائريين على التاريخ حتى تبدأ العمليات في نفس الوقت، في منطقة وهران بالجزائر و اكزناية و المنطقة الشرقية و مرموشة في المغرب. كان ذلك وفق تخطيط محكم"، انظر، **جيش التحرير.. مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.16

161 ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص.101

162 ـ عبد الرحيم، الورديغي،" جيش التحرير المغربي (1954-1956)، النشأة و التأسيس: وجهة نظر أخرى"، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد7، ديسمبر 1996، ص.2

163 ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص ص.80-86، و انظر كذلك، برادة، **مسيرة التحرير، مصدر سابق**،ص ص.120-124

164 ـ انظر، **جيش التحرير..مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.57

تجربة اليخت " انتصار" أو " النصر" الذي وصل إلى سواحل الريف بتاريخ 19 سبتمبر 1955 و أفرغ شحنة من العتاد العسكري منها 150 بندقية للمقاومة المغربية و 302 بندقية للثورة الجزائرية[165]، ثم مغامرة " السفينة المشؤومة آتوس" التي لم تفرغ شحنتها العسكرية حيث اعترضتها البحرية الفرنسية في 17 أكتوبر 1956 قبل وصولها إلى الساحل الريفي[166]، بهذه الأسلحة و غيرها من التي تحصل عليها المناضلون بوسائل مختلفة[167] انطلقت المقاومة المشتركة.

ج - " جزائري" على رأس قيادة جيش التحرير المغربي

أما عن إعداد المقاومين و تدريبهم، فقد ورد عن الخطيب أنّه لما وصل إلى تطوان لتحمل مسؤولية قيادة الجيش، فإنّه وجد بوضياف و بن مهيدي قد وطدا علاقات مع المقاومين اللاجئين هناك قائلا:" قد استفدنا من خدمات الشهيد العربي بن مهيدي الذي ساهم في تدريب كثير من جنودنا في مركز الناظور" و كنت قد طلبت من "بعض الإخوان الجزائريين كالأخ محساس" المساعدة على تدريب الأفراد على حمل السلاح " فوافونا بمدربين"[168]، والخطيب هو الذي كلف النذير بوزار بالإشراف على تدريب المقاومين بمدرسة " جنان الرهوني"، الذي أدى مهمته " على أكمل وجه" فتخرج على يديه ضباط أكفاء منهم العقيد الداحوس و العقيد مصطفى العيدي و العقيد الودغيري[169].

و يذكر برادة أن عبد الخالق الطريس هو الذي ساعد المقاومة في الحصول على مركز جنان الرهوني الذي أشرف عليه بوزار، الذي أتي في اليخت دينا و كان سينتمي للثورة الجزائرية لولا خلافه مع هواري بومدين على متن السفينة، فبقي بالمغرب و قاد فيما بعد جيش الأطلس[170]، و يبدو أن زعماء المقاومة قد استفادوا في تكوين الجيش من ضباط

---

165 ـ **نفس المصدرين**: الديب، ص ص. 116-120 و برادة، ص ص.125-127

166 ـ **نفس المصدرين**، الديب، ص ص. 251-260 و برادة، ص ص. 128-133

167167 ـ لا يجب أن ننسى هنا الدور الذي قام به المجاهد التونسي المغاربي أبراهيم حافظ انطلاقا من إسبانيا و فرنسا في إمداد المقاومة و الثورة الجزائرية بالسلاح و ارتباطه ببن بلّة و محمد بوضياف و عبد الكبير الفاسي و غيرهم. و إبراهيم حافظ من مواليد قرية إيكودا بالساحل التونسي بتاريخ 15 ماي 1916، هو ابن الشيخ راجح إبراهيم، درس بالجزائر و تخرج طبيبا سنة 1944 بفرنسا، ناضل في صفوف جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، و له عدة أتصالات برجال الحركات الوطنية المغاربية. انظر عنه، **جهاد من أجل التحرير، مصدر سابق**، ص ص. 58-87

168 ـ انظر، **جهاد من أجل التحرير، مصدر سابق**، ص.28

169 ـ انظر، **جيش التحرير..مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.30-31

170 ـ انظر، **جيش التحرير.. مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.64

الصف الفارين من الجيشين الفرنسي و الإسباني من أمثال مصطفى بن عثمان[171] و محمد الغابوشي[172] والسرجان(الرقيب) عبد السلام الذهبي[173] و غيرهم.. و هؤلاء جميعا أصبحوا قادة جيوش أو فرق أو فصائل حين انطلقت المقاومة.

و يذكر المقاوم عبد الرحيم الورديغي الذي وصل خفية إلى تطوان للاتصال بأخيه المقاوم عبد الغني عن النذير بوزار المكنى بعبد القادر[174]. أنّ بوزار شرع في تكوين المغاربة الوافدين من الدار البيضاء و الرباط و مراكش و وجدة وغيرها نظريا و تطبيقيا، وفي تكوين الخلايا و الفرق على شكل كتيبات بتسميات مغربية (قائد الرحى، قائد الثلاثين..) يرأسها من سبق أن انخرط في الجيشين الفرنسي أو الإسباني أو تحصل على نظريات عسكرية مبسطة. و كانت المدرسة ممونة من طرف أعضاء هيئة أركان الحرب، الذين كانوا يجمعون التبرعات الشعبية من سكان تطوان تحت زعامة الطريس[175].

و مهما يكن من أمر، فإن جيش تحرير المغرب العربي بمراكش بدأ المقاومة المنسقة مع الثورة الجزائرية في موعدها (2 أكتوبر 1955) و قد قدمت حصيلة العمليات الأولى بتاريخ 6 أكتوبر التي أكدت على عنصر المفاجأة و مصادرة 380 قطعة سلاح و قدمت ضحايا الهجمات المتمثلة في 71 قتيلا في أغلبهم من الأوربيين[176]. و تواصلت المعارك بعد ذلك شمال تازة و فاس بين المقاتلين و الجيش الفرنسي في عدّة مناطق منها: جبل زنلمة ، آزرو، مناطق الحدود الجزائرية المغربية، قارون، ملال، الجبل الأكحل، دار المذبوح،

---

[171] ـ **" جيش التحرير.. مجلس القيادة"، مصدر سابق**، ص.87

[172] ـ **نفسه**، ص.110

[173] ـ انظر شهادته، عبد السلام، الذهبي،(السرجان)،" ذكرى انطلاقة جيش تحرير المغرب العربي،(اكتوبر 1955 ـ اكتوبر 1996)، السرجان عبد السلام الذهبي، أحد أبطال هذه الانطلاقة يتحدث عن هذا الحدث التاريخي بكل تفصيل"، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 5، اكتوبر 1996، الرباط، ص ص. 8-10

[174] ـ يقول الورديغي عن بوزار:" أن ثقافته واسعة، كان مجازا في الآداب و الحقوق و يتسم بخبرة عسكرية واسعة، حيث كان قبطانا (نقيب) بالجيش الفرنسي و مراقبا مدنيا (بمراكش) فهو (جزائري الأصل) مواطن مغربي بالمولد، ولد بالرباط سنة 1924، و تكون بمؤسساتها العلمية ليصبح عسكريا و موظفا بإدارة الحماية الفرنسية"، التحق سنة 1954 بمصر، و تقدم إلى الأمير عبد الكريم الخطابي و علال الفاسي هناك و عرض نفسه للعمل المسلح لتحرير المغرب العربي، و هناك تعرف على زعماء الثورة الجزائرية و ألف كتابا باللغة الفرنسية قدم له علال الفاسي بعنوان" J'ai cru en la France اعتقدت في فرنسا"، و هو عبارة عن بيوغرافية يوضح من خلالها بوزار أهداف فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي، كلف فيما بعد بالإشراف على المدرسة العسكرية بجنان الرهوني بالمغرب الأقصى، نظم جيش تحرير المغرب العربي و أشرف بنفسه على جيش الأطلس، و خلال سنة 1956 ألقي عليه القبض ليعيش مدّة خمس سنوات بالمنفى السحيق ببولمان داديس تحت حراسة قائد الدائرة و تحت مسؤولية القبطان محمد المدبوح عامل إقليم ورززات، ليطلق سراحه سنة 1962،ليترأس مكتب قدماء المقاومة . انظر،عبدالرحيم، الورديغي، **الخفايا السرية في المغرب المستقل، 1956-1961**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1982، ص. 245، و لنفس الكاتب، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد7، **مصدر سابق**، ص. 2 و انظركذلك شهادة نفس المقاوم الكاتب، " قصة إنشاء مكتب قدماء المقاومة و جيش التحرير"، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 13، جويلية 1997، ص. 14، حلّ النذير بوزار مع أسرته في الجزائر بعد الاستقلال، و شغل منصب وزير مفوض (سفير) لدى وزارة الخارجية، من مؤلفاته بالجزائر L'Odyssée du Dina ، توفى في 12 أوت 1975.

[175] ـ انظر، الورديغي، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد7، **مصدر سابق**، ص.2

[176]- STORA, **op. cit**., p.48

مجبارنه، تاينست، و غيرها و بخاصة في قرى " أكنول و تيزي أوزلي و أبوريد" إلى شهر أبريل 1956[177].

و يذكر الورديغي أن المقاومة فشلت في شهر أكتوبر في " المثلث الجغرافي لقرى أكنول و تيزي أوزلي و أبوريد" بسبب أن قيادة الأركان بتطوان أرسلت عناصر لم يكملوا التكوين العسكري المطلوب من مدرسة جنان الرهوني، و من جهة أخرى بسبب قنبلة الطيران الفرنسي للقرى الثلاث، و إمداد المنطقة بنجدات عسكرية هامة لتحاشي "حرب الريف المرعبة سنة 1921"، أما قادة المقاومة فقد انسحبوا إلى المنطقة الشمالية، و هم المساعدي و عبد الله الصنهاجي و الغابوشي و الزلوتي و الدوائري و المغراوي و ابن قدور و ميمون و عقى[178].

أما العناصر التي أتمّت تكوينها بالمدرسة ـ بعد شهر اكتوبر ـ فقد انطلقت من قرية إكتامة و دخلت المنطقة الفرنسية (السلطانية) تحت مسؤولية بوزار نفسه جهة قريتي "غفساي و تاونت" لتخفيف الثقل العسكري على المثلث الجغرافي بالضغط على قوات الجنرال أكوستيني الذي كان قد دمر قرى المثلث. إذ دخل بوزار منطقة فاس بعد الهجوم على مركزي غفساي و تاونت . دخلت قيادة جيش بوزار مختفية إلى مدينة فاس، لكنها سرعان ما خرجت إلى ناحية " إيموزار الكندر" و وزعت عناصرها في الأطلس المتوسط بمساعدة قادة المناطق و كان المنسق فيما بينها هو عبد الغني الورديغي[179].

و يضيف لنا الورديغي بناء على شهادة بوزار سنة 1961، ـ و كان الورديغي قد عايش بوزار منذ 1955 ـ أن تقسيمات أركان حرب جيش التحرير كانت على النحو التالي من سلسلة جبال الأطلس و انتهاء بوادي درعة:ـ

ـ منطقة بني ورياغل : كان المسؤول عنها حسن اليعقوبي

ـ منطقة مرنيسة: المسؤول عنها محمد بن البقال

ـ منطقة بني زروال: المسؤول عنها محمد بن المختار

---

177 ـ الذهبي، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 5، **مصدر سابق**، ص. 8-9، انظر **ملحق رقم:2+3**، لدي بعض البيان لجيش تحرير المغرب العربي.

178 ـ انظر، الورديغي، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد7، **مصدر سابق**، ص.3

179 ـ **نفسه**.

- منطقة ورغة العليا[180]: المسؤول عنها محمد حجاج
- منطقة آسني[181]: المسؤول عنها أحمد العمراني
- منطقة خنيفرة[182]: و المسؤول عنها ابن المختار البقالي
- منطقة مراكش - مسفيوه: المسؤول عنها بن حمو المسفيوي
- منطقة زمور[183]: المسؤول عنها محمد بن الميلودي

و يضيف الحسين برادة إلى هذه المناطق، منطقة بني ملال، التي كانت تحت قيادة أحمد العمراني، قائلا أنها كانت تحت قيادة النذير بوزار و يساعده مصطفى العبدي و عبد الغني الورديغي و إدريس الحارثي و الحسين الزموري[184].

كان بين هذه المناطق نواب للاتصال منهم: التهامي ولد سيدي حمان الكندري و القائد ولد علي بن عبد السلام المكنى بمحمد المكناسي و القائد سعيد أزرو و أبوعزة و محمد أمهروق بخنيفرة و لحسن اليوسي، و كانت هذه المناطق من أحسن المناطق تنظيما، نظرا لتكوين عناصرها العسكري بتطوان و إقبال السكان و قوادهم على الانخراط بجيش التحرير حسب نظام محكم وضعته قيادة عبد القادر بوزار[185].

و الملاحظ أن المتتبع لهذا التقسيم بناء على خريطة يجده قد شمل كل جهات المغرب الأقصى، لقد كانت المواجهة بين جيش التحرير و القوات الفرنسية عنيفة في هذه المناطق، ولذلك تنقل وزير الدفاع الفرنسي الجنرال ليوت ليشاهد بأم عينيه صعوبة مجابهة جيش التحرير المساند من القبائل في هذه المناطق، و كانت شهادته أمام مجلس الوزراء بفرنسا أنّه من المستحب اتخاذ قرارات سياسية جريئة " لتحاشي حرب فرنسية - جزائرية أخرى"! فلم

---

180 - المناطق الأربع الأولى مناطق قبائل ريفية، فبني ورياغل هي قبيلة الأمير عبد الكريم، و ورغة العليا توجد شمال فاس و تازه، و وادي الورغة هو الحد الفاصل الطبيعي بين المنطقة الفرنسية (السلطانية) و المنطقة الإسبانية (الخليفية) في المغرب إبان فترة الاستعمار.

181 - توجد مدينة آسني إلى الجنوب من مدينة مراكش على بعد حوالي 60 كلم في الأطلس الأعلى (الكبير) الجنوبي.

182 - توجد مدينة خنيفرة في الأطلس الأوسط، تقع على أحد الوديان من منابع وادي أم الربيع.

183 - تقع مدينة زمور أو آزمور إلى الجنوب من الدار البيضاء.

184184 - برادة، **مسيرة التحرير، مصدر سابق**، ص. 148

185 - انظر، الورديغي، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 7، **مصدر سابق**، ص. 3

يسع حكومة ادغارد فور إلى أن تتخذ قرارات مستعجلة بعزل السلطان " المصطنع" وإرجاع محمد الخامس إلى عرشه[186].

و قبل هذا، كان يجب علينا أن نشير إلى الاتصالات التمهيدية التي جرت بين قادة الثورة الجزائرية و قادة الحركة التحررية في المغرب الأقصى بعد اندلاع الثورة في الجزائر، حيث توطدت العلاقات بفضل الجهود الجبارة التي قام بها كل من بن مهيدي قائد المنطقة الخامسة (الغرب الجزائري) و بوضياف مع مناضلي المنطقة الشمالية بالمغرب في كل من مدينتي تطوان و الناظور الخاضعتين للسلطة الإسبانية، و هي السلطة التي و لأسباب سياسية خارجية التزمت نوعا من الحياد تجاه الأزمة السياسية المغربية، و خصوصا بعد نفي الملك، هذا الحياد ستستغله الحركة الثورية التحررية لتجعل من تطوان و الناظور قواعد خلفية لدعم الثورة في مراكش و الجزائر[187].

كما كان علينا أن نشير كذلك، إلى أن الثورة عندما عمّت كل منطقة المغرب العربي فإنها أربكت المخططات السياسية و العسكرية الفرنسية، فأصبحت السلطات الفرنسية تبحث عن حلول و مناورات لإجهاض هذا المّد التحرري الوحدوي المغاربي، و لذا فتحت مفاوضات و مباحثات مع زعماء الحركة الوطنية في تونس بداية بعد تصريح منديس فرنس، ثمّ مع قادة الحركة الوطنية في المغرب، و هذا لإيقاف العمل المسلح في البلدين، لتتفرغ السلطات الفرنسية أخيرا لمواجهة الثورة الجزائرية التي أصبحت تهدد الوجود الفرنسي بكل أشكاله في المغرب العربي.

و وعيا من قادة الثورة الجزائرية بهذه المخططات و أبعادها كان عليهم مواجهتها بما يتطلبه الأمر. و على هذا الأساس سيعمل قادة الثورة المتواجدين في القاهرة أو المتنقلين بين القاهرة و الناظور و تطوان و سويسرا و مدريد ـ بعد دخول أطراف من قادة الدستور الجديد في مفاوضات مع فرنسا ـ على توطيد الصلات الجهاديّة و تكوين جبهة جديدة موحدة لمواصلة الكفاح المسلح المشترك في الجهة الغربية من منطقة المغرب العربي. و لتعبر

---

186 ـ الورديغي، **ملفات من تاريخ المغرب**، عدد 7، **مصدر سابق**، ص.3

187 ـ زكي، " الثورة الجزائرية.."، **مصدر سابق**، ص. 8

ثانيا:- تتكتل بعد ذلك، مع الدولتين المراكشية و التونسية، لإقامة الإمبراطورية العربية - البربرية، التي أسسها في مرحلة (تاريخية) عبد المؤمن...

ثالثا:- عندما تتوحد شمال إفريقية، فإنها تلتحم بالإمبراطورية العربية، التي هي في طور التكوين في القاهرة و مكّة (المكرمة).

رابعا:- و أخيرا يصير (المغرب العربي) مقاطعة من مقاطعات الخلافة العالمية، التي يجب أن تسود أرض الإسلام إلى آخر الزمان..."[134].

و سياسة العلماء المغاربية العربية - الإسلامية هذه، كما يظهر، مماثلة و متماشية مع ما كان يدعو إليه الأمير شكيب أرسلان. و مهما يكن من أمر، فإن الحركة الإصلاحية تمكنت من أن تخلق نوعا من الوعي الحضاري الجماعي المشترك في المغرب العربي ، في إطار فكرة القومية العربية، التي أرسى لها الإصلاح جذورا عميقة في المنطقة، و التي تواصلت و استمرت خلال الحرب العالمية الثانية و بعدها.

ب - عاد الشيخ محمد الخضر حسين الذي تطورت نظرته عبر السنين إلى العمل الوحدوي المغاربي، و الذي سبق له و نشط مع الجماعة المغاربية المهاجرة خلال الحرب العالمية الأولى، و أسس مع ثلّة من المغاربة حين انتقل الى مصر، في شهر جوان 1924 " جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية "[135]بالقاهرة، و كان دورها المعلن هو السعي لرفع مستوى هذه الجالية المغاربية من الناحية الثقافية و الاجتماعية[136]، و إن كنا لا نملك الآن معلومات كافية عن استمرار نشاط هذه الجمعية، غير أن المعروف، هو أن رئيس هذه الجمعية الشيخ الخضر قد كثف من عمله و نشاطه خدمة للقضية المغاربية و الاسلامية. فأسس خلال الحرب العالمية الثانية جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، يوم أول ربيع الأول 18/1364 فبراير 1944[137]، و ترأسها الشيخ نفسه أما نائبه فهو الأمير مختار

---

134 - J., DESPARMET, " Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie, 1911-1937, - fin ", In **A. F.** n° 12, décembre 1937, p. 559

135 - انظر، مواعدة، **مرجع سابق**، ص.88-89

136 - **نفسه**، ص، 89

137 - انظر، الفضيل، الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، بيروت، لبنان، 1963/1383 ، (دون دار نشر).

الثورة الجزائرية عن غضبها عن الاستعمار و سياسته و إظهار بعدها المغاربي تأتي الهجومات التاريخية يوم 20 أوت 1955 بمنطقة الشمال القسنطيني المخلدة للذكرى الثانية لنفي الملك محمد الخامس بقيادة المجاهد زيغود يوسف مؤكدة هذا البعد، كما تشير إلى ذلك كل الشهادات و المصادر الجزائرية.

كان من أهداف جيش التحرير المغرب العربي ساعة إنشائه أن يضم إليه الجماعات الراديكالية في المقاومة بمراكش مثل حركة المقاومة (Le mouvement de la résistance) أو جيش التحرير (L'Armée de libération)، غير أن جيش التحرير رفض مبادرة حزب الاستقلال. و حول هذا الأمر أستدعي الخطيب، من فرنسا لمحاولة تنظيم الأمور، و لمّا لم تؤد المحادثات إلى شيء يذكر، أعلن جيش التحرير المغاربي أنّه:" لن يتخلى عن السلاح حتى الاعتراف الكامل من طرف فرنسا باستقلال المغرب و سيادة ملكه و قائده محمد الخامس"[188]. و هذا الموقف كانت له نتائج وخيمة حتى بعد عودة السلطان، إذ نتجت عنه بعض المواجهات بين الوطنيين، بيد أن " مقاومي جيش التحرير أو حركة التحرير رفضوا محتوى ما أسموه " بشبه استقلال"، فالراديكاليون منهم رفضوا تولي " خونة الأمس" لمناصب إستراتيجية في نظام الحكم الجديد، وأبعدت مبادرات جماعة الناظور، و جعل علال الفاسي من نفسه زعيما للجهاد، ففي 4 أكتوبر 1955 أعلن من القاهرة أنّه و بمبادرة منه قد تكون " جيش تحرير المغرب العربي" تحت "قيادة موحدة" تدير" المقاومة لتحرير الجزائر و المغرب الأقصى"، و أوضح "الزعيم" المراكشي أن الكفاح المسلح جاء نتيجة الإرادة الفرنسية السيئة في عدم احترام اتفاقيات إكس ليبان الممضاة في 8 سبتمبر 1955 التي تتوقع المرور إلى الاستقلال[189].

كثيرة هي الظروف التي ساعدت في تنامي جيش التحرير المغاربي، منها الوعود المصرية بعد ثورة ناصر و مساندة مسؤولي الثورة الجزائرية مثل بوضياف و بن بلة و بن مهيدي (1923-1957) و كان هذا الأخير مسؤولا على منطقة وهران، و منها غض الطرف الأسباني و استقباله بصعوبة للاّجئين السياسيين المغاربة و السماح لهم أخيرا بتنظيم مقاتليهم

---

188 -STORA, **op. cit**. p.48-49

189 -**IBID**.

من " الكومندوس"، و منها أن كثير من المناضلين الجزائريين المؤثرين ـ من أمثال بن مهيدي و بوضياف وغيرهم الذين حلوا بمدينة تطوان في الكثير من المرّات و قدموا للمجاهدين دروسا شبه نظرية حول معنويات و واجبات المقاتل أو شبه تطبيقية مع مبادئ في حرب العصابات[190]

تبنى جيش التحرير المغاربي أساسا الفكرة القومية المغاربية على أساس العروبة والإسلام، حيث أقام الجزائريون و المراكشيون بمدينة الناظور مركزا للتدريب و منه كان ينطلق الرُسل إلى القبائل بين وجدة و فاس لتنظيم المقاومين. كما كان جيش التحرير المغاربي يهدف إلى تحرير مراكش و إعادة الملك إلى عرشه في المرحلة الأولى وإلى تحرير الجزائر بمساعدة مقاتلي منطقة وهران، و من ثمّة فهو جيش مغاربي[191].

استعمل جيش التحرير المغاربي الفكرة الوطنية و الدين الإسلامي لتحريض الجنود المغاربة في صفوف الجيش الفرنسي و دعوتهم للالتحاق به و إمداده بالسلاح، فمن خلال منشور مؤرخ في 6 أكتوبر 1955 موجه إلى الضّباط و صف الضّباط العاملين تحت العلم الفرنسي المثلث جاء فيه " ليس من شرف أي مسلم كان أن يكون كذلك، فاعلموا أن أي مقاتل منكم يموت في ميدان القتال فموعده جهنّم، أما الذين يقاتلون في صفوفنا فموعدهم الجنّة التي يرونها رؤية العين في آخر شهقة"، و لأول مرّة يظهر التلميح إلى الإسلام في الإمضاء:" جيش التحرير الإسلامي المغاربي"[192]، و هناك منشور آخر بتاريخ 25 نوفمبر 1955، يدعو الضباط المغاربة بالجيش الفرنسي للقيام " بواجبهم تجاه الأمّة والإسلام"[193]، و قد لبى الدعوة الكثير من الجنود.

و لنا أن نلاحظ هنا أن المقاومة المراكشية بدأت متأخرة بقليل ـ أواخر سنة 1952- عن المقاومة التونسية ـ بداية سنة 1952- ولكن متزامنة معها في السنة، لتأتي بعدهما الثورة الجزائرية فاتحة مجال العمل الوحدوي المسلح، لتدخل قضية المغرب العربي طورا إيجابيا

---

190 ـ انظر، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص ص. 142-147

191 -STORA, **op. cit**. p. 48-49

192 - **IBID**. p.50

193 - Charles-André, JULIEN, **Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956**, Jeune-Afrique, Paris, 1978, p.461

في التحرر من الاستعمار ثمّ الوحدة " المنشودة " من طرف الشعوب و الحركات الوطنية المغاربية. و لكن ثمّة مثبطات كانت من طرف الساسة الاستعماريين الفرنسيين و من بعض السائرين من المغاربة في ثقافة المستعمر و حضارته، و الساعين إلي القطرية و البحث عن السلطة في الأقطار المغاربية الثلاثة، و في هذا الإطار لعبت السياسة الفرنسية و - ربما - "بذكاء" فيما يخص المغرب، إذ حولت مركز و ثقل " الوطنية السياسية"(الحركة الوطنية) بعد تمييعها[194] و جسدتها في " صورة الملك و الملكيّة "، ففي 6 نوفمبر 1955تمّ أمضاء التصريح المغربي - الفرنسي بقصر لسال سان كلو(La Celle Saint Cloud)، الذي يؤكد على عودة محمد الخامس من المنفى إلى عرشه العلوي و على استقلال المغرب.و مع ذلك فإن المقاومة تواصلت في منطقة الريف و الأطلس الأوسط، وحتى بعد عودة الملك في فيفري 1956، حيث تسارعت المفاوضات لتصل إلى معاهدة 16 مارس 1956، و بأمر من الملك أعلنت معركة التحرير منتهية، لكن هناك من ندد بالاتفاق و منهم زعماء " الهلال الأسود" المرتبطين بالنذير بوزار الذي يقود معسكر تطوان و مقاومين من قاعدة الناظور وجماعات ريفية بهذه " المؤامرة الاستعمارية" و خاصة مشروع تأسيس " مجلس حكم" لضمان المرحلة الانتقالية[195]، لتبدأ في المغرب الأقصى مرحلة تصفية الحسابات والاغتيالات و القضاء على " المشاغبين" كما حدث في بقية بلدان المنطقة..

و يبدو لنا من الواضح أن وحدة المغرب العربي كانت ستتحقق عن طريق وحدة الكفاح - ربما - لولا مستجدات سنة 1956 بطريقة تجربة تاريخ المنطقة الحضاري على طريقة " الموحدين"، أو على طريقة التاريخ الحديث و المعاصر كما حدث في التجربتين الإيطالية و الألمانية في القرن التاسع عشر، أو على التجربة الفيتنامية في القرن العشرين. فقد بدا لنا أن وحدة المغرب العربي بعد تاريخ 1956 قد انحصرت في المجال السياسي، إذ بدأ الوعي العام المغاربي المشترك في التلاشي و الاندثار و اقتصر لدى النخب القيادية بالمغرب العربي في الشعارات، ذلك ما سنحاول مناقشته في الفصل الموالي.

---

194 - شاركت بعض الأطراف التي لم يكن لها أي ضلع في الحركة الوطنية في المفاوضات مع فرنسا إلى جانب الأحزاب الوطنية (22-27 أوت 1955). الوفود المشاركة في المفاوضات هي: حزب الاستقلال، حزب الشورى و الاستقلال، السياسيون المعتدلون، مخزن محمد بن يوسف، مخزن ابن عرفة، العلماء العملاء، العلماء الوطنيون، اليهود، المعمرون الفرنسيون،(أي 9 وفود). انظر، محمد، ضريف، **الأحزاب السياسية المغربية**، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،1989، ص ص. 86-88

195 - غاليسو، **جيش التحرير المغاربي، مرجع سابق**، ص.79

الفصل الرابع

"نحو احتواء" فكرة وحدة المغرب العربي

1ـ " تهميش و تصفية " عناصر الكفاح المشترك و الوحدة

أ ـ في الثورة الجزائرية

1ـ صراع على القيادة و الإيديولوجية

2ـ " قضية العموري " و نتائجها

ب ـ في تونس بورقيبة

ج ـ في المملكة المغربية

2ـ الدعوة إلى عقد مؤتمر وحدة المغرب العربي، و في أي إطار؟!

1ـ " تهميش و تصفية" عناصر الكفاح المشترك و الوحدة

أ ـ في الثورة الجزائرية

1ـ الصراع على القيادة و الإيديولوجية

لا شك أن أهم ما فجر الأوضاع اثر قرارات مؤتمر الصومام فكرة " أولوية الداخل على الخارج" و " أولوية السياسي على العسكري "، ذلك أن جماعة الوفد الخارجي ـ الذين لم يحضروا جلسات المؤتمر ـ و على رأسهم أحمد بن بلّة و محمد بوضياف، اعترضوا على " صلاحيات المؤتمر و قراراته"، بعد اطلاعهم على أرضيته السياسية و محاضر جلساته، إذ لاحظوا أن بعض النقاط العقائدية الأساسية منها الطابع الإسلامي للمؤسسات السياسية المستقبلية في القرارات الواردة في الميثاق المنشور للرأي العام في الفاتح من نوفمبر 1954 قد " غُيبَتْ عمدا أو سهوا" هذا من جهة، و من جهة أخرى أُبعدوا من " الإدارة التنفيذية" لقيادة الثورة المنبثقة عن المؤتمر[1]، و لذلك أصبحوا يصدرون تعليماتهم إلى عناصر ناحية سوق أهراس ـ القاعدة الشرقية فيما بعد ـ و المنطقة الأولى بالولاية الأولى ـ أوراس النمامشة(أو اللمامشة) ـ على معارضة قرارات مؤتمر الصومام و القيادات الجديدة المنبثقة عنه، و من عناصر بن بلّه علي محساس و السعيد عبد الحي، و كان بورقيبة قد اشتكى من جماعة عبد الحي الذي كان " يمثل دولة داخل دولة، و كانت فكرة جماعة بن بلّه الأساسية": هي التحذير من السياسيين الذين خولهم المؤتمر صلاحيات التحكم في العسكريين"[2].

كانت المنطقة الأولى (الولاية الأولى) موحدة تحت قيادة واحدة إلى سنة 1955، وكانت القيادة متخلصة من النزعة القبلية و على رأسها رجال من أمثال مصطفى بن بو العيد و البشير شيهاني و عباس لغرور، و هؤلاء كانوا أعضاء سابقين بالحركة من أجل انتصار

---

[1] ـ انظر الوثيقة رقم 34، في كتاب: HARBI, **Les archives,op. cit**., p. 168

[2] ـ انظر، زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص ص. 259-267، نستعمل "النمامشة الشائع، و يستعمل زروال "اللمامشة، و له مبرراته التاريخية في ذلك.

الحريات الديمقراطية، و هناك شخصيات مرتبطة بالمجتمع المحلي من أمثال: عجول عجول و الطاهر نويشي و عزوي و عيسى مسعود و مسعود بلعقون و العبيدي الحاج لخضر وغيرهم. و ظلت الولاية متماسكة، و لكن باعتقال مصطفى بن بو العيد في 4 فيفري 1955، كثرت الصراعات و وصلت إلى حد التصفيات و التحالفات[3]، و انقسمت المنطقة إلى ثلاثة أقطاب للمقاومة المسلحة: الأوراس و النمامشة و سوق أهراس، لدرجة أن التعاون ضد جيش الاحتلال لم يتغلب على هذه الصراعات، و كثيرا ما كان كل طرف يحاول تعزيز موقفه على حساب الآخر و الحصول على أسلحة أكثر منه، مما أدى إلى تسابق نحو تونس باعتبارها كانت مكان عبور للأسلحة المبعوثة من مصر من طرف بن بلّه و يقوم بتوزيعها أحمد محساس[4].

كانت تقيم بتونس جالية جزائرية معتبرة، شكلت خزانا كبيرا للقوى المادية و البشرية بالنسبة للمقاومة المسلحة، هذا إضافة إلى إقحام أنصار تعميم الكفاح المسلح على المغرب العربي في الجدل الذي كان جاريا بين بورقيبة، الذي كان يدعو إلى استقلال تدريجي و إلى تحالف مع الغرب، و صالح بن يوسف الذي - و لأسباب تكتيكية أكثر منها إستراتيجية[5]- كان يدعو إلى الوحدة العربية و تجاوز الدولة القومية (القطرية)، كيف لا و هؤلاء كانوا متشبعين بنظرتهم الإسلامية إلى العالم[6].

و أمام الخلافات التي كانت قائمة بين فصائل العمل المسلح في المنطقة الأولى (الولاية الأولى) و على الحدود و بتونس، يذكر محمد حربي أن بورقيبة - الوزير الأول - وجد نفسه مضطرا إلى البحث عن طرف يتحاور معه، و قد استطاع قائد الحرس القومي التونسي محجوب بن علي أن يجد ذلك في شخص عمار بو قلاز المدعو العسكري، حتى وإن كان هذا الأخير معين من طرف رجل معروف بتأييده لعبد الناصر، ألا و هو بن بلّه، لقد زوده بالأسلحة و طلب منه بالمقابل تسليمه أنصار صالح بن يوسف، غير أن بو قلاز لم يكن متحكما في الأوراسيين و لا السوفيين التابعين لطالب العربي. و من هنا طرحت مسألة

---

[3] - عن الصراعات و التنافس على القيادة بالولاية الأولى إبان الثورة و التي ليست مجال بحثنا هذا، انظر كتاب زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق.**

[4] - انظر، محمد، حربي،(ترجمة محمد هناد)" مؤامرة العموري"، مجلة **نقد**، خريف/ شتاء 2001، عدد 15/14، الجزائر، ص. 10-11

[5] - حسب رأي حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مرجع سابق**، ص. 12

[6] - **نفسه**.

البحث عن كيفية يمكن بها تجاوز العواقب و منها " تحديد طبيعة العلاقات الجزائرية التونسية في ظل الأوضاع المستجدة"[7].

كان محساس يرتكز في انتقاداته للمؤتمر - كارتكاز بن بلّه كذلك - على أن الولاية الأولى و الوفد الخارجي و الولاية الخامسة و اتحادية فرنسا لم تحضر كلها أشغال المؤتمر، إلى جانب أن المؤتمر لم ينصص صراحة على فكرة الانتماء الحضاري العربي الإسلامي وأعمال المؤتمر طغت عليها الفكرة اليسارية أو " الفكر الشيوعي"، هذا إلى جانب تعيين أشخاص في المجلس الوطني للثورة ، كانوا يمثلون في نظر المعارضين " الجناح الأكثر اعتدالا" من أمثال فرحات عباس و غيره. و لما كان للوفد الخارجي سلطة معنوية على الولاية الأولى و ناحية سوق أهراس، ظهر الكثير من القادة الثوار، من طلائع اندلاع الثورة الأوائل، في معارضة نتائج المؤتمر على أساس أن قراراته كانت " ضد السلطة العليا في الشرق، أي النظام الثوري، أي ضد بن بلّه و الوفد الخارجي"، و من هنا بدأ الصراع على أشده، فقد بدأ قادة الثورة " الجدد" المنبثقين عن المؤتمر يحاربون كل " مشوش" داخل النظام أو خارجه[8].

اتخذ أحمد محساس من مؤتمر الصومام مواقف متقدمة في نقد قراراته و نتائجه، والتي من بينها " أسبقية الداخل على الخارج و العمل السياسي على العمل العسكري"، وكان يرى أن العمل سابق لأوانه، إضافة إلى تكريس جماعة العاصمة عبر لجنة التنسيق والتنفيذ[9]،كقيادة واحدة للثورة، إذ سرعان ما أصبحت تتصرف منفردة، و بادرت بتعيين مسؤولين جدد في مواقع الثورة بالخارج، مما أحدث أزمات في باريس و تونس و القاهرة[10] لدى بعض المسؤوليين الأوائل في الثورة الجزائرية، و بخاصة في منطقة الأوراس و مواقع الحدود مع تونس[11].

---

7 - حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مرجع سابق**، ص.12

8 - انظر، زروال، **إشكالية القيادة**، **مصدر سابق**، ص ص.259-267

9 - كان الصراع على أشده بين أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ (كريم بلقاسم و عبان رمضان و العربي بن مهيدي و يوسف بن خدّه و سعد دحلب) من جهة و من جهة أخرى بن بلّه و بوضياف، و بخاصة بعد أن استأثر باللجنة عبان و كريم، و كان لهذه الصراعات انعكاسات كبيرة على مسيرة الثورة و إيديولوجيتها ما بعد سنة 1956، بهذا الخصوص، انظر مثلا، HARBI, **Les archives**, op. cit. (les documents n°s 34, 35 et 38) p. 168, pp. 169-171 et pp. 177-179

10 - عباس، **ثوار عظماء**، **مصدر سابق**، ص.154-155

11 - حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مرجع سابق**، ص. 12

كان محساس و هو بتونس مؤيدا من طرف مجموعة من القادة المجاهدين، اقتنعوا بأفكاره و " تحرشاته " التي كان يبثها باسم أحمد بن بلّه و الوفد الخارجي ضد قرارات مؤتمر الصومام و منظميه[12]، من أمثال السعيد عبد الحي و نائبه عبد الكريم هالي و عباس لغرور و الطالب العربي و غيرهم، لدرجة أن هؤلاء فكروا - حسب ما أورده المجاهد الكاتب زروال - " في تكوين قيادة عليا للثورة مستقلة عن القيادة في الداخل و الوفد الخارجي في القاهرة على السواء"[13]! و الواقع أن هؤلاء كانوا يؤمنون جميعا بأفكار محساس و بن بلّه، و من ذلك فإن نفس الكاتب يناقض نفسه عندما يذكر أن عباس لغرور كان على علاقة متينة ببن بلّه و من أنصار صالح بن يوسف، و حين وصل إلى تونس متصلا بالثلاثي عبد الحي وهالي و الطالب العربي، كان قد طلب من قائد ناحية سوق أهراس الوردي قتال أن ينظم مجموعة من الفدائيين تتسلل إلى التراب التونسي بهدف اغتيال بورقيبة ، لأن بورقيبة كان يعارض فكرة انتشار الكفاح المسلح في كافة أقطار المغرب العربي[14]! غير أن ذلك لم يتم تنفيذه.

بادر محساس - بعد اختطاف بن بلّة و رفاقه - بالعديد من الاتصالات بالخارج والداخل لجمعهم حوله على اعتبار أنه الخليفة الطبيعي لبن بلّة، و من ذلك فإنه حضر إلى القاهرة لإقناع المسؤولين المصريين هناك،بأنه يحظى بتأييد جميع قادة الولايات الشرقية له كخليفة لبن بلّه و أن هؤلاء لا يعترفون بقرارات مؤتمر وادي الصومام و يرفضون الاعتراف بقيادة لجنة التنسيق و التنفيذ التي يقودها عبان[15]. ذلك أن بعض قادة المناطق الشرقية كانوا يسيرون في اتجاه محساس، منهم أولئك القادة الذين اجتمعوا في حدود الجبهة الشرقية، بمشاركة عمارة بوقلاز و عبد الله بلهوشات و مسعود بن عيسى و عمر بن بو العيد و الباهي شوشان و الأزهر شريط ، ممثلين لمناطق سوق أهراس و سدراتة و خنشلة و تبسة و الذين دعوا من خلال اجتماع لهم بتاريخ 15 ديسمبر 1956، إلى إعادة النظر في الجهاز التنظيمي و السياسي و العسكري و الإداري للثورة، و انتهى اجتماعهم بقرارات منها:-

---

12 - زروال، **اللمامشة في الثورة، مصدر سابق**، ص.306

13 - ذلك أن عبد الحي و هالي و الطالب العربي كانوا على اختلاف كذلك مع محساس و بن بلّه حسب ما أورده زروال! **نفسه**، ص.ص.321-323

14 - زروال، **اللمامشة في الثورة، مصدر سابق**، ص. 324

15 - الديب، **مصدر سابق**، ص. 290-291

1- عدم الاعتراف بقرارات مؤتمر الصومام، بحجة عدم وجود ممثلين عن جميع المناطق الداخلية و ممثلين عن الخارج.

2- تطهير منطقة تونس بإبعاد جميع العناصر التي سببت الفوضى و عرقلة سير عمل الثورة.

3- يعهد لمنطقة سوق أهراس بأداء مهمة التموين بالسلاح لولايات الداخل.

4- تجديد الثقة في المجاهد علي محساس للقيام بجميع أعمال الجيش السياسية و العسكرية في الخارج و تمثيل جيش التحرير الوطني[16]. و قد ترتب على صدور هذه القرارات وانتشارها على نطاق واسع لدى المناضلين و المجاهدين في الثورة في تونس و في مناطق الحدود التونسية الجزائرية، أن بدأت مرحلة من الصراعات أدت إلى سقوط الكثير من الضحايا أو تهميشهم خارج مسير الثورة إلى سنة 1960.

و لما استقر أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ بتونس قاموا بتنحية محساس من المسؤولية، لأنّه رفض مسايرة مقررات الصومام، و عوض بأعمر أوعمران رفقة عمار بن عودة و إبراهيم مزهودي[17].

و يذكر الرائد سعيداني، أن محساس تعرض إلى محاولة اغتيال من طرف أوعمران حين وصوله إلى تونس ممثلا للجنة التنسيق و التنفيذ، حيث اتصل بالحكومة التونسية، و عقد معها اتفاقا ينص على تنحية علي محساس على أن يحلّ أوعمران محلّه و السماح للحكومة التونسية في المقابل بالتدخل في الشؤون الخاصة بالثورة، و بأمر من أوعمران قام عمار بن عودة بتنحية محساس من منصبه، وقتها اتصل محساس بقيادة "القاعدة الشرقية"، التي أرسلت فوجا من المجاهدين من القاعدة قام بتنحية ابن عودة و أرجعت محساس إلى منصبه. انعقد بعد هذا اجتماع ترأسه علي محساس، حضره من القاعدة الشرقية رابح نوار و الأزهر شريط من الولاية الأولى، طلبوا من خلاله من محساس البقاء في مكانه و أبدوا استعدادهم لحمايته[18]، و هو الاجتماع الذي سبقه اجتماع غار الدماء و ترأسه كذلك محساس، و في كلا الاجتماعين تم التطرق إلى الوضعية السياسية العامة بالولاية الأولى، و إلى عدم الاعتراف بقرارات مؤتمر الصومام الذي قرر السياسة العامة للثورة، بحجة أن الولاية لم تكن ممثلة في

---

[16] - انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. ص. 291-293، انظر المستند رقم 15 في **نفس المصدر**، ص.673-674

[17] - الطاهر، سعيداني،(مذكرات الرائد...) ، **القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض**، ، ط، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص. 156

[18] - سعيداني، **مصدر سابق**، ص.156

المؤتمر، كما أن الوفد الخارجي لم يحضر أشغاله كذلك، و اتفق المجتمعون بالمطالبة على تجديد عقد المؤتمر، و أرسل في هذا الأمر محساس تقريرا مفصلا إلى أحمد بن بلّه يعلمه بما دار في الاجتماع، كما أرسل تقريرا آخر إلى لجنة التنسيق و التنفيذ يطالبها من خلاله بإعادة عقد مؤتمر للثورة[19].

و يبدو أن هذه الأمور هي التي جعلت أوعمران يأمر أتباعه باغتيال محساس[20]، لكن و بأمر من عبان استعمل أوعمران القوة، فقام و جنوده بمحاصرة محساس، حيث ألقي عليه القبض و جُرد من سلاحه و حول إلى المحاكمة[21]، لكن الحكومة التونسية قامت بحمايته و مساعدته على الفرار إلى روما، فلم يتمكنوا منه[22]، و اضطر بذلك محساس إلى الانسحاب و الاشتغال بتموين الثورة بالسلاح و العتاد من المشرق العربي و من أوربا، وبذلك تمّ تخلص تونس و جماعة لجنة التنسيق و التنفيذ من محساس، و كان إبعاده في واقع الأمر لأسباب إيديولوجية و ليست تنظيمية، لمواقفه من قرارات مؤتمر الصومام من جهة، وعلاقته ببن بله و الوفد الخارجي بالقاهرة من جهة أخرى[23]،و بعبارة أدق علاقته بدعاة مواصلة الثورة و التحرير في كل المغرب العربي.

كان عبان قد أبلغ قبل ذلك السيد أحمد التليلي، الأمين العام للدستور الجديد بتونس، برسالة مفادها، أن السيد محساس، العضو الإضافي بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية، يقوم بزرع الشكوك في الأوساط التونسية، و أن " تقوموا بإزالتها لأنّها ستدخلكم في ارتكاب أخطاء.."[24]! و هذا بناء على رسالة الأمين دباغين، رئيس الوفد الخارجي بالقاهرة، إلى عبان، و التي ورد فيها أن محساس، قد أصبح " رجلا صعب المراس"(Méchant)، و أنّه أصبح يحرض رجاله من أمثال عمارة بوقلاز، و طالب العربي الذي يسيطر على جماعة

---

19 ـ انظر، زروال، **اللمامشة في الثورة، مصدر سابق**، ص.365-366

20 ـ سعيداني، **القاعدة الشرقية، مصدر سابق**، ص. 158-159

21 ـ عن " قضية محساس بتونس"، انظر، محمد، خيشان، **مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة 1947-1957**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/2002، ص ص. 128-136

22 ـ سعيداني، **القاعدة، مصدر سابق**، 158-159

23 ـ انظر، أحمد، محساس، " عارضت مؤتمر الصومام بسبب قناعات إيديولوجية! "، جريدة **الخبر** (اليومية)، عدد 1999/09/2.

24 ـ انظر نص رسالة 1956/01/25 (الوثيقة رقم:53)، في: BELHOCINE, **op. cit**. p. 218-219

جنود توزر، و على إيقاف كل الجزائريين في غدوهم و رواحهم من و إلى الجزائر، و أن "التونسيين واقفون على الحياد، و هكذا أصبح العتاد مجمدا"[25].

و يذكر كاتب تونسي معارض[26]، أنّه بعد حادثة اختطاف طائرة " الزعماء الجزائريين" سنة 1956، استغلت الحكومة التونسية هذا الحادث في تصفية العناصر الرافضة للاتجاه البورقيبي في الثورة الجزائرية معتبرة إياهم " عملاء القاهرة.." و بدأت عملية مطاردة الثوار الجزائريين و اختطافهم بمناطق الرديف و توزر و نفطة بمساعدة الجيش الفرنسي، و من ذلك فعندما شعر الطالب العربي، قائد المنطقة الصحراوية بالخطر الذي يهدده هو و جنوده، قرر الالتجاء إلى ليبيا، فما كان من الحكومة التونسية إلا أن جندت مجموعات من المسلحين و لاحقتهم إلى منطقة رمادة قرب الحدود الليبية، حيث حاصرتهم وألقت القبض على الطالب العربي و أعدمته و أعدمت الكثير من مساعديه، و ساقت جنوده و كل التونسيين المتعاونين معهم إلى السجون[27].هذا إلى جانب تصفية بعض المجاهدين الحاملين لنفس أفكار محساس و بن بلّه و الوفد الخارجي.

كما قامت القيادة الجديدة للثورة الجزائرية بتونس من جهتها كذلك بتهميش أو تصفية الكثير من العناصر" المشوشة" على القيادة المنبثقة عن مؤتمر الصومام و قراراته، و التي لم تستثني من ذلك حتى الطلبة الجزائريين بالقاهرة و تونس التي اعتبرتهم عناصر "مشاغبة" على أساس أنهم من أنصار " بن بلّة و بوضياف"[28]، بل إلى أبعد من ذلك في التمييز بين الطلبة بحكم اللغة و الجهة، إذ كان المفرنسون يوجهون في التكوين المدني أو العسكري وجهة جيدة خاصة[29].

ألقت قيادة الثورة القبض ـ بعد حادثة لاكانيا في ماتيلدفيل و أحداث أخرى وقعت بتونس ـ على مجاهدين من أمثال السعيد عبد الحي و السعيد بوخالفة و محمد بن علي و علي

---

[25] ـ انظر رسالة 1955/12/15 (الوثيقة رقم: 52)، في: BELHOCINE, **op. cit**. p.214-215

[26] ـ عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 186-187

[27] - ALEYA SGHAEIR, " Les Tunisiens..", **op. cit**. pp.119-122

[28] ـ انظر بهذا الخصوص، منور، مروش،" المنضلون المغاربة و الكفاح المسلح في الجزائر"، **جيش التحرير المغاربي، 1948-1955**، **مرجع سابق**، ص.ص. 155-165

[29] ـ انظر، زروال، إشكالية القيادة، مصدر سابق، ص. 383-384

بن محمد و عبد الكريم هالي، و كل من عباس لغرور[30] و محمود منتوري و الباهي الحراثي شوشان و التيجاني عثماني و سيقوا جميعا إلى سجن بالمكان المسمى " نبر" بنواحي سوق الاربعاء[31]، و سيق كذلك إلى نفس السجن الأزهر شريط، الذي كان يطمح إلى تولي قيادة منطقة تبسة نظرا لسجله الحافل في المقاومة بالمنطقة، فقد أبدى معارضة شديدة لقرارات مؤتمر الصومام و قيادته، و في تعيينها لمحمود الشريف، و بذلك وجدت قيادة الثورة نفسها مضطرة لإلقاء القبض عليه، فسلم نفسه إلى قيادة الثورة في 13 ماي 1957، و جرت محاكمتهم[32] في مدينة تبرسق يوم 27 جويلية 1957 في محكمة ترأسها عبد الله بن طوبال و عمار بن عودة نائبا و عمارة بوقلاز عضوا و محمود الشريف عضوا، و صدر الحكم بالإعدام في حق الأزهر شريط و محمد بن على و الباهي شوشان و عبد الحفيظ السوفي، و نفذ الإعدام في الأزهر في جبل بوربعة[33]، كما أعدم كذلك المجاهدون الآخرون من أمثال عبد الحي و لغرور الذي لم يكن يعترف بنتائج مؤتمر الصومام و لا بقيادة الولاية الأولى الجديدة[34] و غيرهما في ظروف غامضة نجهلها الآن نظرا لقلّة مصادرنا عن هذه الأحداث التي لا تخلو منها ثورة!

و يذكر الرائد ابن النوي أن جماعة الولاية الأولى ارتبطت بابن بلّه و مجموعته وكانوا يستولون على الحدود لأن علاقتهم بها كانت قديمة حركة ابن يوسف (صالح) وشاركوا معه في العمليات ضد العدو الفرنسي، و زاد في استفحال الخلاف و نشأة الأحقاد أن إطارات الولاية حاولوا " إنشاء ولاية جديدة في الحدود تسد الباب أمام جماعة الصومام"[35]، و لذلك فإن جماعة الصومام، و خاصة أوعمران و بن عودة " حكموا على إطارات الولاية جميعا بأنّهم قتلة بن بو العيد و شيهاني و أنّهم يشكلون عائقا كبيرا لا بد من

---

[30] - كان عباس لغرور من الطلائع الأولى للثورة في الفاتح من نوفمبر 1954، كلف بالهجوم على مدينة خنشلة، ثم أصبح نائبا للبشير شيهاني في الأوراس - اللمامشة، تمرد على قيادة الثورة و لم يعترف بنتائج مؤتمر الصومام و لا بقيادة الولاية الأولى التي كونتها لجنة التنسيق و التنفيذ في 2 أبريل 1957، فيحكم عليه بالإعدام. انظر، زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص. 84 و ص. 208

[31] - زروال، **اللمامشة في الثورة، مصدر سابق**، ص ص.377-380

[32] - كان عدد هؤلاء المجاهدين زهاء 200 فرد، بعد محاكمتهم، كانوا يخرجون منهم كل ليلة أربعة مساجين حسب الترتيب الأبجدي ليعدموهم. انظر، مصطفى، مراردة، **مذكرات الرائد مصطفى مراردة " ابن النوي"، القائد بالنيابة للولاية الأولى التاريخية " أوراس النمامشة" من أبريل 1959 إلى أبريل 1960، شهادات و مواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى**، إعداد و تحرير مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص. 81

[33] - انظر، زروال، **نفس المصدر**، ص ص. 380-383، إلى جانب اعدام الأزهر شريط أعدم كذلك التيجاني عثماني و الباهي الحراثي و حوحة بلعيد و ثلاثة طلبة مجاهدون هم: حميمي آيت زاوش و عبد المَجيد زعروري و محمود منتوري، انظر، عبد الرزاق، بوحارة، **منابع التحرير، أجيال في مواجهة القدر**، ترجمة صالح عبد النوري، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر،2005، ص. 121

[34] - زروال، **اشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص. 208

[35] - انظر، عن المحاولة الفاشلة لإنشاء قيادة الولاية الأولى في، مراردة، **مصدر سابق**، ص.75-76

إزالته، و لذلك عملوا بالقوة على إزاحة إطارات الولاية من الطريق بكل الوسائل، و لم يحاولوا استعمال الحوار و الطرق السلمية في حل المشكلات التي كانت عالقة"[36].

و يورد لنا الرائد ابن النوي شهادة الطيب بغامي المدعو الطيب زلماطي، الذي كان كاتبا شخصيا لمسعود بن عيسى عايسي، يقول في شهادته أنه خرج مع مسعود بن عيسى إلى تونس للتفاهم مع جماعة لجنة التنسيق و التنفيذ، و حين وصلا إلى تونس في 20 مار 1957 اتصلا بعبد الحي و الرائد قاسمي و الرائد نوار و محمد الأخضر سيرين و أحمد دراية و محمد الشريف مساعدية و الحاج عبد الله و " عقدنا معهم الاجتماع الأول في الصادقية وحضره جماعة لم أكن أعرفهم. كما اتصلنا بسي علي محساس، الذي جاء من ليبيا ممثلا لابن بلّه في الحدود".

و يضيف زلماطي قائلا أنهم عقدوا مع ممثلي لجنة التنسيق و التنفيذ و منهم أوعمران و بن عودة ثلاث اجتماعات، صرح خلالها مسعود بن عيسى برفضه لبروز جبهة التحرير الوطني و توليها القيادة على حساب جيش التحرير الوطني،" الذي كان هو من فجر الثورة وهو الأولى بالإمساك بزمام القيادة و الاحتفاظ بها ".

كانوا يقيمون بتونس في فيلا سانتونري، و يقول زلماطي: " كان يقيم معنا: إسماعيل مختاري و محمد حابة بن إبراهيم و معلم من خنشلة.. و محمود منتوري، و في إحدى الليالي أيقظني سي مسعود (ابن عيسى) و قال لي: هيا نرجع إلى الجزائر. فقلت: لم نتفاهم بعد مع الجماعة. فقال: ابق هنا و سيفهمونك!... و انطلق لوحده مصحوبا بالممرضة منصورة." وبعد قليل من انطلاقه " إذ برجال الدرك التونسيين يطوقون المكان و معهم رجال بالزي المدني من الجزائريين، كان أول من ألقي القبض عليه هو الطاهر معاليم و كان معه أيضا الحاج الخير، و كان المسؤول هو علي بن مشيش، الذي كان معنا من قبل في كيمل"(جبل).

"أخذونا إلى سجن مظلم، و بعد ثمانية أيام نقلونا إلى قرية تسمى طبرسق، و هناك وجدت جماعة من خنشلة منهم: الباهي و حوحة بلعيد و قرفي الربيعي و العيد البوحديجي

---

[36] ـ مراردة، **مصدر سابق**، ص.79

وعبد الحفيظ السوفي، و كان عددنا حوالي 200 سجين كلهم من الولاية الأولى، و بعد أربعة أو خمسة أيام جاء بن عودة و معه عبد الحميد مخناش و يحي دربوش و مبروك هواره لمحاكمتنا... و قد جرى التحقيق معنا واحدا واحدا." و ما قاله بن عودة أثناء المحاكمة:" لقد جئتم من الجزائر إلى هنا لقتل المجاهدين، و تحملون قائمة باسماء المستهدفين." و كان جنود الحراسة من جماعة عبد الله بلهوشات.

و يذكر زلماطي أنّه أنكر التهمة، و مع ذلك حكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص مع الكثيرين من غيره. " و كانوا كلّ ليلة يخرجون أربعة من المساجين و ينقلونهم حيث ينفذون فيهم حكم الإعدام، حسب الترتيب الأبجدي في القائمة"، و كان سائق السيارة التي تنقل المساجين هو أحمد معوش، و قد تمّ تنفيذ الحكم في عدد من المجاهدين منهم: عبد الحفيظ السوفي و العيد البوحديجي و حوحة و الباهي و الربيعي قرفي و قد بلغ عددهم حوالي 30 شخصا. " كما أن عباس لغرور أخذوه في تلك الأثناء و اختفى خبره إلى اليوم، و كان معه الأخوان بوحدره اللذان نجيا من الموت"، و كان من بين من نجا من الموت عمر صحراوي،الذي فرّ و لجأ إلى التونسيين الذين لم يكونوا يعلمون بعمليات القتل[37]، و كان زلماطي من النّاجين.

و بناء على شهادة المجاهد علي بوغزالة فإن " الثورة " أقدمت في هذه الفترة على إعدام 14 إطارا ثوريا من أبناء ناحية وادي سوف وحدها، و يضيف قائلا أن الروايات تتفق على أن 52 أو 54 من خيرة إطارات الولاية الأولى قد أعدمتهم قيادة الثورة نتيجة معارضتهم لمؤتمر الصومام[38].

حدثت هذه الأمور بعد تشكيل قيادة الولاية الأولى اثر اجتماع ابريل 1957 بقيادة محمود الشريف و تزكيتها من طرف لجنة التنسيق و التنفيذ[39]، و هي القيادة التي هيأت لعقد

---

37 - انظر، مراردة، **مصدر سابق**، ص ص. 79-81

38 - زروال، **اللمامشة في الثورة، مصدر سابق**، ص. 361، (هـ .1)

39 - بقي الصراع على أشده على قيادة الولاية الأولى بين بعض القادة في الثورة اثر استشهاد مصطفى بن بوالعيد، و كان ذلك - ربما - سببا من أسباب تغيب الولاية في تمثيلها في مؤتمر الصومام، و أصبحت الولاية في أفريل 1957 بقيادة العقيد محمود الشريف و نيابة الرواد: عبد الله بلهوشات و محمد لعموري و أحمد نواورة . أنظر، زروال، **اشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص ص. 318-324

اجتماع بتاريخ 29 أوت 1957 للنظر في " مشكلة المشوشين"[40] من حيث إعدادهم وإمكانية التغلب عليهم، و حضر هذا الاجتماع بوعزة بوعرعار رئيسا للجلسة و معه أحمد نواورة و عبد الله بلهوشات و عمارة زيتوني و عمار عشي و إبراهيم مازوزي و عبد المجيد عبد الصمد و محمد الواعي كاتبا للجلسة[41].

تبين أثناء انعقاد الجلسة أن عدد " المشوشين" في المنطقة الثانية و تامزة يبلغ خمسمائة جندي[42] أو سبعمائة جندي في شهادة الرائد ابن النوي[43] أو يزيدون عن ذلك[44]، و أن أغلب هؤلاء لا تنقصهم الأسلحة، بل لديهم حتى المدافع الرشاشة، لكن ما ينقصهم هو المؤونة و اللباس، خاصة أولئك الذين يتمركزون في ناحية جبل كيمل[45].

و يظهر أن لهؤلاء " المشوشين" علاقات سرية مع بعض مجاهدي النمامشة المتاخمين لحدود تامزة، و المنطقة الرابعة (عين البيضاء و سدراتة) و السادسة و الطالب العربي[46] الذي كان قائدا لتشكيلة من المجاهدين تنشط على طول الحدود الجزائرية التونسية.

لاحظ المجتمعون أن " المشوشين" يعملون على أن تكون لهم علاقات و اتصالات بالشرق، و يستمدون قوتهم من السطو على دوريات الجيش النظامي الآتية من تونس إلى الجزائر محملة بالسلاح و الذخيرة، و حجتهم في ذلك أن جبهة التحرير الوطني تخطط للاتفاق مع الحكومة الفرنسية لنيل للاستقلال الداخلي، و أنها تنسق في هذا الإطار مع الحكومة التونسية التي يرزح بعض المسؤولين الجزائريين في سجونها، و يتهمون جبهة التحرير بأنها دبرت مؤامرة أحمد بن بلّه و رفاقه ـ في حادثة قرصنة الطائرة ـ و يروجون

---

40 ـ المشوشون هم مجاهدون في الثورة الجزائرية، و منهم من كان من الطلائع الأولى في نوفمبر 1954، و فيهم من شارك في المقاومة بتونس بداية من سنة 1952، كانوا يؤمنون بقيادة الوفد الخارجي و ممثليه في تونس و على رأسهم علي محساس و غيره من القيادات التي كانت تؤمن بالكفاح المسلح المشترك لتحرير المغرب العربي، تمت تصفية بعضهم من طرف لجنة التنسيق و التنفيذ بعد مؤتمر الصومام، و فيهم من رجع إلى صفوف الثورة و قيادتها الجديدة. اعتبرتهم الثورة الجزائرية بعد الاستقلال كاملي الحقوق من شهداء و مجاهدين...

41 ـ انظر، علي، تابليت،" تنظيم هياكل ولاية الأوراس النمامشة 1956-1957"، مجلة **المصادر**، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، عدد 6، مارس 2002، ص.223-224

42 ـ **نفسه**.

43 ـ انظر، مراردة، مصدر سابق، ص. 126-127

44 ـ عدد هؤلاء المجاهدين " المشوشين" حوالي 720 مجاهد، انظر، تابليت، **المصادر**، عدد 6، ص. 229 ، و فيهم من رفع عددهم إلى ألف مقاتل، انظر، زروال، **اشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص. 325، نقلا عن منصور رحال، الثوار، ص.225

45 ـ زروال، **اشكالية القيادة، مصدر سابق**. ص. 325-326

46 ـ و من عايتهم كذلك عدم الاعتراف بقرارات مؤتمر الصومام لأنه لم يجمع مسؤولي الولايات كلها، و أنّ جماعة الصومام أباحوا التدخين و ترك الصلاة.. انظر، تابليت، **المصادر**، عدد 6، مصدر سابق، ص. 224-234

أن عمر بن بوالعيد و علي محساس قد التحقا بالقاهرة ليستعينا في موقفهما بالرئيس جمال عبد الناصر[47] الذي يرفض هذه الحلول السياسية الجزئية بل الاستسلامية.

لم يكن هؤلاء المجاهدين " المشوشين " ضد مبادئ الثورة، و لم يكونوا يريدون الالتحاق بالعدو، بل كانوا يؤمنون بقياداتهم القديمة و كانوا خارج النظام الجديد المنبثق عن مؤتمر الصومام و قراراته، و وجودهم خارج النظام الجديد للثورة جعلهم يرتكبون عدّة أخطاء منها: الاستيلاء على المؤونة غصبا من المخابئ " الكازمات" و مهاجمة الدوريات وقتلهم لجنود و مسؤولي جيش التحرير و تعسفهم مع المواطنين في كثير من المرّات[48]، وهذه الأمور المرتكبة جعلتهم يخشون العودة إلى النظام متوقعين العقوبة على ما صدر منهم و بخاصة من الظلم الكبير لأفراد الشعب الجزائري[49].

ثم ما بال الجنود المحتجين سنة 1959 على قيادة جيش التحرير الوطني و الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في جبل الشعامبي[50]؟ كان عدد هؤلاء المجاهدين حوالي ألفي مقاتل، قدموا بصفة خاصة من جبال الأوراس و النمامشة، رفض هؤلاء المجاهدون، الذين أتي أغلبهم من المناطق 1، و 2، و 6 التابعة للولاية الأولى، تنفيذ أوامر السلطة العليا للثورة، و تحصنوا في أعالي الجبال في ثلاث وحدات كبرى تحت قيادة واحدة يترأسها عثمان جيلالي، و كان منهم الكثير من المجاهدين الأوائل في الثورة، و " كانوا يحملون في داخلهم شعلة لا تنطفئ إلا بموتهم. كانوا يكافحون من أجل الوطن و يدافعون عن أرض الإسلام"، شاركوا في الكثير من المعارك منها تلك التي دارت في النمامشة أو على التراب التونسي. تأثروا كثيرا لموت البشير شيهاني و مصطفى بن بو العيد، و اغتاظوا أيما غيظ لإدانة رفاق لهم في المعارك و لإعدامهم و يحتفظون في ذاكرتهم بصور ناصعة لرفاقهم الذين استشهدوا في ساحة الشرف[51].

---

47 ـ انظر، تابليت، مجلة **المصادر**، عدد 6، ص. 225

48 ـ **نفسه**، ص ص. 229- 234

49 ـ انظر، مراردة،(الرائد)، **مذكرات، مصدر سابق**، ص. 128، انظر كذلك، زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص ص. 333-336

50 ـ جبل الشعامبي يقع في الجزء الجنوبي من تونس على بعد عشر كيلومترات جنوب القصرين و عشرين كلم من الحدود الجزائرية التونسية، يبلغ علوه 1544 م ، يمكن من خلاله مراقبة و ملاحظة كل التحركات في المنطقة. انظر، بوحارة، مصدر سابق،ص. 188

51 ـ انظر، عن قضية هؤلاء المجاهدين الذين اعتبروا في نظر قيادة الثورة " مشوشين " أو متمردين، بوحارة، **نفس المصدر**، ص ص.188-203

لقد تركت إدانة بعض المسؤولين في الثورة، سنوات 1956 و 1957 و 1958، وبصفة خاصة إعدامهم جروحا عميقة لدى جنود جبل الشعامبي، لقد كان لموت قادة من أمثال عباس لغرور و التيجاني و الأزهر الشريط و الباهي الحراثي و الزين و العموري وعواشرية و انواورة و مصطفى الأكحل و طلبة مثل آيت زاوش و منتوري و الطاهر زعرور، آثارا وخيمة على معنويات هؤلاء المجاهدين[52].

جمع جبل الشعامبي ـ كما جمع جبل كميل قبل ذلك ـ رجالا كانوا في غالبيتهم من قدماء جيش التحرير الوطني قدموا من داخل الجزائر، و عايشوا المعارك الكبرى و مآسي أزمات الاقتتال الداخلي منذ استشهاد ابن بو العيد، جمع الشعامبي رجالا وقعوا ضحايا عقوبات انعكاسات معارضة قرارات مؤتمر الصومام و صدموا للإجراءات القاسية المتخذة ضدهم اثر " قضية العقداء" ، و ثاروا ضد التوقيف و الإدانة التي اعتبروها تعسفية، كان مجاهدو الشعامبي يبحثون عن الأمن و الثقة و يودون أن يكون لهم قادة متميزون لا يشاركهم فيهم أحد، كما كان معمولا به دائما منذ ميلاد جيش التحرير الوطني، لم يقبلوا أن يحلّ محلّ ابن بو العيد أي أحد لا يكون من مستواه، كانوا يرفضون أن يتسلط عليهم أحد من الأعلى بصفة تعسفية[53].

كان من الصعوبة إقناع هؤلاء المجاهدين الذين اعتبروا لدى القيادة " مشوشين " وغير منضبطين، بالعودة إلى صفوف نظام جيش التحرير الوطني، لقد كانوا يشكلون فعلا أزمة خطيرة كادت أن تلغم جبهة و جيش التحرير الوطني. و كان من مصلحة القيادة العليا للثورة كذلك أن تقنع و ترجع هؤلاء المجاهدين إلى صفوف النظام، نظرا لكثرة عددهم. فقد كلفت قيادة أركان الثورة عدّة قادة و مجاهدين لإقناع جنود الشعامبي بقبول تعليمات القيادة ومنهم: العقيدان محمدي السعيد و الحاج لخضر المكلفان على التوالي بقيادة العمليات العسكرية في الشرق و قيادة الولاية الأولى، و بُعث إليهم النقيب زرقيني ثم النقيب محمد بوتلّة، فالرائد عز الدين من الولاية الرابعة، فالرائد عمر أوصديق، ثم زارهم وزيران من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هما: كريم بلقاسم و عبد الله بن طوبال، و مع ذلك لم

---

[52] ـ انظر، بوحارة، **مصدر سابق**، ص ص. 188-203

[53] ـ بوحارة، **نفسه**. ص ص.188-203

يعرف مجاهدو جبل شعامبي أي استقرار، كما لم يعرف قادتهم الأمن و الهدوء إلا في وقت لاحق، على اثر عملية إعادة التنظيم الواسعة للوحدات العسكرية على الحدود التي بادرت بها قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني، التي شرع فيها بناء على القرارات المتخذة في نهاية اجتماع هام و مطول للمجلس الوطني للثورة الجزائرية، الذي عقد بصفة خاصة بناء على طلب " العقداء العشرة"، الذي أحدث تغييرا جذريا في وضعية أولئك الذين كانوا يسمون " بالمشوشين"، حيث أدمجوا في الوحدات القتالية المؤلفة[54].

2ـ " قضية العموري" و نتائجها

و إذا كنا قد تحدثنا عن تهميش محساس و النهاية " المأساوية " لعباس لغرور وبعض القادة في الثورة من ذوي اتجاه تعميم الثورة في المغرب العربي و ما كان لها من آثار، فإننا نحسب كذلك " قضية العموري" التي اعتبرت "مؤامرة" على الثورة تصب في نفس الاتجاه، و هي في رأينا تصفية لآخر فصول دعاة الكفاح المسلح على المستوى المغاربي في الإطار العربي الإسلامي.فالقضية هي محاولة من قبل بعض ضباط ولاية أوراس النمامشة و القاعدة الشرقية للانقلاب على الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية، و إزالة كريم بلقاسم و محمود الشريف و توسيع رقعة الصراع الجزائري ـ الفرنسي إلى تونس[55].

بدأت فصول هذه " القضية"[56]، بعد أول اجتماع لقيادة العمليات العسكرية في 26 أبريل 1958[57]، حيث عالج عدّة إجراءات تخص الثورة منها " تسوية وضعية الضباط الفارين من الجيش الفرنسي" الملتحقين بالثورة أو تلك المتعلقة بإرسال كافة الضباط القادرين على استئناف العمل المسلح و الذين لا عمل لهم من تونس إلى الجزائر، و في اجتماع لنفس

---

54 ـ انظر، بوحارة، **مصدر سابق**، ص ص. 188-203

55 - Mohammed, HARBI, **Le F.L.N. mirage et réalité**, Ed. J. A. Paris, 1980. p. 226

56 ـ يسميها محمد حربي " مؤامرة العموري" و المعروف أن محمد حربي من المتعاطفين مع كل ما هو يساري (شيوعي أو اشتراكي) مفرنس، و كان من كتاب مؤتمر الصومام إلى جانب عمار أوزقان و محمد لبجاوي، و من أنصار " القطرية"، معاد في أدبياته لكل ما هو عربي ـ إسلامي في كل أدبياته عن الثورة الجزائرية. انظر، دراسته عن قضية العموري، في مجلة **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص ص. 9- 37

57 ـ حضر الاجتماع كريم بلقاسم و بن طوبال، كما حضر العقداء محمدي السعيد و العموري و بوقلاز و الرائد بن عودة الذي تمت ترقيته إلى عقيد. قسمت القيادة إلى قيادة العمليات العسكرية (COM) للشرق بتونس، و للغرب بالمغرب، القيادة الأولى بالشرق و كانت تحت قيادة العقيد محمدي السعيد، و ضمت العقداء محمد العموري و عماره بوقلاز و عمار بن عودة، و تشمل سلطتها الولايات:1 و 2 و 3 ، و مقرها الكاف بالتراب التونسي. أما القيادة الثانية بالغرب، فكانت تحت إمرة العقيد هواري بومدين و العقيد دهيلس عضوا، و تشمل سلطتها الولايتين: 4 و 5، و مقرها بالناظور بالتراب المغربي المراكشي، أما الولاية السادسة (الصحراء)، فكانت مرتبطة عضويا بقيادة الغرب، لكن كانت تابعة لقيادة الشرق، و عين على رأسها أحمد بن عبد الرزاق بعد ترقيته إلى رتبة عقيد. انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 15

القيادة المنعقد بتاريخ 2 جوان 1958 أثار العموري[58]مشكلة سياسية تتعلق بعمل المؤسسات، و قد وافقته القيادة في ذلك و بعثت برسالة إلى لجنة التنسيق و التنفيذ تطلب من خلالها تقديم توضيحات حول " مشروع إنشاء حكومة مؤقتة، و حول دور المجلس الوطني للثورة الجزائرية فيما إذا كان سيُستشار في هذا الشأن"[59].

دامت فترة قيادة العمليات العسكرية خمسة شهور عانت فيها كثيرا من " غياب الثقة بين عناصرها[60]، و شهدت تحالفا بين العقداء بوقلاز و بن عودة و العموري ضد محمدي السعيد، الذي راح ضحية حملة شائعات اتهم فيها بتدعيم مساعي الضباط الملتحقين بصفوف جيش التحرير بعد فرارهم من الجيش الفرنسي، و على رأسهم الرائد إيدير مدير ديوان كريم بلقاسم". و كان أنصار محمدي السعيد يتهمون خصومهم بالعمل على " خنق الولاية الثالثة ومن بعدها الرابعة" ذاكرين العموري بالاسم، الذي كان يستعمل أنصاره على حساب أموال الثورة من أجل القيام " بدعاية حاقدة ضد كل ما هو قبائلي Kabyle و ضد الإخوة القبائل في التنظيم"[61].

على هذا الأساس استخلص كريم بلقاسم في شهر أوت 1958 نتيجة مفادها إخفاق قيادة العمليات العسكرية بتونس، فاستدعى أعضاءها إلى القاهرة لاتخاذ عقوبات ضدهم، وطلب من كل عضو تقديم تقرير من أجل الدفاع عن نفسه. و في 9 سبتمبر، اجتمعت لجنة التنسيق و التنفيذ لتنزل العقوبات على أعضاء القيادة في 13 سبتمبر كالآتي:

- محمدي السعيد: تعليق كل نشاطه لمدّة شهر بسبب قصور في أداء مهامه القيادية، مع الإقامة الجبرية بالقاهرة.
- عمار بن عودة: تعليق كل نشاطه لمدّة ثلاثة أشهر بسبب " تصرف مناف لوظائفه"، مع الإقامة الجبرية بلبنان.

[58] - العقيد محمد العموري، من مواليد 03 جوان 1929 بأولاد سي علي ببلدية عين ياقوت (الأوراس) في عائلة تمارس الفلاحة، حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، و زاول دراسته الابتدائية ببلدته، ثم واصل تعليمه بمعهد ابن باديس بقسنطينة حتى سنة 1367هـ/1947 ثم عاد إلى بلدته و مارس التجارة و النشاط السياسي في الحركة الوطنية، ألقي عليه القبض و أدخل السجن بين 1951-1952، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1955، رقي سنة 1956 إلى رتبة نقيب و كان يتحدث باسم اللولاية الأولى، و في أفريل 1957 عين عضوا في قيادة الولاية الأولى مكلفا بالجانب السياسي. انظر عنه، جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس، **شهداء منطقة الأوراس**، الجزء الأول، من 1374-1382 هـ/1954-1962، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1423هـ/2002، ص. 300-301، أشير للكتاب **بشهداء الأوراس**.

[59] - حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 16

[60] - زروال، **إشكالية القيادة**، **مصدر سابق**، ص. 380

[61] - حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 16

ـ عمارة بوقلاز: تنزيل رتبته من عقيد إلى نقيب بسبب إثارة الشقاق، و غير ذلك، مع الإقامة الجبرية بالعراق.

ـ محمد العموري: تعليق كل نشاطه لفترة غير محدّدة و تنزيل رتبته إلى " نقيب بسبب إثارة الشقاق و الجهوية" و غير ذلك، مع الإقامة الجبرية بجدّة[62]. و قد اعتبر العموري اتهامه "بإثارة الشقاق مجرد غيبة" و تضمن تقريره: " لقد اضطررنا داخل الولاية إلى محاربة عمر بن بو العيد و رجاله[63] لأنه كان متعصبا و جهوي النزعة، و اتهمني حينئذ أنني قبائلي، لقد سقط أكثر من 200 جندي للقضاء على هذا الرجل... من المؤسف حقا أن يضطر المرء إلى ذكر عدد القبائليين في مناصب قيادية في الولاية الأولى"[64].

و قد أبلغ كريم بلقاسم الضباط المعنيين بالعقوبات المسلطة عليهم يوم 14 سبتمبر، وقد أدت هذه العقوبات إلى تخوف أنصار محمد العموري من احتمال تعرضهم إلى " مكيدة" مماثلة، و هو الأمر الذي أدى بالعقيد نواورة[65] إلى توجيه رسالتين إلى فرحات عباس، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في هذا الشأن. و طالب بعودة العموري مؤكدا أمام ضباطه " أن ما تعرض له العقيدان العموري و بوقلاز، إنما هو ترجمة لروح المحسوبية لدى أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ" و يظهر ذلك جليا من خلال العقوبة الخفيفة على محمدي السعيد و عمار بن عودة، فالأول يحظى بحماية كريم بلقاسم و الثاني بدعم بن طوبال[66].

و يبدو ذلك واضحا من خلال ما أقدمت عليه الحكومة المؤقتة حين أنشأت قيادتي الأركان في كل من الشرق و الغرب في الفاتح من شهر أكتوبر 1958، و كلفت العقيد محمدي السعيد بقيادة الأولى وقد كان من الضباط المعاقبين، و كلف العقيد هواري بومدين بقيادة الثانية. و لما كان محمدي السعيد يحاول إقامة مركز قيادته ـ بالكاف ـ اضطر إلى

---

62 ـ انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 16-17

63 ـ يعني أثناء الصراع على القيادة في الولاية الأولى بعد استشهاد مصطفى بن بو العيد، و عمر بن بو العيد هو أخ لمصطفى.

64 ـ انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 17 نقلا عن تقرير العموري بتاريخ 28 أوت 1958.

65 ـ العقيد أحمد نواورة من مواليد سنة 1339هـ/1920 بمنطقة تاحمامات أولاد سي أحمد بدوار غسيرة بالأوراس، حفظ بزاوية المنطقة ما تيسر من القرآن الكريم، ثم زاول الدراسة الابتدائية فقط بمدينة أريس، انخرط في الحركة الوطنية (حركة انتصار الحريات من أجل الديمقراطية و حزب الشعب الجزائري) سنة 1946، انتمى إلى الثورة الجزائرية في شهر نوفمبر 1954، عين عضوا قياديا بالولاية الأولى مكلفا بالاتصال و الأخبار في شهر أفريل 1957، اعدم من طرف لجنة التنسيق و التنفيذ في سنة 1959. انظر عنه، ، **شهداء الأوراس**، الجزء الأول، **مرجع سابق**، ص ص. 297-299

66 ـ انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 17

التوجه إلى هيئة أركانه بغار الدماء بسبب التهديد الذي كان يمثله فيلق النقيب عبد الرحمان بن سالم[67].

كان عبد الرحمان بن سالم[68] قائدا للفيلق الثاني بجبال بني صالح بالقاعدة الشرقية، والمعروف أن القاعدة الشرقية كانت قد تكونت عمليا في خريف سنة 1956 بمساعدة أحمد بن بلّه و علي محساس قبل أن تعتمدها لجنة التنسيق و التنفيذ أواخر نفس السنة، و من ثمّة كان ضباطها و جنودها يتعاطفون و يميلون إلى جماعة الوفد الخارجي[69] و مرتبطون ببعضهم أشد الارتباط، و من ذلك فإن بن سالم كان صديقا لمحمد عواشرية أحد الأعضاء المتهمين في " قضية العموري"، و قد كان لهذه القضية مضاعفات بالقاعدة الشرقية بداية من أصولها، إذ رفضت القاعدة الشرقية عمليا القرارات الصادرة عن الحكومة المؤقتة، مثل العقوبة المسلطة على قائدي القاعدة و الولاية الأولى السابقين بوقلاز و العموري، و رفضت تعيين العقيد محمدي السعيد قائدا لأركان الشرق، و علي منجلي قائدا للشريط الحدودي.إذ يذكر عواشرية نفسه بقوله:" قلنا لكريم (وزير القوات المسلحة) - في أكتوبر 1958 - غداة تعيين هيئة أركان الشرق بقيادة العقيد ناصر(محمدي السعيد):-" لا يمكن أن يمارس ناصر مهامه قبل عودة الأعضاء الآخرين في قيادة العمليات العسكرية المحلولة" (يعني بن عودة وبوقلاز و العموري). و " لا يمكن لمنجلي أن يقود المنطقة الحدودية لأنه لا يفهم الوضعية". و " من المفروض أن تستشيرنا الحكومة قبل اتخاذ قرارات في مثل هذه الدرجة من الخطورة""[70]، و صادف أن زار قائد الأركان الجديد منطقة بن سالم فلم يحسن استقباله، لأنه لم يكن قد تلقى تعليمات من مسؤوله المباشر العقيد عواشرية، و كادت أن تتأزم الأمور

---

[67] - **نفسه**.

[68] - عبد الرحمان بن سالم، التحق بالثورة الجزائرية غداة عملية البطيحة في 9 مارس 1956، و كان يجر وراءه خبرة عسكرية ميدانية عمرها 14 سنة قضاها في الجيش الفرنسي مقاتلا على الجبهة التونسية ضد قوات الجنرال رومل خلال الحرب العالمية الثانية، ثم على الجبهات الأوربية و بالهند الصينية، قبل أسره جريحا في معركة ديان بيافو بقيادة الجنرال الفيتنامي جياب، و كان برتبة رقيب أول، و قد رقي إلى رتبة نقيب و أسندت إليه مهمة تأسيس و قيادة الفيلق الثاني خلال سنة 1957، الذي رابط في جبال بني صالح شمال سوق أهراس (القاعدة الشرقية)، و قد أبلى هذا الفيلق البلاء الحسن في معاركه و مناوشاته للقوات الفرنسية خلال الثورة، و كان فيلق بن سالم وحدة نموذجية تستغلها الثورة للدعاية و الإعلام، فكانت قيادة الثورة توجه إليه بعض الصحافيين الأجانب للإطلاع على حقيقة جيش التحرير و اكتشاف قدراته القتالية في الميدان. رقي بن سالم إلى رتبة رائد إبان الثورة، تولى عدّة مسؤوليات عسكرية بعد الاستقلال منها: عضو في هيئة أركان الجيش الوطني الشعبي، و قيادة الأكاديمية العسكرية بشرشال، أحيل على التقاعد في سنة 1976، توفي في 9 أكتوبر 1980. انظر عنه، محمد، عباس، " الرائد عبد الرحمان بن سالم، من " ديان بيان فو" إلى جبال بني صالح"، **الشروق اليومي**،(الجزائر)، الأربعاء 14 ربيع الأول 1430/ 11 مارس 2009.

[69] - انظر في هذا الخصوص رسالة الطاهر جبلي، **القاعدة الشرقية، 1954-1962**، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، جامعة الجزائر كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية، 2000-2001.

[70] - عباس، **الشروق اليومي**، 2009/03/11، **مرجع سابق**، التقرير بكتاب زروال، إشكالية القيادة.

في صفوف الفيالق بالقاعدة الشرقية بعد إعدام العقداء العموري و عواشرية و نواورة والرائد مصطفى الأكحل في منتصف مارس 1959 [71].

و قام الرائد عواشرية من جهته بجمع أنصاره في القاعدة الشرقية و حملهم الموافقة له على إبرام اتفاق مع الولاية الأولى على عدّة أسس منها: " عدم التخلي عن القواعد الحدودية" و إدخال التموين و الأسلحة " تحت مسؤولية القاعدة الشرقية و الولاية الأولى" وأسباب إنشاء قيادة العمليات العسكرية ثم حلّها و إبعاد "ثلاثة من أعضائها و عودة محمدي السعيد فقط" و المطالبة بعودة الضباط الثلاثة و " محاكمتهم من طرف جيش التحرير إن اقتضى الأمر" و توضيح " أسباب التمييز بين الجزائريين"، و طالب في الأخير بعقد اجتماع مع الحكومة المؤقتة بحضور كريم بلقاسم[72].

كما جمع العقيد نواورة قيادة أركانه بمنطقة تجروين في 13 أكتوبر 1958 بغرض رفض أوامر الحكومة المؤقتة لأنها " صعبة و مستحيلة التنفيذ"، و كان كلامه ينم عن استياء كبير حين أشار إلى الفرق الذي اعتمد في التعامل مع محمدي السعيد و العموري و بوقلاز، حيث بدا له ذلك على أنه " عنصرية قبائلية"، و في نهاية كلامه أبلغ الحاضرين قراره بإعادة العموري، و أنه قد أرسل إليه مبلغ 300000 فرنك (3000 فرنك جديد)[73].

في خضم هذه الأحداث نضجت فكرة الإطاحة بالحكومة المؤقتة، فقد التقى محمد العموري مع مصطفى لكحل بالقاهرة. كان لكحل وقتئذ معروفا باسم جمعي سعدية[74]، كان الرجل الأول معروفا بمواقفه تجاه مؤتمر الصومام الذي فتح " الأبواب للدخلاء و جعل المقاومة الجزائرية تسلك طريق تونس و المغرب الأقصى" و كان الرجل الثاني يحمل نفس

---

71 ـ **نفسه**. الشروق 09/03/11

72 ـ حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 17-18

73 ـ **نفسه**، ص.17، نقلا عن تقرير النقيب اسماعيلي صالح بن علي بتاريخ 1958/10/25، و النقيب اسماعيلي هو قائد الناحية السادسة بالولاية الأولى (النمامشة).

74 ـ مصطفى لكحل و اسمه الحقيقي جمعي سعدية، كان طالبا بالقاهرة، انتمى إلى " الكلية العسكرية المصرية" و كان من " أكفأ و أخلص الضباط" و كان يتردد بانتظام على نادي طلاب المغرب العربي ـ حسب مروش ـ له اتجاه قومي عربي، انتمي إلى الأفواج الفدائية المغاربية في ماي 1954 التي أنشأها الأمير عبد الكريم الخطابي، انتمى إلى صفوف الثورة مع بدايتها في منطقة الجزائر العاصمة و كان صديقا لعلي خوجة و نائبا له و شارك في معارك الولاية الرابعة، و دخل في خصومة مع العقيد دهيليس الذي همشه و أرسله إلى الخارج، و قد تمّ نقله إلى الجبهة الليبية بقيادة مولود إيدير، و الذي دخل معه كذلك في صراع بعدما ساوره الشك خطأ في عدم رغبته في محاربة قوات الاحتلال، فوجد مناصرا له في ذلك في لخضر بلحاج من الولاية الأولى، و كان هذا الأخير كذلك من المتورطين في " قضية العموري"، و بعد فشل انطلاق جبهة من ليبيا، التحق مصطفى لكحل بالقاهرة حيث كانت له مشاكل مع بوصوف. و قد حاول هذا الأخير اختطافه بواسطة رجاله فأفلت منهم و وضع نفسه تحت حماية مصر. انظر عنه، مروش، **جيش التحرير المغاربي 1948-1955**، **مرجع سابق**، ص. 162-163 و ، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 18، انظر عنه كذلك، HARBI, **F.L.N. mirage et réalité, op. cit**. pp. 226-228

الأفكار، فالأول يقدم الوحدات القتالية و الثاني يقدم المساندة المصرية و دعم الأمير عبد الكريم و صالح بن يوسف اللذين كان يأملان في تعميم الثورة في كل منطقة المغرب العربي، و كانت مصر من جهتها غير راضية على مؤتمر طنجة و تشكيل الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية[75].

كان الأكحل على علم بالمشاكل التي يواجهها العموري، فقام بتقديمه إلى فتحي الديب - مسؤول المخابرات المصرية للمغرب العربي - و يذكر حربي معلقا، أن " خيوط المؤامرة" قد بدأت تحبك من هذا التاريخ، ذلك أن القادة المصريون كانوا يشعرون بنوع من المضايقة من جبهة التحرير الوطني التي رفضت لهم الحق في التحدث باسمها، و كانت ترفض لهم فكرة " الدولة المحورية" التي كان ينادي بها ساطع الحصري بخصوص الوحدة العربية اعتمادا على الوحدويتين الألمانية التي انطلقت من بروسيا (Prusse) و الإيطالية التي انطلقت من بييمونت (Piémont)، كما كانت جبهة التحرير ترفض نظرة مصر إلى مؤتمر طنجة، و كذا مطالبة مصر للجزائريين بإدانة السياسة العربية التي كان ينتهجها الرئيس بورقيبة[76]، و يبدو لنا كما سبق و أشرنا، أن منهج وحدة المغرب العربي "عنوة" بالطرق الثورية عن طريق التجربتين الأوروبيتين قد اندثر خلال النصف الثاني من سنة 1956 نتيجة المعطيات الجديدة التي نحن بصدد ذكرها في هذا الفصل بعد مؤتمر الصومام!.

قرر العقيد العموري رفقة الرائد مصطفى الأكحل اللذان كانا على اتصال كذلك بابن طوبال و بوصوف[77] الالتحاق بالحدود الجزائرية التونسية، بعد عقد ثلاثة اجتماعات مع فتحي الديب،و تمكن الرجلان بعد ذلك من الوصول إلى الكاف بالتراب التونسي بعد اتصالهما هاتفيا من ليبيا بأحمد نواورة و عبد الله بلهوشات، اللذين بعثا إليهما عمر قرام الذي مكنهما من عبور الحدود من دون أي مشكل[78]، و بعد اتصالات خلال مطلع شهر نوفمبر 1958 مع كل من الضباط نواورة و عواشرية، تقرر عقد اجتماع في الثاني عشر من نفس الشهر برئاسة العموري، حضره كل من نواورة و بلهوشات و صالح السوفي عن الولاية

---

75 - HARBI, **F.L.N. mirage et réalité, op. cit**. p. 226-227

76 - حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 18

77 - انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص.ص. 406-408 و زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**. ص.ص. 389- 391

78 - انظر، مراردة، **مصدر سابق**، ص. 101، انظر بنفس الكتاب شهادة عمار قرام، ص. ص. 102-104

الأولى و عواشرية و أحمد دراية و شويشي العيساني و محمد الشريف مساعدية عن القاعدة الشرقية، كان جدول أعماله ما يلي:-

-" الإبقاء على الحدود و القواعد في يد الولاية الأولى و القاعدة الشرقية بكل الوسائل بما في ذلك اللجوء إلى استعمال القوة إن اقتضى الحل... التكفل بقاعدة تونس و المصالح التابعة لها بما في ذلك مراكز الاتصالات، و تعيين شخصية عسكرية على رأس هذه القاعدة.

-" حجز فعلي للوزراء (في الحكومة) الحاضرين بتونس، و إفادتهم بالشروط المطلوبة أعلاه، عليهم أن يوقعوها قبل العودة إلى القاهرة في انتظار عقد اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية.

-" تعيين لجنة مراقبة مكلفة بالسهر على التسيير الحسن للأموال الخارجية"[79].

كان " المتآمرون" وقتئذ قد أرسلوا إلى تونس العاصمة فصيلتين من الجنود لتوقيف الوزراء، و كان الهدف حسب العقيد نواورة " ضمان قيادة الحدود الجزائرية التونسية من الشمال إلى الجنوب، و وضع اليد على كل المصالح المدنية و العسكرية الموجودة بتونس بما في ذلك قاعدة تونس و مراكز استغلال الإشارة، و إبادة أية مقاومة تظهر من طرف الولايات الثانية و الثالثة و الرابعة"، و اقترح العموري من جهته إنشاء لجنة مراقبة تتولى المصالح في الخارج[80].

و لمّا تمت الموافقة على جدول الأعمال و بدأت المناقشة تدخل الحرس القومي التونسي لإلقاء القبض على المجتمعين بعد أن أبلغ عمر قرام أعضاء الحكومة المؤقتة بالاجتماع[81]، و تمت التوقيفات لهؤلاء " المتآمرين" بين 12 و 14 نوفمبر1958[82] في جو مشحون بالتوترات.

و يذكر حربي أن التحقيقات التي أجريت في "أوساط المتآمرين" كشفت عن خيوط "المؤامرة" التي امتدت إلى مختلف الوحدات القتالية، و إلى تورط المخابرات المصرية فيها.

---

79 - انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص. 18-19

80 - HARBI, **F.L.N. mirage et réalité, op. cit**. pp. 227-228

81 - أبلغ عمار قرام أعضاء الحكومة المؤقتة منهم، فرحات عباس و كريم بلقاسم و بوصوف و عبد الله بن طوبال و هدام في مقر الديوان السياسي للحزب الدستوري بحضور الطيب المهيري و الباهي الأدغم. انظر، مراردة، **مصدر سابق**. ص. 103

82 - حربي، **نقد**، عدد15/14، **مصدر سابق**، ص. 19

و يبدو أن العموري و الأكحل قد اعترفا ـ لكن في أية ظروف؟ـ باستقبالهما من طرف الرئيس عبد الناصر، و قد ظلت الحكومة المؤقتة تطالب بمقابلة الرئيس ناصر، و حين أتيحت لها الفرصة لم تتلق من الرئيس ناصر سوى أن " هناك مبالغة في القضية"، فكان من نتائج ذلك احتجاج الحكومة المؤقتة و انتقال مقرها من القاهرة إلى تونس[83].

أما بخصوص العموري و جماعة الضباط الموقوفين معه، فإنهم قدموا إلى المحاكمة العسكرية بناء على عدد هائل من الشهادات أدلى بها إطارات في جيش التحرير نجهل ـ الآن ـ محتواها! حيث أسست الحكومة المؤقتة محكمة عليا لمحاكمتهم في 20 فيفري 1959[84] أصدرت أحكامها في 28 من نفس الشهر المتمثلة في أربعة أحكام بالإعدام في حق كل من محمد العموري و أحمد نواورة و محمد عواشرية و علي زغداني المدعو مصطفى الأكحل،و تسعة أحكام أخرى بالسجن المتراوح ما بين سنتين إلى أربعة أشهر في حق كل من: عبد الله بلهوشات و العيساني شويشي و محمد الشريف مساعدية و أحمد دراية و محمد ملوح و صالح قوجيل و عبد الحميد زناتي و عمر العقون و محمود الوالي[85]. بهذا انتهت إذن فصول قضية العموري التي تبدو لنا أنها كانت آخر حلقة في تيار الوحدة المغاربية الثورية في الإطار العربي الإسلامي رغم اتهام الفاعلين فيها بالنزعة الجهوية و بث الشقاق و التآمر على الثورة.

و يمكن تفسير إخفاق هذا "الانقلاب" أو العملية، إلى جانب تبليغ عمر قرام أعضاء الحكومة المؤقتة بعدّة عوامل منها: رفض عدد من الضباط إتباع قادتهم و من جملة هؤلاء اسماعيلي بن صالح من الولاية الأولى و الطاهر الزبيري من القاعدة الشرقية، هذا إضافة إلى عدم تحمس الجنود لهذا الأمر، و من دلائل ذلك، عندما حاول بلهوشات بتجروين تعبئتهم ضد الحرس القومي التونسي أثناء فترة " التوقيفات" جاء تدخل صالح السوفي الذي أبلغ

83 ـ **نفسه**، ص. 20

84 ـ جرت جلسات التحقيق مع " المتآمرين" في مركز " الدندان" بمدينة تونس، و كان المسؤول عن المركز هو أحمد بن شريف، قائد الفيلق الثاني، و قد خضع العموري و جماعته لعمليات متنوعة من التعذيب أثناء عملية الاستنطاق التي كان يحضرها كل من كريم بلقاسم و بن طوبال. انظر، زروال، **إشكالية القيادة، مصدر سابق**، ص. 401-402

85 ـ كانت المحكمة العليا مشكلة على النحو التالي:ـ العقيد بومدين: رئيسا.ـ العقيد الصادق: قاضيا. ـ الرائد سليمان: قاضيا، ـ الملازم زرداني عبد العزيز: محلفا، ـ الملازم الأول فلاح محمد: محلفا، ـ الملازم الأول معشيش علي: محلفا، بمساعدة المرشح روابح أحمد: كاتب ضبط، بحضور النقيب علي منجلي: محافظ الحكومة. انظر الحكم في ملحق، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**، ص ص. 26-35

الجنود أن السلطات التونسية إنما تدخلت بناء على طلب الحكومة المؤقتة، فكان ذلك كافيا لعودتهم إلى النظام من جديد[86].

أثناء فترة توقيف عناصر العموري، كانت بعض الوحدات القتالية التابعة للولايات الثانية و الثالثة و الرابعة متواجدة على الحدود لكنها كانت تمثّل أقليّة، و لهذا كان وزير الحربية (كريم) في حرج، فإما أن يلجأ إلى طلب الدعم من السلطات التونسية فيظهر على أنّه رجل بورقيبة أو إلى المجازفة باستعمال القوات الجزائرية و هنا تكون المخاطرة في وقوع مشادات بين الجزائريين، و أخيرا اختار كريم الحلّ الأول "مكرها" على حد تعبير محمد حربي[87].

و قد فتح الأمر السابق بابا آخر لروح " الانشقاق و التمرد" لدى كثير من ضباط وبعض وحدات جيش التحرير الوطني نتيجة تدخل الحرس القومي التونسي في شؤون الثورة[88]، فقد استولى الحرس التونسي على المقرات الرسمية لجبهة التحرير الوطني، ففي مدينة الكاف تمّ الاستيلاء على الأرشيف و بخاصة ما تعلق بمصالح (السرية) بوصوف التي صودرت، كما تمّ لنفس الحرس توقيف الرائدين ميرة و منجلي و أوقفت قوافل الإمداد وعطل التموين[89] هذا من جهة، و من جهة أخرى إقدام الحكومة المؤقتة على إعدام العموري ورفقاءه من الضباط، كما صادفت نفس الفترة أن طفحت إلى سطح الأحداث مرّة أخرى قضية تعيين الضباط القادمين من الجيش الفرنسي " دون المرور بالمقاومة"، و لم تجد هذه القضية حلا لها إلا بعد سقوط كريم بلقاسم اثر اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في شهر ديسمبر 1960 و إنشاء قيادة الأركان العامة بقيادة هواري بومدين و مساعديه أحمد قايد المدعو سليمان و علي منجلي، و كان الثلاثة أعضاء في المحكمة العليا التي أصدرت الحكم في حق العموري و جماعته[90]، و صدر عفو عام استفاد منه الكثير من المحكوم

---

86 - نفسه، ص. 22

87 - انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**. ص. 20-21

88 - عن هذا التدخل و ما نتج عنه، انظر، زروال، **إشكالية القيادة**، **مصدر سابق**، ص ص. 406-412

89 - HARBI, **Le F.L.N. mirage et réalité, op. cit**. p. 228

90 - انظر، حربي، **نقد**، عدد 15/14، **مصدر سابق**. ص. 22-23

عليهم مثل بلهوشات و دراية و مساعدية و غيرهم[91] ممن اعتبروا " مشوشين" كجنود جبل كيمل و جبل الشعانبي.

ب - في تونس بورقيبة

سلك بوقيبة كما هو معروف " سياسة المراحل" مع فرنسا في حصول تونس على الاستقلال، و سلك نفس السياسة في إنهاء الملكية بتونس و مؤسساتها بداية من نهاية سنة 1955 إلى نهاية 1956 في التعامل مع الباي و القصر الملكي " بالملاينة و المسايرة والمدارة" في المرحلة الأولى، ثم " بالإضعاف المنهجي" من مطلع سنة 1957 إلى شهر جويلية، و أخيرا " تضييق الخناق" على محمد الأمين باي و عائلته و المؤسسات الملكية ما بين 15-25 جويلية 1957، ثم إعلان الجمهورية يوم 25 جويلية[92].

و يبدو أن بورقيبة و أنصاره - و في إطار نفس السياسة - جرب كل الوسائل لإقناع الناس بصواب سياسته و ببروتوكولات الاستقلال، بما في ذلك الإغراء المادي و السياسي الذي نجح فيه مع البعض(من أمثال الرشيد إدريس و الباهي الأدغم..)[93] و فشل فيه مع صالح بن يوسف[94]،الذي طرد من أمانة الحزب الدستوري بإيحاء من السلطات الفرنسية، وبخاصة بعد خطاب صالح بن يوسف في جامع الزيتونة بتاريخ 7 أكتوبر 1955، و ما أحدثه من رجّة فعليّة خاصة و أن المفوضية السامية الفرنسية بتونس طالبت في حينه بعد الخطاب اتخاذ إجراءات حاسمة ضد بن يوسف " لأن مستقبل الاتفاقيات الممضاة سوف يكون حالكا إذا لم تتخذ قرارات في ذلك"، فصدر قرار الفصل - من بورقيبة - يوم 8 أكتوبر، و يوم 12 أكتوبر باسم الديوان السياسي[95].

---

91 - **نفسه**، ص. 21

92 - ينقل محمد الأمين باي صحبة زوجته و أولاده و بناته و صهره محمد بن الشاذلي بن سالم و ولي العهد حسين بن محمد ناصر إلى الإقامة الجبرية في قصر الهاشمي على بعد ميل واحد من بلدة منوبة. انظر، فتحي، ليسير، " في خلفيات إعلان الجمهورية: براديغم " المرحلية البورقيبية مطبقا على الفترة جانفي 1956- جويلية 1957"، مجلة **روافد**، عدد12، جامعة منوبة، تونس، 2007، ص ص. 89-124

93 - عليّة الصغير، **اليوسفيون،مرجع سابق**، ص. 46، (هـ) .91

94 - **نفسه**، ص. 46-47

95 - **نفسه**، ص.48

و مع تأزم الوضع بتونس بعد التحاق صالح بن يوسف بليبيا و تحالفه مع المعارضة المسلحة بقيادة الطاهر الأسود، كما سبقت الإشارة[96]، استحدث نظام بورقيبة ما يعرف " بلجان الرعاية"[97]، و هي فرق أو نوع من "الميليشيات" متكونة من 5 أفراد إلى 100 فرد تنشط في المدن و الأرياف التونسية ، يقودها مقاومون قدماء " فلاقة" من أمثال حسن بن عبد العزيز الورداني و الساسي الأسود و الأزهر شريطي و مصباح الجربوع و محجوب بن علي و غيرهم، كانت هذه اللجان تُؤْتَمر بأوامر وزير الداخلية ـ المنجي سليم وقتئذ ـ والديوان السياسي، لمتابعة المعارضين و المشبوهين و إيقافهم، و لها حرية التصرف في التعامل مع المعارضة و بخاصة اليوسفيين بتصفيتهم أو تعذيبهم حتى القتل أحيانا، أو التعامل معهم بعنف و قسوة و رميهم بالمراكز و المحتشدات، و كانت هذه الميليشيات متعاونة أشد التعاون مع السلطات الفرنسية و قواتها في ملاحقة "عصابات" اليوسفية في عمليات مسلحة ضدهم [98]. و كانت اعتداءات هذه اللجان شبه يومية على مقرات الأمانة العامة للحزب (جناح ابن يوسف) و الاتحاد العام للفلاحة و على مناضليهما[99] و على أعضاء الحزب الدستوري القديم[100] و لم يوضع حد لنشاط هذه اللجان إلا في 6 جويلية 1956، بعد انتهاء خطر المعارضة اليوسفية و استلام النظام بتونس سلطات الأمن في 18 أفريل و بعث الجيش الوطني التونسي في 24 جوان 1956[101].

و لما كان اليوسفيون ضحية عنف خصومهم من البورقيبيين و سلطات فرنسا و جهاز الحزب الحاكم و الدولة عليهم، فإنه أصبح لا خيار آخر لهم سوى مجابهة القوة بالقوة، وبخاصة بعد منع الأمانة العامة من النشاط و إيقاف مناضليها في 28 جانفي 1956، إذ اقترف اليوسفيون ذات " الجرائم" و القتل في حق من أسموهم الخونة و الأعداء، لكن المصادر لا تمكن ـ حسب الأستاذ عليّة الصغير ـ من اقترف تلك الأعمال فعلا: اليوسفيون أم حلفاؤهم من الثوار الجزائريين الذين كانوا ينشطون معهم في فصائل مشتركة من شمال

---

[96] ـ **سابقا الفصل الرابع.**

[97] ـ هي عبارة عن مجموعات (أو ميليشيات) من المدنيين مسلحين بأسلحة نارية أو بيضاء، ينشطون بالزّي المدني تحت قيادة عناصر من قدماء المقاومين البورقيبيين" الفلاقة" أو تحت أوامر سياسيين في الحزب الدستوري، و وقع الالتجاء كذلك في اختيار أعضاء اللجان إلى أفراد مشبوه فيهم من قدماء المخربين و المتعاملين مع الاستعمار، بل و حتى المجرمين لتنفيذ " المهمات القذرة" كالتعذيب و القتل. انظر، عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق،** ص ص. 53-57

[98] ـ عليّة الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق،** ص ص. 54- 69

[99] ـ **نفسه،** ص ص. 63-65

[100] ـ **نفسه،** ص ص. 67-68

[101] ـ **نفسه،** ص. 53

تونس إلى جنوبها، ثم إن جهاز النظام الحاكم أحصى ضحايا صفه و اعتبرهم شهداء و حاكم مقترفي العدوان عليهم، أما الصف الآخر من " المهزومين" في تلك " الحرب الأهلية" غير المعلنة، فإنّه لم يقع إحصاؤهم و لا الاعتراف بهم كشهداء و لا إيقاف المعتدين عليهم ومحاكمتهم[102].

لجأ نظام بورقيبة لاجتثاث خطر المعارضة كذلك، إلى توظيف القضاء سياسيا واستثنائيا حيث أحدث بأمر عَليّ مؤرخ في 28 جانفي 1956 " المحكمة الجنائية الخاصة"، و بأمر آخر في 19 أفريل 1956 " محكمة القضاء العليا" أو " المحكمة الجنائية العليا"[103]، و لكي يعطي صورة شرعية لعمليات القمع و التصفيات، أطلق عليها اسم "المحكمة الشعبية"[104]، بدأت العمل أواخر سنة 1955[105]، و استمرت في العمل لمدّة ثلاث سنوات، إلى غاية شهر أكتوبر 1959، و شملت أحكامها في بداية الاستقلال مئات اليوسفيين و غيرهم، حيث حكمت في مدّة خمسة أشهر، من شهر ماي إلى شهر سبتمبر 1956، على 212 منهم، و صدر في حق اليوسفيين حتى أكتوبر 1959: 53 حكما بالإعدام - نفذت أغلبها - و كثير من الأحكام بالإشغال الشاقة لمدد مختلفة، عدد منها مدى الحياة، وحكمت على زعيم المعارضة صالح بن يوسف غيابيّا بالإعدام مرّتين في جانفي 1957 وفي ديسمبر 1958[106]. و يذكر الطاهر عبد الله، أن المحكمة أحيل عليها إلى تاريخ حلّها حوالي 1200 مناضل، أعدم منهم حوالي 500 شهيد، و فيهم من حكم عليهم غيابيا[107].

و إذا كان الطاهر الأسود قد سلم نفسه في شهر ماي 1956 للسلطات التونسية كما سبق و أشرنا[108] نتيجة خلاف بينه و بين صالح بن يوسف في مفاوضات جرت بحضور

---

102 - **نفسه**، ص. 69-70

103 - عليّة الصغير، **اليوسفيون**، **مرجع سابق**، ص. 78

104 - " المحكمة الشعبية"، هي محكمة وضعت على المقاس لتصفية المعارضة اليوسفية، أعضاؤها معروفين بولائهم لبورقيبة، مهمتها النظر في القضايا " ذات الصبغة السياسية" مثل " التحريض بأي وسيلة على جنايات القتل...و إضرام النار عمدا و النّهب و هدم المباني عندما يكتسي هذا التحريض صبغة سياسية" و في كل " الاعتداءات الواقعة على مصالح الوطن العليا"، و أحكامها " لا يمكن الطعن فيها لا بالاستثناء و لا بالتعقيب و تنفيذها يقع في الحين"، **نفسه**، ص.78

105 - انظر، عبد الله، **مصدر سابق**، ص ص. 163-168.

106 - يذكر إبراهيم طوبال في كتابه، **البديل الثوري في تونس**، دار الحكمة للنشر، بيروت، 1979، ص.48، أن بورقيبة أعدم شنقا في عام 1957 28 وطنيا من جيش التحرير، و في عام 1958/1959 شنق 12 من المعارضين.

107 - انظر، عبد الله، **مصدر سابق**، ص ص. 163-168. و الملاحظ أن سنة نهاية " المحكمة"، هي سنة نهاية العمل الثوري المغاربي الموحد - في نظرنا - و بداية انتصار " القطرية" على مستوى المغرب العربي، رغم انعقاد مؤتمر طنجة، الذي هو مؤتمر سياسي نظري ليس إلا..

108 - **سابقا الفصل الثالث**.

جزائري حول " تسيير شؤون جيش التحرير داخل تونس" لمواصلة الكفاح[109]،فإن القوات الفرنسية (البورقيبية) بقيادة محجوب بن علي تابعت صديق الطاهر الأسود الزلاق و كتيبته، و كانت مهمة ابن علي بالتنسيق مع القوات الفرنسية كذلك مطاردة الجزائريين الذين يلجؤون في بعض الأحيان إلى الأراضي التونسية فيتصدى لهم بأمر من حكومة بورقيبة و يقاتلهم إلى جانب الجيوش الفرنسية، و هناك عصابات أخرى تنشط إلى جانبه، كعصابة الحسين بوزيان التي كانت تتصدى لقوافل السلاح الجزائرية[110]. و قد ألقى محجوب بن علي القبض على الزلاق ما بين غار الدماء و سوق الأربعاء ليلة 8/7 من شهر ماي 1956 و سيق إلى "المحكمة الشعبية"، و أعدم شنقا يوم السبت 28 جويلية من نفس السنة[111] نتيجة أفكاره القومية المغاربية و العربية الإسلامية، و لم تنفع تدخلات الشخصيات و الهيئات العربية والمغاربية لدى بورقيبة للعفو عنه[112].

و لم ينج من نظام بورقيبة كذلك، " أصدقاء الأمس" و الموالين له من أمثال الأزهر الشرايطي[113] الذي لمع اسمه مدّة عشر سنوات تقريبا منذ اندلاع المقاومة المسلحة في بداية الخمسينيات (1952) حتى شهر ديسمبر 1963 عندما نفذ فيه حكم الإعدام بتونس. و كان الشرايطي في المقاومة الأولى إلى جانب الطاهر الأسود، غير أنّه سلم سلاحه إلى جانب الساسي الأسود في 8 ديسمبر 1954 و أصبح إلى جانب نظام بورقيبة قائدا فيما يعرف بلجان الرعاية يطارد المعارضين اليوسفيين، لكنّه سرعان ما اقتنع بضرورة رفع السلاح ضده، إذ شارك في " محاولة الانقلاب" على نفس النظام في شهر ديسمبر 1962 مع مجموعة من 12 ضابطا من العسكريين و السياسيين[114]، الذين تمّ إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم في جانفي 1963 . و رغم أن العناصر الانقلابية لم تعترف بانتمائها "لليوسفية" لكن أطروحاتها تلتقي في جوانب منها مع أطروحات اليوسفيين في انتقاد " استبداد بورقيبة" و استخفافه بالدين الإسلامي(خطابه المنادي بإفطار رمضان في 1961) و تدهور الوضع المعيشي و إهماله للمقاومين و عدم تقديره لتضحياتهم، إضافة إلى سياسة " التغريب"

---

109 ـ انظر، شهادة بشير، القاضي،" المسيرون المغاربة، الاتفاق و الاختلاف"، في **جيش التحرير المغاربي 1948-1955**، **مرجع سابق**، ص.176

110 ـ انظر، عبد الله، **مصدر سابق**، ص. 177-178

111- ALEYA SGHEIR, " Les Tunisiens..", **op. cit**. p. 115-116 .140. انظر كذلك، نفس الكاتب، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص

112 ـ منها شيخ الأزهر و مفتي الدّيار المصرية و الأمين العام للجامعة العربية و رئيس مؤتمر الخريجين العرب و جمعية الشبان المسلمين و جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية و حزب الاستقلال المراكشي و لجنة تحرير المغرب العربي و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب البعث السوري و نقابة الصحفيين المصريين. انظر، عليّة الصغير، **اليوسفيون**، **مرجع سابق**، ص.140

113 ـ انظر عنه، عليّة الصغير، **اليوسفيون**، **مرجع سابق**، ص ص.141-154

114 ـ كان خلال هذه الفترة حوالي 213 من قادة المعارضة في السجون التونسية. انظر، طوبال، **مصدر سابق**، ص.48

والعداوة للحضارة و القومية العربية، و يتحدث بورقيبة بدوره "الانقلابيين" بأنّهم خليط من قدماء الفلاقة و العسكريين و اليوسفيين، ويتهم نظام "بن بلّة " بتقديم الدعم لهم، و بخاصة عند استقبال رموزهم بالجزائر كإبراهيم طوبال و عبد العزيز شوشان أو تسهيل هروب أحد الضالعين في " المؤامرة" و المحكوم عليه بالإعدام غيابيا السيد المسطاري بن سعيد[115].

و كان بورقيبة قد قرر قبل ذلك في شهر أوت 1961 التخلص من غريمه صالح بن يوسف، و بعد تمكن من قتله بفرانكفورت بألمانيا في 12 أوت 1961 معترفا بجريمته[116]، و كانت حادثة الاغتيال ضربة " قاسية لمعارضة أضحت فاقدة لمغزى وجودها"[117] بعد استقلال تونس و بعد " مؤامرة" نهاية 1962.

ج - في المملكة المغربية

أصبح الملك المغربي بعد الاستقلال منشغلا ببناء مملكته " القطرية " المركزية، إذ في شهر ماي 1956 و قع اتفاق بين الملك و سلطات باريس على تنظيم الشرطة الملكية واستحداث كثير من الفيالق العسكرية المؤطرة من ضباط مغاربة و فرنسيين، و قد أدمج حوالي 6000 مقاتل من جيش التحرير المغربي(المراكشي) بالرماة المغاربة في الجيش الفرنسي، و هذه العملية الأخيرة رفعت قوات الجيش الملكي إلى 30 ألف جندي وضعت تحت قيادة الأمير الشاب الحسن، الذي أصبح يشغل منصب رئيس قيادة الأركان، هذا إضافة إلى أن تصفية الحسابات في صفوف الوطنيين قد قوت الانتماء إلى الجيش الملكي، حيث أن تصفية المقاوم عباس المساعدي في شهر ماي 1956، التي كانت على ما يبدو، من صنع المهدي بن بركة قد أدت إلى التحاق 5000 مقاتل من جيش التحرير بالجيش الملكي[118].

---

115 ـ علية الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص.94

116 ـ انظر، طوبال، **مصدر سابق**، ص. 48-49

117 ـ علية الصغير، **اليوسفيون، مرجع سابق**، ص.95

118 - STORA, **op. cit**., p. 50

و قد لاحظ كذلك الرأي العام المغربي تصفية ثوار " الهلال الأسود"[119]، و هي حركة سرية ذات اتجاه شيوعي حسب بعض الملاحظين، و كانت خاضعة لحزب الشورى والاستقلال حسب آخرين، في المغرب الأقصى فيما بين سنتي 1956 إلى1957[120]، لقد اختطف مع نهاية 1957 "الجناح العسكري" لحزب الاستقلال عن طريق " المنظمة السرية" بقيادة الفقيه محمد بن إدريس البصري بعض القادة في المقاومة من أنصار حزب الشورى و الاستقلال و قام بتصفيتهم كإبراهيم الوزاني و عبد القادر برادة و عبد السلام الطود الرمضاني[121]، كما اغتيل عبد الكريم بن عبد الله و تعرض عبد الله العياشي لعدّة محاولات اغتيال و هما من المقاومين من الحزب الشيوعي[122].

و مع ذلك فإن دعم المغرب للجزائر لم يتوقف تحت ضغط الرأي العام المراكشي، فالإمداد العادي المتواصل بالسلاح و الذخيرة ظل متواصلا تحت مراقبة " أعين القيادة العسكرية الفرنسية" التي كانت حاضرة في القوات العسكرية الملكية. إذ تشير مصادر المخابرات الفرنسية إلى أن الكثير من الشباب المنتمي إلى مراكز التدريب بالمغرب المتخرج حديثا قد تسللوا إلى الجزائر و كان " تأطيرهم من طرف بعض المراكشيين في منطقة تلمسان و في جبال القصور، و كانوا يشاركون من حين لأخر في صفوف عصابات (فصائل) متكونة من حوالي 200 مقاتل انطلاقا من مراكز بالتراب الشريفي(الملكي)"، و قد لاحظت فرقة المنطقة العسكرية العاشرة(10° RM) ازدياد النشاط الثوري بالغرب الجزائري " الذي يفرض زيادة الوحدات القتالية الفرنسية على طول الحدود "[123] الغربية حتى لا يلتحم النشاط الثوري المغربي مع الثورة الجزائرية.

---

119 ـ أثناء فترة المقاومة بالمغرب الأقصى ظهرت منشورات بتوقيع عدّة منظمات سرية إلى جانب " المنظمة السرية نجهل الآن اتجاهاتها الإيديولوجية منها: " المتطوعون" و " حركة المقاومة المغربية" و "الهلال الأسود" و " اليد السوداء" و " أنصار الحق" و " أسد التحرير"، و كلها كانت تدعو المواطنين إلى العمل الفدائي و المقاومة. انظر، مبارك، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم الخطابي و إشكالية استقلال المغرب**، منشورات فيديرانت، المغرب الأقصى، 2003، ص. 140

120 - Jean DUCLOS et autres, **Les nationalismes maghrébins**, Série etudes maghrébines n° du 7 juillet 1966, Fondation nationale des sciences politiques, Paris. p. 32

121 ـ الورديغي، **الخفايا السرية**، ص.61

122 ـ **نفسه**، ص. 169

123 - DUCLOS, Etudes maghrébines n°7, **op. cit**. p. 51

في هذه الظروف التي استمرت إلى سنة 1960[124] تنسب بعض المصادر المراكشية "التصفيات الجسدية و الاغتيالات" التي تمت فيها بشكل مباشر إلى " بن بركة و الفقيه البصري و الأعرج"، بما في ذلك اغتيال أحد مؤسسي جيش تحرير المغرب العربي عباس المساعدي بفاس بتاريخ 27 جوان 1956[125].

و تبدو مرحلة التصفيات في غاية الغموض في تاريخ المغرب الأقصى، ذلك أن الأدبيات المراكشية لا تجيب بما فيه الكفاية عن كثير من الأمور و الأحداث، و منها: كيف تحول جيش تحرير المغرب العربي إلى جيش تحرير المغرب؟ إن كل ما لدينا عن هذا الأمر ما أشارت إليه جريدة " لومند" الفرنسية بتاريخ 02 فيفري 1956، من أن الوضع كان خطيرا في المغرب الأقصى، و أن الحكومة المراكشية كانت تحاول التوصل إلى اتفاق مع قادة جيش التحرير غير أن تصرفات هذا الجيش تدلّ على أنّه يتلقى الأوامر من "هيئة أركان شمال إفريقية"، إذ منذ ثلاثة أشهر أمكن التوصل إلى وقف إطلاق النار في المغرب، و لكن جيش التحرير لا ينوي التنازل عن حريته في العمل و يواصل مساندته للثورة الجزائرية. وتذكر نفس الجريدة أن البلاغ الذي أصدره جيش التحرير مبديا ولاءه للسلطان لا يحمل ختم "جيش تحرير المغرب العربي في الجبهة الغربية" إنما يحمل ختم "جيش التحرير" وكفى[126].

و نفس الأدبيات لا تجيب عن كثير من التصفيات الجسدية لبعض عناصر جيش تحرير المغرب العربي كحالة تصفية عباس المساعدي؟ فهو مقاوم كانت له علاقات مع أطراف خارجية قومية [127]، أو لماذا نفي قائد جيش تحرير المغرب العربي بالأطلس النذير بوزار إلى وزررارت بجنوب المغرب الأقصى؟ و كل ما لدينا الآن حول هذا الأمر، أن زعماء " الهلال الأسود" المرتبطين بالنذير بوزار، الذي يقود معسكر تطوان، و مسؤولين مقاومين من قاعدة الناظور و جماعات ريفية نددوا في شهر فيفري 1956 عندما تمّ الاتفاق

---

124 ـ كل المصادر و المراجع التي بحوزتنا الآن تشير إلى التصفيات و الاغتيالات في صفوف جيش تحرير المغرب العربي أو جيش التحرير المغربي بعد استقلال مراكش، لكنها " تصمت في ذكر العدد و أسماء القادة و الأفراد" الذين تمت تصفيتهم أو سجنهم و ابعادهم، و لعل التصفيات كانت بالمئات أو الآلاف..!

125 ـ محمد، القجيري،" جيش التحرير المغربي و أحرار الريف، ضحايا القصر و ميلشيات حزب الاستقلال ـ الحلقة الثانية"، جريدة **الأخبار**، الجزائر، عدد 16 جمادي الأولى 23/1426 جوان 2005

126 ـ شريط، **1956، ج1، مصدر سابق**، ص. 279-280

127 ـ كان عباس المساعدي في ارتباطات مع قادة الثورة الجزائرية و له علاقة مع القيادة المصرية و يحظى بتقدير المجموعات الأولى لجيش تحرير المغرب العربي و بتقدير الأوساط الشعبية و عطفها. انظر، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 182

على عودة السلطان و تسليم السيادة من خلال بيان " بالمؤامرة الاستعمارية"، و خاصة مشروع تأسيس " مجلس حكم" لضمان المرحلة الانتقالية، معتبرين ذلك " خيانة للقضية الوطنية" التي كانت باسم " حرب التحرير" المكونة من " مجموع حركات المقاومة للحركات الوطنية في شمال إفريقيا"[128]. لهذا السبب و غيره كانت عمليات التصفية والسجن و الإبعاد! لقد أصبح جزء من مقاتلي جيش تحرير المغرب العربي يحتلّ مكانا له في السلطة المراكشية المستقلّة و جزء منه هُمش و جزء ثالث رفض وضع السلاح[129] سنجد منهم من استعمل في جنوب المغرب فيما يعرف "بعملية تحرير الصحراء المغربية" كما سيأتي[130] وبعضهم ساهم في ثورة الريف سنة 1958/1958 التي سنشير إليها في مناسبة لاحقة.

إن كل ما يُفهم من المصادر المراكشية هو أن " المنظمة السرية" التي أنشأتها بعض العناصر" الراديكالية" في حزب الاستقلال و منهم بن بركة و الفقيه البصري، كانت هي المسؤولة عن الكثير من التصفيات في صفوف جيش تحرير المغرب العربي أثناء فترة دمج مقاومي جيش التحرير في القوات الملكية المستحدثة بعد الاستقلال، و كان حزب الاستقلال عن طريق المنظمة السرية يريد الاستئثار بإخضاع "التسعة أو العشرة آلاف رجل المكونين لجيش التحرير" ليهيمن و يصبح حزبا وحيدا بالمغرب[131]، هل لهذا السبب صُفي المساعدي وغيره، و نُفي النذير بوزار و أمثاله؟!

لقد امتازت المرحلة السابقة بالصراع الحاد للحسم في الاختيار بين قوتين في المغرب الأقصى: قوة القصر و قوة حزب الاستقلال، إذ أكد علال الفاسي في خطاب له بطنجة سنة 1956: " ليس في المغرب من قوة إلا قوات ثلاث: أولا قوة الاستقلال، و ثانيها قوة جيش التحرير، و ثالثها قوة القصر، و إذا اعتبرنا جيش التحرير قوة من الحزب و إليه، كانت هناك في المغرب قوتان لا ثالث لهما هما: قوة حزب الاستقلال و قوة القصر أو العرش"[132]. لم يكن التوازن بين القوتين على الساحة متكافئا، فالملك كان يمتلك السلطة الرمزية، و كان لحزب الاستقلال مقومات السلطة المادية، لذلك منذ البداية سعى القصر إلى

---

128 ـ روني، غاليسو، " تهميش الشعوبية الثورية: مشروع جيش التحرير المغاربي و التخلي عنه" ترجمة لحسن عيساني، في **جيش التحرير المغاربي 1948-1955، مرجع سابق**، ص. 79

129 ـ **نفسه**.

130 ـ **لاحقا** الفصل الخامس.

131 ـ القجيري، **الأخبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق.**

132 ـ انظر، ضريف، **مرجع سابق**، ص. 85، نقلا عن روم لاندو، محمد الخامس، ص.30.

انتزاع مقومات الحكم المادية من يد حزب الاستقلال خاصة قوات الجيش و الشرطة، مما كان يحتم عليه للوصول إلى مبتغاه للدخول في صراع مع الحزب[133].

و الصراع الذي ظهر بين المخزن و حزب الاستقلال خلال فترة دمج قدماء المقاومين في جيش تحرير المغرب العربي و تسليم أسلحتهم إلى السلطات الملكية، أدى إلى أن بعض الزعماء في حزب الاستقلال كانوا يريدون أن يتمّ أمر إدماج المقاومين عن طريقهم، على اعتبار أنهم هم الذين قادوا المقاومة و حرّروا المغرب الأقصى، في وقت رفض فيه بعض قادة المقاومة وساطة حزب الاستقلال على اعتبار أن بعض قادته كانوا "سياسيين" معتدلين رفضوا مغامرة المقاومة المسلحة[134] منذ البداية و شاركوا في المفاوضات المغربية الفرنسية التي أفضت إلى الاستقلال داخل الترابط مع فرنسا[135] هذا من جهة، و من جهة أخرى كان مقاومو جيش تحرير مرتبطين " بميثاق" مكتوب للكفاح وتحرير المغرب العربي، و في هذا المعني و بناء على شهادة الدكتور الخطيب زعيم جيش تحرير المغرب العربي أنّه أبلغ الملك بهذا الميثاق، فقال له الملك محمد الخامس:" أنا أعاهدك على أن أبقى على عهد هذا الميثاق، و إنني سأقوم بهذا الدور و أؤديه أحسن أداء..."[136] و رغم ذلك بقيت بعض العناصر من جيش تحرير المغرب العربي تواصل الكفاح في المغرب الأقصى مؤمنة بفكرة وحدة المغرب العربي و تحريره كاملا و لا تريد الاندماج في القوات الملكية أو وضع السلاح جانبا.

و مهما يكن من أمر، فإن "السلطة الملكية" إلى جانب حزب الاستقلال سيطرت على زمام الحكم في المغرب الأقصى في الفترة السابقة إلى غاية **1958**، و هي السنة التي سطر فيها الملك محمد الخامس التوجهات الأساسية الكبرى للمملكة بداية من شهر ماي [137]، هذا

---

133 ـ ضريف، **مرجع سابق**، ص. 85

134 ـ يذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب أن المحجوب بن الصديق و عبد الرحيم بوعبيد قد " طابلا مني أن نوقف المقاومة حتي تقبل فرنسا المفاوضات.."، و عند زيارة المهدي بن بركة لتطوان " طلب منا توقيف المقاومة و جيش التحرير حتى تقبل فرنسا المفاوضات.."، و بعد ليلة كاملة من المناقشة مع رجال المقاومة، جاء بونعيلات و قال للمهدي بن بركة:" يا المهدي من أخرجك من السجن؟ فقال له المهدي: القرطاس (يعني القلم)، فرد عليه بونعيلات: فالقرطاس هو الذي يأتي بالاستقلال!". انظر، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 166

135 ـ انظر مثلا، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم الخطابي، مرجع سابق**، ص ص. 155-159

136 ـ **نفسه**، ص. 167

137 ـ السيادة الوطنية الملكية الدستورية المستلهمة من الفكر الإسلامي و تطور البلاد المبني على مراقبة شؤون المملكة من جمعية وطنية (برلمان) منتخبة إلى جانب مستشارين منتخبين في البلديات و الحواضر المغربية، و سياسة خارجية متبنية لفكرة عدم الانحياز. انظر، M'Barek, ZAKI, " La constitution marocaine: Les consultations permanentes entre le pouvoir royal et les réformistes (1956-1996)", in **Dossiers de l'histoire du Maroc** (D.H.M.), n° 1, juin 1996, p.11

باستثناء مرحلة الحكومة " التقدمية" في شهر ديسمبر 1958، و التي ترأسها عبد الله إبراهيم بدعم من الاتحاد المغربي للشغل (UMT) الذي يشرف عليه محجوب بن الصديق و عبد الرحيم بوعبيد و بن بركة[138]، و هؤلاء كانوا يشكلون الجناح الراديكالي بحزب الاستقلال.

و هي الفترة التي اندلعت فيها " ثورة" شعبية[139] كانت لها طموحات مغاربية أهملتها المصادر المراكشية ـ عمدا أو خوفا ـ فهي تمرّ عليها مرّ الكرام أو بصفة جدّ مقتضبة، كانت سببا من الأسباب في تكوين الحكومة " التقدمية"، و كانت هذه الثورة على ما يبدو مدعمة من الأمير عبد الكريم من القاهرة.

إذ تابع الأمير عبد الكريم مفاوضات إيكس ليبان، و أصدر بخصوصها بيانا جاء فيه:" إن الشعب الفرنسي ليس في نيته أن يحارب مرّة أخرى ليخلق هندًا صينية جديدة في شمال إفريقية...و قد اقتنعت جماعة الرباط بجماعة تونس المستسلمة فأبرمت اتفاق إيكس ليبان... و أخذت تدلس و تغري عرب المغرب بالكلام المعسول و هي سائرة في طريق اتفاق تونس... فحذار من السقوط في الفخ المنصوب... إن الشعب سوف يستمر في الكفاح والنضال إلى أن يخرج من المغرب العربي آخر جندي فرنسي..." و بأسابيع قليلة من توقيع اتفاقيات الاستقلال راسل الأمير بتاريخ 30 مارس 1956 مبارك البكاي رئيس أول حكومة ائتلافية جاء في خطابه:"... كان عليكم أن تثوروا على الخونة و تنظموا إلى المجاهدين المغاربة و الجزائريين و التونسيين كما يقتضي بذلك الشرف العسكري و الكرامة الوطنية وحرمة الرجولة السليمة من الشذوذ...إن المغرب أغرقه الخونة في الاحتلال، و كأن الزمن لم يبتعد عن مؤامرة الجزيرة الخضراء سنة 1906..."[140]

كان الأمير عبد الكريم من القاهرة يتابع الأحداث بالمغرب العربي و يدعم الحركات التي من شأنها تحريره و توحيده، و لذلك فإن السلطات المغربية لم تكن مرتاحة لتواجده بالقاهرة، فقد حاولت استدراجه إلى المغرب الأقصى بعدّة اتصالات، منها الاتصال الذي

---

138 - **Ibid**.

139 ـ تشير الأدبيات المغربية إلى انتفاضات أخرى في هذه الفترة بالمغرب الأقصى، نجهل الآن أسبابها و أهدافها، منها: منطقة أزمور بجبال الأطلس الوسطى بقيادة الكولونيل ابن ميلودي بإقليم ولماس، وَ هو من مقاومي جيش تحرير المغرب العربي، و منها منطقة جنوب شرقي فاس حيث قبيلة آيت وراين بجبل أبو يبلان بدعوة من القائد محمد بن حدو، التي يبدو أنها نسقت مع الثورة في الريف بقيادة محمد أمزيان سلام، و انتفاضة المقاوم عبد الله الصنهاجي بإقليم الناظور.

140 ـ انظر، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 37-38، انظر نص الرسالة في نفس الكتاب، ص.ص. 52-54

أجراه زعيم حزب الإصلاح الوطني السيد عبد الخالق الطريس سفير المغرب بالقاهرة في 19 جوان 1957 قصد إقناعه بضرورة الإقامة بالمغرب[141]، غير أن الأمير رفض ذلك.

حاول الأمير عبد الكريم تجسيد تطلعاته من خلال دعمه للانتفاضة الشعبية التي اندلعت بالريف في شهر أكتوبر 1958، و التي اعتبرتها السلطات المغربية " تمردا" بينما اعتبرتها قيادة الانتفاضة " ثورة للجلاء" و اعتبرها الحسن الثاني " تمردا فكريا" لأن سكان المنطقة شعروا بالتهميش في المملكة لم يقبلوا بهيمنة حزب الاستقلال، لذلك عمد سلام الحاج أمزيان إلى " استغلال النزعة القبلية"، أما حزب الاستقلال فاعتبرها " فتنة" من محرضين ذوي نزعة " عنصرية انفصالية"، و قال عنها مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور:"... كانت منطقة الخطر تمتد من قبيلة بني ورياغل التي تزعم الحركة فيها شاب يسمى محمد سلام الحاج أمزيان إلى قبيلة بني وراين بوسط إقليم تازة التي تزعم حركتها قائد سابق يسمى محمد بن حدو، و أخذت حركة العصيان تمتد حتى شملت قبائل تاونت شمال فاس و قبائل بولمان القريبة من نهر ملوية و أصبحت المواصلات بين شرق المغرب و غربه مهددة بالانقطاع..." و كتب عنها زعيم الانتفاضة محمد سلام أمزيان نفسه قائلا:" هي انتفاضة شعبية معادية للاحتلال الأجنبي و حلفائه تحولت إلى ثورة شعبية... قام بها رجال و زملاء وإخوان و أحفاد و تلامذة الأمير عبد الكريم الخطابي في بني ورياغل مسقط رأسه... كان لي شرف رئاستها برغبة المجاهدين..."[142]

و أوعزت البعض أن أسباب اندلاعها كانت " اقتصادية و سياسية في آن واحد"، ذلك أن استقلال المغرب كان نتيجة كفاح الريفيين، لكن الاستقلال استغل من طرف "البرجوازيين" الذين هم من " أصل فاسي"، و أن حزب الاستقلال غزا قراهم و مدنهم. أما السبب الاقتصادي، فتمثل في تفاقم الثورة الجزائرية التي أجبرت فرنسا على غلق الحدود الجزائرية في وجه حوالي 60000 مغربي كانوا يشتغلون في حصد الغلال و الحبوب في التراب الجزائري. و تضيف نفس المصادر أن الحركة كانت تضع في مقدمة برامجها عودة الأمير عبد الكريم الذي كان يشترط " إجلاء آخر جندي أجنبي عن المغرب"، و الحركة

---

[141] - **نفسه**، ص. 39

[142] -زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم**، ص. 40-41 انظر كذلك، القجيري، **الأحبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق**.

متأثرة بدعاية المصريين الموجودين بإسبانيا و تحبذ سياسة عبد الناصر " بالرغم من أنّها من أصل بربري"، و تطالب بطرد جميع الفنيين و الخبراء الفرنسيين، و هي على اتصال وثيق بالثوار الجزائريين و تتقاسم معهم الأسلحة التي تأتي عن طريق البحر[143].

و مهما يكن، فقد أصدرت الانتفاضة ميثاقها الثوري يوم 7 أكتوبر 1958 الذي تضمن مطالب أساسية منها: جلاء القوات الأجنبية و عودة الأمير عبد الكريم و حلّ الأحزاب و إنشاء تحالف وطني مع إطلاق سراح المعتقلين و إسقاط الحكومة و استبدالها بحكومة شعبية. و هي مطالب تترجم بوضوح تطلعات الأمير عبد الكريم، و لذلك قام بتوجيه رسالة إلى الرئيس عبد ناصر بتاريخ 1959/01/22، شرح له من خلالها توجهات هذه الثورة وأبعادها القومية العربية، و مما جاء في الرسالة:"... لقد اندلعت الآن مرّة أخرى ثورة شعبية بزعامة القائد أمزيان، ليست ضد الاستعمار فحسب، بل ضد عملائه أيضا... و أهداف ... الثورة الحاضرة التي ستؤدي أغراضها بإذن الله إن نالت التأييد من قادة الحرية و القومية العربية هي:

- إجلاء القوات الأجنبية عن القطر المغربي جلاء تاما و ناجزا.
- إعادة تطبيق الإستراتيجية التحررية بفتح جبهة القتال ضد قوات الاحتلال في المغرب إلى جوار الجزائر في سبيل تحرير تونس و الجزائر.
- القضاء على النظام المتعفن الذي مسخ التاريخ و الوجود."[144]

و ينهي الأمير رسالته قائلا:" و لا شك عندي في أن لدى سيادتكم حلولا و مقترحات لمعالجة هذا الوضع، كما لا شك أيضا في أن الآمال معلقة على سيادتكم شخصيا بقيادة الشعب العربي إلى شاطئ الآمال"[145].

و يبدو أن الأمير عبد الكريم، تبادل مع بعض الشخصيات الوطنية المغربية عدّة تقارير و رسائل قدم الباحث زكي مبارك نموذجين منها، يفهم من التقرير الأول الذي أرسله السيد الغالي الطود من مدريد بتاريخ 2 أبريل 1959 أن الريفيين في ثورتهم كانوا يطالبون"

---

143 - أوردت ذلك " **الديلي تلغراف**" البريطانية، 1959/02/10، شريط، **الثورة الجزائرية، 1959**، ج1، **مصدر سابق**، ص. 75-77

144 - حصرها فتحي الديب في سبعة مطالب بعد اللقاء الذي أجراه مع الأمير عبد الكريم بتاريخ 8 فيفري 1958، و من المطالب التي أضافها الديب مثلا: تعريب الوظائف و اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية مع تعريب التعليم بكافة أنحاء مراكش.. و إصلاح الوضع الاقتصادي، و إطلاق الحريات للصحافة و الرأي العام..إلخ، انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 419

145 - زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص.41-42، نص الرسالة، ص. ص. 56-58.

بالاستقلال الكامل و ذلك بإجلاء آخر جندي عن وطننا و مساعدة الجزائريين لطرد الفرنسيين" و أن تنظيم صفوفهم كان " يدعو إلى الإعجاب" غير أنهم كانوا في حاجة إلى الإمداد بالسلاح. أما التقرير الثاني الذي وصل الأمير من جنيف بتاريخ 2 فيفري 1959 فكان من محمد حسن الوزاني الأمين العام لحزب الشورى و الاستقلال، الذي تحدث فيه عن الوحشية المرتكبة ضد الريفيين من طرف القوات الملكية " تحت قيادة الفرنسيين"، و هي وحشية يجب فضح تفاصيلها في الداخل و الخارج " لأنها مجهولة لحد الآن"، و يفيد التقرير كذلك بناء على الصحف الفرنسية الباريسية "أن حكومة الرباط استخدمت رسميا قوات الاحتلال و استنجدت بالجيش الفرنسي و أن الطائرات التي دمرت ما دمرته في جهة الحسيمة كانت بقيادة الفرنسيين"[146].

و يبدو كذلك، أن الثورة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالأمير عبد الكريم، الذي من أجلها عرض على الرئيس عبد الناصر إمدادها " بالمعونات العسكرية العاجلة"، غير أن مصر بررت صعوبة ذلك بترصد الأسطول الفرنسي للسواحل منذ فترة طويلة. و لما كان الأمير عبد الكريم على " اتصال بالمسؤولين الأسبان لإمداد الثوار بالمعونة"، سعت مصر في هذا الاتجاه لدى الأسبان للإفراج عن " شحنة المركب اخوان إيلوكس" المحجوزة بمدينة سبتة، على أن يتمّ اقتسام شحنة الأسلحة بين الثورة الجزائرية و ثوار الريف"، غير أن الظروف المحيطة بهذه الثورة حالت دون ذلك منها " القوى المناوئة لمبادئ و أهداف الثورة الجزائرية بما فيها الحكومة الجزائرية و انحرافها من جانب و دعم العناصر العربية الاتجاه في مراكش من جانب آخر"، ثم أن مصر لم ترد التورط في أية التزامات تجاه ثورة الريف حتى تتضح حقيقة " اتجاهات و نوايا القائمين عليها"[147].

و على ما يظهر،فإن ثورة الريف قمعت قمعا عنيفا من طرف القوات المشتركة الفرنسية و المغربية، فقد قرر خلالها الأمير الحسن، رئيس أركان الحرب للجيش الملكي، نقل قيادة عملياته " ضد العصاة" إلى فاس[148] و تطوان[149]، حيث استعملت فيها مختلف

---

146 ـ **نفسه**، ص.42، و القجيري، **الأخبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق**.
147 ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص. 420-421
148 ـ جريدة " **لومند**"، 1959/01/27، في ، شريط، **الثورة الجزائرية، 1959**، ج1، **مصدر سابق**، ص. 45
149 ـ الورديغي، **الخفايا السرية**، ص. 167

الأسلحة من برية و بحرية و جوية و قتل فيها الريفيون بالآلاف و شرد الكثيرون أو سيقوا إلى السجون نظرا لأهدافها من جهة، و ارتباطها بالأمير عبد الكريم و جهات مصرية وإسبانية من جهة أخرى،و ظلت منطقة الريف عسكرية إلى سنة 1962 مُنع بها كل شيء من سياسة و صحافة، و أن عدد ضحايا هذه الثورة بلغ 8000 قتيل و آلاف الجرحى، و فقد قائد الثورة محمد أمزيان سلام ابنته الصغيرة " نعيمة" التي داستها " سنابك خيل المخازنية فبقرت بطنها و استشهدت في الحال"[150]، أما عن مظاهر القمع فكانت في أشد الظروف نتيجة الإبادة الجماعية[151]، و بلغ عدد المعتقلين " بالضبط و التدقيق 9672" حالة حسب بعض الشهادات[152].

و تذكر مصادر أن حكومة " الجناح اليساري" لحزب الاستقلال بقيادة عبد الله إبراهيم التي شكلت، " بدأت في قمع و سحق انتفاضة الريف"، ففي التاسع من جانفي 1959 و صل الأمير الحسن ولي العهد، قائد القوات المسلحة الملكية، رفقة أوفقير(الجنرال) إلي مدينة تطاوين على رأس 20000 مقاتل تم إنزالهم على سواحل الريف، و أثناء ذلك " أعطى السلطان محمد الخامس مهلة 48 ساعة[153] للثوار المعتصمين في الجبال للنزول والاستسلام، إلا أنهم رفضوا إلى أن تستجيب المملكة لمطالبهم[154]، و أثناء المواجهات تعرضت طائرة ولي العهد الأمير الحسن لطلقات نارية من طرف الثوار الذين كانوا يحاصرون مطار الحسيمة، حيث أرغمت على النزول الاضطراري إثر عطبها، و هي من العوامل "الكافية و المقنعة لتفسير أساليب و وسائل العنف التي لجأت إليها السلطات الحكومية المغربية لمواجهة هذه الانتفاضة الريفية و القضاء عليها قضاء جذريا"[155].

---

[150] - انظر، القجيري، **الأخبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق**.

[151] - كان " القمع شرسا و عنيفا، و قدر عدد القتلى بالآلاف، و تم دفنهم في مقابر جماعية بآيث بوعياش و آيث حذيفة و إمزورن و غيرها..."، ففي " تيزي وسلي بقبيلة كزناية حشروا 82 ضحية... و غطوهم بالتراب و هم أحياء بعدما عذبوهم و شوهوهم، و في أجدير بقبيلة آيث و رياغل... حشروا 75 ضحية و قتلوهم رميا بالرصاص... و في أربعاء توريرت ببني بوعياش (بالريف الوسطى) حشروا 35 ضحية... قتلوهم ليلة 58/10/7... و في المعهد الديني بالحسيمة قتلوا 25 فردا و دفنوهم بنفس المعهد..." و القائمة طويلة. انظر، القجيري، **نفس المرجع**، نقلا عن مصادر مختلفة منها كتاب " صديقنا الملك" لجيل بيرو.

[152] - " 9672، كلها معروفة بالاسم و اللقب و العمر و المهنة و حتى الحالة المدنية... أطلق صراح (كذا) 6520 لغاية 1960/02/26، و جلهم ما زالوا مشوهين و مبتورين من الأعضاء التناسلية أو الأرجل أو العيون أو الأذن. أما الباقي فما زال في غياهب السجون..."، انظر، القجيري، **الأخبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق** (هـ 22)، نقلا عن مجلة أمل، عدد 8، 1996

[153] - أوردت ذلك صحيفة " **الديلي تلغراف**" البريطانية في 1959/02/10 أن الملك محمد الخامس أعلن في خطاب له يوم 5 جانفي إلى قبايل الريف الأوسط بأنه يمنحها 48 ساعة لتعود إلى قرارها، و يذكر نفس المصدر أن أغلبية المعتصمين من الأهالي نزلوا في حين بقي أغلب القادة بالجبال، و أن قبيلة بني ورياغل، وهي قبيلة الأمير عبد الكريم، قد بقيت في المقاومة و حاصرت المعسكر القريب من الحسيمة و منعت الطائرات من النزول فيه. انظر، عبد الله، شريط، **الثورة الجزائرية، 1959**، ج 1، مصدر سابق، ص. 75

[154] - انظر، القجيري، **الأخبار**، عدد 2005/06/23، **مرجع سابق**.

[155] - زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 42-43

بادر الملك محمد الخامس بعد أحداث الريف بمجاراة التيار التحرري العربي وبالاستعداد لإمداد الثورة الجزائرية بالسلاح و بتكليف ولي عهده للقيام بزيارة رسمية إلى القاهرة[156] كان الهدف منها " إيهام الشعب المراكشي بتأييد الرئيس عبد الناصر لسياسة العرش"[157]، و زار الملك محمد الخامس المشرق العربي مع مطلع سنة 1960، و قابل عبد الناصر و التقى بالأمير عبد الكريم يوم 13 جانفي، و حينها قدم الأمير رسالة للملك مضامينها قومية منها مطالبته بإجلاء القوات الأجنبية عن المغرب و تأييد الجزائر في الحصول على استقلالها التام[158].

و بانتهاء الثورة الريفية، بدأت بوادر التفكك في حزب الاستقلال، الذي كان يشكل المعادلة الثنائية في السلطة مع الملكية منذ الاستقلال، منذ جانفي 1959، إذ في شهر سبتمبر من نفس السنة انشق الجناح اليساري في الحزب مؤسسا ما يعرف بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية (UNFP) بقيادة المهدي بن بركة و عبد الله إبراهيم و عبد الرحيم بوعبيد و محمد البصري والمحجوب بن الصديق، و كانت لهؤلاء طموحات وحدوية راديكالية في المغرب العربي[159].

و ظهرت مع هذا الحزب و حكومته ديناميكية جديدة في المجتمع من الناحية السياسية والثقافية. فخلال هذه المرحلة انعقد مؤتمر حزب الشورى و الاستقلال (PDI) بقيادة محمد بن الحسن الوزاني في سبتمبر 1959 متحولا إلى تسمية الحزب الديمقراطي الدستوري(PDC) و ظهر حزب " الحركة الشعبية"(MP) و هي حركة " بربرية" بقيادة محجوب أحرضان و الدكتور عبد الكريم الخطيب، و تكتل الاستقلاليون الأحرار حول أحمد رضا غديرة، المقرب من ولي العهد الأمير الحسن و المخلص للأسرة العلوية، و كان هذا التيار يعمل في صمت و يؤيد كل مبادرة ملكية[160].

---

156 - زار الأمير الحسن الثاني القاهرة في شهر أفريل 1959 كما قام رئيس الحكومة المغربية عبد الله إبراهيم في لبنان و الجمهورية العربية المتحدة و صدر بيان مشترك حول وحدة نظريات الطرفين و الرغبة في تعزيز التعاون الاقتصادي و التجاري. انظر، صحيفة " **لوبسيرفاتور**" بتاريخ 1959/07/04 في عبد الله، شريط، **الثورة الجزائرية، 1959**، الجزء الثاني، ص. 138-139

157 - الديب، **مصدر سابق**، ص. 421

158 - زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص. 43

159 - نقرأ إلى جانب أهداف الحزب في المجالات الثورية الوطنية الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية، " مساعدة الشعب الجزائري المكافح من تحرره و تحقيق وحدة المغرب العربي في نطاق الأخوة العربية و التضامن الإفريقي"، و مع "...مبدأ توحيد المغرب العربي...". ، انظر، **ميثاق الاتحاد الوطني للقوات الشعبية**، المؤرخ في 6 سبتمبر 1959. نشرية دون دار نشر.(تحصلت عليه في المغرب الأقصى خلال زيارتي في شهر جويلية 1989)

160 - ZAKI, **D.H.M.** n°1, op. cit. P.11

و يبدو أن إطلاق الحريات لم تكن تعجب الملكية و تيار الأحرار، فقد أصبحوا يكيلون التهم لجماعة الاتحاد الوطني، حيث اعتقل الفقيه البصري بتهمة نشره لبلاغ تحريضي في جريدة الحزب " التحرير" يطالب من خلاله بتطهير الجيش من الذين " لاوطنية لهم" أي " الضبط الذين اشتغلوا في الجيشين الفرنسي و الاسباني"[161]، و كان الاعتقاد ساريا لدى نفس الأوساط، أن حكومة عبد الله إبراهيم ينشطها "فعليا" ابتداء من شهر ديسمبر 1959 المهدي بن بركة، الذي أصبح ينادي وسط هيئته " الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" بفكرة " استشارة حرّة للشعب الموريطاني في استقلاله و باحتمال تأسيس فيدرالية أو كونفيدرالية تجمع المغرب و موريطانيا و الجزائر و تونس"، و قد ساند رئيس الحكومة عبد الله إبراهيم أفكار بن بركة و أضاف أن يستشار كذلك سكان " الصحراء الاسبانية"(الصحراء الغربية)، وتذكر مصادر أنّه تدخل "بصفة حاسمة" لدى الكولونيل بن حمو المسفيوي طالبا منه حلّ " جيش تحرير الصحراء" الذي كان يهدد موريطانيا، و هي أفكار تتعارض مع أفكار القصر الملكي و علال الفاسي الذي كان يصف بن بركة و جماعته " بالخيانة نحو الوطن"[162].

و أثناء زيارة عبد الله إبراهيم لإيطاليا، أعلنت الصحف يوم 14 فيفري 1960، أن إدارة الشرطة اكتشفت قضية تمس بالأمن أبطالها محمد البصري و عبد الرحمان اليوسفي، و كان اعتقال هذين الرجلين من حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بمثابة "موقف حرج" لحكومة عبد الله إبراهيم، هل كانت هذه العملية "مؤامرة" أم " تحريض" ضد الحكومة الشعبية؟ لقد كانت لدى الاستقلاليين و علال الفاسي قضية " مس بأمن الدولة" و سيادتها، ولدى معارضين آخرين " تستحق أشد العقاب"[163]. و بذلك أنهى محمد الخامس مهام حكومة عبد الله إبراهيم في شهر ماي 1960، و أصبح الملك هو نفسه يشرف على رئاسة المجلس(البرلمان) و أعطى صفة النائب لابنه الأمير الحسن و كلفه بحقيبة الدفاع الوطني، مقدما مبررات " أن الحالة الراهنة لا تساعد على تنصيب حكومة تحظى بتأييد كل المنظمات السياسية"[164]!.

---

161 - حيث انطلقت محاكمة الجريدة في 28 سبتمبر 1959، انظر، الورديغي، **الخفايا السرية**، ص.ص. 202-204

162 - الورديغي، **الخفايا السرية**، ص. 214

163 - **نفسه**، ص. 216-217

164 - ZAKI, **D.H.M., op. cit.**, n° 1, p. 11

و لما مات الملك محمد الخامس (26 فيفري 1961) حلّ محلّه الحسن الثاني (3مارس 1961) الذي عين علال الفاسي وزيرا للخارجية و قدم خطوطا عريضة لمشروع دستور في شهر نوفمبر تمت الموافقة عليه في ديسمبر1962 تحفظ عليه حزب الاستقلال والحركة الشعبية و الاستقلاليون الأحرار و أيدته الأحزاب اليسارية و الجمعيات الاجتماعية و الثقافية، لكن في انتخابات الممثلين في شهر ماي 1963، و كانت الملكية تريد من خلالها الحصول على أغلبية مؤيدة لها لتكوين حكومة، إلا أنها لم تحصل على ذلك، و قد عارض حزب الاستقلال و الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هذه الانتخابات بحجة أنها " مزيفة" فلجأت الملكية إلى إلقاء القبض على مسؤولي حزب الاستقلال بحجة " القمح الأمريكي Blé américain"، و لجأ أحمد رضا غديرة المقرب من الملك، إلى تأسيس ما يعرف بجبهة الدفاع عن المؤسسات الدستورية (FDIC) في 20 ماي 1963، ليأتي دور إلقاء القبض على زعماء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في شهر جويلية 1963 بحجة " المؤامرة" على العرش حسب التصريحات الرسمية، و لذلك قرر حزب الاستقلال و الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مقاطعة الانتخابات البلدية، لكن أحداث 15 أكتوبر 1963 (الحرب الجزائرية المغربية) التي مست السيادة الداخلية و الخارجية للمملكة - في زعمها - بعد " نداء القاهرة" الذي وجهه المهدي بن بركة مؤيدا للجزائر، إلى جانب مواقف المعارضة في المهجر والجزائر ضد الملكية، هذه الأمور وضعت الأحزاب في المغرب في " حرج كبير"[165].

بقي المغرب الأقصى في حالة غليان سياسي و اجتماعي فيما بين 1963-1965[166] منتهية بأحداث الدار البيضاء في شهر مارس، التي قمعتها القوات الملكية بقيادة الجنرال أوفقير بكل عنف و قسوة، إذ رغم العفو الملكي العام - بمناسبة عيد الأضحى في 14 أبريل1965 - و المفاوضات الفاشلة مع المعارضة التي انتهت يوم 7 جوان، فإن الأوضاع بقيت تراوح مكانها و هو الأمر الذي أدى بالملك إلى فرض حالة الأوضاع الخاصة " Etat d'exception" محملا المعارضة حالة الانسداد و الفشل، مكونا حكومة جديدة في 8 جوان و أصبح الملك على راس المجلس و أعطى وزارة الداخلية إلى الجنرال أوفقير، و هي الوزارة المسؤولة عن خطف المهدي بن بركة في 29 أكتوبر 1965 و تصفيته، أما الجنرال

---

165 - ZAKI, **D.H.M.**,n° 1, op. cit. p.12

166 - في هذه الفترة كان قد أعدم فيها السيد أحمد أقوليز، المقاوم الاسطوري العنيد و رجل المقاومة المسلحة ضد الاحتلال من طرف النظام الملكي. انظر، STORA, **op. cit**. p. 48-49

أوفقير فكانت نهايته بعد محاولة " الانقلاب الفاشلة" على الملكية في حادثة الصخيرات في 16 أوت 1972[167].

2ـ الدعوة إلى عقد مؤتمر وحدة المغرب العربي، و في أي إطار؟

أعطت الطريقة التي تمت بها تسوية مشكلتي تونس و المغرب الأقصى و استقلالهما الثقل للميزان الفرنسي و للبعد الأوربي الغربي على حساب البعد العربي الإسلامي، بل إلى مغرب منفصل عن مشرقه إن لم نقل موجها ضد مشرقه[168].

في هذا الإطار على ما يظهر، ستتحرك سنة 1956 بعض " القيادات المغاربية" بالتنسيق مع السلطات الفرنسية و طروحاتها المتمثلة في " إقامة مجموعة شمال إفريقية مرتبطة بفرنسا"، و هي فكرة كانت قد عرضت سنة 1936 من طرف أعضاء من الجبهة الشعبية[169] على بورقيبة عن طريق الهادي نويرة مقترحين " ضرورة إنشاء نظام فيدرالي اقتصادي شمال إفريقي" مرتبط بفرنسا، و وعدوه بلقاء جماعة منهم في نفس التاريخ[170]، وعلى ما يبدو، فإن بورقيبة يكون قد التقى أعضاء من الجبهة الشعبية حول هذا الموضوع، ففي اجتماع له مع مصالي الحاج و أعضاء آخرين بتاريخ 14 فيفري 1937 للتنديد بحل نجم شمال إفريقيا، أكد بورقيبة تضامن حزبه مع النجم و عرض أرضية عمل لمطالب مشتركة لبلدان المغرب العربي الثلاثة، مع التطوير الكامل لتونس و الجزائر و المغرب الأقصى، على أن " يتبع ذلك باندماج حر للبلدان الثلاثة في نظام متوسطي (Méditerranien) على شكل فيدرالي (اتحادي)..!"[171] مع فرنسا[172]. ليس من هدفنا هنا تتبع أطوار هذا الموضوع من هذه الفترة، و لكن كان ذلك على أساس الإشارة إلى أصوله، فقد أعاد الساسة

---

167 -ZAKI, **D.H.M**, n° 1, **op. cit**., p.12-13

168 ـ الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول، مرجع سابق**، ص.42

169 ـ هم السادة: ف. شلاي (F. Challaye) و غ. برجيري (G. Bergery) و كاهان (Cahan) و م. رولاند (M. Roland) و هـ. كوهين (H. Cohen) كانوا قد أنشأوا لجنة العمل الجبهوية لما وراء البحار (Comité d'Action Frontiste d'Outre-Mer).

170 ـ عن طريق رسالة بتاريخ 25 نوفمبر 1936 أوصلها الهادي نويرة إلى بورقيبة. الرسالة بملف الهادي نويرة **بم. ت. ق**. بتونس. H. Nouira, Dos. B.3.23, **CDN**

171- Compte-rendu donné par **La Flèche**, organe du Parti Frontiste de Gaston Bergerey, du 20/02/1937, in ENA. Dos.B.3.33. **C.D.N**. Tunis

172 ـ قد يكون من السابق لأوانه أن ندخل ميدان العلوم السياسية و موضوع بحثنا تاريخي لا يصل إلى فترة القرن 21، إن قلنا أن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي قد استمد سياسته المتوسطية من أسلافه في الجبهة الشعبية سنوات الثلاثينيات من القرن 20..!

الفرنسيون إحياءه بعد أن وجدوا من يقوم بمهامهم في هذا الأمر من الساسة المغاربة (المغرب العربي). لكن أمام التصعيد و المد الثوري الذي لا يخدم استقلال المغرب و تونس و لا السياسة الفرنسية، هل سينجح هذا الطرح الجديد القديم؟

لقد اقترح محمد الخامس بداية من جانفي 1956 " الوساطة" بين الثورة الجزائرية وفرنسا في تصريح له مع صحيفة فرنسية اثر استمرار مقاومة جيش تحرير المغرب العربي بالريف الذي علق عليه الملك بأنه " مجرد وضع قائم" نتيجة بطء مفاوضات إيكس ليبان. ووصفت الجريدة الملك بأنّه " رجل يؤمن بالحلول السياسية و موقفه يشبه موقف بورقيبة"، مضيفة أن ميدان المغرب العربي يجتمع فيه " حزب السياسين و حزب العسكريين" فعلى الحكومة الفرنسية أن تسهل لحزب السياسيين و منها مسعى الملك محمد الخامس في الصلح، و حتما سيؤدي ذلك بفائدة على " الصداقة بين فرنسا و المغرب العربي و على فتح طريق المستقبل الطيب"[173].

و دعا الملك محمد الخامس الرئيس التونسي إلى عقد ندوة ثنائية للخروج من المأزق الجزائري من جهة و لكي يأخذ - على ما يبدو - دور الوسيط في المسألة، و قد بَلَغَ ذلك الخبرُ المسؤولين الجزائريين في جبهة التحرير الوطني، فقرر بن بلّه و بوضياف و خيضر و حسين آيت أحمد الذهاب إلى المغرب لمقابلة الملك في هذا الشأن، و قد أثبت مصطفى الأشرف، الكاتب الذي كان ينتمي إلى الوفد، أن الملك كان مرتابا منذ اللحظة الأولى من مشاركة جبهة التحرير الوطني في الندوة الثنائية المزمع عقدها بتونس، لكن في اليوم التالي زالت تحفظاته و أصبح " موافقا على معالجة مسألة المشكلة الجزائرية، التي ستحفظ مصالح فرنسا و الجالية الفرنسية بالجزائر" و كان " همّه أن لا يصدم الرأي العام الفرنسي ولا سياسة التعاون المغربية مع فرنسا"[174].

عالج الوفد الجزائري مع السلطان إلى جانب المسألة الجزائرية الخطوط الكبرى "لكونفدرالية المغرب العربي"، و كانت هذه المحادثات أولية على أن تأتي محادثات معمّقة

---

173 - ذكرت ذلك صحيفة " **فران تيرار**" بتاريخ 1956/01/25، انظر، عبد الله، شريط، **الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956**، الجزء الأول، منشورات وزارة المجاهدين، (د. ت.)، ص. 53-54

174 - STORA, **op. cit.**, p.53

في الندوة المزمع عقدها بتونس تتبعها اتصالات مع باريس،" و حسب الملك الذي كان سيصبح السلطة الروحيّة للوحدة المغاربية[175]، فإنّه لم يكن جدّ متفائلا، لقد كان في اعتقاده أن المشروع سيصطدم بصعوبات جمّة، ذلك أنّ فرنسا ـ حسب الملك ـ لا يمكنها أن تعترف باستقلال الجزائر"، و حَذَرُ الملكِ هذا لدى الوسطاء الفرنسيين يُشرح بداهة في رغبته أن يلعب دور الوسيط في المسألة الجزائرية، و هو ما فهمته سلطات باريس، كما توضحه برقية دبلوماسية فرنسية في شهر أفريل 1956:" إن الأهمية المتزايدة للمشكل الجزائري في اهتمامات القصر و السلطة المغربية تدفع وسطاؤنا إلى مباشرة الموضوع أكثر فأكثر، فأغلبيتهم يقومون بذلك بحذر، فهم يسألون و لا يبحثون في المغالبة أو التبرير، و لكنّهم وبدون شك سيدرسون دور المغرب و بخاصة دور الملك، إذ يمكنه أن يُدعى للقيام بدور في تحضير حلّ مقبول بين الفرنسيين و الجزائريين"[176].

و بداهة، يُفهم كذلك من البرقية، أن الرئيس بورقيبة كان كذلك في الخط الذي كان يرسمه الساسة الفرنسيون لمستقبل المغرب العربي في إطار بناء دول " أكثر مركزية وقطرية"، ما دامت البرقية موجهة إلى أحد المكلفين " بالشؤون المغربية و التونسية"، وعلى كل فالندوة المغاربية الثلاثية لم تعقد، ذلك أن السيد ماكس لوجان (Max Lejeune) كاتب الدولة للحرب، كان قد أمر باقتناص طائرة دي. سي 3 (DC3) التي كانت تقل مسؤولي جبهة التحرير الوطني من الرباط إلى تونس، بعد أن أبلغته سلطات فرنسا من الجزائر بأن قياديي الجزائر هم في طائرة غير طائرة الملك[177]، و لقد أتت عملية قنص الطائرة بعد خمسة أيام من استيلاء البحرية الفرنسية على سفينة " آطوس" المحملة بالسلاح للثورة الجزائرية و المقاومة في المغرب العربي بشكل عام يوم 17 أكتوبر 1956[178]، هذا إضافة إلى الاعتداء على مصر الذي سيأتي في نفس الشهر!

---

[175] ـ تذكر بعض الشهادات المراكشية أن محمد الخامس كان سينصب خليفة أو ملكا على المغرب العربي (شهادة عبد الكريم الخطيب،) (شهادة الحسين برادة،) في، **جيش التحرير... مجلس القيادة، مصدر سابق**، ص.24 و ص. 69 ، أما الغالي العراقي فذكر أن الجزائريون قالوا ذلك حتى نبقى معهم على الخط متعاونين. **نفس المصدر**، ص. 87

[176] ـ البرقية مبعوثة من الرباط بتاريخ 18 أفريل 1956 من طرف السيد لالوات (M. Lalouette) مندوب المحافظة السامية للجمهورية الفرنسية بالمغرب الأقصى، موجهة إلى السيد سفاري (M. Savary) كاتب الدولة للشؤون المغربية و التونسية بباريس. انظر، STORA, **op. cit**., p. 53, (n.26).

[177] -**Ibid**., p.54

[178] ـ انظر، الديب، **مصدر سابق**، ص ص. 251-260

لا شك أن هذه العمليّة أضرّت بالعمل الوحدوي الثوري المغاربي، إذ بداية من هذا التاريخ و بعد إلغاء الندوة المغاربية، بدأ كل طرف منشغلا بدولته المركزية و توطيد أركانها أما الجزائر فواصلت ثورتها إلى الاستقلال، كما بدأت عمليات التطهير و التصفية الجسدية لكل أولئك الذين آمنوا بوحدة المصير و التحرير الثوري ووحدة المغرب العربي في كل أقطار المغرب العربي كما سبق و أشرنا.

لقد مثلت الثورة الجزائرية بتفاعلاتها و نمط التحالفات الذي فرضته في المنطقة تهديدا جديدا لمشروعي الدولة القطرية في المغرب الأقصى و خاصة في تونس، رغم أن مواقف الدولتين القطريتين لم تختلف كثيرا في هذا الأمر. و بذلك تمت العلاقات الثنائية بين الطرفين و انضم إليها وفد جبهة التحرير، حيث سيتم التأكيد على أهمية المشروع المغاربي، و ضرورة " بناء صرح دولة شمال إفريقيا.. " و كان قد انعقد في جويلية 1956 مؤتمر نقابي ضم ممثلي المركزيات النقابية التونسية و الجزائرية و المغربية و ذلك في إطار التنسيق والتشاور بين القيادات النقابية المغاربية انسجاما مع النغمة و النزعة الداعية إلى اتحاد المغرب العربي قبيل انعقاد مؤتمر تونس بين بورقيبة و محمد الخامس و قادة جبهة التحرير الوطني لدعم العمل المشترك[179].

لم تكن فرنسا غائبة عن لقاء مراكش (بورقيبة/محمد الخامس/ قادة الجبهة) الذي انعقد بمباركة قسم من الحكومة الفرنسية، إن لم نقل بطلب و تشجيع منه، و كان استدعاء زعماء الجبهة بهدف " تجسيم الفيدرالية الشمال إفريقية"، بهدف تجنب " مغربة الحرب" و قطع الطريق على الدعوة المصرية لإعلان المواجهة مع فرنسا، و خاصة و أن بورقيبة و محمد الخامس كانا يخشيان المد الكاسح للتيار القومي الناصري، الذي ما انفك يجتاح الساحة العربية منذ نجاح معركة تأميم البترول هذا من جهة، و من جهة أخرى قطع الطريق أمام الدعم المصري لجبهة التحرير الوطني[180].

---

179 ـ انظر، عبد القادر العريبي، **تونس و علاقاتها مع بلدان المغرب العربي 1947-1980**، (شهادة دكتوراه)، اشراف علي المحجوبي، الجامعة التونسية، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانيية، قسم التاريخ، أكتوبر 1999، ج1، ص.ص. 221-224

180 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 224-226

و فيما سبق، علقت صحيفة فرنسية " ساخرة" بعد عملية القرصنة قائلة: أن قادة الثورة الجزائرية لم يكونوا ضيوف فرنسا، بل كانوا ضيوف " حليف فرنسا و هو سلطان المغرب"، و الطائرة كانت " طائرة مغربية" متجهة إلى بلاد " حليفة هي الأخرى لفرنسا وهي البلاد التونسية"، لقد كانت " الحكومة الفرنسية مطلعة اطلاعا كاملا على كل ما يعد ويهيأ في العاصمتين التونسية و المراكشية"[181]، و ذكر صحافي فرنسي قائلا:" كنت مع الزعيم (بورقيبة) في محادثة بيننا ... قال لي: يجب أن تقول لجميع أصدقائنا الفرنسيين بأن الغلطة الفادحة التي ارتكبت لتخريب محاولتنا في تكوين مجموعة فيدرالية فرنسية شمال إفريقية، هي في كوننا كنا مستعدين لان نقوم بتنازلات كافية إذا كانت جديرة بأن تعيد السلام إلى الجزائر"[182].

و يبدو كذلك، أن عملية القرصنة، هي جزء من عملية ضرب للمشروع الوحدوي الثوري المغاربي نظرا لما تبعها على الساحة المغاربية من تصفيات و تهميش للعناصر الفاعلة في هذا الميدان من جهة، و من جهة أخرى هي ضرب للمشروع الوحدوي العربي في آن واحد، لقد جاءت عملية القرصنة بعد إقدام الرئيس عبد الناصر على تأميم قناة السويس بداية، ثم إعلانه في خطاب له بالإسكندرية يوم 26 جويلية 1956 عن قرار مصر ببناء سد أسوان " مهما كان الثمن"[183]، و قال بكل تأكيد " بأموال القناة سنبني السد"، لقد أحدث قرار تأميم قناة سويس في العالم الغربي هزة عنيفة عبرت عنها أهم الصحف التي وصفت عبد الناصر " بالرئيس الماكر و اللص المتهور و بالديكتاتور"! فوجدت من ذلك كلّه دولة الكيان الصهيوني فرصة سانحة لصب الزيت في النيران لتأليب الرأي العام الدولي ضد مصر و جمال عبد الناصر، في هذا المناخ العام تم العدوان الثلاثي على مصر من طرف بريطانيا و فرنسا و كيان الصهاينة بداية من يوم 29 أكتوبر إلى 6 نوفمبر 1956، و كانت مشاركة فرنسا في العدوان تنطلق أساسا من كونها تريد أن تجعل حدا للدعم الذي تقدمه مصر عبد الناصر للثورة التحررية المغاربية[184] في إطار المشروع الوحدوي العربي، كان ذلك بعد خمسة أيام من اقتناص الطائرة!

---

181 ـ أوردت ذلك " **الكنار أونشيني**"، بتاريخ 1956/10/28، في شريط، **الثورة الجزائرية، 1956**، ج2، **مصدر سابق**، ص. 240-241

182 ـ م. جان، روس،" الجو في شمال إفريقية"، في **فران تيرار**،1956/11/3، في شريط، **1956**، ج2، **مصدر سابق**، ص. 257-258

183 ـ بعد إعلان البيت الأبيض الأمريكي في 18 جويلية 1956 أن البنك الدولي يرفض منح مصر القروض التي طلبتها من أجل بناء سد أسوان.

184 ـ " العدوان الثلاثي، الخلفيات و الأهداف "، مجلة **ملفات من تاريخ المغرب**، عدد 6، نوفمبر 1996، ص. 12

و مهما يكن من أمر، فإن "عملية قرصنة الطائرة" أتت لتجمد العمل المغاربي في إطار سياسة بورقيبة/ محمد الخامس تجميدا شبه كامل، اللهم إلا ما أكده مؤتمر المركزيات النقابية المغاربية بالدار البيضاء فيما بين 18-20 ديسمبر 1956 من " مساندة كاملة لجبهة التحرير الوطني الجزائرية حتى النصر المشترك"، و هذا تطبيقا لتوصيات مؤتمر بروكسال في 5 جويلية 1956 بهدف " تنسيق عمل المركزيات النقابية الشمال إفريقية و إرساء أسس وحدة المغرب"[185] العربي، أو تلك الندوة التونسية المغربية بين بورقيبة ومحمد الخامس بتاريخ 20 و 22 نوفمبر1957 للتشاور و إيجاد حل للقضية للجزائرية داخل إطار التقارب الفرنسي لوحدة المغرب العربي حيث تمّ لهما استعراض المسائل المشتركة و سجلا بارتياح اتفاقهما الكامل[186]، و رغم تعثر اللقاءات المغاربية فإن محمد الخامس/بورقيبة قررا عقد دورات ثلاثية باستمرار[187]، و عرضا وساطتهما على فرنسا مع جبهة التحرير الوطني، غير أن العرض لم يكن في حجم " الصفعة الفرنسية"[188] باختطافها لزعماء الثورة.

و نشير هنا، أن لقاء محمد الخامس/بورقيبة في ندوة 1957 كان يدور في فكرة مشروع قديمة تعود إلى سنة 1952، و هي فكرة عرضها وزيرة الخارجية الإسبانية السيد ارتاخو و أثارها الجنرال فرانكو و دافع عنها لدى واشنطن و أخرجتها فرنسا في ثوب جديد و تنص عل دخول كل من تونس و المغرب و الجزائر و ليبيا و إسبانيا و فرنسا و إيطاليا في حلف دفاعي هو فرع للحلف الأطلسي[189].

و في هذا الاتجاه، زار الملك المغربي في شهر فيفري 1957 روما و مدريد و توقف بمدينة كان الفرنسية، و صرح وزير خارجيته أحمد بلافريج أن هدف هذه الزيارة " هو تطوير علاقات بلدان البحر الأبيض المتوسط"، مضيفا " أن المغرب يريد أن يعرف جيدا إيطاليا و إسبانيا حتى يكتمل مثلث تحتل فيه فرنسا مكانة أساسية"،و لمح الملك تلميحا خفيفا للموضوع لوكالة "انسا" الإيطالية مشيرا إلى فكرة " مجموعة بلدان البحر الأبيض المتوسط بوصفها عنصر سلم في هذه المنطقة من العالم"، و أعرب محيط الملك عن ارتياحه للتوقف

---

185 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 233-234

186 ـ " بلاغ الرباط"، **المجاهد**، عدد 32، 1957/12/01

187 ـ " وقائع مؤتمر طنجة، أفريل 1958"، **المجاهد الأسبوعي**، 1984/04/29

188 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 233-234

189 ـ الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول، مرجع سابق**، ص. 38

في مدينة كان حيث اجتمع الملك بالسيد موريس فور كاتب الدولة للشؤون الخارجية الفرنسية، و أشارت نفس الأوساط أنها " مرتاحة لمهارة الوزير الفرنسي الذي مكّن لهذه السفرة أن تتم في ظل الوضوح و الثقة"[190].

و تعرض الرئيس بورقيبة من جهته في خطاب له بتالة (Thala) في 13 أوت 1957 قائلا:" أمنيتي أن تكون الجزائر خلال بضعة أشهر دولة حرّة و قوية في المغرب العربي، وأن تكون قوة فيدراليتنا الشمال إفريقية تكمن في تعاونها المستقبلي مع فرنسا...أيها التونسيون و الجزائريون و المغاربة...أنتم كلكم أبناء وطن واحد"[191]، و صرح في نفس الفترة كذلك (صيف 1957)[192] لفكرة تسوية الحرب الجزائرية في إطار المغرب العربي جاء فيه:" أعتقد أن أحسن وسيلة لتسوية المشكل الجزائري هو تحقيق التوازن بين سيادة الجزائر و بين نوع من التعاون الجديد يربط دول المغرب العربي الثلاث بفرنسا. و أنا اقترح تشكيل مجموعة فرنسية لشمال إفريقيا تربح فيها فرنسا التعاون مع شعوبنا الثلاثة في نفس الوقت الذي تفقد فيه امتيازاتها الاستعمارية بالجزائر، مجموعة لا يوجد فيها ظل للتفوق وانعدام الثقة. إن شعوبنا لا تريد إهانة فرنسا أبدا. إن شعوبنا مرتبطة بفرنسا جغرافيا واقتصاديا و ثقافيا، و كل ما هنالك هو البحث عن الأسس الممكنة لتعاون جديد و تحديد الروابط الجديدة التي تربطنا"[193].

و كتب السيد محمد الميلي معقبا، أن الذي يهم في تصريح بورقيبة هو تأويل الأوساط الفرنسية، رغم أن التصريح لا يشير إلى تحبيذ تونس لمشروع حلف عسكري في الحوض الغربي للمتوسط يكون مدخلا لحل المشكلة الجزائرية، حيث كتبت وكالة الأنباء الفرنسية معقبة على التصريح قائلة:" إن الرئيس بورقيبة تحصل على موافقة ليبيا و المغرب على مشروع ندوة تضم دول الحوض الغربي من المتوسط"، و تضيف نفس الوكالة:"...هذا المشروع يمكن من تسوية حرب الجزائر، و أن رئيس الدولة الإسبانية يعلق أهمية كبيرة على هذا المشروع"، و هذا لا يعني إلزام الرئيس بورقيبة بالتأويل الفرنسي، و لكن التأويل

---

190 ـ **نفسه**، ص. 39 نقلا عن لوموند الفرنسية 1957/02/8

191 - Paul, BALTA, **Le Grand Maghreb des indépendances à l'an 2000**, Ed., Laphomic, Alger, 1990, p.23-24

192 ـ يبدو أنه الاستجواب الذي أجراه بورقيبة مع مجلة **نيوزويك** الأمريكية بتاريخ 1957/08/07، انظر، شريط، **1957**، ج3، **مصدر سابق**، ص. 135-134

193 ـ الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول، مرجع سابق**، ص. 39 نقلا عن ليكسبريس الفرنسية 1957/06/20

يساعد على فهم التصور الفرنسي و " و الاتجاه الذي تريد أن تدفع إليه باريس كل شقيقات الجزائر الراغبة في استقرار السلم على حدودها"[194].

لقد بقيت مساعي تجسيم المشروع المغاربي في التراجع، و من ذلك فإن البلدين المستقلين بالمغرب العربي شاركا بوفدين مستقلين في احتفالات غانا باستقلالها في مارس 1957 و كان التمثيل لبلدان المغرب العربي مشتركا في مؤتمر باندونغ. لكن الثورة الجزائرية لم تلبث أن نقلت النظامين التونسي و المغربي مرّة أخرى إلى قلب تفاعلات الإقليم المغاربي إثر حادثة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958[195].

كان مشروع وحدة المغرب العربي في الإطار الفرنسي في الواقع تبريرا للبعد الغربي الفرنسي على البعد العربي الإسلامي نتيجة للتسوية التي تمت بها المشكلتين التونسية و المراكشية على حساب الدعم العربي المادي و السياسي و الإعلامي الواسع للثورة الجزائرية، فالثورة كانت تمثل تصور وحدة المغرب العربي المرتبطة بمجالها الحضاري، وبحادثة ساقية سيدي يوسف انهار مشروع " فيدرالية شمال إفريقية الفرنسية" و اصطدم بالواقع.

و فضلا عن " خطي موريس و شال" لعزل الثورة عن قواعدها الخلفية و مجالها الحضاري[196]، تقدم السيد موريس شومان في جانفي 1958 باقتراح يتمثل في " وضع الحدود التونسية الجزائرية تحت رقابة فرق عسكرية تونسية فرنسية مختلطة"، و قد اصطدم هذا الاقتراح بالرفض التونسي القاطع، فقدمت فرنسا اقتراحا آخر يتمثل في جلب فرق من الأمم المتحدة يعهد إليها برقابة الحدود التونسية الجزائرية، فرفض كذلك بورقيبة هذا الاقتراح[197].

---

194 ـ **نفسه**، ص. 39-40

195 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 235-237، نقلا عن جريدة العمل، 4 مارس 1958، و القوسان وردا في نص البلاغ.

196 ـ عن خطي موريس و شال و الأسلاك الشائكة و حقول الألغام لعزل الجزائر. انظر، جمال، قندل، **خطا موريس و شال على الحدود الجزائرية التونسية و المغربية و تأثيراتهما على الثورة**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1999/2000، و وزارة المجاهدين، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، **الأسلاك الشائكة و حقول الألغام**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007

197 ـ الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول، مرجع سابق**، ص. 44

كانت الثورة الجزائرية وقتئذ من جهتها تسعى إلى إقرار فكرة أن " جيش التحرير الوطني جيش نظامي"، يصون أسرى الحرب الفرنسيين، على أمل إجبار فرنسا التعامل معه عن طريق الصليب الأحمر الدولي. فاستغلت جبهة التحرير الوطني وقوع معركة يوم 11 جانفي 1958 داخل الأراضي الجزائرية على بعد 10 كلم من بلدة ساقية سيدي يوسف التونسية، فأسرت فيها أربعة جنود فرنسيين، فاتصل الهلال الأحمر الجزائري بالصليب الأحمر الدولي لطرح مشكل هؤلاء الأسرى و إقامة الدليل على أن جيش التحرير جيش حقيقي منظم يطبق القوانين التي تنص عليها اتفاقيات جنيف حول أسرى الحرب، و قد لبى الصليب الأحمر الدولي دعوة الجبهة، و وجه بعثة برئاسة السيد دوبرو (De Preux) إلى المنطقة التي يوجد بها الأسرى. لهذا انزعجت قيادة الأركان الفرنسية من هذه المسألة التي قد تؤدي إلى نوع من التدويل للحرب الجزائرية، في وقت كان الجناح الاستعماري الفرنسي المتطرف يروج لفكرة " تونس طرف مشارك في النزاع"، و في هذا الإطار تمّ التخطيط والإعداد للعدوان على ساقية سيدي يوسف[198].

و في يوم 8 فيفري فوجئت القرية التونسية الهادئة بهجوم أسراب جوية تعد خمسا وعشرين طائرة حربية، ألقت قنابلها على القرية فدمرتها و قتلت ما يقرب من مائة مدني تونسي، و جرحت أكثر من مائتين من المدنيين. فعمدت الحكومة الفرنسية إلى تبرير العدوان و التغطية على جيشها المعتدي. فما كان من الحكومة التونسية إلى أن رفعت المسألة إلى مجلس الأمن في 12 فيفري، و اتخذت تدابير منها فرض الحصار على (قاعدة) بنزرت وأقيمت الحواجز في وجه القوات الفرنسية الموجودة بتونس لمنعها من حرية التنقل. أما فرنسا فرفعت من جهتها شكوى يوم 15 فيفري إلى مجلس الأمن بدعوى مساعدتها " للمتمردين" في الجزائر.

و مهما كان من أمر، فإن حادثة ساقية سيدي يوسف هي صورة من الصور الناصعة في تلاحم النضال الأخوي بين شعوب منطقة المغرب العربي بعيدة كل البعد عن شعارات القادة و السياسيين الذين أصبح بيدهم سلطة القرار. في خضم هذه الظروف، بداية من سنة

---

198 ـ انظر، الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول**، مرجع سابق، ص. 44-45

1956 و انتهاء بحادثة ساقية سيدي يوسف و ما آلت إليه من نتائج بدأت الدعوة ملحة إلى ضرورة عقد مؤتمر لوحدة المغربي العربي في طنجة.

الفصل الخامس

وحدة المغرب العربي " المجمّدة " من المهدية إلى وادي الذهب

1- مؤتمر طنجة: " أخيراً الولادة بعد المخاض العسير "!

2 - قرارات طنجة " من المهد إلى اللحد "!

أ - لقاء المهدية

ب - تناقضات و اختلافات!

3- " اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب Maghreb " (لدام)

أ - مؤسسات " لدام "

ب - حصيلة لواقع المغرب العربي إلى 1975

1ـ مؤتمر طنجة:"أخيرا الولادة بعد المخاض العسير"!

بعد " تهميش و تصفية المؤمنين بوحدة المغرب العربي في إطاره الحضاري" وسقوط مشروع " شمال إفريقية الفيدرالي المرتبط بفرنسا" في الظاهر، أثر حادثة ساقية سيدي يوسف و تأزم الوضع بين تونس و فرنسا[1]، و تلميح ديغول إلى " فكرة الإدماج والفيدرالية" إلى عشية انعقاد مؤتمر طنجة، و الذي كان دافعه في ذلك هو أن كلا من الرئيس التونسي و ملك المغرب يرغبان في مواصلة التعاون مع فرنسا و شركاتها، و أنهما يرغبان في اتخاذ إجراءات واقية من عدوى "جمهورية جزائرية" من شأنها أن تكون " أكثر تقدما" في الميدان الاجتماعي و العسكري، و لهذه الأسباب كان كل من بورقيبة و محمد الخامس يريدان أن يحيطا إحاطة قوية " بالجمهورية الجزائرية " المقبلة و أن تشترك معهما فرنسا في هذه الإحاطة[2].

غير أن هذا المشروع ذهب مع الريح منذ أن أحرز عبد الناصر على انتصارات ديبلوماسية، و منذ أن قذفت ساقية سيدي يوسف، حيث ظهرت ثورة جديدة في الأفق هي قوة " الجمهورية العربية المتحدة"، فأحس بورقيبة و محمد الخامس بالخوف من ذهاب الجزائريين عنهما و تقربهم إلى القاهرة، و من هنا تولدت فكرة مؤتمر طنجة، و قبول تونس و المغرب لفكرة " الفيدرالية المغربية"، فوجد بورقيبة نفسه مضطرا إلى التوجه أكثر فأكثر إلى " واشنطن" عوض فرنسا، و تمسكت الرباط بمبدأ " عدم التبعية" تحت ضغط الجناح اليساري لحزب الاستقلال و ضغط النقابات[3]، في ظل هذه المعطيات جاءت الدعوة إلى عقد " مؤتمر المغرب العربي"، و لكن في إطار استمرار نفس الفكرة، أي مغرب عربي تحت المظلة الفرنسية مع حضور عسكري فرنسي بالمنطقة.

---

[1] ـ **سابقا الفصل الرابع.**

[2] ـ انظر، شريط، **الثورة الجزائرية، 1958، ج2**، ص. 67، عن صحيفة " **لوبسيرفاتور**" بتاريخ 7 و 8 جوان 1958

[3] ـ **نفسه**، ص. 68

لقد ظلّ الاستعمار الفرنسي يعتبر منطقة المغرب العربي " وحدة متكاملة" يجب أن تبقى تحت هيمنته، ومن هنا تمسك بالقواعد العسكرية في تونس و المغرب. ففي المغرب كان الجيش الفرنسي يعد خمسة و أربعين (45) ألف جندي من المشاة، يضاف إليهم خمسة عشر (15) ألف جندي من سلاح الطيران موزعين على الرباط و مراكش و أنغاد قرب وجدة، زيادة على ثلاثة (3) آلاف من جنود البحرية في الدار البيضاء، مع وجود خمسمائة (500) ضابط فرنسي لتأطير الجيش الملكي. و في تونس يوجد اثنان و عشرون (22) ألف جندي فرنسي يتمركزون في النقاط الإستراتيجية، و في الشمال التونسي كان الجيش الفرنسي يعد سبعة عشر (17) ألف جندي من بينهم عشرة (10) آلاف في قاعدة بنزرت، حيث توجد عدّة بواخر حربية تستعمل في مهام عسكرية باتجاه الشواطئ الجزائرية، و كانت تستعمل قاعدة بنزرت لقصف أقصى الشرق الجزائري، أما في الجنوب التونسي فيعد الجيش الفرنسي خمسة (5) آلاف جندي، يقودهم جنرال من قيادته بمدينة قابس، " فالوحدة العسكرية للمغرب العربي كانت موجودة فعلا... على الصعيد الفرنسي"[4]! في هذه الظروف انعقد مؤتمر طنجة..

أصدر حزب الاستقلال بعد اجتماع لجنته التنفيذية[5] في "منزل علال الفاسي"[6] بطنجة يوم 2 مارس 1958 " بلاغا "، تعرض للحالة في المغرب العربي " إثر حوادث جنوب المغرب"، حيث فشل جيش تحرير المغرب في "استرجاع المناطق الصحراوية"! كما سأتي الحديث عن ذلك لاحقا، و حادثة" ساقية سيدي يوسف" و استمرار " الحرب في الجزائر" و التطورات الدولية، و" الظروف الحاضرة التي تعتبر حاسمة بالنسبة لمصير شمال إفريقيا، و علائقه في المستقبل مع فرنسا و أوربا الغربية" و لهذا ترى اللجنة التنفيذية أن " حلّ القضية الجزائرية هو الشرط الذي بدونه لا يتيسر إقرار تعاون حقيقي، و على قدم المساواة، بين شما إفريقيا من جهة، و بين البلاد الأوربية من جهة أخرى".

---

[4] ـ انظر، الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول، مرجع سابق**، ص. 50-51، يبدو أن الميلي نقلها عن إحصائيات جاءت في مقال " قواعد الاستعمار العسكرية الفرنسية في المغرب العربي يجب أن تزول"، **المجاهد**، عدد 14 جوان 1958، نقلا عن صحيفة ليكونوميست البريطانية.

[5] ـ حضر الاجتماع كل من: علال الفاسي، و أحمد بلافريج، وَ عمر بن عبد الجليل، و محمد اليزيدي، و المهدي بن بركة، و عبد الرحيم بوعبيد، و أبو بكر القادري، و محمد الفاسي. انظر، أبو بكر القادري، **مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، الجزء الثالث، القسم الأول، مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي**، ط. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1421/2000، ص. 16. و المصدر كله خاص بمؤتمر طنجة.

[6] ـ يذكر العريبي أن الاجتماع كان بمنزل علال الفاسي. انظر، العريبي، **مصدر سابق**، ص. 237

" و تؤكد اللجنة التنفيذية ضرورة الشروع منذ الآن، في دراسة الخطط التي تؤدي إلى تعزيز مظاهر التآزر و الاتحاد، و سعيا وراء إنشاء وحدة حقيقية، تلبي المطامح الصادقة لشعوب المغرب العربي الثلاثة".

تعلن اللجنة " احتجاجها" على خلق منطقة تدعى " منطقة الموت" في التراب الجزائري على طول الحدود التونسية، و تندد بالعدوان " المشترك، الذي شنه الاستعماران الفرنسي و الأسباني، اللذان يمعنان في القنبلة و المطاردة و التقتيل لسكان الصحراء... الذين يكافحون في سبيل تحررهم و انضمامهم للوطن المغربي"

إن حزب الاستقلال لن يرضى عن أن تكون البلاد المغربية "قاعدة هجوم للقوات الفرنسية أو الأسبانية" التي تقاتل الشعب الجزائري و " سكان الصحراء المغاربة"، و عليه فإن الحزب يطالب الحكومة " أن تتخذ خطة حازمة واضحة، فيما يتعلق بوجود الجيوش الأجنبية المرابطة بالمغرب"، و ينتهي بلاغ الحزب " الوفي لروح التعاون" بتجديد الثقة في " جلالة... الملك... القائد المتبصر"[7].

و لي أن ألاحظ هنا، أن هذا البلاغ، الصادر عن حزب الاستقلال الذي كان يتقاسم السلطة مع الملك في هذه الفترة، يحمل بعض "الألغاز المبهمة"- إن صح التعبير -، رغم أنه يدعو صراحة إلى السعي لإنشاء " وحدة حقيقية" للمغرب العربي، منها عبارات:"... المناطق الصحراوية التي ما تزال تحت احتلال القوات الاستعمارية" و "... سكان الصحراء المغاربة..."، قد يتساءل المرء هنا بداهة، أي صحراء يقصد البيان؟! و ما هي المناطق التي يعنيها البلاغ و من منهم سكانها ؟!فالصحراء واسعة شاسعة من المحيط إلى البحر الأحمر، و سكانها شعوب و قوميات و قبائل!، ذلك ما سأحاول الإجابة عنه في مناسبة لاحقة.

و الملاحظ كذلك أن البلاغ أشار إلى المغرب العربي بدوله " الثلاثة" (تونس والجزائر و مراكش)، المحتل من طرف فرنسا و إسبانيا فقط، و لم يشر إلى ليبيا، أو موريتانيا التي كان يعتبرها أمرا محسوما منطقة صحراوية مغربية، و كذلك الشأن بالنسبة

---

7 ـ انظر، نص البلاغ كاملا في، القادري، **مذكراتي، مصدر سابق**، ص ص. 16-18

لمنطقة الساقية الحمراء و وادي الذهب، كما أن نفس البلاغ يشير إلى علاقة المغرب العربي في "تعاون حقيقي" في " المستقبل مع فرنسا و أوربا الغربية"، و لم يرد فيه أي تلميح إلى مستقبل العلاقة مع العالم العربي الإسلامي أو حتى المجال الإفريقي!

و بالرغم من أن الدعوة إلى عقد مؤتمر وحدة المغرب العربي، قد فجرت آمالا عريضة لدى قواعد جبهة التحرير الوطني و في المغرب العربي عامة، فإن الظروف العربية في المشرق العربي، و بخاصة لدى " التيار الناصري"، قد تعززت لديها مخاوف من قيام مغرب عربي انفصالي عن المشرق العربي، كون الداعي إلى مؤتمر طنجة ـ علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال ـ الذي له " عقدة " من الحركة الناصرية، حيث كان متصلا بالقاهرة قبل سنة 1952، و كانت له علاقات مع حزب الوفد و حركة الإخوان المسلمين بمصر، و تعمقت عقدته عندما انتقل إلى بيروت و أصبحت له علاقة العراق (الملكي)، فازدادت تحفظات القاهرة من مبادرة حزب الاستقلال، ذلك أن الوحدة المصرية السورية كانت تمارس خطواتها الأولى، و كان الاعتقاد لدى الجماهير العربية، أن تقوم الوحدة العربية " من الخليج إلى المحيط" و أداتها في ذلك " الناصرية"، في وقت كان " العرش المغربي" متخوفا من فكرة الوحدة العربية، ففي وقت من الأوقات تردد في الانضمام إلى الجامعة العربية، على اعتبار أنها أداة في يد عبد الناصر، و هي " مقصلة للملكيات"[8]!.

و مهما كان، فإن " الاتصالات و المحادثات بين الأحزاب الثلاثة" ظلت مستمرة طيلة "شهرين"[9]، و منها فإن اللجنة السياسية لحزب الاستقلال عقدت اجتماعا آخر بتاريخ 12 مارس قررت إيفاد أبي بكر القادري و محمد بناني إلى تونس لعرض اقتراح اللجنة التنفيذية بعقد مؤتمر يضم زيادة على حزب الاستقلال، كلا من الحزب الدستوري التونسي و جبهة التحرير الجزائرية ، و كلف المحجوب بن الصديق و عبد الرحمان اليوسفي بالاتصال بممثلي جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، "لإبراز فكرة المغرب العربي إلى الوجود"[10].

---

8 ـ انظر ، الميلي، **المغرب العربي بين حسابات**، ص ص. 51-52

9 ـ انظر ،معمر، العايب، **مؤتمر طنجة 1958، (دراسة تحليلية تقييمية)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2001/2002، ص. 82، نقلا عن **المجاهد**، عدد 21، 1958/04/01

10 ـ القادري، مذكراتي، **مصدر سابق**، ص.18

و في نفس الإطار أرسل حزب الاستقلال " موفديه" إلى تونس، اللّذان مرا "بباريس" ثم جنيف للاتصال بالمحجوب بن الصديق، و كلف هذا الأخير بالاتصال بعبد الرحمان اليوسفي، الذي كان إذ ذاك بالقاهرة ليتصل مع جبهة التحرير الجزائرية، ثم حلّ الموفدان بتونس يوم الأربعاء 19 مارس، حيث جرت محادثات مع مسؤولي الدستور الجديد، توجت ببلاغ مشترك جاء فيه:" إن ممثلي حزب الاستقلال و الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري، الذين اجتمعوا بتونس يوم الأربعاء 19 إلى يوم السبت 22 مارس " للنظر في إبراز وحدة المغرب العربي الكبير من طور الفكرة النظرية إلى الطور الواقعي التطبيقي، قد سجلوا وحدة نظرهم إلى المشاكل القائمة بالشمال الإفريقي، و على رأسها ضرورة استقلال الجزائر، اتفقوا على عقد مؤتمر بمدينة طنجة يوم الأحد 27 أبريل القادم، يضم حزب الاستقلال، و جبهة التحرير الجزائرية، و الحزب الحر الدستوري، لوضع أسس تلك الوحدة، و طرق تحقيقها في أقرب الآجال."[11]

و حول هذا الاتصال، لاحظ الوفد المغربي من خلال " تقرير" مهمته أن فكرة الوحدة وجدت صدى عميقا في نفوس المسؤولين بتونس، و استنتج من " مختلف المذاكرات والمناقشات" مع التونسيين " أن تطبيق الوحدة في القضايا الداخلية، من تعليم و إدارة وقضاء و ما إلى ذلك، أمر مرغوب فيه و مؤكد و ممكن التعجيل به"، أما الإقدام على موضوع "الوحدة في الميدان الاقتصادي، ينبغي أن يسبق بدراسة وافية و عميقة".

و يضيف نفس التقرير أن بعض الاجتماعات حضرها بورقيبة، و أن نظرة البلدين كانت مختلفة ظاهريا بعض الاختلاف، و بخاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، فوضع المغرب حسب تبرير المراكشيين يختلف عن الوضع في تونس، فوجود جيوش أجنبية متعددة، فرنسية و إسبانية و أمريكية، " يفرض السياسة التي نهجها المغرب في عدم التبعية"، في حين برّر التونسيون أن بلادهم تسلك " سياسة التودد لأمريكا" و أن ذلك مجرد " تاكتيك" للضغط على فرنسا لإجلاء جيوشها، و أن ذلك ليس من قبيل التبعية، و إنما هو انتماء لصداقة لا يمكن أن تصل إلى حلف من الأحلاف. و كيفما كان الأمر، فلقد كان الاتفاق

---

[11] ـ انظر نص البلاغ في: القادري، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص.22، و، العربي، **مصدر سابق**، ص.239

بين الطرفين التونسي و المغربي على عدم الدخول في أي حلف مع الغرب، و أشار التقرير إلى المواضيع الآتية:-

1- تحرير الجزائر.

2 - جلاء الجيوش الأجنبية عن بلدان المغرب العربي

3- تحرير الصحراء، كذا مبهمة، و أي صحراء؟

4- الوحدة الاقتصادية و الجمركية

5- تنسيق السياسة الخارجية

6- تكوين لجنة تنسيق، لتتبع الخطوات التي تسلكها الحكومتان المغربية والتونسية[12].

و رغم أن التقرير المغربي لا يشير إلى الاتصال بالجانب الجزائري، فيبدو، أن مشاركة الجزائريين في المؤتمر قد اتخذت بعد مشاورات، فقد ذكر السيد عبد الحميد مهري، عضو لجنة التنسيق و التنفيذ، أن مشاركة الجزائر في مؤتمر طنجة أنطلق من مؤتمر الصومام الذي دعا إلى إقامة علاقات مع حكومات المغرب العربي وفق متطلبات حرب التحرير الجزائرية و تطوراتها[13]، وهناك من عارض حضور مؤتمر طنجة، حتى لا تكون جبهة التحرير قد أعطت تزكيتها لخط انفصالي، و كان من يرى ضرورة الحضور، نظرا لأهمية تونس و المغرب بالنسبة لجبهة التحرير، و استغلال الحضور لتوجيه المؤتمر لصالح الكفاح المسلح بالجزائر[14]. كما تمت على ما يظهر، استشارة " القادة المساجين" في فرنسا، إذ أبدى بن بلّة في رسالة له بتاريخ 26 أبريل 1956 تأسفه لكون المؤتمر سيعقد على " مستوى الأحزاب و ليس على المستوى الحكومي"، و أضاف أن الشعب الجزائري يبحث عن الدعم و المساندة، و أن تونس و المغرب تخلتا عن تعهداتهما العسكرية، بتوقف الكفاح المشترك في المغرب العربي، الذي عجل باستقلالهما، و عليه فإنه يأمل منهما " سياسة أكثر فعالية لصالح القضية الجزائرية"، مقدما في رسالته توصيات أساسية إلى المؤتمر، هي:

- عقد ندوات ثلاثية على مستوى حكومي في أقرب الآجال

- دعوة جبهة التحرير الوطني إلى تشكيل حكومة أو سلطة شرعية

---

12 - انظر عن تقرير مبعوثي حزب الاستقلال إلى تونس، القادري، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص ص. 24-33

13- انظر، العايب، **مصدر سابق**، ص. 79، نقلا عن مجلة **الحوار**، عدد 1988/05/12

14 - الميلي، المغرب العربي، **مصدر سابق**، ص. 53

- و إنشاء لجنة تنسيق[15](بين أقطار المغرب العربي).

و قد بقيت الاتصالات مستمرة بين مسؤولي الأحزاب الثلاثة، إلى أن وصل إلى المغرب السيد الباهي الأدغم و السيد فرحات عباس و بدأت اللجنة التحضيرية لمؤتمر طنجة أعمالها بالرباط يوم 25 أبريل 1958[16].

كانت وفود الأحزاب الثلاثة: حزب جبهة التحرير الوطني، و الحزب الحر الدستوري، و حزب الاستقلال، مع حلول يوم 27 أفريل 1958 بمدينة طنجة[17] في قصر مرشان الملكي، حيث انطلقت جلسات المؤتمر و استمرت طيلة أربعة أيام، انعقدت الجلسة الافتتاحية العامة للمؤتمر بحضور أزيد من 150 صحفيا من جنسيات و أقطار مختلفة[18] برئاسة علال الفاسي، حيث توالى على المنصة رؤساء الوفود، فألقى كلمة الافتتاح أحمد بلافريج - و ليس علال الفاسي - الأمين العام لحزب الاستقلال، الذي " حدد فيها الأهداف المتوخاة من وحدة المغرب العربي"، التي تعتبر " حقيقة تاريخية"، و تلاه عبد الحميد مهري، الذي ألقى كلمة الجزائر بالنيابة عن رئيس الوفد السيد فرحات عباس، الذي اعتبر المؤتمر " تاريخيا" نظرا لكفاح شعوب المغرب العربي عشرات السنين من أجل تحريره ووحدته، و أكد على أن " وحدة المغرب العربي ضرورة ملحة، لاستخلاص الجزائر من الاستعمار... لتحقيق حريتها و استقلالها"، و جاءت الكلمة الثالثة لرئيس الوفد التونسي الباهي الأدغم، الذي قال بأن المؤتمر هو " نقطة انطلاق و تحول في التاريخ الحاضر... بانسجامه الوثيق مع الواقع السياسي"[19]، و ما يمكن ملاحظته أن خطب الافتتاح التقت كلها على محور " استقلال الجزائر"[20].

---

15 - HARBI, **Les archives**, **op. ct**., Doc. N° 40(inédit) lettre adressée à Krim, Bentobbal et Boussouf , pp.183-188

16 - القادري، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص. 28

17 - و هي مكونة من الشخصيات الآتية: من المغرب: علال الفاسي، أحمد بلافريج، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، أبو بكرر القادري، محمد البصري، و المحجوب بن الصديق، و من تونس: الباهي الأدغم، الطيب المهيري، عبيد الله فرحات، أحمد التليلي، و عبد المجيد شاكر، و من الجزائر: عبد الحفيظ بوصوف، عبد الحميد مهري، أحمد فرنسيس، أحمد بومنجل و الشيخ خير الدين. انظر، القادري، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص. 35، لا يذكر القادري في الوفد الجزائري مولود قايد و جزائريين آخرين هم: الدكتور إدريس، و عبد الجليل، و حسين، أما في الوفد التونسي، فإنه لا يذكر علي البلهوان، و كذلك الطاهر بلخوجة، أمين عام اتحاد الطلبة التونسي،أما في الوفد المراكشي، فإنه لا يذكر السيد حرمة ولد بابانا، و هو وزير موريتاني لاجئ بالمغرب. انظر، العايب، **مصدر سابق**؛ ص. 83، و ملحقه رقم 3، ص ص. 140-165

18 - القادري، **مذكراتي**، **مصدر سابق**، ص. 35-36

19 - **نفسه**، ص.35-36

20 - العايب، **مصدر سابق**، ص.84

و بانتهاء كلمات الافتتاح، حدّد رئيس المؤتمر جدول الأعمال التالي:-

1- حرب استقلال الجزائر

- انعكاسات الحرب على مستوى المغرب العربي
- تدخل الغرب و تواطؤه مع فرنسا
- الوسائل العملية للتعجيل باستقلال الجزائر
- الإجراءات التطبيقية المترتبة على هذه الوسائل

2- تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية في أقطار المغرب العربي

- المناطق التي ما تزال تحت الإشراف الفرنسي في المغرب
- انسحاب القوات الأجنبية
- الوجود الفرنسي في الإدارة و الاقتصاد
- المشاكل الحدودية

3- وحدة المغرب العربي

- ضرورتها
- أشكالها
- محتواها
- المرحلة الانتقالية

4- الهيئة الدائمة لتنفيذ قرارات المؤتمر[21].

عالج المؤتمر جدول الأعمال في جلسات مغلقة، و منذ البداية طرحت مسألة مدى التزام الوفود الثلاثة بتنفيذ القرارات، و قد التزمت جبهة التحرير الوطني و بدون تردد، أما بالنسبة للوفدين المغربي و التونسي، و رغم أنهما في السلطة في قطريهما فإنهما ترددا في اتخاذ قرار الالتزام، مبررين ذلك في أن التمثيل " الرسمي" لحكومتيهما غير موجود في المؤتمر، و اكتفيا بسعيهما لدى حكومتيهما لتنفيذ قرارات المؤتمر، و مع حدّة مناقشة المسألة اهتدى الوفدان إلى التعهد بتنفيذ قرارات المؤتمر على مستوى قنوات حزبيهما أو قنوات

21 - انظر، العايب، **مصدر سابق**، ص. 86-87

حكومتيهما[22]. و كيفما كان الحال، فإن المؤتمر اصدر قراراته بشأن جدول أعماله نلخصها فيما يلي:-

1- قرار حول حرب التحرير الجزائرية:

و عالج القرار طبيعة الحرب في الجزائر و تطوراتها و آثارها على الوضعية في المغرب العربي و في العالم، و أشار نفس القرار إلى المجهودات التي بذلتها تونس والمغرب الأقصى لإيجاد حلّ سلمي بين جبهة التحرير الوطني و فرنسا، و من النقاط التي عالجها نفس النص كذلك، سياسة العنف و الاستفزاز الفرنسية تجاه تونس و المغرب نتيجة تضامنهما مع الثورة الجزائرية. و تفرع القرار إلى ثلاث قرارات صيغت في الفقرة الثانية، و هي:-

1- تقرر أن تقدم الأحزاب السياسية في المغرب و تونس للشعب الجزائري المكافح من أجل استقلاله كامل المساندة من طرف شعبيهما و تأييد حكومتيهما.

2- التأكيد على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي و الوحيد للشعب الجزائري.

3- توصية بإنشاء حكومة جزائرية مؤقتة بعد استشارة تونس و المغرب الأقصى.

2- قرار حول تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية في المغرب العربي

و صيغ القرار في فقرتين، ففي الأولى تمّ التذكير بوضعية المغرب و تونس من جراء القيود العسكرية و الاقتصادية المفروضة عليهما من طرف فرنسا، و عليه احتوت على قرارين فرعيين:

1- استنكار استمرار وجود القواعد الأجنبية في تونس و المغرب الأقصى

2- المطالبة بإلحاح أن تكفّ فرنسا من استعمال قواتها العسكرية المتواجدة في القطرين تونس و المغرب كقواعد للعدوان ضد الشعب الجزائري. و احتوت الفقرة الثانية كذلك على قرارين فرعيين:

[22] - انظر، العايب، **مصدر سابق**، ص. 87-88

1- توصية للحكومات و الأحزاب السياسية لتنسيق الجهود من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية جميع بقايا السيطرة الاستعمارية

2- تأكيد كفاح موريتانيا في مقاومتها التحررية و العمل على ضرورة التحاقهم بالوطن المغربي و يدخل ذلك في نطاق الوحدة[23] التاريخية و الحضارية.

3- قرار حول توحيد المغرب العربي

صيغ القرار في فقرة واحدة، إذ بعد التذكير بأهمية المؤتمر لدى أهالي المغرب العربي، قرر أن يعمل لتحقيق هذه الوحدة، معتبرا أن الاتحاد الفيدرالي هو أكثر ملاءمة مع واقع البلدان المشاركة في هذا المؤتمر، و عليه فإنه يقترح:

أ- أن يشكل في المرحلة الانتقالية " مجلس استشاري للمغرب العربي" منبثق عن المجالس الوطنية المحلية في تونس و المغرب الأقصى و عن المجلس الوطني للثورة الجزائرية، و مهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة و تقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية

ب - يوصي المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية كلما اقتضت الظروف لذلك بين مسؤولي الأقطار الثلاثة المحليين من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربي

ج - يوصي المؤتمر حكومات أقطار المغرب العربي بأن لا تربط منفردة مصير شمال إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية و الدفاع إلى أن تتم إقامة المؤسسات الفيدرالية

د - يقرر المؤتمر تأسيس أمانة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته، و تتألف هذه الأمانة من ستة أعضاء مندوبين عن كل حركة ممثلة في المؤتمر، و تنقسم الأمانة إلى مكتبين أحدهما بالرباط و الثاني بتونس. تجتمع الأمانة دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب، و يعقد أول اجتماع خلال شهر ماي. و أصدر المؤتمر إضافة إلى القرارات، تصريحا مشتركا حول الإعانة التي تمد بها بعض الدول الغربية فرنسا لمجابهة جيش التحرير الوطني، مذكرين هذه

---

[23] - أورد القادري، **مصدر سابق**، ص. 50 حول القرار المتعلق بموريتانيا (... و إلحاقهم بالوطن المغربي، يدخل في نطاق وحدة المغرب التاريخية و الحضارية..."، و عن قرارات المؤتمر، انظر، **نفس المصدر**، ص ص. 38-50. أما العريبي، **مصدر سابق**، 260، فذكر،(...و إلحاقهم بالوطن المغاربي (La nation Maghrébine) (كذا) في نطاق وحدة المغرب (Maghreb)(كذا).."

الدول أن شعب المغرب العربي قد سبق له و ساهم في انتصار هذه الدول على الناوية في الحرب العالمية الثانية[24].

و بانتهاء أشغال المؤتمر، تقرر رفع عدّة برقيات شكر و اطلاع إلى الملك محمد الخامس، و الرئيس بورقيبة، و ملك ليبيا، و إلى السيد أحمد بن بلّة، و ملك العربية السعودية، و رئيس الجمهورية المتحدة، و رئيس جمهورية السودان، و ملك اليمن، و الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، و كون وفد لتقديم توصيات المؤتمر إلى ملك المغرب و الرئيس التونسي[25].

2ـ قرارات طنجة:" من المهد إلى اللحد"

انعقد مؤتمر طنجة في الظاهر ـ على الأقل ـ لتكريس وحدة المغرب العربي، و لكن المتمعن في أصول انعقاده و نصوصه و خلفياته، قد يجد عكس ذلك، فقد جاء متأثرا إلى حد بعيد بالكفاح التحرري الجزائري في عامه الرابع نتيجة تأييد شعوب المنطقة لهذا الكفاح و صيانته من عدوان القوات الأجنبية[26] التي لا تزال معسكرة بالمغرب و تونس، ومن سلبيات المواثيق التي قد تبرم مع الدول الأجنبية هو محور العناية لوفود طنجة، و " ما كان مشروع الوحدة المغربية (المغرب العربي) إلا قضية ملحقة بجدول الأعمال و لم تفز إلا بنصيب قليل من العناية، و مع ذلك فإن توصيات الندوة الرامية إلى إقامة نظام فيدرالي مغاربي و إلى إنشاء جهاز نيابي و هيئة تنفيذية وقتية، قد احتلت مكان الصدارة في اهتمام الرأي العام في بلاد المغرب (العربي) و لدى وسائل الإعلام الأجنبية"[27]، و من ثمّة جاء مؤتمر طنجة، على ما يظهر لنا عن شعور أو لا شعور، " لاحتواء النخب القيادية " للعاطفة

---

24 ـ انظر عن قرارات المؤتمر بتفصيل أكثر، العايب، **مصدر سابق**، ص ص. 87-100، و قد اعتمد على محضر جلسات مؤتمر طنجة، و هي وثيقة باللغة الفرنسية تحصل عليها من السيد مولود قايد، و هو أحد الحاضرين في أشغال مؤتمر طنجة.

25 ـ انظر، نصوص البرقيات في: القادري، **مصدر سابق**، ص ص. 50-57، و نلاحظ أن المؤتمرين لم يقدموا برقية إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية..

26 ـ إلى جانب القوات الفرنسية و الاسبانية، كان الأمريكيون يحافظون بالمغرب الأقصى على قواعدهم الجوية التي تحصلوا عليها من فرنسا خلال 1950-1952، و هي خمسة مطارات عسكرية في مناطق ابن جرير، و ابن سليمان، و القنيطرة، و سيدي سليمان، و النواصر. انظر، الورديغي، **الخفايا السرية**، ص.157

27 ـ مصطفى، الفيلالي، **المغرب العربي الكبير، نداء المستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص.23

الوحدوية العامة الوجدانية الحضارية لأهالي المغرب العربي المتكونة عبر التاريخ و خلال الفترة الاستعمارية و إبان زحف و تنامي الحركات الوطنية في المنطقة إلى سنة 1958.

مثل المؤتمر محاولة للالتفاف على التيار الوحدوي، و جاء ليكرس بتوقيته و محتواه "الديناميكية" الخلافية التي كانت تشق النظام العربي في إطار سياسة المحاور المتناحرة، وكان بمثابة إعلان وحدة جديدة بعد قيام دولة الوحدة المصرية السورية في أول فيفري 1958 كما سبق و أشرت، و قيام الاتحاد الهاشمي بين العراق و الأردن في 14 فيفري، ثم فيدرالية الدول العربية المتحدة بعد انضمام اليمن إلى دولة الوحدة المصرية السورية في 8 مارس من نفس السنة. لقد "بدا قيام هذه التجمعات الإقليمية أو الوحدات خطوات أولى على درب الوحدة الشاملة. بيد أن ذلك لم يكن يمثل سوى الانطباع السطحي المباشر الذي أوحت به و كرسته الدعاية الرسمية لأطراف هذه الوحدات، ذلك أنّها لم تكن وليدة ديناميكية وحدوية و إنّما كانت وليدة ديناميكية تحالفية أي ديناميكية تناحرية بالتعريف"[28].

و مؤتمر طنجة الذي عقدته الأحزاب المغاربية كان يتمتع إلى حد ما، على ما يبدو، بقوة المؤتمر الحكومي، فقد كانت الأحزاب المشاركة فيه هي التي تسيطر على دواليب الحكم في أقطارها أو تقود حركاتها التحررية و حظيت وفودها باستقبالات رسمية و أُشيد كثيرا بقرارات المؤتمر في الظاهر، لكنّه كان على ما يبدو رد فعل على تنامي الدور المصري ولاسيما مع تزايد تأثيره على جبهة التحرير الوطني، و ثبت أن نظامي تونس و المغرب كانا ينطلقان من حسابات قطرية بالأساس لحماية استقلال قطريهما اللذين حصلا عليهما بالتعاون مع الدولة الاستعمارية في نطاق ما عرف " بسياسة التكافل"[29].

و أكد المؤتمر على اعتماد " قوة تضامن المصالح" قاعدة للتوحيد، ذلك أن اعتماده هذه القاعدة كان أمرا خطيرا في حد ذاته، إذ لم تكن الجزائر قد استقلت بعد، إضافة إلى غياب تصور واضح للوحدة لدى صناع القرار السياسي المغاربي، فقد أراد المؤتمرون

---

28 ـ راجع بهذا الصدد مفاهيم " الوحدة و الاتحاد" و " التكامل" و " التجزئة" في العالم العربي" في **الوحدة**، عدد 65، سنة 6، فيفري 1990

29 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 252، نقلا عن امحمد مالكي،" مشروع المغرب العربي الكبير: مقاربة لبعض عناصر الخطاب"، شؤون عربية، عدد 49، تونس، مارس 1987، ص.28

تأجيل إقامة هذه الوحدة رغم مرونة الشكل الذي أقرّوه إلى ما بعد استقلال الجزائر[30] و رغم البرلمان (المجلس) الشكلي الرمزي الذي أقرّوه، فالوحدة كانت إلى أجل غير مسمى!.

و فشل المؤتمر في أن يكون مرجعا للقرار السياسي للقيادات المغاربية، بما فيها القيادة الجزائرية، و من ثمّة فإن أوراقه طويت و انتابها النسيان و غشيها الغبار بل " دفنت" و بقيت للذكرى و الشعارات بعد لقاء المهدية بتونس.

أ ـ لقاء المهدية

في ظل المعطيات السابقة، انعقدت ندوة المهدية بتونس أيام 17، 18، 19 و 20 جوان 1958، لتنفيذ قرارات مؤتمر طنجة، و كانت جلساتها برئاسة السيد فرحات عباس[31]، و بعد أن تمت الموافقة من الحاضرين، على أن تكون جلسات الأعمال سريّة وأن لا تصاغ و تكتب بعض الملاحظات و القرارات في محاضر الجلسات، بدأت الأشغال بجدول أعمال الندوة الآتي:

1ـ تنفيذ قرارات طنجة

أ ـ مساعدة الجزائر

ب ـ جلاء قوات الاحتلال

ج ـ الموقف المشترك في الأمم المتحدة

2ـ دراسة إقامة الهياكل المقترحة في مؤتمر طنجة

أ ـ الأمانة الدائمة

ب ـ المجلس الاستشاري

---

[30] ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 262-264

[31] ـ يبدو أن ندوة المهدية بدأت يوم 16 جوان و استمرت إلى يوم 20 منه، فمحمد حربي الذي نشر محاضر جلسات الندوة في كتابه: **Les archives, op. cit.** pp. 414-426، عنون المحاضر بأيام:17، 18، 19 و 20، و نقرأ في المحاضر في افتتاح الندوة يوم 16 جوان 1958، على الساعة 20 و 15 د، و الحاضرون هم: عن تونس: الباهي الأدغم، نائب رئس المجلس، و الصادق المقدم، كاتب الدولة للشؤون الخارجية، و الطيب المهيري، كاتب الدولة للداخلية، أحمد التليلي و عبد المجيد شاكر، عضوا المكتب السياسي بالدستور الجديد. و عن مراكش: أحمد بلافريج، رئيس المجلس، و عبد الرحيم بوعبيد، نائب رئيس المجلس. و عن الجزائر: فرحات عباس، و كريم بلقاسم، و عبد الحفيظ بوصوف، أعضاء لجنة التنسيق و التنفيذ، و الرائد قاسي، قائد قاعدة جبهة التحرير الوطني بتونس، و أحمد فرنسيس، و أحمد بومنجل، و آيت احسن، أعضاء بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، و الرشيد قايد، الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين.

و نقتصر هنا على إعطاء ملخص قصير، بناء على محاضر الجلسات، إذ لا ندري الآن، أن لندوة المهدية " قرارات للتنفيذ"، فقد كان لقاء على ما يبدو، لتبادل وجهات النظر في قرارات مؤتمر طنجة. فبخصوص مساعدة الجزائر في ثورتها ضد فرنسا، تهرب الوفدان التونسي و المراكشي، مرجعين ذلك لمحدودية إمكانات البلدين، ثم أن الجزائر في ثورة و من الصعوبة حصر احتياجاتها في الميادين العسكرية و الاجتماعية. و عن قضية الجلاء الأجنبي، ذكر الوفد التونسي أن فرنسا قبلت إجلاء جيوشها وفق مراحل محددة، مع احتفاظها بقاعدة بنزرت في إطار اتفاقية، و رفض الوفد التونسي توضيح نقاطها. و تردد الوفدان التونسي و المراكشي حول تنفيذ القرارات في قضية الجلاء مبررين ذلك بعدة أسباب، كما رفض الوفدان استصدار بيان مشترك مع وفد الجزائر يدين سياسة " الإدماج" التي أتى بها ديغول لتنفيذها في الجزائر تاركين هذا المجال للدبلوماسية، و محاولين تليين موقف جبهة التحرير الوطني لقبولها باستقلال ترسمه المخابر الفرنسية، و حاول الوفدان التدخل في شأن " إنشاء حكومة جزائرية" بناء على مصطلح " الاستشارة" في إنشائها الوارد في قرارات مؤتمر طنجة[32].

و يلاحظ السيد الميلي فيما معناه: ـ ربما، بناء على نفس المصدر ـ رغم أن صحافة المغرب العربي في ذلك العهد تحدثت بصيغة أن مؤتمر تونس هو استمرار لخط طنجة، والحقيقة كانت غير ذلك، فالألغام قد انفجرت من خلال تأويل مقررات طنجة، فقد أظهر البلدان (تونس و المغرب) أمرين: أولهما التهرب من اتخاذ موقف واضح بشأن المساعدة والالتزام برقم معين لدعم المجهود الحربي، و الثاني هو محاولة جر النقاش إلى المساعدة الإنسانية التي ينبغي أن تبذل للاجئين الجزائريين، و حتى فيما يتعلق بسياسة الجنرال ديغول، الذي كان قد اتصل بالملك المغربي و أجرى بعض الجلاء للقوات الفرنسية بالمغرب، و ذلك عبارة عن تظاهرة ترضي الشعور الوطني في مراكش[33]، و خضعت كذلك فرنسا لتمضي اتفاقا مع السلطات التونسية في نفس اليوم الذي كانت تنعقد فيه ندوة المهدية (17 جوان 1958) على الانسحاب مرحليا من كامل التراب التونسي، ما عدا بنزرت التي ينظر في

---

32 - HARBI, **Les archives, op. cit**. pp. 414-426

33 ـ انظر، محمد، الميلي، (مذكرات) " مقررات مؤتمر طنجة تدفن في تونس ـ الحلقة 172 "، **الشروق اليومي**، عدد 26 محرم 1427/ 2006/02/25، تتبعنا حلقات مذكرات الميلي من خلال نفس الجريدة، و هي بخصوص المغرب العربي نفس ما نشره في كتابه: **المغرب العربي، مصدر سابق**، مع بعض الإضافات الطفيفة،

وضعها بعد إتمام الانسحاب[34] لكن دون أن يتخلى نفس الجيش عن أهدافه في ضد جيش التحرير الجزائري. كما حاول الوفدان التونسي و المغربي التهرب من تأكيد استقلال الجزائر بعنوان ضرورة " النظر إلى البعيد" بفكرة " ترك هامش للمناورة للجنرال ديغول"، وارتفعت بعض الأصوات خلال اللقاء بأن يسكت البيان النهائي[35] عن ذكر موقف جبهة التحرير الوطني و الاكتفاء بذكر موقفي تونس و المغرب، ذلك أن المؤتمر كان مؤتمرا حكوميا، في وقت لم تكن الحكومة الجزائرية قد شكلت، في حين كان مؤتمر طنجة مؤتمرا حزبيا[36].

أما مسألة " وحدة المغرب العربي"، فإنها لم تحظ على ما يبدو بالاهتمام و المناقشة الكافية، و اكتفى الحاضرون بتعيين أعضاء الأمانة الدائمة، فاقترح التونسيون السيدين أحمد التليلي، و عبد المجيد شاكر[37]، أما الجزائريون فاقترحوا السيدين أحمد فرانسيس، و أحمد بومنجل[38]، و عين على ما يبدو فيما بعد حزب الاستقلال عضويه، و هما محمد بوستة، وعبد الحفيظ القادري[39]، على أن يُعقد أول اجتماع للأمانة في تونس، كما حددوا أعضاء المجلس الاستشاري بعشرة أعضاء لكل قطر، أي ثلاثين عضوا. و تنقسم الأمانة العامة إلى قسمين، أحدهما في مدينة الرباط و به مراكشيان و جزائري، و الآخر في مدينة تونس و فيه تونسيان و جزائري، و يمكن للأمانة العامة أن تجتمع بكل أعضائها بالتناوب، مرة في الرباط و أخرى بتونس، و قد اجتمعت الأمانة العامة مرتين، في تونس في 30 أوت إلى الفاتح من سبتمبر 1958، و في الرباط في 15 إلى 17 أكتوبر 1958. أما المجلس الاستشاري فإنه لم ير النور أبدا[40].

---

34 ـ ينص الاتفاق على انسحاب القوات الفرنسية عدا قاعدة بنزرت التي ينظر في وضعها، و حدد 1 أكتوبر 1958 آخر أجل لانجاز هذه العملية التي تمت تباعا، عن رمادة في 3 جويلية 1958، عن قفصة في 21 جويلية، عن قابس في 20 أوت، و عن صفاقص في 14 سبتمبر، و تليها بقية المواقع و الثكنات العسكرية في شمال تونس، ما عدا بنزرت التي كان إخلاؤها أعسر. و كانت القوات الفرنسية بمختلف وحداتها في حجم 56 ألف جندي منتشرين في ثكنات و قواعد عسكرية في ربوع تونس. انظر، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق**، ص. 176-177

35 ـ انظر نص البيان المشترك، في القادري، **مصدر سابق**، ص. 102-103

36 ـ الميلي، **الشروق اليومي**، عدد 2006/02/25، **مرجع سابق**

37 ـ يذكر القادري، **مصدر سابق**، ص. 64، و ص.66، بالنسبة للعضو التونسي الثاني إلى جانب أحمد التليلي، السيد الفرجاني بن عمار

38 ـ يبدو لنا أن محاضر الجلسات التي نشرها محمد حربي ناقصة. **Les archives, op. cit**. pp. 414-426

39 ـ القادري، **مصدر سابق**، ص. 64

40 ـ انظر، سليمان، الشيخ، **الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المسلحة**، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص. 501

و إذا كنت الآن لا أمتلك معلومات عن اجتماع الأمانة بتونس، فإن اجتماع المغرب عقد بمقر حزب الاستقلال بالرباط، " للشروع عمليا في تطبيق مقررات مؤتمر طنجة و ندوة تونس"، و التي منها: العمل الموحد لاستقلال الجزائر، و تنصيب " الجمعية الاستشارية (المجلس) لأقطار المغرب العربي" و مضاعفة التعاون بين شعوبه، و تطورات القضية الجزائرية بعد إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، غداة الاستفتاء الفرنسي و قبيل الانتخابات بالجزائر. و يبدو أن النقطة الأخيرة طغت على اللقاء، حيث اغتنمت الأمانة (الكتابة) العامة الفرصة لتحيي تكوين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[41] المعلن عنها يوم 19 سبتمبر 1958، و تشكر جميع الدول التي اعترفت بها، و توجه نداء إلى " جميع الشعوب المحبة للحرية و العدالة، و المحترمة لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة أن تعترف بها، على " أساس إرجاع السلام في هذه المنطقة من الأرض"،أما عن الانتخابات التي قررت فرنسا إجراءها فإن الأمانة اعتبرتها نوع من المناورة لتضليل الرأي العام العالمي، و محاولة أخيرة لسياسة تحقيق الإدماج محكوم عليها بالفشل، و بعد دراسة الظروف التي جرى فيها الاستفتاء بالجزائر، شهرت الأمانة " بالتدخلات المقصودة، لتزوير نتائج الاستفتاء الذي فرض على الشعب الجزائري[42].

و كيفما كان الحال، فقد انعقدت الندوة في ظرف كان قد وصل فيه ديغول إلى الحكم بفرنسا في 13 ماي 1958،(الجمهورية الخامسة)، و قد أتي بسياسة " الإدماج" الكلي للجزائر، التي كانت تمثل نوعا من الهروب إلى الوراء، و بخاصة في سنتي 1958-1959[43]، و استهوت سياسته و إستراتيجيته الغرب و الحلف الأطلسي و التي منها محاولته إجهاض الثورة الجزائرية و صرفها عن اتجاهها الصحيح، باستعمال كل وسائل الضغط العسكري و السياسي و الاقتصادي، و الإفريقي عن طريق الجوار، حتى تتحول

---

[41] ـ يذكر مصدر أن فكرة " الحكومة الوطنية" الجزائرية، جاءت بعد مؤتمر بريوني (1956/07/19)، الذي أقر حق الجزائريين في الحرية و الاستقلال، عن صحيفة **التحرير** المصرية، بتاريخ 1956/08/03، انظر، شريط، **الثورة الجزائرية، 1956، ج2، مصدر سابق**، ص. 29، أما عن محمد البجاوي، LEBJAOUI, **op. cit.** pp. 77-78، بناء على تقرير للجنة التنسيق و التنفيذ، فيذكر، أن المجلس الوطني للثورة الجزائرية كلف لجنة التنسيق و التنفيذ منذ شهر أوت 1957 بإنشاء حكومة مؤقتة، و عندما عقد مؤتمر طنجة على مستوى الأحزاب أوصى بتكوين حكومة جزائرية بعد المشاورات الضرورية، و يوم 9 سبتمبر تقرر من طرف لجنة التنسيق و التنفيذ بالإجماع إنشاء حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.

[42] ـ القادري، **مصدر سابق**، ص.64-65

[43] ـ الميلي، **المغرب العربي بين حسابات، مصدر سابق**، ص. 57

الجزائر إلى قوة سياسية مهادنة للاستعمار متواطئة معه، و منها محاولته في اقتطاع صحراء الجزائر و إعلانها أرضا فرنسية[44].

لقد وضع الاستعمار الفرنسي غداة الحرب العالمية الثانية برنامجا لإقامة قواعد عسكرية اقتصادية في إفريقيا تحمي ظهر أوربا الغربية من ناحية الجنوب، تعتبره مكانا مضمونا لتهريب مصانعها الحربية و إمكانياتها العسكرية إليه، و تتخذه قاعدة هجوم على المعسكر الشيوعي إن دعت الضرورة، أطلق على هذه المراكز اسم (Z.O.I.A.) أي" مناطق التنظيم الصناعي الإفريقي" و اختيرت لها المناطق التالية: 1- منطقة كولومب بشار (ولاية بشار الحالية)، 2- منطقة الكويف و جبل العنق، 3- غينيا، 4- مدغشقر، و أخفت فرنسا هدفها الحقيقي من وراء هذه القواعد بتطوير الصناعات في البلدان الإفريقية في المنطق الأربع. و في هذا الإطار، أسست فرنسا في بشار منذ 24 أبريل 1947 " المركز العسكري للتجارب الصاروخية"[45]، و هو مركز كان يخضع "البوليس"(شرطة) خاص هو "بوليس ميدان التجارب"[46].

و صادق البرلمان الفرنسي منتهجا نفس السياسة، بتاريخ 10 جانفي 1957 على تكوين" المنظمة المشتركة للنواحي الصحراوية"(O.C.R.S)، التي نصَّ قانونها الخاص على أن الغرض منها هو" استثمار الصحراء و التوسع الاقتصادي و رفع المستوى الاجتماعي للمناطق الصحراوية المتاخمة للجزائر و التابعة للجمهورية الفرنسية"، و تشترك في تسييرها إداريا كل من الجزائر و موريتانيا و السودان الغربي (مالي الحالي) و النيجر و التشاد، تحت الإشراف المباشر لباريس، مادامت هذه البلدان خاضعة لفرنسا[47].

---

44 - انظر عن استراتيجية ديغول، الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول**، مصدر سابق، ص ص.59-69

45 - أنشأت فرنسا محافظة الطاقة الذرية في سنة 1945، و اختير موقع رقان (بشار) في سنة 1957 لاجراء التجارب النووية الفرنسية، و أجرت فرنسا عدّة تجارب نووية في رقان و مناطق أخرى من الصحراء الجزائرية، منها أربعة (4) تجارب جوية في رقان ما بين 1960-1961، و 13 تجربة جوفية في الأرض في منطقة آن ايكر ما بين 1961-1966، و 35 تجربة إضافية في رقان ما بين 1961-1963، و 5 تجارب إضافية في طان أطارام (على نحو 30 كلم من آن إيكر) ما بين 1964-1966، هذا فضلا عن تجارب الأسلحة الأخرى الخاصة (بيولوجية و كيماوية و حارقة) في مناطق مختلفة بالصحراء الجزائرية، جرب بعضها فعلا على الجزائريين. حول التجارب النووية يمكن الرجوع إلى: وزارة المجاهدين، **أعمال الملتقى الدولي حول آثار التجارب النووية في العالم: الصحراء الجزائرية نموذجا**، طبعة خاصة، الجزائر، 13-14 فبراير 2007.

46 - الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول**، ص ص. 59-69

47 - محمد، الميلي،" النضال المشترك في العقل الجماعي المغاربي"، **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص،2002، سبق ذكره، ص. 327

47 - العريبي، **مصدر سابق**، ص. 309

و من المنطلق نفسه، فصل ديغول في سياسته في 16 سبتمبر 1959 " الصحراء عن ميدان تقرير المصير" للجزائر، و حاول إقناع الغرب، و بخاصة تونس و المغرب بالتجنّد وراء فرنسا على اعتبار أن الصحراء " أرض خلاء لا سكان فيها" يمكن اعتبارها قاعدة انسحاب للغرب في حالة قيام حرب ذرية[48].

و ازدادت أهمية الصحراء كذلك، نتيجة تفجير النفط في الجزائر للمرة الأولى في 14 فيفري 1956 بحاسي مسعود و العجيلة ثم الغاز في حاسي الرمل، فتطلع ديغول في سياسته إلى فصل الصحراء[49] من الجزائر و التشبث بها، فبترولها يساعد على تحقيق استقلال فرنسا في ميدان الطاقة[50].

و قد أدت سياسة محاولة فصل الصحراء عن الشمال الجزائري في إطار "حق تقرير المصير الذاتي" إلى فشل المفاوضات الجزائرية الفرنسية في شهر نوفمبر 1959 وفي مولان (Melun) (سبتمبر - ديسمبر 1960)، و إيفيان(Evian)(ماي - جوان 1961)، ومفاوضات لوغران (Legrun) (جويلية 1961)، بسبب الاختلاف حول مشكل الصحراء وسلامة التراب الجزائري، و أخيرا خضع ديغول إلى إزالة هذه العقبة بخطابه يوم 5 سبتمبر 1961 على أساس حق الشعب الجزائري في الاستقلال و السيادة على كامل أراضيه[51].

و يظهر أن هذه السياسة التي اتبعتها فرنسا في محاولة فصل الصحراء والاحتفاظ بها لاعتبارات عسكرية إستراتيجية و اقتصادية على أساس أنها "أرض مشاعة لا سكان فيها" هي التي فتحت الباب على مصراعيه إلى الأطماع الترابية على حساب الجزائر الثائرة، و على حساب "مبادئ" مؤتمر طنجة و ندوة المهدية، لم يكن على ما يبدو هذا خافيا على قادة الثورة، فقد عبر البيان السياسي لمؤتمر الصومام بصدق عن إنشاء " اتحاد فيدرالي لدول المغرب العربي الثلاث"، و قالت جريدة **المجاهد** منذ مطلع سنة 1957: " إن للشعوب الثلاثة الشقيقة مصلحة، في البداية بإنشاء دفاع مشترك، و الأخذ باتجاه و عمل ديبلوماسيين

---

48 ـ الميلي، المغرب العربي، **مصدر سابق**، ص. 68-69

49 ـ عن سياسة ديغول فيما يخص الصحراء، انظر، Michèle, COINTET, **De Gaule et l'Algérie Française, 1958-1962**, Librairie Perrin, Paris, 1995, pp. 217-222

50 ـ كانت مشتريات فرنسا البترولية سنة 1956 تمثل نصف عجز ميزانيتها التجارية. انظر، الميلي، **المغرب العربي**، **مصدر سابق**، ص.75

51 ـ الشيخ، **مرجع سابق**، ص. 439-440

مشتركين، و إفساح المجال لحرية المبادلات، و وضع خطة مشتركة عقلانية للتجهيز والتصنيع، و العمل بسياسة نقدية واحدة، و وضع برنامج للتعليم و التبادل المتفق عليه للأطر الفنية و المبادلات الثقافية، و الاستثمار المشترك للثروات الكامنة تحت الأرض في صحراء البلدان الثلاثة"، فحول النقطة الأخير، بدأت الاختلافات[52].

ب ـ تناقضات و اختلافات !

قُبر مؤتمر طنجة خلال سنة ولادته، إذ لم يتردد نظام تونس بضع أسابيع بعيد مؤتمر طنجة في وضع توقيعها إلى جانب فرنسا في جوان 1958 على اتفاقية لنقل نفط العجيلة عبر ميناء السخيرة[53]، و بأيام قليلة من انعقاد ندوة المهدية في 30 جوان، يتيح لفرنسا ضخ نفط العجيلة (Edjelé) إلى المرفأ التونسي بالسخيرة (Skhira)[54]، و قد اعتبرت جبهة التحرير الوطني أن هذا الاتفاق هو خيانة للجبهة المعادية للاستعمار التي تحققت في مؤتمر طنجة، ووجهت لجنة التنسيق و التنفيذ مذكرة عنيفة، أعربت من خلالها عن معارضتها الكاملة لهذه السياسة[55].

كان التوقيع على الاتفاقية بين تونس و فرنسا إيذانا بتحول جديد في العلاقات بين النظام التونسي و الثورة الجزائرية، إذ بخصوص العجيلة، كانت لجنة التنسيق و التنفيذ قد نبهت الحكومة التونسية إلى هذا الأمر بمذكرة في شهر جانفي، قبل سقوط الجمهورية الرابعة، و اثر التوقيع على الاتفاقية بادرت الصحف الجزائرية وقتئذ إلى نشر النص الكامل لمذكرة ثانية من سبع نقاط وجهتها لجنة التنسيق و التنفيذ إلى الحكومة التونسية بتاريخ 11 جويلية 1958[56]، التي اعتبرت الاتفاقية " اعتراف بحق فرنسا بالتصرف في ثروات الجزائر" و أن ذلك " خرق لاتفاقيات طنجة"، و أن بترول الجزائر لا يجب أن يستعمل لتغذية الحرب المفروضة على الجزائريين و " ضحايا ساقية سيدي يوسف صورة مصغرة"

---

52 ـ الشيخ، **مرجع سابق**، ص. 502، نقلا عن **المجاهد**، عدد 4، بحثنا في كل هوامش كتاب سليمان الشيخ و بيبليوغرافيته و لم نعثر عبثا على تاريخ هذا العدد 4، للرجوع إليه، و يبدو لي أن العدد هو طبعة خاصة بالفرنسية صدر مع مطلع سنة 1957.

53 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 266

54 ـ الشيخ، **مرجع سابق**، ص.86

55 ـ الشيخ، **مرجع سابق**، ص. 502، نقلا عن **المجاهد** (بالفرنسية؟) عدد 1958/07/22

56 ـ انظر نص المذكرة في: HARBI, **Les archives, op. cit**.Doc. n° 92 et 92 bis, pp. 427-428

عن جرائم فرنسا، و أن بناء الأنبوب يفقد الشعب الجزائري ثمار معركة الصحراء و يمنح فرنسا استمرار الحرب[57].

و بررت الصحف في تونس عقد الاتفاقية بالحجج " الاقتصادية "، في أن الاتفاقية ستكسب الشعب التونسي زيادة في الدخل، و أن ذلك متعلق " بالخبز اليومي" للشعب التونسي، و هو مكسب لعموم سكان المغرب العربي و وحدته. و بقي القصر الملكي بالمغرب " متحفظا" من هذا الأمر، أما حزب الاستقلال، فانقسم موقفه بين جناحين: الأول، استغل القضية لتعطيل إحدى مقررات طنجة المتصلة بتصفية قواعد الاستعمار (الجلاء) من المغرب العربي، بمبرر أن القواعد العسكرية الفرنسية في المغرب الأقصى توفر مناصب الشغل للسكان، وطرح نفس الجناح فكرة توطين المعمرين الفرنسيين و تمكينهم من أراضي زراعية حتى تستفيد الخزينة المغربية، و عارض الجناحُ الثانيُّ الجناحَ الأولَ في هذا الأمر، و كان هذا سببا في الانشقاق الذي حدث في حزب الاستقلال عندما خرج عنه المهدي بن بركة و محمد البصري و عبد الرحمان اليوسفي و عبد الله إبراهيم[58]. كانت المسألة إذن لدى قيادة البلدين المعنيين بوحدة المغرب العربي مسألة " خبز" على حساب أرواح و كرامة شعب يدافع عن حريته !

لقد بدا لقادة الثورة أن يعالجوا هذا الأمر سياسيا و بلطف، حيث بدأوا يلمحون إلى حركات التحرر بالمشرق العربي، كثورة 23 جويلية 1952 و تأميم قناة السويس، و ثورة 14 جويلية 1958 بالعراق، و التهديد بتجذير هذا الخط في الثورة الجزائرية، ذلك أن حساسية بورقيبة معروفة لدى قادة الثورة الجزائرية من الناصرية، كما هي معروفة لديهم حساسية الملكية المغربية من الجامعة العربية التي هي "أداة" و "مقصلة للملكيات" بيد عبد الناصر[59].

57- انظر، محمد، الميلي، **(مذكرات)**،" من الخبز اليومي إلى الخبز المسموم، - الحلقة 173"، **الشروق اليومي**، عدد 27 محرم 1427/ 2006/02/26

58 - انظر، الميلي، **الشروق اليومي**، عدد 2006/02/26، **مرجع سابق**.

59 - انظر، محمد، الميلي، **(مذكرات)**، " من ربيع طنجة المنعش إلى صيف تونس الساخن - الحلقة 174"، **الشروق اليومي**، عدد 29 محرم 1427/ 2006/02/28

و قد أقدمت تونس ـ بورقيبة على هذا الاتفاق و هي تدري أن جبهة التحرير الوطني تتوفر في غار الدماء من ولاية الكاف على جيش في حالة استنفار دائم أقوى عددا و عتادا من الجيش التونسي، و كان هواري بومدين، الذي كان يتولى قيادته، قادر على " التآمر" مع بعض العناصر لإسقاط نظام بورقيبة، و قد هدد قبله محمد خيضر بالزحف على تونس، و لم يتردد في مهاجمة النظام التونسي و قيادته في فترة من الفترات. و كان النظام التونسي من جهته يدرك هذا الأمر، و يدرك أن الثورة الجزائرية تحظى بأهمية إستراتيجية كبرى بالنسبة لإقليم المغرب العربي، و ذلك ما يبرر اهتمامات السلطة التونسية بوضوح من خلال ما أعطاه بورقيبة خلال سنوات 1955- 1958 للقضية الجزائرية و الوحدة المغاربية عموما[60] من خلال سياسته، نتج عنها اعتداءات فرنسية متكررة على طول حدودها مع الجزائر، كانت ذروتها الاعتداء على ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري[61].

و أما ملف العجيلة أو ما يعرف بالعلامة 233، فهو في نظر ساسة تونس ملف تونسي ـ فرنسي على اعتبار أن الجزائر محتلة ـ فرنسية، و لكن الثورة الجزائرية كانت تطالب بكامل التراب الجزائري الخاضع لفرنسا بما في ذلك الصحراء، و من ضمنها الفضاء الصحراوي الذي كان يطالب به بورقيبة بين العلامتين 219 و 233، بل و أصبح الملف مغاربيا عامة، على اعتبار أن بورقيبة كان يعتبر الصحراء إرثا مغاربيا مشتركا و من هنا مطالبته بنصيب تونس الطبيعي منها[62].

ركز النظام التونسي في هذه المسألة على أن يتم احترام " اتفاقية دولية" أبرمت بين السلطات التونسية المتمثلة في أشخاص "عسكريين فرنسيين و قاض تونسي و بين موظفين عثمانيين" ذهبوا في عام 1910 إلى المناطق الصحراوية و نصبوا فيها العلامات على طول الحدود حتى انتهوا إلى العلامة 233[63].

---

[60] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 280

[61] ـ عن الاعتداءات الفرنسية على تونس، انظر، العربيِ، **مصدر سابق**، ص ص. 283-286، انظر كذلك، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق**، ص. 176-177

[62] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 290

[63] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 300

بناء ـ على هذا الزعم ـ أعلن بورقيبة أثناء استرجاع مركز فور سان(Fort saint) من فرنسا بالجنوب التونسي يوم 5 فيفري 1959 أن حدود تونس مع الجزائر " تمتد إلى قرعة الهامل (ليبيا) شرقا و أن لتونس نصيبها من الصحراء"[64]، و ظل يؤكد على أن حدود تونس تمتد من فور سان، العلامة 219، إلى العجيلة، العلامة 233، و لكن دعوته اصطدمت برفض فرنسا، التي كانت تؤكد على ضرورة احترام اتفاقية 5 جوان 1955[65]، لأن العلامات في الصحراء، و هي ملك لفرنسا[66] أي الجزائر.

و قد بقي الوضع على ما هو عليه، إلى أن طفت مرّة أخرى على سطح الأحداث إثر " مؤامرة ديسمبر 1962" قضية الحدود و اتهمت تونس الجزائر إيواءَها " للمتآمرين" فحلّت الجفوة في العلاقات بين البلدين بسحب سفيري البلدين[67]، و ازداد الخلاف بازدياد القيمة الاقتصادية لمناطق الصحراء إثر اكتشاف الشركة الوطنية الايطالية للمحروقات في حقل البرمة النفطي سنة 1964، فظهرت المطالب الترابية التونسية من جديد، حيث أكد بورقيبة بخصوص مطالبه في أنها تقوم " على أساس قانوني و حقنا أن نطالب بذلك"، و لكن القيادة في الجزائر ارتكزت بالمقابل على " مبدأ لا مساسية الحدود الموروثة عن الحقبة الاستعمارية"، الذي صادقت عليه منظمة الوحدة الافريقية (O.U.A.) خلال اجتماعها بالقاهرة في 21 جوان 1964"، و بعد " انقلاب 19 جوان 1965" بالجزائر، أمهلت تونس بمطالبها مهلة جديدة لقادة الجزائر، غير أنّها اصطدمت كذلك بنفس المبادئ[68]. غير أن مسألة الحدود طفت من جديد سنة 1966، لكنها حسمت ببروتوكول اتفاقيات التعاون و حسن الجوار و رسم الحدود الممضاة في 6 جانفي 1970[69].

و إلى جانب ملف العجيلة ـ العلامة 233- تأتي "قضية بنزرت"، و هي قاعدة عسكرية بحرية و جوية و أرضية هامة للجيش الفرنسي في حربه ضد الجزائر من جهة،

---

[64] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 309

[65] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 315

[66] ـ يذكر الرائد سعيداني أن الحكومة التونسية أرسلت حشدا من مواطنيها إلى النقطة 233 داخل التراب الجزائري لوضع العلم التونسي، فأرسل جيش التحرير الوطني مجاهدين لمنعهم، غير أن الذي لم يكن في الحسبان أن الجيش الفرنسي تصدى للتونسيين. و لما تأزمت الأمور بين بورقيبة و جبهة التحرير، حاول كريم بلقاسم اغتياله، غير أن بورقيبة تراجع في مواقفه. انظر، سعيداني، **القاعدة الشرقية، مصدر سابق**، ص. 172-173

[67] - Werner. K., RUF et autres, **Introduction à l'Afrique du Nord contemporaine**, Ed. du CNRS, Paris, 1975, pp. 225-226

[68] ـ العربي، **مصدر سابق**، ص. 323-324

[69] - Tayeb, CHENTOUF, **Le Maghreb au présent**, O.P.U., Alger, 2003, p. 47

وقاعدة للحلف الأطلسي من جهة ثانية في " الدفاع عن العالم الحر" في إطار الحرب الباردة، و قد طرحت الحكومة التونسية ملفها من جديد سنة 1959 بضرورة إخلاء القاعدة، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية التزمت بإخلاء قواعدها بالمغرب الأقصى قبل سنة 1963، مما يسقط التعلات الفرنسية في حفاظها على بنزرت "لحماية العالم الحر"[70]، و الملف في الأصل، ملف ثنائي تونسي ـ فرنسي و أصبحت ملفا مغاربيا ـ فرنسيا، أو على الأقل تونسيا ـ جزائريا ـ فرنسيا، عندما أكد بورقيبة في 17 فيفري 1959 استعداد بلاده للتنازل عن قاعدة بنزرت لفائدة فرنسا مقابل استجابة فرنسا لرغبة الجزائر في الاستقلال، مؤكدا على حرصه البالغ على محاصرة الحرب حتى و لو كان ثمن ذلك التنازل عن جزء من السيادة التونسية، و إن جعل هذا العرض مشروطا بقبوله من طرف فرنسا في ظرف لا يتجاوز أربعة أشهر من تاريخ إعلانه[71]، نظرا لارتباطه بملف الحدود (العجيلة) من جهة، و من جهة أخرى فإن قيادة الثورة الجزائرية كانت تدرك سياسة بورقيبة، و لذلك فعندما تأزمت أمور المواجهة في بنزرت، تضامنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع الشعب التونسي بإصدارها لبيان يوم 21 جويلية 1961، تعرض من خلاله على الحكومة التونسية مشاركة قوات جزائرية في معركة بنزرت، بعد إنزال فرنسا للمظليين[72].

لم تفلح مفاوضات بورقيبة مع ديغول، فقد أدت إلى تصلب الطرفين، فقد كان ديغول يسعى إلى الحفاظ على هيبة فرنسا في مفاوضاته العسيرة مع جبهة التحرير الجزائرية، وكان بورقيبة من جهته يشعر بعزلة فعلية في العالم العربي، مع قادة الثورة في الجزائر التي كانت تتهمه بالانحياز لديغول مع تأثير نظام عبد الناصر الذي يتهم بورقيبة بالعمالة للغرب إلى جانب دعاية المعارضة اليوسفية التي كان لها صدى واسعا لدى الرأي العام العربي، إضافة إلى تشنج العلاقة مع نظام ليبيا الموالي لمصر و توتر علاقاته الديبلوماسية و قطعها مع المغرب الأقصى بسبب اعترافه باستقلال موريتانيا (نوفمبر 1961)، و هذه جملة من الأسباب التي دفعت بورقيبة ليعلن معركة بنزرت[73] للخروج من عزلته.

---

70 ـ **موجز تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق**، ص. 178

71 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 280

72 ـ انظر، الشيخ، **مرجع سابق**، ص. 503، (هـ. 208، نقلا عن **المجاهد** (بالفرنسية؟)، عدد 84، 1961/08/29)

73 ـ **موجز تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق**، ص. 178-179

جاءت معركة بنزرت، إثر إقدام السلطات الفرنسية أواخر شهر جوان 1961 على التمديد في مدارج الطائرات بقاعدة سيدي أحمد ببنزرت معبرة عن رفضها لطلب الإجلاء من القاعدة، فأعطيت الأوامر من السلطات التونسية ليتحول آلاف المتطوعين و بخاصة من مدينة بنزرت للتظاهر يوم 11 جويلية، رافعين شعار " الجلاء أو الموت"، و نصبوا الحواجز و حفروا الخنادق حول القاعدة لمنع تحرك وحدات الجيش الفرنسي، لتبدأ المناوشات، و بتدخل من مجلس الأمن توقف القتال يوم 23 جويلية[74]، و مع ذلك واصل الطيران الفرنسي خرق حرمة التراب التونسي، و تواصلت الانتهاكات الفرنسية حتى بعد ندوة ديغول في 5 سبتمبر 1961، التي أكد فيها على سيادة تونس على بنزرت[75] و قبول مبدأ الانسحاب، و أبلغت الحكومة التونسية بذلك، بعد استقلال الجزائر، يوم 19 جويلية، و تمّ جلاء آخر جندي فرنسي من قاعدة بنزرت يوم 15 أكتوبر 1962[76].

لقد أولت قرارات مؤتمر طنجة تأويلا، و تلاعبت بها الأهواء وفق المصالح الوطنية " القطرية" في المغرب العربي، فحسب سادة تونس، فإن سادة المغرب الأقصى لم يكونوا سندا لدى لهم عند اندلاع خلافهم مع الجمهورية العربية المتحدة سنة 1958، و اعتبروا ذلك خروجا عن روح المؤتمر، كما لم يجد سادة المغرب من جهتهم لدى تونس دعما لمطالبهم بموريتانيا، بل كانت تونس من أنصار استقلال موريتانيا، و أدى هذا الأمر إلى أزمة دبلوماسية بين الطرفين[77]، و يلوم الطرفان (تونس و المغرب) الجزائرَ في أنّها لم تعر دعوة المؤتمر إلى عدم اتخاذ قرارات منعزلة بشأن السلام في إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية و الدفاع، رغم أن المؤتمر كان يقتصر على ما حظيت به جبهة التحرير الوطني من دعم لدى المشاركيْن،" فلم تسبق المفاوضات الفرنسية الجزائرية التي توجت باتفاقيات ايفيان مشاورات مغاربية[78].و حول هذه المسألة، يبدو أن الثورة الجزائرية لها مبرراتها في أن القطرين لم يستشيرانها في مفاوضاتهما التي أدت إلى استقلال القطريين رغم ارتباطهما بمواثيق مشتركة قبل 1954.

---

74 ـ قتل في صفوف التونسيين رسميا 670 و جرح 1555، و تحدثت مصادر أخرى عن آلاف الشهداء دفنوا في مقابر جماعية، و عن الجانب الفرنسي 29 قتيلا و 100 جريح. انظر، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق**، ص. 179

75 ـ انظر، العريبي، **مصدر سابق**، ص. 291

76 ـ **موجز تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق**، ص. 179-180

77 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 266

78 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص.266، نقلا عن، Brahim, BEN LARBI, **Maghreb: Alliances et conflits entre trois états, Algérie, Tunisie, Libye.** Mémoire de D.E.A. en droit, option: Sécurité internationale et défense. Direction Philippe CHAPAL, Université des sciences sociales, Grenoble II, Faculté de droit, septembre 1987, P.21

كان لنظام تونس كذلك، خلاف مع ليبيا حول الجرف القاري بداية من سنة 1957 ثم الخلاف الحدودي البحري الليبي ـ التونسي[79]. و هذا الخلاف الحدودي الليبي ـ التونسي، هو الذي أفشل مشروع الوحدة الليبية ـ التونسية الذي وقعه الرئيسان بورقيبة و القذافي في 12 جانفي 1974[80]، كما كان كذلك للجزائر مع ليبيا خلاف، حسم في عهد الثورة بين فرنسا وليبيا باتفاق 26 ديسمبر 1956، الذي وقعت عليه مملكة ليبيا في 10 أوت 1957 برسم الحدود على طول خط منطقة غات و غدامس[81].

كما كان لتونس كذلك، اختلاف مع حكومة الرباط أدى إلى سحب سفيرها من تونس احتجاجا على موقف بورقيبة الذي اعترف فورا باستقلال موريطانيا و الذي نصب نفسه " محاميا لقضية ولد داده"، و قد اعتبرت القيادة الموريطانية من جهتها بورقيبة " رجل 28 نوفمبر 1960" على اعتبار أنه من الشخصيات الأولى التي اعترفت باستقلال موريطانيا. أما المغرب من جهته، فرد بحملة صحفية على ضرورة الالتزام بمبدأ التضامن المغاربي ونص اتفاقية مارس 1957، و خاصة بندها القائل:" بالامتناع عن أي عمل من شأنه الإضرار بمصالح الطرف الآخر، و التشاور من أجل تنسيق مواقف البلدين إزاء المسائل الدولية" التي تهم البلدين[82].

و سبقت الاشارة أن مؤتمر طنجة أصدر قرارا بشأن موريطانيا، التي كان يعتبرها حزب الاستقلال منطقة مغربية في إطار خريطة " المغرب الكبير"، و قد حضر ممثلها السيد حرمة ولد بابانا جلسات المؤتمر. كان حرمة ولد بابانا زعيما لحزب الوفاق، و قد التحق بمكتب المغرب العربي بالقاهرة في جوان 1956، بعد أن كان ممثلا منتخبا في مجلس الاتحاد الفرنسي لإفريقيا الغربية الفرنسية، و منذ سنة 1947 اتبع سياسة الاستقلال الداخلي التي كان يتزعمها السلطان محمد بن يوسف، و عندما فاز عليه في الانتخابات الفرنسية سنة 1951 سيدي أحمد أنجاي و أسس الحزب التقدمي الموريطاني الذي كان يناهض حزب الوفاق في سياسته، التحق حرمة بالقاهرة بمكتب المغرب العربي في جوان 1956، و تقدم

---

79 ـ انظر عن تفاصيل هذا الخلاف، العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 359-372، و ص ص. 380-391

80 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص. 391

81 ـ لكن ليبيا القذافي أصبحت تطالب الجزائر بمساحة تتجاوز 19000 كلم^2 بداية من سنة 1976، انظر، CHENTOUF, **op. cit**. p. 46

82 ـ العريبي، **مصدر سابق**، ص ص. 360-362

إلى الأمير الحسن (الثاني)، الذي كان يزور القاهرة وقتئذ، و طلب منه أن تلحق موريطانيا بالمغرب، و التحق بعدها في 9 جويلية من نفس السنة بالمغرب ليقدم الولاء للسلطان محمد الخامس بتطوان مع وفد من الرقيبات فيه المسمى " الحبيب بن بلال" الذي يدعي بأنه قائد على " تندوف"[83]!، و قد حاولت سلطات المغرب تعيين هذا الأخير على تندوف غير أن السلطات الفرنسية كانت تعتبر المنطقة فرنسية تابعة لإقليم الجزائر[84].

و هيأت السلطات الفرنسية متعاونين موريطانيين للرد على المطالب المغربية من أمثال بونا المختار رئيس قبيلة " أولاد ألامان"، و سليمان الشيخ سيدنا المستشار في الاتحاد الفرنسي، اللذان كانا يصرحان بأن موريطانيا ليست لها أية علاقة بالمغرب و أن سكانها يريدون أن يبقوا " فرنسيين"، و أسس الرجلان حزب " الاتحاد التقدمي الموريطاني" الذي كان يعارض سياسة حرمة ولد بابانا و إلحاق موريطانيا بالمغرب[85].

و بناء على هذه المطالب الترابية حاول المغرب غزو موريطانيا و غيرها من المناطق. و أمام هذه المطامع زار ديغول في شهر مارس 1957 مناطق بشار و تندوف وأطار و فورقورو، و صرح " أن الصحراء الفرنسية تكون حظا وافرا لبلادنا و لا يمكن بأي حال أن نفقدها..."[86] و عبر له سيدي المختار أنجاي عن إخلاصه التام لفرنسا، و اثر الانتخابات الفرنسية بإفريقيا الغربية، عينت فرنسا المختار ولد داده في منصب " نائب رئيس أول مجلس حكومي " بموريطانيا، و أصبح ولد داده يصرح بأن موريطانيا " يجب أن تكون تابعة للوحدة الفرنسية و لا ينبغي أن تكون تابعة للمغرب"، بل و طرح فكرة " موريطانيا الكبيرة" على شاكلة المغرب الكبير لعلال الفاسي في " أن سكان وادي الذهب و الجنوب المغربي " أقاليم موريطانية[87]، و بهذا الطرح الجديد، ألا يكون ولد داده على حق؟! لقد سبق لعلال الفاسي أن صرح في شهر أبريل 1956 أن موريطانيا مغربية و أن تسميتها تعادل " ماروك" بالعجمية[88]! و مهما يكن، و كيفما قلبنا هذه المعادلة، فإن ذلك ستكون له

---

[83] ـ الورديغي، **الخفايا السرية، مصدر سابق**، ص.34-35
[84] ـ **نفسه**، ص. 50-51
[85] ـ **نفسه**، ص.48
[86] ـ **نفسه**، ص. 90، نقلا عن جريدة **"لوموند"** عدد 1957/03/10
[87] ـ **نفسه**، ص. 90-91
[88] ـ انظر، الورديغي، **نفسه**، ص.15، نقلا عن جريدة **"لوموند"** 1956/04/10

عواقب على مسيرة وحدة المغرب العربي في مسألة تحرير و استقلال الصحراء الغربية ووادي الذهب منتصف السبعينيات من القرن العشرين.

و كيفما كان الحال، جرى الاقتراع العام على الدستور المقترح من طرف الجنرال ديغول في 28 سبتمبر 1958، حيث صوت الموريطانيون عليه بالإجماع، و أعلنت في 28 نوفمبر 1960 جمهورية موريطانيا الإسلامية، جمهورية مستقلة في إطار المجموعة الفرنسية (Communauté) على رأسها مختار ولد داده[89].

تندرج قضية موريطانيا في "مشكلة" المشاكل في المغرب العربي، و التي عقّدت من الإسراع في وحدته، وهي خريطة "المغرب الكبير"، و هذا المصطلح تردد كثيرا في مؤتمر طنجة إلى جانب مصطلح " المغرب"، و يبدو أن الداعين ـ حزب الاستقلال ـ إلى عقد مؤتمر طنجة كانوا يتحركون في إطار تأويل هذين المصطلحين من خلال مفهومهما لديهم. فمفهوم " المغرب" بالنسبة لمنطقة المغرب العربي "إرث مشترك" لكل المنطقة، بداية من عصر ابن خلدون على الأقل " كل ما هو غرب برقة" فهو بلاد المغرب أو المغرب الإسلامي و سكانه المغاربة[90]. و لا ندري الآن يكف استبدل و من استبدل مصطلح " مراكش و بلاد مراكش" الذي اشتقت منه التسميات الأجنبية: Maroc و Marroco..إلخ، وهو الذي كان شائعا قبل 1956، للدلالة على المغرب الأقصى و سكانه، بالمصطلح الجديد لمراكش:" المغرب و منه المملكة المغربية و منه المغربي و المغاربة" للدلالة على المغرب الأقصى، إن كل ما نعرفه الآن، أن الكلمة تمّ " الاستيلاء" عليها و احتواؤها بعد استقلال مراكش. أما مصطلح " المغرب الكبير" الذي انتشر استعماله منذ الخمسينيات من القرن العشرين، و يحلوا للبعض استعماله ـ عن قصد أو دون قصد ـ دون استعمال " المغرب العربي" الذي له دلالة حضارية[91] فإن مفهوم " المغرب الكبير" له دلالة سياسية توسعية جغرافية، كان من أكبر عقبات وحدة المغرب العربي بعد مؤتمر طنجة لاجتراره واستمراريته.

---

89 ـ انظر بخصوص مراحل استقلال موريطانيا. في: BALTA, **op. cit**. pp. 136-139

90 ـ سابقا، المدخل.

91 ـ يستعمل مصطلح " المغرب الكبير" في الجزائر منذ مطلع الثمانينيات من طرف جهات فرانكوفونية لها حساسية خاصة من العروبة و الإسلام، مع أن مفهوم العروبة في الحركة الوطنية يعني المفهوم الحضاري العربي الإسلامي و ليس المفهوم العرقي (الإثني)، و من الأدلة على ذلك، ما عبر عنه شعرا الإمام عبد الحميد بن باديس الصنهاجي: شعب الجزائر مسلم... و إلى العروبة ينتسب. و هو كذلك مفهوم الحركات الوطنية جميعا في المغرب العربي..

ظهرت الخريطة الجغرافية للمغرب باسم " المغرب الكبير" سنة 1947 و كان قد أعدها عبد الكبير الفاسي، مدير حزب الاستقلال بمدريد، و وزعها في أزقة مدينة طنجة حين أقام علال الفاسي، رئيس حزب الاستقلال ندوة صحفية يوم 5 جويلية 1956 ليوضح فيها على الخصوص بأن المعاهدة الفرنسية المغربية المتعلقة بالاستقلال تنص على إجراء مفاوضات حول مشكل الحدود المغربية، و أثناء الندوة كشف الفاسي عن خريطة المغرب الكبير[92]، زاعما أن المغرب تمتد حدوده إلى نهر السنغال و يحتوي على منطقة تندوف وبشار و توات و القنادسة، و يحتوي كذلك على السودان الفرنسي(شمال المالي الحالي) وعلى تنزفورت، و ذكّر الحاضرين من الصحفيين بأن موريطانيا وجب أن تكون موضوع مفاوضات صريحة بين المغرب و فرنسا، منتقدا المشروع الفرنسي بإنشاء " منطقة الصحراء" معتبرا ذلك " إجراء تأميمي"، و أن قبائل المناطق المذكورة كانت خاضعة للدولة العلوية[93].

و من هذا التاريخ، أصبح علال الفاسي و دعاة المغرب الكبير يلوحون بهذه الخريطة و يخرجونها في كل مناسبة، مدعين أن المناطق المذكورة في خريطة المغرب الكبير مناطق بالتاريخ و الجغرافية مراكشية أجزاء من المملكة المغربية العلوية. و هي نفس الخريطة التي وزعت على مايبدو، في كواليس مؤتمر طنجة، فقد ورد عن السيد عبد الحميد مهري أن مؤتمر طنجة " لم يكن ... ليخلو من مفاجآت، فقد قام المهدي بن بركة العربي في الكواليس بتوزيع خريطة حزب الاستقلال للمغرب العربي، و فيها "المغرب الكبير" الذي يمتد شرقا إلى عين صالح بالصحراء الجزائرية، و جنوبا إلى نهر السنغال..."

"...هذه المسألة اجتمع حولها أعضاء الوفد الجزائري للتشاور، و قد طرح بومنجل ثلاثة احتمالات: هل نواصل المشاركة في المؤتمر؟ أم ننسحب؟ أم نتجاهل الموضوع؟" و"فضل الوفد الطرح الأخير، لكن عندما أثيرت المسألة في المداولات كان جواب فرحات عباس: الحدود الفرنسية يمكن النظر فيها، لكن لسنا مؤهلين الآن للخوض في هذه المسألة،

---

92 ـ انظر، ملحق رقم: 4

93 ـ انظر، الورديغي، الخفايا السرية، مصدر سابق، ص. 32

وعندما تستقل الجزائر يمكن أن نتحدث مع المغرب حول مسألة الحدود أسوة بالبلدان المجاورة"[94].

و قد تطرق علال الفاسي إلى نفس خريطة " المغرب الكبير" في تقريره الذي ألقاه في المؤتمر العام لحزب الاستقلال بتاريخ 8-10 جانفي 1960، و نقتطف هنا المناطق التي حدّدها كما ورد في تقريره : "... فالمناطق الصحراوية التي نطالب بها، ظلت مغربية منذ خلق الله الأرض إلى أن دخلنا في الحماية الفرنسية سنة 1912... في الجنوب تندوف و وادي الذهب، و موريطانيا (و حدودها الطبيعية مع السنغال نهر السنغال)[95] و في الشرق كولمب بشار و القنادسة و الساورة و توات و تيدكلت..."

"الأقاليم الجنوبية المغربية - تندوف - ريودورو - موريطانيا... دون أن نرجع للتاريخ العتيق... كان سلاطين المغرب... يدخلون منتصرين إلى تمبكتو..."[96] "إنه من عهد ما قبل الإسلام، كانت موريطانيا تحتوي على الصحراء و المغرب الشمالي و وهران...و استمرت إلى عهد الاحتلال العسكري الفرنسي، و تدعى اليوم شنقيط باسم موريطانيا..."

" و الواقع أن الكولونيل ترانكي احتل تندوف يوم 31 مارس 1934..."

"...و لنذكر أنه في 30 مارس 1958 قد ورد على المغرب محمد فال ولد عمير، أمير الترارزة و المستشار الإقليمي لموريطانيا...ليقدم بيعته لجلالة ملك المغرب...رافق أمير الترارزة وزير التعليم الوطني ولد باه، و وزير التجارة و الصناعة و المعدن ولد سيدي بابا الكاتب العام للوداد الموريطاني، و الشيخ محمد رئيس الشباب الموريطاني...و قبل ذلك وصل حرمه ولد ببانا[97] مصرحا بأن موريطانيا جزء لا يتجزأ من المغرب."، و يستطرد الفاسي بعد ذلك في ذكر "أشخاص و شيوخ زوايا"، بمجرد أنهم راسلوا الملك من مناطق مختلفة اعتبر أقاليمهم أجزاء من المملكة، كتوات و قصورها، و تيديكلت، و عين صالح، وتيميمون و غيرها من الواحات[98].

---

[94] ـ انظر، جريدة **الشروق اليومي**، عدد 2005/05/9، و هي نفس المعلومة التي وردت كذلك عن السيد مولود قايد (المدعو رشيد)، انظر، العايب، **مصدر سابق**، ص. 92، و هي معلومة مهمة نقلها العايب في (هـ.1)، نقلا عن جورج الراسي،" وحدة المغرب العربي من وحدة العرب" مجلة **الحوار**، عدد 12، ماي 1988

[95] ـ ورد كذا في النص بين قوسين.

[96] ـ طبعا بعد القضاء على دولة السنغاي الإسلامية من طرف السلطان السعدي أحمد المصور (الذهبي)، وقتئذ كان المسلمون بالأندلس يستغيثون و يطلبون النجدة من التقتيل و الإبادة و محاكم التفتيش.

[97] ـ و هو الشخص نفسه الذي حضر جلسات مؤتمر طنجة.

[98] ـ انظر، علال، الفاسي، **عقيدة و جهاد**، ط.2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1981، ص ص. 110-127

و هذه المطالب الترابية من قبل المراكشيين التي كانت تثار من حين لآخر، لم تكن خافية على رجال الثورة الجزائرية، سواء أكان ذلك قبل مؤتمر طنجة أو بعده، إذ ورد في تقرير عام من السيد بوصوف وزير الاتصالات العامة و الاستخبارات بتاريخ الفاتح أكتوبر 1958 إلى رئيس المجلس و أعضاء الحكومة المؤقتة حول العلاقات الجزائرية المغربية، قال فيه بخصوص هذه المطالب منبها أعضاء الحكومة، أن علال الفاسي صرح في تجمع عام في شهر أوت 1957 بإيموزر (30 كلم جنوب فاس) قائلا:" أن أحسن دعم لإخواننا الجزائريين، أن يرجعوا للمغرب المناطق الصحراوية المرتبطة بالجزائر"، و لاحظ التقرير أن جريدة " صحراء المغرب" التي يسيرها الفاسي نشرت خريطة " المغرب الكبير" التي تشمل كل الصحراء الغربية المحدودة "بخط فيقيق و في الجنوب بالخط الموازي سان لويس (Saint Louis) بالسنغال".

و قال علال الفاسي في خطاب له بتاريخ 20 ديسمبر 1957 بمنطقة فيقيق ما يلي:" إن الأرض الصحراوية ليست بالنسبة لنا حدود إقليمية فحسب، إنما هي مصدر اقتصادي ومجال حيوي لرفاهية بلدنا، إن حدودنا الطبيعية تمتد من الخط الذي يربط سان لويس بالسنغال إلى مليلية مرورا بموريتانيا و التوات و القورارة. و معنى هذا أن كولمب بشار والقنادسة تدخل ضمن سيادة إقليمنا" [99].

و يضيف نفس التقرير أن مجلس الوزراء المغربي المنعقد في شهر أوت من نفس السنة برئاسة السيد أمحمدي، وزير الداخلية، قد اتخذ قرارا بإنشاء مديرية للشؤون الصحراوية مكلفة بإدارة المفاوضات مع فرنسا لرسم الحدود. و أن نفس الوزير صرح في ندوة صحفية في 11 مارس 1958 أن " كل الضجر يأتي من عدم رسم الحدود الفرنسية المغربية"، و أسست " لجنة الحدود" في 21 مارس باقتراح من السيد بلافريج وزير الشؤون الخارجية التي ستعقد اجتماعات دورية مع الحكومة الفرنسية في باريس و الرباط، و قد بدأت المفاوضات بهذا الشأن في 28 أوت 1958. ثم يشير التقرير إلى الأزمة التي بدأت في التدهور بعد مؤتمر طنجة الذي علقت عليه الكثير من الآمال، و هي الأزمة المتنامية في الحدود الجزائرية المغربية نتيجة اعتداءات و تعسفات القوات المسلحة الملكية و السلطات

---

[99] - HARBI, **Les archives, op. cit.**, Doc. N° 93, p. 430

الحكومية تجاه اللاجئين الجزائريين و تجاه كل مناطق إمداد الثورة الجزائرية في هذه الفترة من التاريخ، بالرغم من إنشاء اللجنة المشتركة الجزائرية المغربية في 8 أبريل[100].

كانت دعوة المراكشيين إلى مؤتمر طنجة إذن من أجل المطالب الترابية و ليس من أجل وحدة حقيقية تلبي تطلعات شعوب المنطقة، و نشير هنا بالمناسبة إلى ما قاله الأستاذ أبو بكر القادري أحد المشاركين الرسميين في مؤتمر طنجة: " يجب أن أسجل هنا بمداد من الفخر و الاعتزاز أنه في الوقت الذي كانت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال تهيئ لتحقيق وحدة المغرب العربي، كان محمد الخامس... يطوف في باب الصحراء المغربية، و يعلن في خطابه التاريخي في قرية محاميد الغزلان، أن المغرب ملكا و شعبا، لا يستقر لهما قرار، إلا إذا تحررت الصحراء المغربية بأجمعها، سواء منها الساقية الحمراء أو وادي الذهب أو الأراضي التابعة لهما، و انضمت إلى الوطن الوالد"[101]، كان ذلك في 19 فيفري 1958 جنوب وادي درعة بعد فشل عمليات عسكرية قام بها جيش التحرير المغربي في موريطانيا و الصحراء الغربية[102].

لم يشر تقرير بوصوف السابق إلى زيارة الملك في جنوب المغرب، لكن يبدو أن المصادر الفرنسية كانت على اطلاع بالزيارة و أهدافها، فقد كتبت إحدى الصحف الفرنسية مطلع أبريل 1958 مشيرة إلى توتر العلاقات المغربية الفرنسية، و إلى زيارة الملك التي تندرج ضمن الأطماع الملكية في ضم الأقاليم الصحراوية مرورا بموريطانيا إلى حدودها بالسنغال، و نبهت الصحيفة إلى حدود فرنسا الصحراوية التي تمتد " جنوب خط يربط بين مدينتي كولمب بشار شمالا و تندوف جنوبا، و على حدود هذه المنطقة، أي على طول وادي الدراع، جاء ملك المغرب منذ أيام لأول مرّة في التاريخ يحسم المزارع المغربية" التي تعتبرها فرنسا " خارجة من أقصى جنوب المملكة الشريفية"، كما نبهت الجريدة إلى قوات جيش التحرير المغربي الموجود خلف فيقيق القريبة من الجزائر حيث يوجد فيلقان تعدادهما 1700 رجل تحت قيادة الكولونيل (العقيد) حاج بوبو، مشيرة إلى الوضع " الدقيق جدا " في

---

100 ـ أنشئت اللجنة من طرف الملك برئاسة السيد مسعود الشيقر، و كان من أعضائها عن الجانب المغربي، السيد أمحمدي وزير الداخلية، و بن بركة رئيس المجلس الاستشاري، و الفقيه البصري ضابط سام في القوات المسلحة الملكية، و عن الجانب الجزائري، السي عبد الجليل (عبد القادر معاشو)، و السي الحسين (حسين قاريدي)، و الشيخ خير الدين. انظر، HARBI, **Les archives, op. cit**, Doc. N° 93, pp. 429-445

101 ـ القادري، **مذكراتي، مصدر سابق**، ص. 44

102 ـ الورديغي، **الخفايا السرية**، ص. 120

منطقتي بشار و تندوف، نتيجة أهميتهما الاقتصادية و العسكرية، قائلة: أن الحدود " لم تضبط ضبطا دقيقا في أي وقت من الأوقات" و قد جرى تسطيرها أربع مرات:

- في 1901[103]، أبرم اتفاق بين فرنسا و المغرب، سمحت فيه فرنسا للمغرب، وضع مراكز عسكرية على خط يقع على بعد 30 كلم من كولمب بشار، و كانت هذه المدينة تحمل حينئذ اسم " تافنا" (حسب الجريدة).

- و في 1912 أجرت فرنسا من محميتها تعديلا على هذا الخط سمي بخط "فارنيي" زحزح الخط إلى الجهة الغربية.

- و في 1938 سطر خط جديد هو " خط ترانكي" أرجع الحدود إلى داخل الصحراء.

- في 1951 قررت الولاية العامة بالجزائر، إبعاد الحدود إلى الشمال و إلى الغرب حتى تتبع وادي الدراع (وادي درعة)، و يضيف المقال:" يتبين لنا من هذا كله أن المطالب المغربية على كولمب بشار لا ترتكز على أساس شرعي" و " لا تستند إلى حجج تاريخية، لأنه قبل الحماية لم يأت أي ملك إلى ناحية الدراع و لم يشق جهة تافلالت"، و سكان هذه المناطق يقيمون في بشار و البقية من ناحية تندوف رحل يتنقلون من "غولين إلى موريتانيا مرورا بصحراء "ري ودي أورو"(وادي الذهب) الأسبانية، و الخطر في هذه الناحية لا يأتي من "جبهة التحرير بل من جيش التحرير المغربي" الذي يستعمل وسائل دعائية منها توزيع صورة محمد الخامس لبث الشعور المعادي لفرنسا، كما أنه يضع الألغام على الطرق و حول الأبار، و قد استطاع جيش التحرير المغربي تجنيد مقاتلين من الرقيبات للهجوم على سيدي افني، غير أن أفراد جيش التحرير لم يحسنوا إليهم بعد الهجوم الأسباني المضاد، و قتل عدد منهم، فقرروا أن لا يكونوا " حلفاء للمغرب و لا حلفاء لإسبانيا" بل من جديد " أصدقاء لفرنسا"- يعني رجوعهم إلى جزائريتهم بحكم خضوعهم لفرنسا - لأن فرنسا لها سكك حديدية و مناجم للفحم و المانغنيز و مصانع للصواريخ[104] بمنطقة بشار.

بسبب المطالب المغربية في الصحراء، لم تنته مهمة جيش التحرير المغربي بعد الاستقلال، إذ حين أراد الملك محمد الخامس دمج عناصره في القوات الملكية برزت

---

[103] - كانت المعاهدة الأولى هي المعاهدة المعروفة بلالا مغنية في 18 مارس 1845 بين المغرب و فرنسا، بشأن الحدود الممتدة من المنطقة التلية إلى الجنوب من القصور عبر ثنية الساسي و فقيق، تلاها بروتوكول باريس بتاريخ 20 جويلية 1901 لتسوية الوضع في منطقة زوزفانا بفعل الثورات كثورة المقراني التي ساندها أولاد سيدي الشيخ الشراقة و الغرابة، ثم ثورة أولاد سيدي الشيخ و بوعمامة، فدعم بروتوكول 1901 باتفاقيات 1902، و التي هي عبارة عن نظام جمركي لمراقبة الحدود من شمالها إلى جنوبها. انظر، عبد الحميد، زوزو، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة** (مؤسسات و مواثيق)، دار هومه، الجزائر، 2005، ص. 33-34

[104] - انظر، صحيفة " **باري جورنال**" بتاريخ 1958/04/02، في شريط، **الثورة الجزائرية، 1958، ج1**، ص ص. 51-54

الانشقاقات و النزعات السياسية، فهناك الأمير عبد الكريم الخطابي الذي كان يرى أن مهمة الجيش لم تنته إلا بتحرير المغرب العربي كاملا و كانت ترفض أن يدمج الجيش في القوات الملكية، و أيد هذه الفكرة عباس المساعدي، و نزعة أخرى كانت تعارض حلّ الجيش كذلك، و كانت تهدف إلى إلحاقه مباشرة بأركان حرب "مكتب المغرب العربي على يد علال الفاسي" و هي نزعة تتسم " بوحدة المغرب العربي و بوحدة العروبة"، و كان همها أن لا يندثر هذا الجيش، و "أن محمد الخامس لم يطالب أبدا بتوقف المعارك" و أن هذا الجيش يبقى خاضعا لأوامر السلطان، محتمية وراء السلطان لتحقيق أغراضها و تزعم هذا الاتجاه علال الفاسي و حزب الاستقلال، و هناك نزعة ثالثة بقيت على الحياد و الاندماج في الحياة المدنية و كان على رأسها عبد الله الصنهاجي و النذير بوزار[105].

و أثناء عملية دمج جيش التحرير في القوات الملكية على يد الأمير الحسن اختُطف عباس المساعدي، أحد رؤساء الفيالق بالريف في إقليمي الناظور و تازة، و اغتيل في ظروف سرية من طرف عناصر حزب الاستقلال، لأنّه كان يريد أن يجعل الجيش تحت إمرة السلطان، و أيده في ذلك الكثير من زعماء المقاومة من أمثال عبد الله الصنهاجي، وعبد الكريم الخطيب و الغابوشي و النذير بوزار و غيرهم، و أنشأ جماعة حزب الاستقلال الذين كانوا يعارضون دمج الجيش " مجلسا وطنيا لحركة المقاومة" و نشروا بيانا سياسيا واقتصاديا و اجتماعيا هو نسخة لبرنامج حزب الاستقلال و نقابة الاتحاد المغربي للشغل سنة 1956، كان المجلس يهدف إلى وضع " جيش التحرير تحت مراقبة مباشرة لحزب الاستقلال"[106].

و قد صادفت فترة دمج جيش التحرير في الجيش الملكي مرحلة الصراع الثنائي على السلطة بين " القصر و حزب الاستقلال" كما أسلفنا[107]، فأدمج جيش التحرير الشمالي، وترك القصر لقادة حزب الاستقلال حرية التصرف في جيش التحرير الجنوبي الذي أصبح يسيره وقتئذ محمد بن حمو المسفيوي[108]، كان خلال شهر أبريل 1956 يسيطر على بعض

---

[105] ـ انظر، الورديغي، **الخفايا السرية، مصدر سابق**، ص. 18-21، و ص ص. 40-42

[106] ـ **نفسه**، ص ص. 42-45

[107] ـ **سابقا**، الفصل الرابع.

[108] ـ انظر، الورديغي، **الخفايا السرية**، ص.47

المراكز على طول وادي درعة[109]، و مع حلول شهر سبتمبر من نفس السنة، كانت هناك في الجنوب أربع قيادات لجيش التحرير الكولونيل (العقيد) ابن حمو المسفيوي و مساعديه إدريس بن أبو بكر، و صالح الجزائري، و ناضل الهاشمي، و علي أبويا، و كانت هذه القيادات متمركزة في السمارة و بئر النصارى و أوسيرت و سيدي أحمد العروسي، و كانت الجيوش الفرنسية و الإسبانية تتابع تحركاتها[110].

أراد حزب الاستقلال بواسطة هذا الجيش أن يحقق أطماعه في المناطق الجزائرية وفي موريطانيا و الصحراء الغربية (الإسبانية) في إطار خريطة " المغرب الكبير"، ولمّا لم ينجح دعا إلى مؤتمر طنجة لتحقيق أحلامه عن طريق مطيّة وحدة "المغرب العربي"، و قام بالموازاة معها بأعمال و حوادث " مشبوهة و غامضة" في الفترة ما بين 1958[111]-1960 في المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة أثناء الثورة، ما بين منطقة فقيق و بشار، و مابين بوذنيب و فيقيق، و مابين بشار و تندوف، نفذها جيش التحرير المغربي[112] بغرض الاستيلاء على بعض المناطق في الجزائر[113]، بعد انهزامه في محاولاته التوسعية بموريطانيا و وادي الذهب على يد القوات الفرنسية و الاسبانية[114].

و قد ازداد الضغط من قبل العرش الملكي المغربي أثناء فترة المفاوضات الجزائرية الفرنسية في مراحلها الأخيرة و بخاصة بعد تولي الحسن الثاني للعرش الملكي بموت محمد الخامس تحت ضغط الأحزاب و بخاصة حزب الاستقلال، إذ تفيد بعض المصادر - بناء على

---

109 - **نفسه**، ص. 18

110 - الورديغي، **الخفايا السرية**، ص. 59

111 - Voir, HARBI, **Les archives**, doc. n° 93, pp. 429-445

112 - انظر، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص ص.275-296

113 - عرفت هذه الحركة المغربية في محاولتها الاستيلاء على بعض المناطق من الجزائر، و تسببها في اضطرابات كبيرة في المنطقة الحدودية بين الجزائر و المغرب بحركة " الزوكيت"، انظر، عبد الله، مقلاتي، " الحركات المناوئة للثورة الجزائرية في المغرب العربي، الزوكيت نموذجا"، في **أعمال الملتقى الوطني حول إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة**، البليدة، يوما 24-25 أفريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص ص.193-212

114 - اقتحمت فيالق مغربية لجيش التحرير المغربي بقيادة ابن حمو المسفيوي، انطلاقا من وادي درعة موريطانيا عن طريق وادي الذهب في 12 جانفي 1957 و نصبت كمائن متعددة للجيش الفرنسي، فتدخلت القوات الفرنسية يدعمها الطيران فقضت على عدة قوافل و زحزحت جيش ابن حمو إلى نواحي وادي درعة، و قد هاجم ابن حمو قرية سيدي افني و أصبحت مغربية، و عندما حاول الاستيلاء على مناطق أخرى في وادي الذهب، حصلت اتصالات بين القوات الفرنسية و الاسبانية في شهر جانفي 1958، تمكن الجيشان بعدها بضربات عسكرية من إرجاع جيش ابن حمو إلى ما وراء وادي درعة، و عرفت هذه العملية بتسمية " ايكوفون"(Ecouvillon)(أي المكنسة أو المنظفة)، أثناء هذه الحوادث نشر علال الفاسي جريدة أسبوعية سماها " الصحراء المغربية"، و كان المغرب قد وقع على معاهدات مع اسبانيا بقصر سانتا كروز في 9 أكتوبر1957 ثقافية و إدارية و قضائية و تجارية على أن تبقى بذمة إسبانيا إيفني و الساقية الحمراء و وادي الذهب و مدينتي سبتة و مليلية و جزر الحسيمة، أما معاهدة سان سيبستيان بين الطرفين فتقضي بعدم الاعتراف للمغرب بالحقوق المغربية في " الصحراء الغربية". انظر بهذا الخصوص، الورديغي، **الخفايا السرية**، ص.81-82، و ص. 98، وص ص.100-105، و ص ص. 117-120، و انظر كذلك، زكي، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم، مرجع سابق**، ص ص. 288-299

ما أورده المؤرخ عبد الحميد زوزو[115]- أن فرحات عباس خلال إحدى زياراته للمغرب سنة 1960 كان قد اتفق مع محمد الخامس قبل أن يلتزم للحسن الثاني في شهر جويلية 1961 بحلّ الخلاف الحدودي بين البلدين[116]، و تشير دراسة إلى أن لجنة تأسست مع مطلع نفس السنة، قد باشرت أشغالها بعد هذا اللقاء لصياغة " دستور توحيد المغرب العربي" اندثرت بسبب انشغال الجزائريين بالاستقلال[117]. و هي نفس اللجنة التي فاوضت المغرب حول الصحراء في 7 جانفي 1962 بين وزيري الإعلام للبلدين، و استؤنفت في 25 من نفس الشهر من قبل لجنة دائمة مؤسسة ضمت عن الجانب الجزائري: كريم بلقاسم، و ابن طوبال، و محمد يزيد، و عن الجانب المغربي:علال الفاسي، و غديرة، و الخطيب، و العلوي وزير الإعلام المغربي[118].

و يُلاحظ أن البيان المشترك الذي صدر بعد زيارة بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة للمغرب " لتوديع الحسن الثاني في الفاتح فبراير 1962 " لم يشر لقضية الصحراء، إنما اكتفى بالتأكيد على تضامن البلدين الوثيق و على تشييد المغرب العربي الموحد، و أن سفر كل من السيد غديرة وزيرة الداخلية، و محمد الغزاوي ممثل الملك الشخصي يوم 10 جانفي 1962 إلى فرنسا للالتقاء بالوزراء الجزائريين المعتقلين، و تلاه سفران آخران يوم 10 و 24 من شهر فيفري من نفس السنة إلى أولنوي لوزير الدولة المغربي و الخطيب المكلف بالشؤون الإفريقية ضمن تكليف بمهمة لدى أحمد بن بلّة، لا شك أن لهذه الزيارات علاقة وثيقة بموضوع الصحراء.

و قد شارك سكان منطقة تندوف و بشار في استفتاء الاستقلال، و عبروا عن انتمائهم للجزائر و عن جنسيتهم الجزائرية، و قد أرسل المغرب وفدين أحدهما برئاسة مولاي أحمد العلوي وزير الإعلام لملاقاة رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة، و آخر إلى الجزائر برئاسة محمد بوستة وزير العدالة للقاء عبد الرحمان فارس رئيس المكتب التنفيذي المؤقت

---

[115] - انظر، زوزو، **المرجعيات، مصدر سابق**، ص. 37-38

[116] - انظر، زوزو، **المرجعيات، مصدر سابق**، ص. 37-38

[117] - ضمت اللجنة المشتركة عن الجانب المغربي السادة، علال الفاسي و أحمد رضا غديرة و عبد الكريم الخطيب و مولاي أحمد العلوي، و عن الجانب الجزائري، السادة كريم بلقاسم و الأخضر بن طوبال و أمحمد يزيد. انظر، عبد الإله، بلقزيز و آخران، **الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية 1947-1986، محاولة في التأريخ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992، ص. 160

[118] - زوزو، **المرجعيات، مصدر سابق**، ص. 37-38

ببومرداس. و يبدو أن المسؤولين الجزائريين كانوا يجيبون بأن قضية الحدود تتولاها الحكومة التي ستنبثق عن المجلس التأسيسي الجزائري المنتخب[119].

و في غمرة انتصار الجزائر، و تذوق طعم الحرية و تضميد جراح عميقة لأكثر من 130 سنة من الاستعباد و القمع و الاضطهاد، اخترقت القوات العسكرية الملكية الحدود الجزائرية سنة 1963، حيث جرت معارك على طول الحدود الجزائرية المغربية عرفت " بحرب الرمال" كادت تعصف بالمنطقة إلى صراع مفتوح على كل الاتجاهات بمحاولة دخول أطراف أجنبية[120].

جرت حرب الرمال فيما بين الفاتح أكتوبر و 5 نوفمبر 1963، و دارت المعارك في منطقة بيش[121]، و في فيقيق و بني ونيف، و في الجنوب الغربي من بشار على بعد حوالي 500كلم في منطقة تيفوشي، حيث يوجد البرجان حاسي البيضاء و تينجوب بين بشار وتندوف[122].

لقد رأت القيادة الجزائرية في هذه الحرب المفروضة عليها، محاولة لخنق النظام الجزائري التقدمي القوي الروابط بالأنظمة التقدمية بالمشرق العربي، و شاركها في هذا الرأي قادة وطنيون منهم المهدي بن بركة[123] و محمد البصري الفقيه الذي قدر فر من السجون المغربية، و اقتنعت الحركة الوطنية بالمغرب و على رأسها حزب الاستقلال بالحقوق الترابية المغربية[124]، أما محمد بن الحسن الوزاني الذي تعامل لبعض الوقت بالقاهرة مع مكتب المغرب العربي و لجنة تحرير المغرب العربي[125]، فإنّه قد تحول إلى داعٍ " للقطرية " بل إلى معارض للمشاريع الوحدوية في المغرب و المشرق العربيين[126]، إذ أصبح على رأس حزبه الدستور الديمقراطي (حزب الشورى و الاستقلال سابقا) يدق

---

119 - زوزو، **المرجعيات، مصدر سابق**، ص. 38

120 - انظر بهذا الخصوص، " حرب الرمال في الأرشيفات الأمريكية" في جريدة **الجزائر News**، عدد 2006/05/8 و 2006/05/13

121 - قرية مغربية في أسفل جبال سيدي عبد الله، إلى الجنوب الغربي من عين الصفراء، كنت قريبا منها و أنا بالخدمة الوطنية في منطقة بن يخو الجزائرية سنة 1976.

122 - CHENTOUF, **op. cit**. p. 45

123 - انظر، بلقزيز ،**الحركة الوطنية المغربية، مرجع سابق**، ص. 162

124 - بلقزيز، **مرجع سابق**، ص. 162

125 - انظر، رسالتي ، **الاتجاه الوحدوي**، ، ص ص. 409-414

126 - بلقزيز، **مرجع سابق**، ص. 144

طبول الحرب صائحا " و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة..." و دعا إلى مضاعفة تعداد الجيش و تكوين جيش خاص بالحدود و تسليم سكان المناطق الحدودية المحتلة![127].

توقف الاقتتال بمقتضى اتفاقية هدنة أمضيت في باماكو في 2 نوفمبر 1963 بتدخل من الرئيس الإثيوبي هيلي سيلاسي في 30 أكتوبر، و التي احترمت من الطرفين إلى سنة 1966، حيث ثارت المسألة من جديد إثر إقدام الجزائر في شهر ماي و جويلية على تأميم المناجم و التي من بنها غار جبيلات[128]، بعدها أمضى البلدان على معاهدة الأخوة و حسن الجوار في إيفران (15 جانفي 1969) و التي تحظر كذلك، اللجوء إلى استعمال القوة لمدّة عشرين سنة، كانت هذه المعاهدة التي لم تنشر بمثابة " تجميد مؤقت للنزاع الحدودي"، وكونت لجنة مختلطة لوضع العلامات (Bornage) في27 ماي 1970 بتلمسان[129]، وأمضي على إثرها اتفاق بين البلدين حول الحدود في 15 جويلية 1972 في المؤتمر الإفريقي بالرباط، حيث وافقت الجزائر على اتفاقية 17 مارس 1973 و اتفاقيتي 15 جوان 1972، و أعلن الحسن الثاني من جهته في شهر أبريل على عرضها في غرفة النواب للموافقة عليها مستقبلا[130].

3- " اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب Maghreb" (لدام)[131]

عاد النشاط المغاربي في المغرب العربي فيما بعد الاستقلال مع فتور التوتر في خريف 1964، لكن على مستوى وزراء الاقتصاد بإنشائهم للجنة الدائمة الاستشارية للمغرب[132]. وقبل مباشرة هذا الموضوع نشير إلى أن المغرب العربي ظل مقتصرا على الدول المركزية الثلاث: تونس و الجزائر و المغرب الأقصى فيما بين 1910- 1964، أما " الجناحان الآخران": ليبيا (المستقلة منذ سنة 1951) و موريتانيا (المستقلة منذ 1960)

---

127 - بلقزيز، **مرجع سابق**، ص. ص. 80-82

128 - CHENTOUF, **op. cit**. p. 46

129- RUF, **op. cit**. p. 226

130 -CHENTOUF, **op. cit**. p. 46

131 - اختصرت اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب في كلمة "لدام"، فهي باللغة الفرنسية: Comité permanent consultatif du Maghreb مختصرة في: CPCM

132 - ظهرت اللجنة بعد مؤتمر القمة العربية الأولى و التي كان من نتائجها المصالحة المغربية المصرية و المصالحة الجزائرية المغربية خلال شهر جوان 1964، و سبقها لقاء السعيدية بين الرئيس بن بلّة و الملك الحسن الثاني.

فإنهما لم تؤخذا بعين الاعتبار، فقد نُظر إلى ليبيا على أنها دولة تتبع المشرق العربي وموريتانيا دولة إفريقية[133]، لأن مشروع بناء المغرب العربي بعد استقلاله كليا (1962) " حاق به الإبهام في عدد البلدان المشاركة، و لا يزال غرضا للاستثناء في عدد البلدان المعنية. فكان المشروع عام 1964 يشمل أربعة بلدان معنية باستثناء موريتانيا، ثم انحدر إلى ثلاثة بانفصال ليبيا من بداية عهدها الجديد عام 1970 ثم عاد إلى أربعة عام 1975[134]، حيث انسحبت ليبيا العقيد القذافي من "الدام" سنة 1970 و هي السنة التي انتمت فيها موريتانيا إلى اللجنة بصفة " ملاحظ" ثم بصفة دائمة سنة 1975[135].

أصبح المغرب العربي بداية عقد الثمانينيات من القرن العشرين بخمسة دول بعودة ليبيا إلى التكتل، و لكن بمفهوم الإرادة الجزائرية بست دول بإضافة الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، و أخيرا و لتسهيل إنشاء " اتحاد المغرب العربي UMA" وضعت الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية بين (قوسين) في انتظار الاقتراع العام على تقرير المصير الذي سيحدد مستقبلها[136].

و نتسآل هنا حول المحتوى التنظيمي للمغرب العربي ، فإن مفهوم كتلة الدولة الواحدة الموحدة "الاندماجية" كما يطرحه الفكر القومي العربي في المشرق لم تكن أبدا مطروحة في الفكر القومي للمغرب العربي[137]، هل كان الاقتصار محدودا في إقامة " مغرب الأقطار" أو اللجوء إلى " فيدرالية" أو " كونفيدرالية" مجهزة بتنظيمات متجاوزة للأقطار؟ هل كان الرئيس بومدين محقا سنة 1975 عندما أحلّ " مغرب الشعوب " محل " مغرب الدول"؟ وهناك أسئلة أخرى تطرح: هل يُبدأ بناء المغرب العربي بالتعاون السياسي المشترك أم بالتعاون الاقتصادي؟ و هل التنمية الوطنية تسبق الاندماج الإقليمي في المغرب العربي؟ وهل اقتصاديات الأقطار كانت متعارضة أم متكاملة؟[138]، و مهما كان و رغم " الديناميكية

---

133 - BALTA, **op. cit.** p.27-28

134 - و لم يعد المغرب العربي من سنة 1989 يشمل إلا ثلاثة بلدان بسبب تجميد الجزائر مشاركتها في المؤسسات المغاربية، و كان ذلك من انعكاس حرب الصحراء الغربية و ما أبرم بين بعض الأجوار من مواثيق بعد أن توجهت المحاولة إلى عزل المغرب الأقصى عن المجموعة المغاربية، ثم تلتها مواثيق أخرى رامت إقصاء الجزائر. من أجل ذلك كان مشروع بناء المغرب العربي محاطا بالإبهام في تركيبه و في عدد البلدان المشاركة و عرضة في مضمونه للمساومة الظرفية و لخريطة الأحلاف المتغيرة. انظر، الفيلالي، **مرجع سابق**، ص. 20-21

135 - BALTA, **op. cit**. pp.27-28

136 - **Ibid**. p. 28

137 - بلقزيز، **مرجع سابق**، ص. 115-116

138 - BALTA,**op. cit.**. p.28

" التي كان يشهدها المغرب العربي بعد 1962 لدى زعمائه من حين إلى آخر فإن هذه الإشكاليات المختلفة ظلت مطروحة.

لقد اختار زعماء المغرب العربي أخيرا تشييد ما يعرف بالدولة ـ الأمّة (الفكرة القطرية)، لكن هل تجاهل هؤلاء " الوطنية المغاربية" لدى أهالي المغرب العربي؟ هل تجاوزوا حقائق اقتصاديات العالم المتكاملة أكثر فأكثر فيما بينها؟ هل تجاوزوا الاتجاه الدافع للبلدان الصناعية المشتركة فيما بينها في إقامة كتل كبرى، و منها دول السوق الأوربية المشتركة التي يتعامل معها المغرب العربي في حدود 70% من تبادلاته؟[139].

و في محاولة للإجابة على التساؤلات السابقة انعقدت بتونس أول اجتماع بتاريخ 29 سبتمبر و غرة أكتوبر 1964 لوزراء اقتصاد المغرب العربي قصد ضبط المحاور الرئيسية للتعاون الاقتصادي، و قد تمّ التوقيع على " بروتوكول تونس" الذي نص على بعث " اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب"[140](لدام) بتاريخ 11 أكتوبر، و حضر الاجتماع السادة: عبد الله سكته (ليبيا) و أحمد بن صالح (تونس) و علي محساس (الجزائر) و محمد الشرقاوي (المغرب)، و بذلك كانت هذه الندوة بمثابة شهادة ميلاد "رسمية" لتجربة جديدة " للاندماج الاقتصادي" في المغرب العربي ما بعد الاستقلال، و لهذه اللجنة في ولادتها أصل في الأمانة المنبثقة عن مؤتمر طنجة و أصل " سياسي" في اجتماع وزراء خارجية المغرب العربي بالرباط بداية سنة 1963 حيث أكدوا في بيان لهم على " بناء المغرب Maghreb"[141].

جاء في نص " الترجمة الاقتصادية للإيديولوجية الوحدوية "[142] ما يلي:
" اتفق الوزراء...حول آفاق الوحدة الاقتصادية لبلدانهم على ضرورة إقامة نظام علاقات خاصة في ميدان التعاون الاقتصادي و العلاقات التجارية.
" لقد قررت ندوة وزراء اقتصاد المغرب (Maghreb) إنشاء لجنة دائمة استشارية للمغرب و مركز الدراسات الصناعية[143]. تجتمع هذه اللجنة على الأقل مرتين في السنة". لتأتي بعد

---

139 - BALTA, **op. cit**. p.28

140 ـ انظر نص البروتوكول في: **Annuaire de l'Afrique du nord**, CNRS, Paris, 1964, pp.663-664.

141 - TOUMI, **op. cit**. pp. 69

142 ـ لم نجد النص باللغة العربية فالتجأنا إلى ترجمته من اللغة الفرنسية.

143 ـ الفيلالي، **المغرب العربي، مصدر سابق**، ص.23، يسمي الفيلالي اللجنة (لدام) بـ" اللجنة الاستشارية القارة للمغرب"

ذلك تحديد مهام "لدام". فالأولى تهدف إلى إقامة " التبادل التجاري المميز" و " تنسيق السياسة الجمركية"، و في هذا الإطار قرروا مبدأ " الأفضلية المغاربية للمبادلات التجارية وأسبقية التزود المغربي و تنسيق الإجراءات الجمركية في سياسات التصدير". أما المهمة الثانية فتخص الصناعة في " ضرورة تنسيق و انسجام سياسة التصنيع و التجهيزات الأساسية و البنيات الاقتصادية في الدول الأربع"، و خصوصا في قطاعات المناجم و النقل و المواصلات. أما المهمة الثالثة، فتخص العلاقات مع بلدان السوق الأوربية المشتركة، فالندوة توصي بإعادة تحديد العلاقة " في إطار التنمية الاقتصادية العامة لبلدان المغرب، وفي إطار سيادته". و أخيرا العناية " بتنسيق و احترام المواقف تجاه السوق الأوربية المشتركة"[144].

ولدت هذه اللجنة "لدام" لتكون على ما يبدو، كمحاولة للالتفاف على الخلافات والتناقضات السياسية بين أقطار المغرب العربي، و إيجاد مجالات للتعاون و التكامل على المستوى الاقتصادي بناء على مصالح مشتركة و محدّدة للأطراف كافة، على أمل أن يسفر ذلك عن تقارب سياسي بين الأقطار الثلاثة[145].

كانت أفكار الحركات الوطنية المغاربية هي الجنين الإيديولوجي لمشروع الوحدة، ومؤتمر طنجة (1958) هو شرعيتها الدستورية، و حاولت "لدام" أن تكون هي تجسيدها الاقتصادي. و لكن هذه اللجنة لم تكن مهيكلة بصفة جيدة، فهي لم تحدد مقرا لها في تونس العاصمة إلا في دورتها الثالثة، وكان أمينها العام التونسي مصطفى الفيلالي، بالمقابل بدون ميثاق و لا قانون داخلي، فقد كان دوره بكل بساطة استشاريا، و توصياته لم تكن إلزامية، وهي مهما كانت، تتطلب إرادة سياسية - غائبة - ، فالدول المغاربية لها أنظمة سياسية واقتصادية مختلفة منقسمة بين منطقين متناقضين: حول بناء الدولة - الأمة أو التكامل الإقليمي، فاللجنة كانت مهمتها لحل التناقضات أو لوضع ترتيب ما، لكنها و بكل بساطة كانت بدون وسائل[146].

---

144 - الفلالي، **المغرب العربي، مصدر سابق**، ص.23. انظر كذلك، TOUMI, **op. cit**. p. 70

145 - بلقزيز، **مرجع سابق**، ص. 164-165

146 - BALTA. **op. cit**. P. 29

و في الإطار السابق نجد تشابك العامل العاطفي مع الحسابات التكتيكية، فبالخطأ أو الصواب، كان المغرب و تونس يعتقدان - أو يأملان - مقابل دعمهما للثورة الجزائرية و اعترافهما بالحدود أن الجزائر ستضع مصادر ثروتها الطاقية في صالحهما لتشجيع صناعتهما، لكن بالمقابل كانت استجابة الجزائر فاترة، فقد كانت تشك في شريكيْها كونهما كانا يضمران مفهوما استراتيجيا للوحدة على أن تقدم لهما الجزائر ما يدفعان به ثمن تنمية بلديهما، في حين أنهما رفضا دفع " ثمن الدماء" إبان الثورة، لقد كان البلدان قد سبقا الجزائر بست سنوات من الاستقلال، و من ثمّة اختارت الجزائر الطريق الصعب لتصنيع نفسها مع المحافظة على مبادئها الاشتراكية (الاجتماعية)، و قبلت لعب دور التكامل في إطار "لدام" لكن وفق معايير و حدود التنمية المركزية الذاتية، فسلك جيرانها نفس المنهج[147].

و كيفما كان الحال، انعقدت من سنة 1964 إلى 1975 سبع ندوات لوزراء الاقتصاد، و كانت دورة "لدام" الثانية بطنجة في 26-27 نوفمبر 1964[148]، وهذه الدورة أولت " عناية خاصة بأحكام التنسيق بين المخططات الوطنية للتنمية و بين مختلف الوحدات الصناعية"، كما اهتمت " بقضايا تمويل مشاريع التنمية و توحيد السياسات في ميدان القوى العاملة و التكوين المهني"[149].

أوصت اللجنة تحت عنوان " التخطيط" على " تفعيل لقاءات ضرورية قصد رفع تنسيق خطط التنمية" و تحت عنوان آخر هو " الانسجام الصناعي" استشرفت " دراسة مقارنة للمنتجات الفلاحية... و بخاصة الزراعة الفلاحية" و إنشاء " مركز الدراسات الصناعية"(CEI)[150] و تميزت بإقرار العمل من أجل التنسيق بين المخططات الاقتصادية الوطنية و تمويل مشاريع التنمية المشتركة و اعتماد سياسة موحدة في مجال الشغل والتكوين المهني[151].

---

147 - BALTA, **op. cit**. p. 29

148 - لم يول الكاتب جمال عبد الناصر، مانع، في كتابه: **اتحاد المغرب العربي، دراسة قانونية سياسية**، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، الجزائر، 2004، اهتماما كافيا بتجربة اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب و مؤسساتها رغم أهميتها في أرضية موضوعه، فقد أفرد لها ص. ص. 19 و 63-64 و 65-66

149 - الفيلالي، **المغرب العربي، مصدر سابق**، ص.23.

150 - TOUMI, **op. cit**. p. 70

151 - **Annuaire de l'Afrique du nord**, 1964, **op. cit**. p.663-664

أما دورة اللجنة "لدام" الثالثة فانعقدت بطرابلس في25-27 ماي 1965، و حددت في هذه الدورة ميزانية " لدام" و تقرر إنشاء و تنظيم " مركز الدراسات الصناعية"[152] وقدمت توصيات بشأن صناعة الفولاذ و الدعوة إلى تكوين لجنة مختصة لدراسة القطاع، وتوصيات بشأن قطاع التأمين و المواصلات في ميدان الحلفاء و تنظيم الإحصاءات الصناعية[153].

و اهتمت الدورة الرابعة بالجزائر في 11 فيفري 1966 بتدعيم " لدام" باعتبارها مؤسسة: 1- مركزها القار بتونس (العاصمة). 2- أعضاء اللجنة المرسمين... يقومون بمهامهم بصفة مستمرة و دائمة. 3- مقرّ الأمانة حدد بمقرّ اللجنة "لدام". 4- يعين أمين "لدام" من طرف مجلس الوزراء، و له المسؤولية المالية و الإدارية[154]. و أكد اجتمع الجزائر على تنسيق السياسات التجارية مع الخارج، و سياسات السياحة و الحسابات الوطنية والإحصاءات التجارية و الصناعية، و أيد التوصيات السابقة المتعلقة بصناعة الحديد والصلب و بصناعة الزجاج و التركيب الهندسي خصوصا في ميدان السيارات[155].

و درست الدورة الخامسة للّجنة المنعقدة بتونس في 22-23 نوفمبر 1967 ما وصلت إليه مختلف ميادين الدراسات الموصى بها، و أعلنت بإنجاز قانون نهائي لـ"لدام" خلال سنة 1968، و تمّ فيها تعيين السيد مصطفى القصري أمينا للّجنة، و تطرق الاجتماع " لتكامل اقتصاد المغرب"(العربي) على أمل تحقيق " الوحدة الاقتصادية"، و اعتبر المشاركون أن " نهضة اندماج اقتصاد المغرب (العربي) تتطلب برنامج عمل في **إطار الحل العام**"، واختاروا " الحل العام الانتقالي لتحضير ظروف ملائمة للمرور إلى الاندماج المغاربي". وخُولت "لدام" مهمة إنجاز " مشروع اتفاق ما بين الحكومات يعتمد مرحلة انتقالية لخمس سنوات في أقصى تقدير" و آفاق هذا المشروع تنحصر في عدّة نقاط: 1- تحديد قائمة للصناعة المعتمدة تكون منتوجاتها معفاة من الضرائب، و بحماية مشتركة في كل بلدان المغرب"(العربي). 2- تحرير خطة التبادل على أمل تشجيع التجارة (البينيّة المغاربية Intra maghrébin). 3-

---

152 - TOUMI, **op. cit**. p. 70

153 - الفيلالي، **المغرب العربي، مصدر سابق**، ص. 23-24

154 - TOUMI, **op. cit**. pp. 70-71

155 - الفيلالي، **المغرب العربي، مصدر سابق**، ص. 24

انسجام الحماية تجاه الدول (المتعامل معها). 4- ... الرفع من تبادل المنتجات الفلاحية. 5- إنشاء بنك مغاربي للتكامل...6- إقامة ديناميكية متبادلة في الرواتب[156].

و يعلق مصطفى الفيلالي، أمين "لدام" سابقا و أحد أعضائها قائلا: أن القرارات والتوصيات توجهت في المرحلة الأولى من مشروع التعاون إلى " بناء متدرج للوحدة الاقتصادية على أساس التنسيق بين القطاعات واحدا بواحد"، و تركزت على " ميداني التجارة و الصناعة، دون ميادين الزراعة و الصناعات التقليدية و الحرف الصغرى"، وأعطت " أولوية كبرى في ميدان التنسيق التجاري لتوحيد السياسات القطرية في باب التجارة الخارجية مع مجموعة السوق الأوربية المشتركة، و ذلك موقف صائب كانت و لا تزال تمليه النسبة المرتفعة لحصة أوربا الغربية من مجموع المبادلات التجارية المغاربية"[157].

و يلاحظ الفيلالي أن الإجراءات المقررة في الندوات الأربع الأولى (1964-1967) كانت " تسعى إلى إقامة وحدة كاملة، و وحدة اقتصادية اندماجية، و سوق مغاربية مشتركة"، و اختارت "لكام" لتحقيق هذه الغاية سبيل التنسيق القطاعي في الميادين المختلفة التي عالجه الوزراء في دوراتهم. ثمّ تبيّن من الدراسات " أن سبيل القطاعيّة المجزأة سبيل وعرة تثير عددا من المشاكل المعرقلة، مثل منشأ السلعة و طابعها المغاربي، و مثل نسبة القيمة المضافة على المنتوج المرشح لأفضلية المبادلات المغاربية، و مثل نسبة رأس المال المغاربي المستثمر في المشاريع الصناعية المغاربية[158].

و قد عدلت حكومات المغرب العربي عن طريقة التعاون القطاعي و اختارت طريقة التعاون الكلي، فقررت ندوة تونس الخامسة (1967) أن تطلب من "لدام"، " درس آفاق التعاون في نطاق حل إجمالي، و ضبط مرحلة تجريبية لمدة خمسة أعوام و إعداد " اتفاقية بين الحكومات للتعاون الاقتصادي". و قدمت اللجنة مشروع هذا الاتفاقية إلى مجلس وزراء الاقتصاد عند اجتماعهم بالرباط في 20 جويلية 1970. فأثار المجلس جملة من

---

[156] - TOUMI, **op. cit**. p. 71

[157] - **الفيلالي، المغرب العربي، مصدر سابق، ص.24**

[158] - **نفسه**.

الاعتراضات الفنية في مضمون الاتفاقية تتعلق " بمراقبة رأس المال و بمأتى السلع، وبهيكل كلفة الإنتاج و بالقيمة المضافة "، فتقرر إعادة النظر في المشروع، فكان ذلك بصيغة جديدة للاتفاقية على أنظار اجتماع مجلس وزراء الاقتصاد في اجتماعهم بالجزائر في 21 ماي 1975، فوجدوا لها " عدد من المآخذ الأخرى و قرروا ردها"، و أوصوا بالعودة إلى طلب التعاون من " خلال التحاليل القطاعية" و أعطوا " مهلة لذلك إلى غاية 1981"، و كانت هذه الدورة (السابعة) آخر اجتماع لمجلس الوزراء، بعدها انحصرت المشاركة في ثلاث حكومات هي تونس و المغرب و موريتانيا، و تعطل نشاط اللجان القطاعية و توقفت انجازات المشاريع العديدة[159].

لم تعقد الدورة السادسة لـ"لدام" في موعدها المحدد في شهر أبريل 1968 بمدينة الرباط بل عقدت في شهر جويلية 1970، و هذا نتيجة الاختلاف العميق بين الأطراف، فقد أخرت مشاريع التكامل الموصى بها في الدورة الخامسة، فلقد طعن هذا الأمر في كل نماذج التعاون المتعدد المتبادل المنجز من طرف " لدام"، فقد تدخلت في هذه الفترة أحداث مهمة منها: الإيقاف العنيف للتجربة " الاشتراكية" بتونس و منشطها أحمد بن صالح[160] - الرجل الحاضر في كل دورات "لدام"- الذي أصبح سجينا بعشر سنوات أشغال شاقة. و تغير النظام في ليبيا إلى نظام " راديكالي"، في الفاتح من سبتمبر 1969، و اتجهت ليبيا مشرقا، و أصبح بذلك المشروع المغاربي الوحدوي غير مناسب، و ذلك ما يلخصه السيد عز الدين المبروك، وزير البترول و الثروات،:" لا نريد للمغرب (العربي) أن يكون مجموعة مستقلة تقسم العالم العربي إلى مشرق و مغرب"[161].

---

159 - **نفسه**. ص.24-25

160 - أحمد بن صالح، من مواليد 13 جانفي 1926 بالمكنين من مناطق الساحل، درس بالمعهد الصادقي و بباريس، ناضل بالحزب الدستوري التونسي الجديد، امتهن سنة 1948 مهنة أستاذ اللغة العربية و ناضل بالاتحاد العام التونسي للشغل و أصبح كاتبا عاما له سنة 1956،عين وزيرا للصحة العمومية و الشؤون الاجتماعية (1957-1960)، فوزيرا للتصميم و المالية و الاقتصاد الوطني (1961-1969)، و أمينا عاما مساعدا للحزب الاشتراكي الدستوري (1965-1969)، أوقف من طرف بورقيبة و في 25 ماي حكم عليه بعشر سنوات أشغالا شاقة بتهمة " الخيانة العظمى" و بخمس سنوات و نصف السنة إضافية في جويلية 1973 لفراره من السجن، كان يعيش منفيا ملاحقا مطاردا...انظر عنه، أحمد، بن صالح، **تونس، التنمية و المجتمع و السياسة**، حوار مارك نارفان، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص. 39-40

161 - TOUMI, **op. cit**. p. 71

كانت دورة "لدام" السابعة بالرباط[162]، دون حضور الجزائر و ليبيا، في شهر جويلية 1975، التي حاولت بعث مخطط لتصدير الحمضيات اعتمادا على إجراءات " اللجنة المغاربية للحمضيات و الخضر" (Comité maghrébin des agrumes et primeurs)(COMAP)، الذي أنشئ سنة 1972، لكن مسألة الصحراء الغربية كانت قد ظهرت على سطح الأحداث بالمنطقة، فكانت هذه آخر دورة للّجنة[163].

أ ـ مؤسسات "لدام"

يحتل رئيس اللجنة "لدام" منصب وزير، و المنظمة نفسها تمارس سلطة الوصاية على مجمل اللجان و المنظمات المختصّة، فهي التي تنسق و توجه مختلف النشاطات. و"لدام" لها السلطة القانونية، و من ثمّة فهي مخولة في التفاوض مثلا مع لجنة الأمم المتحدة للتجارة و التنمية CNUCED و منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ONUDI و برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD و منظمة الأمم المتحدة و منظمة الوحدة الإفريقية و الجامعة العربية، و لكن لم تتحصل "لدام" على قوانينها النهائية، فقد بقيت هيئة استشارية، فأعضاؤها مجرد موظفين منتدبين من طرف دوائرهم الوطنية و ليسوا موظفين دوليين، فهي أداة ليست طيّعة يمكن من خلالها تطبيق قاعدة الإجماع التي لا توجد في أي نص من نصوصها، و ذلك ما هو غير مطبق[164].

كان للجنة "لدام" هيئات مغاربية دائمة و هيئات مؤقتة ـ غير دائمة ـ نذكر من بينها: المصرف المغاربي للحلفاء (Comptoir maghrébin de l'Alpha "Comalpha") ومركز الدراسات الصناعية (CEI) و المكتب المركزي المغاربي للتعويضات ـ أو الموازنة؟ ـ (BCMC)، الذي أنشئ من أجل انسجام و تعديل الرواتب فيما يخص النقل بالسكك الحديدية. و نتوقف عند مركز الدراسات الصناعية، الذي علق عليه اجتماع مجلس الوزراء حين إنشائه بدعم مالي من هيئة برنامج الأمم المتحدة للتنمية الكثير من الآمال، فقد

---

[162] ـ يعتبره الكاتب التومي(TOUMI, op. cit. p.71) " الدورة السابعة" في حين أن " السابعة" عقدت بالجزائر من نفس السنة، و يبدو أن الخلافات كانت قد ظهرت إلى السطح بين الأعضاء نتيجة مشكلة الصحراء الغربية. و يبدو أن الأطراف التي حضرت هذه الدورة هي تونس و المغرب و موريتانيا.

[163] - TOUMI, **op. cit**. p. 72

[164] -TOUMI, **op. cit**. p. 72

تمّ افتتاحه بطرابلس في شهر مارس 1968، ثم نُقل إلى طنجة سنة 1971 بعد انسحاب ليبيا من "لكام". كان المركز مكلفا بأن يجيب على ثلاث احتياجات: القيام بأبحاث و دراسات في ميدان الصناعة مع الأخذ بعين الاعتبار في أبحاثه الاستشرافية خصوصيات كل بلد، مع تقديم العناية التقنية (الهندسة الفنية و الإنجازات) للمشاريع التي هي في طور الإنجاز في كل من المغرب و تونس و الجزائر و ليبيا، و تكوين خبراء. و من الهيئات المؤقتة (غير الدائمة) وهي (هيئات بلا طابع قانوني و لا مقرات مؤلفة من خبراء، كانت تجتمع عند الطلب)، نذكر منها: اللجنة المغاربية للنقل و المواصلات (CMTC) و اللجنة المغاربية لتنسيق البريد و الاتصالات (CMCPT) و اللجنة المغاربية للسياحة (CMT) و اللجنة المغاربية للصناعة (CMI) و اللجنة المغاربية للإحصاء و الحسابات الوطنية (CMSCN) و لجنة الضمان وإعادة الضمان (CMAR)[165].

ب ـ حصيلة لواقع المغرب العربي إلى 1975

استخلص باحث إلى أن أفكار وحدة المغرب العربي ظلت حبرا على ورق بقوله:" أنها كانت تعني في أذهان النخبة السياسية أثناء فترة الاستعمار وحدة العمل و ليس وحدة الهويّة" تعميما على الحركات الوطنية، مضيفا و لا يجوز أن نستثني من هذا القول " قرار توحيد المغرب العربي" الصادر عن مؤتمر طنجة[166]، و قد نعمم هذه الخلاصة بشكل آخر على الأنظمة في المغرب العربي في أنها لم تحقق أي خطوة في وحدة المغرب العربي "المأمولة" لدى شعوبه، فالمجهودات التي بذلت في المغرب العربي ما بعد الاستقلال، كانت مجهودات "سياسية قطرية" لدى النخب السياسية القيادية لبناء "الدولة الوطنية"، أي دعم المشروع الوطني لكل قطر[167]، رغم أن دساتير الأقطار المغاربية تنص على ذلك[168].

---

165 - TOUMI, **op. cit**. p. 72

166 ـ محمد عابد، الجابري، " فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال"، في **وحدة المغرب العربي، مرجع سابق**، ص.22

167 ـ عبد الإله، بلقزيز، " اتحاد المغرب العربي، عوامل النشوء و حاجات البناء"، مجلة **المنتدى**، عدد 47، المجلد الرابع، أوت 1989، عمان، الأردن، ص. 17 (المقال صص. 16-22)

168 ـ ينص دستور تونس الصادر في الفاتح من جوان 1959 بأنها".. وفيّة لوحدة المغرب الكبير"، و أول دستور مغربي في 7 ديسمبر 1962، ينص أن " المملكة المغربية... جزء من المغرب الكبير"، أمّا دستور الجزائر الصادر في 10 سبتمبر 1963، فينص على أن الجزائر " جزء لا يتجزأ من العالم العربي" و أن " وحدة الشعوب المغاربية تتدرج في صالح الطبقات الشعبية و هي هدف أساس للثورة الجزائرية". انظر، " Le Maghreb dans les textes constitutionnels", in **Questions internationales**, n° 10, novembre-décembre 2004, Paris. (Edition spécial sur le Maghreb), p.15 انظر كذلك، TOUMI, **op. cit**. p. 80-81

و يعزو الكتاب المهتمون بشؤون المغرب العربي[169] تعثر "الوحدة"، إلى اختلاف النظم السياسية، من حيث شكلها السياسي، و اختياراتها السياسية، ففي حين مالت التجربة التونسية إلى الغرب الرأسمالي مع تجربة اشتراكية محدودة تنتهج تنمية اقتصادية واجتماعية[170]، و كان في المغرب النظام ملكيا تقليديا مرتبط كذلك بالغرب الرأسمالي، تجمعت فيه كل السلطات بيد القصر الملكي خاصة الإدارة و الجيش، بعد "مؤامرة" 1960 كما سبقت الإشارة، و بعد محاولتي الانقلاب في جويلية 1971 و في أوت 1972، مع وجود مؤسسات دستورية شبه شكلية. و قد عملت الدولتان، تونس و المغرب، خلال فترة السبعينيات بمبدأ " المشاركة السياسية" و المعارضة المشروعة و ضمان حد أدنى من حرية الصحافة مع استمرار " وظائف التقييد و الضبط و المراقبة"[171].

و لم تزحزح الجزائر عن تجربتها السياسية في نظام جمهوري اشتراكي موجه[172] ونظام الحزب الواحد، و عاشت ليبيا النموذج الجزائري بعد فترة النظام الملكي، على نموذج " اللجان الشعبية" مراهنة على الأحلاف حيث كانت متجهة نحو المشرق العربي من 1969 إلى 1973، ثم التفت إلى المغرب العربي بين 1973 و 1975[173]، أما موريطانيا فتواتر فيها الحكم العسكري و فرض أن تكون تجربتها نموذجا مختلفا لطبيعة المنطقة متململة في نظام ديمقراطية تعددية بين التقاليد و الإصلاح و التناقضات القبلية و العرقية لتنتقل إلى الحزب الواحد بداية من سنة 1965[174].

خضعت السياسة الاقتصادية في الجزائر و ليبيا للدولة فهي " رب العمل الفعلي والفاعل الرأسمالي" و تخضع فيها معظم الأنشطة الاقتصادية لإشرافها المباشر و لمراقبتها، أما في تونس و المغرب الأقصى - و إلى حد ما موريطانيا - فتنطوي على ازدواجية في

---

169 - نحيل هنا إلى المداخلات القيمة للباحثين و السياسيين في ندوة انقدت بمركز دراسات الوحدة العربية أيام 29، 30 نوفمبر إلى الفاتح من ديسمبر 1985، حول وحدة المغرب العربي، و خاصة مداخلة محسن التومي. و طبعت في كتاب، **وحدة المغرب العربي، مرجع سابق**.

170 - حول هذه التجربة، انظر، بن صالح، **تونس و التنمية، مرجع سابق**.

171 - بلقزيز، **المنتدى**، عدد 47، **مرجع سابق**، ص. 17

172 - BALTA, **op. cit**. p. 88

173 - **Ibid**. p. 205

174 - **Ibid**. p. 139-140

البنيات و القطاعات الإنتاجية الاقتصادية، فإلى جانب التأميم الذي يمس قطاعات هامة، هناك قطاع خاص[175]، كانت هذه الأنظمة في صراعات إقليمية حدودية كما سبقت الإشارة.

و يمكن إضافة أزمة الثقة بين النخب السياسية الحاكمة، و هي أزمة تمتد إلى فترة الكفاح الوطني المسلح ضد الاستعمار، و إلى البدايات الأولى لفترة الاستقلال، هذا إلى جانب تعارض الرؤى حول صيغة الوحدة و حدودها، فضلا عن اختلاف الهياكل الدستورية والاختيارات السياسية و الاقتصادية، إلى جانب اختلافات أخرى ستظهر بعد سنة 1975.

و كل المشاريع المنجزة من طرف "الدام" فإنها في أغلبيتها لا تتجاوز حدود علبها (الكارتونية) و ملتقياتها. مع أن لجنة من الخبراء - حيث ساهم CNUCED) - قدموا منذ سنة 1967 حصيلة نتائج لـ"لدام" حول الإستراتيجية الممكن إتباعها من أجل الوحدة المغاربية، فتقريرها لا ينصح بالتكامل الكلي الفوري المعترف به دوليا بواسطة اتفاق يحدد مراحل إقامة مجموعات جزئية بلا طابع قانوني، معلن عنها بالتزامات شكلية بدون قيد. إذ تقترح لجنة الخبراء عملية لإزالة حواجز في التبادل ما بين الأقاليم التي تتماشى في خط مواز مع السياسات الصناعية المتناغمة (هياكل و مشاريع). و تمثل هذه المبادرة مزيّة احتواء كل تقدم و " زحف" لخلق ديناميكية من شأنها إزالة الإجراءات الحصرية تدريجيا في اقتصاد الدول المغاربية لتصل في النهاية إلى مجموعات متلائمة. غير أن هذه المقترحات لم تقدم في وقتها، بل قدمت في دورة مجلس الوزراء المنعقد بالرباط سنة 1970، حيث أجل النظر في الموضوع كذلك، و هذا التأجيل يرمز إلى مناطق الظل التي كانت تخيم على حصيلة "لدام"[176].

كانت آخر مرحلة لـ"لدام" هي مرحلة صيغة " التعاون الإجمالي الشامل في إطار اتفاق مغاربي للتعاون الاقتصادي" في ندوة الجزائر عام 1975، بعد أن مرت بمرحلة " التعاون القطاعي" فيما بين سنة 1964 إلى 1967، غير أن مشروع ندوة الجزائر لم يحظ

---

175 - بلقزيز، **المنتدى**، عدد47، **مرجع سابق**، ص. 18

176 - TOUMI, **op. cit**. p. 72-73

بالقبول[177]. لم تكن اللجنة الدائمة تملك أي سلطة قرار، و الذين كانوا يديرونها مجرد موظفين " مفصولين" أو " ملحقين" من حكوماتهم[178]، و هذا رغم ما قدمته اللجنة طيلة عشرية كاملة من الدراسات في مجالات الصناعة و الفلاحة و المواصلات و التأمين والتشغيل و الإحصاء، من خلال لجانها المختصة العشرين تزيد عن الثمانين دراسة، كانت ستستكمل في آفاق سنة 1981[179].

لم تحقق إذن لـ"الدام" أي شيء، و فشل مشروع التكامل الاقتصادي المغاربي، نتيجة غياب الإرادة السياسية الواضحة لدى النخب القيادية، و بقيت المبادلات التجارية بين بلدان المغرب العربي ضعيفة، إذ لم تتجاوز بصورة وسطية 3% من مجمل مبادلاتها الخارجية[180]، و هذا رغم الاتفاقيات الثنائية التي كانت تعقد بين الدول المغاربية في مجال التبادلات[181].

و أخيرا جاءت الأحداث لتجهد على العمل المغاربي المشترك، ففي تونس توقفت التجربة "الاشتراكية" بإقالة أحمد بن صالح عام 1969، و نددت ليبيا باسم الوحدة العربية ببناء المغرب العربي و انسحبت من اللجنة الدائمة، و خلال عام 1972 أصبحت الجزائر بدورها تتخوف من " اختراقات رأسمالية" تتوغل عن طريق مشاريع مصاغة في المغرب أو تونس، و في عام 1973 بدأت قضية الصحراء الغربية تطفو إلى سطح الأحداث[182].

و قد عرفت المنطقة تاريخيا بالساقية الحمراء و وادي الذهب، و بالصحراء الإسبانية خلال الحقبة الاستعمارية(1884-1975) ثم بالصحراء الغربية، ونتيجة لتنامي نضال الشعب الصحراوي و تأسيسه للجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء و وادي الذهب(البوليزاريو) في 10 ماي 1973، شرعت إسبانيا بالتحضير للانسحاب من المنطقة لاستقلال الإقليم، و لما

---

177 ـ الفيلالي، **مصدر سابق**، ص. 35

178 ـ محسن، التومي،" تصور جغرافي لوحدة المغرب العربي"، في **وحدة المغرب العربي، مرجع سابق**، ص. 174

179 ـ عن المجالات المدروسة في اللجنة "الدام"، انظر، الفيلالي، **مرجع سابق**، ص ص. 58-78

180 ـ انظر، التومي، **وحدة المغرب العربي، مرجع سابق**، ص.174، كانت المبادلات التجارية بين بلدان المغرب العربي و أوربا تمثل إلى غاية 1995 ما يعادل 60% إلى 70% و بخاصة مع فرنسا، و 5% مع الولايات المتحدة الأمريكية(خارج المحروقات)، انظر، Zakya, DAOUD, "Les diplomaties du Maghreb: une réorientation stratégique vers les Etats-Unis", in **Questions internationales**, n°10, op. cit. p. 80

181 ـ انظر، إسماعيل، العربي، **التنمية الاقتصادية في الدول العربية، في المغرب**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص ص. 41-48

182 ـ انظر، التومي، **وحدة المغرب العربي، مرجع سابق**، ص. 174

كانت المنطقة ضمن خريطة "المغرب الكبير"، أرادت السلطة المغربية ضمها إلى المملكة، و كان المغرب قد اعترف باستقلال موريطانيا سنة 1969 و كانت قبل ذلك ضمن خريطته، فأشركها في غزو الصحراء الغربية سنة 1975 بانسحاب إسبانيا. و خلاصة القضية أن الجزائر وقفت إلى جانب " حق تقرير مصير الصحراويين" فكانت الجفوة و القطيعة[183].

[183] ـ تناولت عدّة دراسات القضية الصحراوية، ، مسعود، شعنان، **نزاع الصحراء الغربية و الشرعية الدولية: حقوق الإنسان و حق الشعوب المستعمرة في تقرير المصير**، (دكتوراه دولة)، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية و الإعلام، رمضان 1428/سبتمبر 2007.

الخاتمــة

المغرب العربي كتلة جغرافية طبيعية واحدة، لها معطيات موضوعية للوحدة، بشرية و حضارية تاريخية و دينية و ثقافية، قلما وجدت في منطقة أو لدى مجموعة بشرية على وجه الأرض.

كانت منطقة المغرب العربي موحدة في فترات من التاريخ. و رغم الكيانات السياسية التي قامت بها في أحيان أخرى، فإن العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و كل أواصر الارتباط ظلت متواصلة باستمرار لا تحدها حدود، إلى أن جزأها الاحتلال الأجنبي في القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين و حاول العبث بعوامل وحدتها الحضارية والبشرية، رغم أنه وحدها في المحنة الاستعمارية الواحدة.

في ظل الصدمة الاستعمارية و ظلامها انبعثت فكرة وحدة المغرب العربي في إطار دعوة الجامعة الإسلامية و الخلافة الإسلامية، و هي الفكرة التي تطورت و تنامت خلال المقاومة الشعبية للاستعمار خلال القرن التاسع عشر، و توسعت و عمّت في خطاب وأدبيات الحركات الوطنية السياسية و الإصلاحية خلال القرن العشرين إلى سنة 1954، حيث أصبحت الفكرة راسخة في الذاكرة الجماعية و متأصلة في وجدان الأهالي، الذين أصبحت تبدو لديهم أن " الوحدة" بينهم حتمية تاريخية آتيه في حالة تحررهم.

و المتتبع للحركات الوطنية المغاربية السياسية أو الإصلاحية أو أفكار أفراد من النخبة، من خلال البرامج و الأدبيات و جميع الأفكار الوحدوية، يجد أنها لا تقدم تصورا واضحا لهذه الوحدة أو لآفاق المغرب العربي مستقبلا، أو كيفية بناء هذه الوحدة أو شكله السياسي.

إن أقصى ما دعا إليه زعماء المقاومة (الأمراء عبد القادر و عبد المالك و عبد الكريم)، أو الذين أرادوا إشعال فتيل الثورة في المنطقة (محاولة المهاجرين 1917، وجماعة لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية سنة 1939)، هو دعوتهم لأهالي المغرب

العربي للكفاح المشترك من أجل الاستقلال، أو إشعال الثورة على أمل تعميمها في المنطقة. إذ نجدهم لا يقدمون تصورات واضحة لوحدة المغرب العربي.

و ينطبق حال دعاة المقاومة على الحركات السياسية و الإصلاحية، فاللجنة الجزائرية التونسية طالبت سنة 1919 باستقلال القطرين تونس و الجزائر في دولة واحدة عاصمتها مدينة تونس في إطار الخلافة الإسلامية، و نجم شمال إفريقيا الذي حاول استدراج التونسيين و المراكشيين إلى صفوفه كان مطلبه " استقلال شمال إفريقية"، أو بعض دعوات مناضليه إلى إقامة " فيدرالية شمال إفريقية" أو " ولايات متحدة شمال إفريقية" دون أن يقدموا تصورات مستقبلية لهذه الوحدة. و كان للنجم الفضل في صناعة " العلم " المغاربي، رمز الاستقلال، و هي الدعوات التي واصلها حزب الشعب الجزائري بالتنسيق مع الحركات السياسية في القطرين تونس و المغرب الأقصى.

كان عمل الحركات الإصلاحية أعمق في المغرب العربي، كونها أحيت العوامل الحضارية العربية الإسلامية المشتركة لأهالي المغرب العربي و ربطته بمجاله الحضاري الواسع في إطار مفهوم " الأمّة"، و لم تعط هي الأخرى تصورا لهذا المفهوم، بل ربطته بمفهوم الأمير شكيب أرسلان، و يمكن تلخيصه في مقولة الإمام ابن باديس سنة 1937 حينما تساءل "لمن أعيش؟"، و أجاب: لوطني الخاص الجزائر، ثم لأقرب الأوطان تونس ومراكش، ثم للوطن العربي الإسلامي، على أمل إحياء الخلافة. و ساهمت من جانبها حركة طلاب الوحدة ممثلة في جمعية طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين في توطيد أواصر الوحدة، وكان أقصى ما وصلت إليه هو مطالبها الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية في مؤتمرها بتونس سنة 1950 المشتركة المتعلقة بالمغرب العربي، و تبدو هي الأخرى بعيدة عن تصور واقعي لمستقبل المغرب العربي. و من ثمّة، اقتصرت التصورات في هذه الفترة، بصفة عامة في وحدة النضال و الكفاح من أجل الاستقلال.

و بناء على هذه التصورات " لوحدة آتية" إن توحد النضال و الكفاح، كانت الذاكرة الجماعية لسكان المغرب العربي حاضرة مساهمة و دعما و فعلا، حين انطلقت المقاومة في

تونس و مراكش أولا، و ازداد الاستبشار خيرا باندلاع الثورة الجزائرية التي أكدت في مواثيقها الأولى على تحقيق وحدة المغرب العربي ثانيا، و عمّ الكفاح المنطقة!

لم يكن الاستعمار غائبا في هذه الظروف، و بخاصة و أن محاولات التنسيق كانت جارية قبل بداية المقاومة بين قادة الحركات الوطنية فيما بينهم حالة اندلاع الثورة، و هي فعلا الأوضاع التي كانت في الميدان، فقد كان التنسيق جاريا بين قادة المقاومة و الثورة الجزائرية. و هو الأمر الذي دفع سلطات الاستعمار في سباق مع المقاومة المشتركة إلى التلويح باستقلال تونس بإمكانية التعاون مع فرنسا، و كان هدفها أن تخرج من مأزقها، و قد وجدت بندائها من يتعامل معها، في وقت كان قد ظهر بتونس جيش تحرير المغرب العربي متسارعا هو كذلك لضرب الاتجاه المتعامل مع فرنسا.

و سارع قادة الثورة الجزائرية من جهتهم لربط الاتصال مع قادة المقاومة المتباطئة والمحدودة في مراكش و إشعال فتيل ثورة منسجمة عن طريق جيش تحرير المغرب العربي، الأمر الذي أدركه ساسة الاستعمار فأرجعوا السلطان المخلوع محمد الخامس وألبسوه عباءة نضال الحركة الوطنية منذ 1912 و التفاوض معه ثم منحه استقلال المغرب في إطار التكافل مع فرنسا، فأصبح جيش تحرير المغرب العربي أمام الأمر الواقع، إذ أوهمته أطراف من الأحزاب السياسية شاركت في المفاوضات، و كانت تدعو قبل ذلك إلى المقاومة و وحدة الكفاح المشترك في المغرب العربي، أن مهمته قد انتهت باستقلال المغرب الأقصى!

لقد كان الحال شبيها في تونس بالمغرب الأقصى، حين قبل جناح بورقيبة التفاوض والحصول على الاستقلال الداخلي، و ظهر جناح آخر كان يؤمن بمواصلة الكفاح المشترك في المغرب العربي مع الثورة الجزائرية، حينئذ منحت فرنسا الاستقلال " الكامل" مع بقاء قواتها العسكرية متمركزة في قواعدها بالإقليم!

و لعل أهم فرصة في التاريخ المعاصر لتوحيد المغرب العربي توحيدا فعليا " بحكم الأمر الواقع " (أي عنوة) هي مرحلة 1954-1956، و التي تميزت بالتنسيق بين المقاومتين في تونس و المغرب الأقصى والثورة الجزائرية التي مرّت إلى مرحلة التلاحم في الكفاح المشترك بإنشاء قيادتين لجيش تحرير المغرب العربي في تونس و مراكش، كما تميزت بالسياسة الفرنسية التي أوصلت القطرين إلى الاستقلال في إطار سياسة التجزئة و " القطرية". و قد شهد مع ذلك القطران صراعا مريرا بين جناحي مواصلة الكفاح المشترك مع الثورة الجزائرية في مجاله العربي الإسلامي من جهة، و جناحي المحافظة على استقلال القطرين، و كان من الغريب أن يظهر جناح في الثورة الجزائرية سيطر على مقاليد أمورها كان يؤمن بالطرح " القطري" للثورة، بعيدا عم مجالها الإقليمي و العربي الإسلامي.

كان الاختلاف على أشده بين القادة المنبثقين عن مؤتمر الصومام، و القادة الذين وقفوا ضد قراراته و أنصارهم المؤمنين بوحدة الكفاح و وحدة المغرب العربي، و حدث ذلك بتونس و المغرب الأقصى بين المقتنعين بالاستقلال التكاملي مع فرنسا و بين المؤمنين بضرورة مواصلة الكفاح إلى الاستقلال الكامل للمغرب العربي، و بذلك شهدت الأقطار الثلاثة عمليات تهميش و أبعاد و سجن و تصفية من طرف النخب القيادية بعد سنة 1956 لكل العناصر التي تؤمن بوحدة الكفاح المشترك و وحدة مصير المنطقة، و دامت هذه العمليات إلى نهاية الخمسينيات.

في خضم هذه الأحداث، بدأت الدعوة إلى إقامة وحدة المغرب العربي، و لكن في أي إطار؟ كان ذلك ضمن مفهوم التكامل و التكافل مع فرنسا، و لكي تتحقق هذه الإستراتيجية بواسطة نواب فرنسا المؤمنين بالقطرية، اقتنص سلاح الطيران الفرنسي قادة التمثيل الخارجي للثورة الجزائرية، الذين لم يكونوا يؤمنون بالطرح الفرنسي، و شاركت فرنسا بالتزامن مع الحادثة في العدوان على مصر الثورة، الداعمة لحركات التحرر و بخاصة العربية منها، مع بريطانيا و دولة الكيان الصهيوني. و ظلت بعدها الدعوات الفرنسية منها "حلف دفاعي متوسطي" للأقطار الثلاثة يكون فرعا للحلف الأطلسي، و منها مجموعة شمال إفريقية الفرنسية و هي إحياء لفكرة الاتحاد الفرنسي.

فترت لبعض الوقت مشاريع فرنسا و مؤيديها إثر العدوان على ساقية سيدي يوسف في شهر فيفري 1958، بظهور معطيات جديدة في الأفق، منها انتصارات الجمهورية العربية المتحدة، و الدعوات إلى التكتل في المشرق العربي، في هذه الظروف جاءت دعوة حزب الاستقلال المراكشي في شهر مارس 1958، إلى عقد مؤتمر لوحدة المغرب العربي، دون أن تخلو الدعوة من التلميح إلى مستقبل المغرب العربي مع فرنسا و أوربا الغربية متجنبة المجال الحضاري للمنطقة، و قد أدى هذا الأمر إلى تحفظات في المشرق العربي بشأنها.

لقد فجر مؤتمر طنجة في شهر أبريل آمالا عريضة لدى شعوب المنطقة نتيجة الدعاية الإعلامية التي حظي بها و نتيجة " ولادة " قراراته التي ظهرت معقولة و مقبولة، كانت صادرة عن ممثلي أحزاب كانت تسيطر على دواليب الحكم بأقطارها، لكن عند لقاء تنفيذها بالمهدية في شهر جوان 1958 وجدت " ميتة".

كان المؤتمر في الواقع لاحتواء التيار الوحدوي في المغرب العربي بعد سنة 1956، ثم أنه جاء في وقت كانت فيه آلية الخلافات تشق النظام العربي، فهو وحدة جديدة في الظاهر بعد قيام الوحدة المصرية السورية (فيفري 1958) ثم فيدرالية الوحدة المصرية السورية اليمنية (مارس 1958)، و قيام الاتحاد الهاشمي العراقي الأردني (مارس 1958)، و هي وحدات و كتل تختلف فيما بينها في التحالفات.

إذ سرعان ما انفجرت الألغام في تأويل قرارات مؤتمر طنجة، فالداعون إليه كانت تحركهم قوة المصالح على حساب الثورة الجزائرية، إذ أقدمت تونس في نفس تاريخ انعقاد ندوة المهدية في محاولتها اقتطاع مساحات ترابية من الجزائر، و حصلت مراكش في طنجة على الدعم و التأييد بخصوص أحقيتها على إقليم موريطانيا، في إطار خريطة المغرب الكبير و هي خريطة كان قد أخرجها حزب الاستقلال منذ سنة 1947، و أصبح علال الفاسي و أنصاره و الأحزاب المراكشية و القصر الملكي يلوحون بها تزامنا مع سياسة فرنسا في

محاولتها للاحتفاظ بالصحراء الجزائرية حين ظهور قيمتها و بخاصة بعد اكتشاف البترول والغاز بها.

و تشتمل خريطة المغرب الكبير على موريطانيا و الصحراء الغربية و تقتطع أجزاء ترابية واسعة من الجزائر ومالي و السنغال، و تمكن علال الفاسي بإقناع العرش الملكي من تحويل جيش تحرير المغرب العربي عن مهامه سنة 1956 إلى جيش تحرير "الصحراء المغربية "!، على أمل الاستيلاء على هذه المناطق.

كان لهذه الخريطة آثار وخيمة على بناء وحدة المغرب العربي، فقد أدت إلى تصادم مسلح مع الجزائر في خريف 1963، كما كان لها تأثيرات على مسيرة تجربة اللجنة الدائمة الاستشارية للمغرب، التي اشتغلت بين أكتوبر 1964 و جويلية 1975، و قامت بلجانها العشرين بعدّة دراسات في المجالات الاقتصادية من صناعة و فلاحة و تجارة تجاوزت الثمانين مشروعا مدروسا، غير أن هذه الدراسات ظلت حبرا على ورق، ذلك أن دراسات اللجنة ليست إلزامية، و اللجنة و أمينها العام ليست بيدهما سلطة القرار، إضافة إلى أسباب أخرى، منها أن قضية الصحراء الغربية بدأت تطفو إلى السطح بداية من سنة 1973، وعطلت اجتماعات وزراء اقتصاد المغرب العربي و عطلت اللجنة في صيف 1975، وأجلت وحدة المغرب العربي إلى " أجل غير مسمى" مرّة أخرى، نتيجة خريطة المغرب الكبير!..

الملاحق

- **الملحق رقم: 1**، للجنة التنسيق للمغرب العربي، قبل انطلاق الكفاح المشترك في 2 أكتوبر1955، من طرف جيش تحرير المغرب العربي.
- **الملحق رقم: 2 +3**، رقم: 2،هو المنشور الأول "الجيش تحرير للمغرب العربي"، و يختلف النص مع النص المكتوب باللغة الفرنسية الذي نزعت منه الآيات القرآنية. أما رقم: 3، فهو المنشور السادس لنفس الجيش، و لدي عدة بيانات أخرى، كانت كل المنشورات في بداية الكفاح باسم جيش تحرير المغرب العربي، ثم أصبحت باسم " جيش التحرير المغربي خلال سنة 1956، و أخيرا باسم " جيش التحرير المغربي، القيادة العليا لتحرير الصحراء المغربية"، و لدي المنشور رقم 29 يحمل هذا التوقيع.
- **الملحق رقم: 4**، و هو لخريطة المغرب الكبير التي أخرجت سنة 1947، و أصبح علال الفاسي و جماعة حزب الاستقلال يلوحون بها بداية من سنة 1956، و كان لها آثار وخيمة على بناء وحدة المغرب العربي مستقبلا. و الملاحظ ، أن الخط الأحمر (نقاط حمراء) هو من وضعي الخاص.

الملحق رقم -51.

لجنة التنسيق للمغرب العربي

قوانينها التاسيسية

(ا) تتالف اللجنة من اربعة افراد .

(ب) تجتمع اللجنة رسميا مرتين فى الاسبوع دون تحديد التاريخ :

(ج) تتخذ قراراتها بالاغلبية المطلقة .

(د) تستغرق مدة الرئاسة خمسة عشر يوما :

(ه) يتناوب الاعضاء على الرئاسة حسب ترتيب اسمائهم :

(و) يمتاز الرئيس بترجيح صوت آخر معه على الاخرين :

(ز) فى حالة تغيب الواحد من الطرفين ينوب عنه صاحبه :

(ح) يكون للجنة كاتبا وامينا ينتخبان او يعينان حسب الاتفاق :

(ط) عملها التناسق والتعاون فى جميع الميادين

اعضاءها : السيد على الدريدى ؛ احمد بن محمد بن عبد القادر ؛ السيد عباس بن عمر :

كاتبها : عباس بن عمر .

امينها : السيد على الدريدى :

تعريب الاسماء المستعارة

حرر فى ١٥ يوليوز سنة ١٩٥٥

السيد على الدريدى : هو : السيد بوضياف

احمد بن محمد بن عبد القادر : السيد العربى لمهدى

السيد عبد الله . هو : السيد عبد الرحمن بن عبد الله الصنهاجى

السيد عباس بن عمر . هو : السيد محمد بن عبد الله السعيدي بعث لجنة لتطوان كذا

زكي، محمد مبارك، ...، مرجع سابق، ص 47.

الملحق رقم (2 + 3)

جيش التحرير للمغرب العربي

بلاغ رقم 1

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون "

بتوفيق من الله افتتح جيش التحرير المكون من مجموع الحركات الوطنيه الفدائيه في جميع اقطار الشمال الافريقي باكورة كفاحه بالعمليات المشتركه الاخيره . والقياده المشتركه لجيش التحرير التي هي من صفوف الكافحين والمجاهدين والممثلين الحقيقيين لافراد الحركات الوطنيه الفدائيه في داخل البلاد بعد ان فشلت الرجعية الفاسده فيما تدعيه واصبحت المنفعة الشخصيه للمستعمرين واعوانهم من الخونه من رؤية الحق - تعلن للعالم اجمع من اهدافها الاتيه :

1 - الكفاح حتى النهاية في سبيل الاستقلال التام لاقطار المغرب العربي مع عودة سلطان المغرب الشرعي الى عرشه بالرباط .

2 - عدم التقيد باي اتفاقات عقدت او تعقد مستقبلا لا تحقق الهدف الاول بالكامل .

3 - اعتبار كل مواطن ينادي بخلاف ما ذكر خارج على ما اجمعت عليه البلاد والحركات الوطنية الفدائيه وان مثل هؤلاء لا يمثلون الا انفسهم ويكفي ما قاسته البلاد من مفاسدهم .

وستوالي القياده المشتركه لجيش التحرير اصدار بلاغات دوريه من مركز قيادتها السريه في داخل بلادنا العزيزه لتوضيح الحالة للشعب الكافح واطلاعه على الاساليب الوحشيه التي يلجا اليها المغرضون لاستمرار الزج بالشعب في اغلال الاستعمار الفرنسي الابدي .

وبعد الاستعداد الطويل يعلن جيش التحرير للشعب انه بحمد الله لديه الامكانيات الكافيه للاستمرار في الكفاح حتى يحقق اهدافه كاملة غير منقوصة . ويهيب بالمواطنين ان يقوم كل منهم بواجبه نحو وطنه وان يكون درعا يحمي ظهور المجاهدين . كما يحذرهم من الخونه الذين قد يندسون في صفوفهم ومن المغرضين الانتهازيين وضعاف النفوس ومثبطي الهمم .

وتدعو قيادة الجيش المواطنين ان يكون شعارهم دائما الكفاح المنظم وان يتحروا الحقيقه عن اعمال المقاومة واخبارها من بلاغاتنا الدوريه وتحذرهم من الاستماع الى الاشاعات المغرضه التي ترمي الى التقليل من شان الكفاح

يا أهل المغرب

ان جيش التحرير يؤمن بان الطريق الذي سلك لتحرير بلاده من ذل الاستعمار الفرنسي هو السبيل الوحيد لتحقيق اهدافنا السامية وان العالم اليوم لم يعد فيه مكان للضعفاء . ان هدفنا الاكبر هو القضاء على قوات الاستعمار الفرنسي في جميع صوره وفي الوقت نفسه نهيب بالمواطنين الا يتشبهوا بالمستعمرين في الاعتداء على الاطفال والنساء والعجزه تمشيا مع مبادئ ديننا الحنيف .

" يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون "

الله اكبر وحي على الجهاد

جيش التحرير للمغرب العربي

(حركة المقاومه المغربيه - جبهة التحرير الوطنيه الجزائريه)

ملاحظة : نقلت المنشور رقم 4
لجيش تحرير المغرب العربي
بعض الشيء مع النص الفرنسي

. انظر، جيش تحرير المغرب العربي 1948-1955، مرجع سابق، الدريب، محمد رسابي، ص. 649

الملحق رقم 3:

جيش التحرير للمغرب العربي

بلاغ رقم ٦

... [illegible] قواتنا ... ضرباتها القاصمة المدوية بقوات العدو فكبدته الخسائر الفادحة على اختلاف انواعها

الجبهة الشرقية و [illegible]

خلال الاسبوعين الاخيرين من يناير ١٩٥٦ هاجمت قواتنا المراكز الآتية : [illegible] سوق الثلاثاء . بني [illegible] مزاورو . اولاد [illegible] . بني [illegible] زاوية [illegible] . ابي [illegible] . بني [illegible] . القريات . جبالة . [illegible] بني خالد . جبل [illegible] . باب [illegible] . [illegible] . بني [illegible] . ثنية الشهداء . سيدو . الحناية . المويلح [illegible] سيدي مجاهد ... [illegible] ... بلدية [illegible] — ١ [illegible] ٤٢ — ١ [illegible] بصيدنا [illegible] — ١ [illegible] . واسفر القتال عن النتائج الآتية :

خسائر العدو : القتلى من الجنود الذين عددناهم [illegible] ٤٣٩ من بينهم ضابطا برتبة ليوطنان وضابط آخر [illegible] [illegible] [illegible] بالهيليكوبتير [illegible] [illegible] [illegible] من الجندرمة ١٨ . [illegible] [illegible] . الجرحى من الجنود ٣٢ . [illegible] من الجندرمة ٧ . [illegible] [illegible] من الخونة والوشاة ٢٠ . الجرحى منهم ٢ . [illegible] لم يرد ذكرهم . الاسارى ٢٠ [illegible] ٣ من رجال القوم .

اما خسائر العدو المادية فهي : [illegible] ٩٦ من الشاحنات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وآلة ميكانيكية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... ٤٠ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... ٢ من [illegible] و ٢ [illegible] . [illegible] التهديم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التلفونية [illegible] التلفونية في عدة جهات اخرى .

اما غنائمنا فهي : ٢٦٠ بندقية حربية — ١٩ بندقية صيد — [illegible] اوتوماتيكي — [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٧ / ١٥ [illegible] من الذخيرة الحربية [illegible]

خسائرنا : الشهداء ٣٠ . الجرحى ٨ . [illegible] ٥٩ [illegible] .

الجبهة الغربية ([illegible])

[illegible] خلال [illegible] هاجمت قواتنا المراكز الآتية : [illegible] . [illegible] . [illegible] . [illegible] . [illegible] . بني [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] [illegible] . [illegible] . [illegible] . [illegible] [illegible] [illegible] ([illegible]) . وقد اسفرت العمليات عن النتائج الآتية :

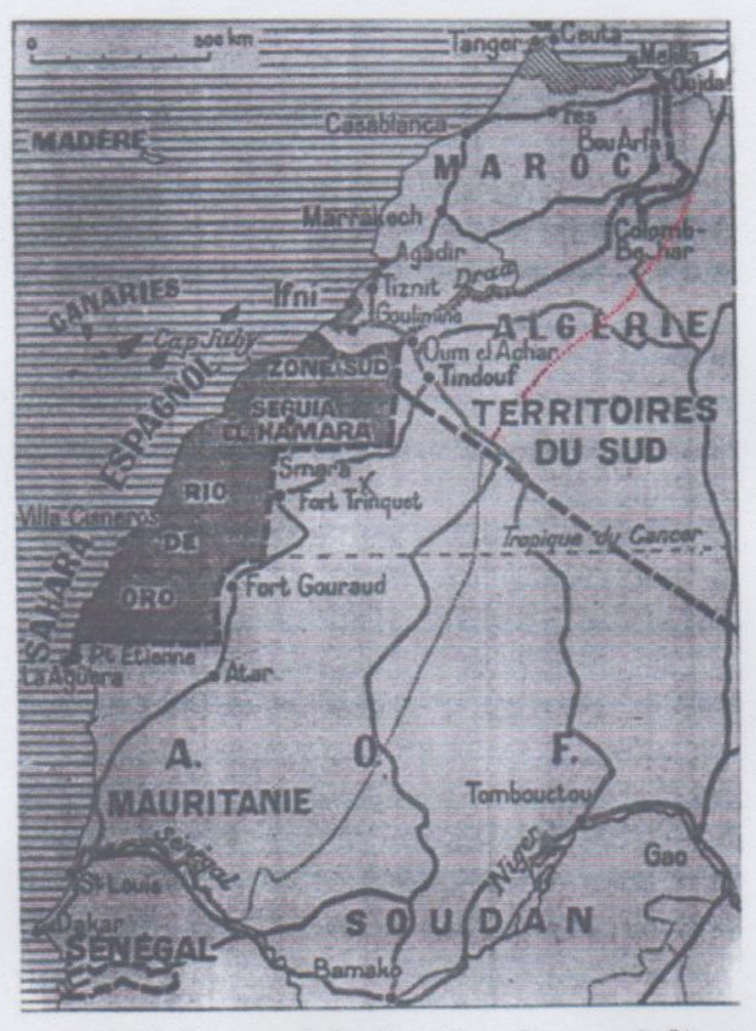
خسائر العدو : القتلى ٢٣٥ من بينهم ٣ ضباط أحدهم برتبة ليوطنان . الجرحى ٥٥ . الاسرى ٨ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] ٢٥ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

غنائمنا : ١٩ بندقية حربية . بندقية صيد . [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . آلة راديو [illegible] [illegible] — [illegible] [illegible] [illegible] — ١٠٠ [illegible] [illegible] — ٦ [illegible] [illegible] [illegible] بالتموين .

خسائرنا : الشهداء ٨ . الجرحى ٧ .

وفي نهاية هذا البلاغ [illegible] جيش التحرير للمغرب العربي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الله الرحمة [illegible] ارواح شهدائه [illegible]

الملحق رقم: 4
خريطة المغرب الكبير



خريطة المغرب الكبير كما قدمها السيد علال الفاسي

الورديغي، الخبايا السرية، ص 33 —

البيبليوغرافية

البيبليوغرافية

1 - **الأرشيف**

أ - **أرشيف مركز التوثيق القومي**(C.D.N.) (وزارة الإعلام - تونس)

1 - **ملف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين** AEMNA,Dos.A.4.44

- القانون الأساسي لجمعية طلبة إفريقيا المسلمين، المطبعة التونسية، مطبعة سوق البلاط، تونس 1928.
- الجندوبي، علي،" المؤتمر الحادي عشر للطلبة المسلمين ينهي أعماله و يطال بالاستقلال التام "، **الأسبوع**، عدد 1950/09/25.
- " Le XI° congrès de l'AEMNA – Tunis, 15 au 22 septembre 1950 – Les résolutions ", in Mission du 29/09/1950.
- " Le XI° congrès de l'AEMNA – L'enthousiasme et l'audace ont procédé à ses travaux ", in Mission du 29/09/1950.
- RIAD, " Le Docteur Ben-jelloun, président du congrès de l'AEMNA, nous déclare ", in Mission du 29/09/1950.

2 - **ملف محمد باش حامبه**، Dos. B.1.28

- Doc. N° 64, " Nos revendications ", in **La Revue du Maghreb**, du 30 juillet 1916, in **L'Action tunisienne** du 22/04/1968.
- Doc. N° 56, Télégramme au Président Wilson, envoyé par Le Comité Algero-Tunisien, " Le peuple Algéro-Tunisien et la paix ", in **La Revue du Maghreb,** n°s 9 & 12/1918, in **L'Action tunisienne** du 20/02/1968.
- رسائل محمد باش حامبه الى الشيخ عبد العزيز الثعالبي (Doc.n° 59) و ترجمة لحياته ومقتطفات لرسائله (Doc.n° 38) ، Chedly KHAIRALLAH,"Mohamed BachHamba ", in **La Voix du Tunisien** du 2/02/1932

3 - **ملف الشيخ الثعالبي**،Dos.B.3.13 .

- وثيقة رقم 59، متعلقة بتقرير العقيد بارون قاضي التحقيق في قضية الشيخ الثعالبي، توجد كذلك في ملف محمد باش حامبة.

4 - **ملف علي باش حامبه**، Dos.B.3.11

- Doc. N° 32, Correspondance confidentielle du Président du Conseil M.A.E.à M. Alapetite, RG. De RF. à Tunis, du 4/02/1916, in **Le Temps** du 5/03/1976
- Doc. N° 33, Corresp. du 3/09/1915 et du 26/07/1916.

5 - **ملف صالح الشريف التونسي**، Dos.B.2.84

6 - **ملف الهادي نويرة**، Dos. B.3.23

- رسالة بتاريخ 25 نوفمبر 1936 من اللجنة الجبهوية إلى بورقيبة

7 - **ملف نجم شمال إفريقيا**(ENA) Dos.B.3.33

- Statuts du 20/06/1926.

- Compte-rendu donné par la Flèche, organe du Parti Frontiste de Gaston Bergerey, le 20/02/1937
- Compte-rendu par La flèche, organe du Parti Frontiste de Gaston Bergery, du 20/02/1937

8 ـ **ملف الجامعة الإسلامية (Panislamisme)** Dos.B.3.16

- Gouvernement Tunisien, Surveillance politique indigène, Tunis, 25/02/1920, " Extrait d'un rapport sans signature ni date, brochure de 5 P. remise par un indigène tunisien ".

ب ـ أرشيف الوزارة الأولى (APM) تونس.

1 - **Archives du Premier Ministère** (APM), Tunis, Carton n° 2 R.F./M.A.E./ A.P.C. " Les revendications du Maroc de l'Algérie et de la Tunisie ", une correspondance de Stockholm, datée le 10/11/1917, expose : Les griefs des musulmans.

ج ـ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية

1 - M.A.E., Direction des affaires politiques et commerciales, Archives d'Outre – Mer, Aix- en- Provence, 29 H 35, " Menées des nationalistes panislamistes", correspondance de M. Marcilly , Chargé d'affaires de la France à Berlin à M. Millerand, Président du conseil, M.A.E., Berlin le 23/06/1920

د ـ الأرشيف المغربي

1 - " Les entretiens Franco-Marocains d'Aix-les-Bains (22-25 aout 1955), les procès-verbaux", in Dossiers de l'Histoire du Maroc, (D.H.M.) n° 1 juin 1966, pp. 2-6

2 ـ الوثائق المطبوعة

أ ـ باللغة العربية

1 ـ ابن عزوز، حكيم محمد، **وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب،أسبابها، أهدافها، نتائجها**، عرض و تعليق، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة و الفكر، تطوان، 1400./1980.
2 ـ بنونة ، الطيب، **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان و الحاج عبد السلام بنونة**، مطبعة دار أمل، طنجة، المغرب ،1400./1980.
3 ـ جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، **نشرة أعمال المؤتمر الثالث**، باريس ، مطبعة الإتحاد تونس.(د. ت.)
4 ـ الحفار الكزبري، سلمى، **مي زيادة و أعلام عصرها، رسائل مخطوطة لم تنشر، 1912 ـ 1940**، جمع تقديم و تحقيق، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان 1982.

5 - شريط، عبد الله، **الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (د. ت. ط.) في عدّة أجزاء، استعملنا منها الأجزاء التالية:- 1/1956، 2/1956، 3/1957، 1/1958، 2/1958، 1/1959، 2/1959

6 - الطالبي، عمار، **ابن باديس، حياته و آثاره**، 4 أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983/1403.

7 - قنانش، محمد و قداش، محفوظ، **نجم الشمال الإفريقي، 1926-1937، وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ديوان الجامعية، الجزائر 1984

8 - **" ميثاق الاتحاد الوطني للقوات الشعبية"**، 6سبتمبر 1959، نشرية (د. د. طبع)

9 - الورتلاني، الفضيل، **الجزائر الثائرة**،(مقدمة بقلم رائد جماعة عباد الرحمان محمد داعوق (د. د. ن.)، بيروت، لبنان 1963/1383.

10 - الوزاني، محمد حسن، **تصريحات صحفية**، ج1، مؤسسة محمد حسن الوزاني، الرباط، المغرب، 1986

11- وزارة الإعلام/ ت ح و ت، **وثائق 11، الاستعداد للمحنة الثالثة - 2 - الحزب الدستوري الجديد يدخل في حوار أخير 1950-1951**، تونس 1984

ب - باللغة الأجنبية

1-BELHOCINE, Mabrouk, **Le courrier Alger le Caire, 1954-1956 et le congrès de la Soummam dans la révolution**, Casbah-Ed. Alger, 2000

2 - COLLOT, Claude, et HENRY, Robert, **Le mouvement national Algérien, textes 1912-1954**, 2° Ed. OPU, Alger 1981.

3 - HARBI, Mohammed, **Les archives de la révolution algérienne**, Ed. J. A.,

4 - KADDACHE, Mahfoud, **L'Emir Khaled, documents et témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien**, OPU, ENAP, Alger 1987.

5 - KHAIRALLAH, Chedly, **Le mouvement évolutionniste tunisien, (Notes et documents),** T.III, Ets Bonici, Tunis 1938.

6 - KHALED, Ahmed, **Documents secrets du 2 ème Bureau, Tunisie-Maghreb dans la conjoncture de pré-Guerre 1937-1940,** Société tunisienne de diffusion, Tunis 1983

7 -"Les protocoles du CPCM",in **Annuaire de l'Afrique du Nord**, Ed. du CNRS, Paris, 1965, pp.663-664

8 - **LYAUTEY l'Africain, textes et lettres** du Maréchal Lyautey, présentés par Pierre Lyautey, **T.III, 1915-1918**, Paris, 1956

9 - " Rapport sur la situation politique sociale et économique, décembre 1937 ", adressé le 29/01/1938 par le R.G. de France à Tunis à M. Yvon Delbos MAE à Paris, in **Watha'iq**, n° 3/1985, MESR/PNR/HMN/CNUDST, Tunis, pp.15-87

3 - اللقاءات

1 - لقاء مع المرحوم **الشاذلي المكي**، بمنزله بابن عكنون، الجزائر، يوم 1985/08/21

4 ـ المذكرات

أ ـ باللغة العربية

1 ـ ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم،**الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر**، الفترة الثالثة:1945-1954، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986
2 ـ إدريس، الرشيد، **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1981.
3 ـ بورقيبة، الحبيب، **حياتي، آرائي، جهادي**، ط2، وزارة الإعلام، تونس، 1983
4 ـ سعيداني، الطاهر، (مذكرات الرائد..)، **القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض**، ط. دار الأمة، الجزائر، 2001
5 ـ القادري، أبوبكر، **مذكراتي في الحركة الوطنية**، ج3، القسم الأول، **مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002/1421
6 ـ محمد سعيد، (الأمير)، **مذكراتي عن القضايا العربية و العالم الإسلامي**، ط. 2،دار مكتبة الشركة الجزائرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و التوزيع و النشر لأصحابها مرازقة و بو داود و شركائهما،الجزائر، 1968/1387.
7 ـ المدني، أحمد توفيق، **حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الأول في تونس 1905 - 1925**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1976. و **القسم الثاني، في الجزائر، 1925 - 1954**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977.
8 ـ مراردة، مصطفى، **مذكرات الرائد مصطفى مراردة " ابن النوي"، القائد بالنيابة للولاية الأولى التاريخية " أوراس النمامشة" من أبريل 1959 إلى أبريل 1960، شهادات و مواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى**، إعداد و تحرير مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003

ب ـ باللغة الأجنبية

1 - BEN SLIMAN, Sliman, **Souvenirs politiques**, Collection mémoire, Ed. Cérès Productions, Tunis, 1989
2 - BOUDIAF, Mohamed, **La préparation du 1er novembre 1954**, Collection El-jarida, Imprimerie S.I.M., Paris, 1976
3 - **MESSALI, Hadj, (Les mémoires de …) 1898-1938**, Ed. J.C. Lattès, Paris 1982.
4 - ROGER-MATHIEU, J, **Mémoires d'Abd-el-Krim**, Ed. Librairie des Champs-Elysées, Paris, 1927

5 ـ الرسائل الجامعية

أ ـ باللغة العربية

1 - جبلي، الطاهر، **القاعدة الشرقية، 1954-1962**، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2001/2000
2 - خيشان، محمد، **مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة 1947-1957**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002/2001
3 - شعنان، مسعود، **نزاع الصحراء الغربية و الشرعية الدولية: حقوق الإنسان و حق الشعوب المستعمرة في تقرير المصير**، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية و الإعلام، رمضان 1428/سبتمبر 2007
4 - طرشون، نادية، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، 1847 - 1911**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1985/1984.
5 - العايب، معمر، **مؤتمر طنجة، دراسة تحليلية تقييمية**، ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002/2001
6 - العريبي، عبد القادر، **تونس و علاقاتها مع بلدان المغرب العربي 1947 - 1980**، (شهادة دكتوراه)، الجامعة التونسية، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، قسم التاريخ، أكتوبر 1999، (جزآن، الأول، إلى ص. 420، و الثاني، ص ص. 422-942)
7 - اللولب، حسن حبيب، **التونسيون و الثورة الجزائرية 1954-1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007/2006
8 - مريوش، أحمد، **الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر، 1992/.1993
9 - مناصرية ، يوسف، **الحزب الحر الدستوري التونسي، 1919 - 1934**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987/1986.

ب - **باللغة الأجنبية**

1 - MATHLOUTI, Salah, **Le Méssalisme** , Thèse de 3° Cycle, Vincennes ,Paris VIII, 1975.

6 - **الملتقيات و الندوات**

*1 - " **اجتماع 22 التاريخي**"، ندوة شارك فيها السادة المجاهدون: العمودي عبد القادر وأحمد بو الشعيب، عبد السلام حباشي، عمار بن عودة، عثمان بلوزداد، بالإدارة المركزية للجيش الوطني الشعبي - المركز التقني - نشرت في مجلة **الباحث**، عدد 2/ نوفمبر 1984، الجزائر، ص ص. 4-21
*2 - **أعمال الملتقى الوطني حول إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة**، البليدة يوما 24-25 أبريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2005.
- مقلاتي، عبد الله،" الحركات المناوئة للثورة الجزائرية في المغرب العربي، الزوكيت نموذجا"، ص ص. 193-212

*3 ـ **أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنيين التاسع عشر و العشرين**، المنعقد أيام 18، 19، 20 نوفمبر بنزل الديبلوماسي بتونس،جامعة تونس الأولى، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 1995، مداخلة:
- REY GOLDZEIGUER, Annie," La frontière Algéro-Tunisienne pendant la Guerre d'Algérie dans les Archives Militaires de Vincennes ", pp. 41-89

*4 ـ **أعمال الملتقى الدولي حول آثار التجارب النووية في العالم: الصحراء الجزائرية نموذجا**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 13-14 فيفري 2007
* ـ **بناء المغرب العربي**، (أشغال ملتقى بناء المغرب العربي بتونس، 19-24أكتوبر 1981، الجامعة التونسية، سلسلة الدراسات الاجتماعية و الاقتصادية 1983/9، المطبعة العصرية، تونس. و رجعنا الى المقالات التالية:-
ـ أبو الأجفان، محمد، " العلاقات بين فقهاء المغرب العربي خلال القرون : الثامن و التاسع و العاشر الهجري "، ص ص. 115-148.
ـ إدريس، الرشيد، " كيان المغرب العربي و آفاقه "، ص ص.13-39
ـ الخوني، الصادق، " من ملامح شخصية المغرب العربي خلال العصور الوسطى" ص ص. 59-75

*5 ـ **تطور الوعي القومي في المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 1986.(حاول مركز دراسات الوحدة العربية عقد ندوة خلال الثمانينيات، و لمّا لم يتمكن من ذلك، قرر نشر ما توفر من مقالات الذين كانوا سيساهمون في الندوة في هذا الكتاب.) و رجعنا فيه الى:-
ـ حسن، محمد، " الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي "،ص ص.115-136.

*6 ـ **الخطابي و جمهورية الريف** ،(ندوة 18-20 جانفي 1973)، ترجمة بإشراف صالح بشير، دار ابن رشد للطباعة و النشر، بيروت لبنان 1980، و رجعنا إلي المقالات التالية:
ـ إينزوار، بول، " حرب الريف و البرلمان الفرنسي"
ـ الرويسي، يوسف " شهادة "
ـ زنيبر، محمد، " دور عبد الكريم في حركة التحرر في المغرب"

*7 ـ **المركز الثقافي الجزائري بباريس**، ملتقى نجم شمال إفريقيا،(نهاية شهر فيفري و مطلع شهر مارس 1987) ، طبعت أشغال الملتقى في كتاب بعنوان:- Centre Culturel Algérien, Paris, **L'Etoile Nord-Africaine et le mouvement national algérien**. Actes du colloque de l'ENA du 27 février au 1° mars 1987, Publications du C.C.A. Paris, 1988 و رجعنا فيه إلى:-
- SOUFI, Fouad, " De l'ENA au PPA. Continuité ou rupture? Implantation et développement du mouvement nationaliste dans l'Ouest algérien1936-1938." pp .171-185.

*8 مؤسسة محمد بوضياف، **جيش التحرير المغاربي 1948-1955**، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر، 12/11 ماي 2001، تحت إشراف دحو جربال، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر 2004 ورجعنا فيه إلى:
ـ الخطيب، عبد الكريم (الدكتور)، " الإتفاقات بين جيش التحرير المغربي و جيش التحرير الجزائري والخلافات المغربية الجزائرية ما بعد الاستقلال"، ص ص. 193-200
ـ غاليسو، روني، " تهميش الشعوبية الثورية: مشروع جيش التحرير المغاربي و التخلي عنه "، ص ص. 67-81
ـ القاضي، بشير، " المسيّرون المغاربة، الاتفاق و الاختلاف"، ص ص. 167-177
ـ مروش، منور، " المناضلون المغاربة و الكفاح المسلح في الجزائر"، ص ص.147-167
ـ مهري، عبد الحميد (شهادة) " مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح"، ص ص. 27-39
9- ALEYA SGHAIER, Amira, " Les Tunisiens et la Révolution Algérienne, 1954-1958 ", in **Acte du 1° congrès du forum d'histoire contemporaine sur: Méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb**, Publications de la Fondation Temimi pour la Recherche Scientifique et de l'Information (F.T.R.S.I.), Zaghouan, septembre 1988.

*10 ـ **الندوة المغاربية: وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة و جيش التحرير**،الرباط، 12/10 ذو القعدة 1422 ـ 24/26 يناير 2002، مجلة **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، 1422/2002، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير.
ـ زكي، مبارك،" الشهيد فرحات حشاد رائد العمل النقابي الوحدوي المغاربي"، ص ص. 161-174
ـ الميلي، محمد، " النضال المشترك في العقل الجماعي المغاربي"، ص ص. 317-336
*11- **وحدة المغرب العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، و مركز الدراسات العربية المتوسطية، بيروت، لبنان، 1987، أعمال ندوة عقدت أيام 29-30 نوفمبر و الفاتح ديسمبر 1985.
ـ التومي، محسن، " تصور جغرافي لوحدة المغرب العربي"، ص ص. 171-209
ـ الجابري، محمد عابد" فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال"، ص ص.17-23

7 ـ الكتب

أ ـ باللغة العربية

1 ـ أحمد موسى، عز الدين، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرنيين الخامس والسادس الهجريين**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1985
2 ـ ابن خلدون، عبد الرحمان، **كتاب العبر...**، ج12، موفم للنشر، الجزائر، .1995
3 ـ ابن عاشور، محمد الفاضل، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس أبريل .1983
4 ـ ابن قفصية، عمر، **أضواء على الصحافة التونسية**، دار بوسلامة للطباعة و النشر، تونس، .1972

5 - ابن منصور، عبد الوهاب، **أعلام المغرب العربي**، ج2، المطبعة الملكية الرباط، 1979/1399
7 - برادة، الحسين، **مسيرة التحرير**، منشورات إفريقيا، الرباط، 2000
8 - بلقزيز، عبد الإله و آخران، **الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية 1947-1986، محاولة في التأريخ**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1992
9 - بن صالح، أحمد، **تونس التنمية و المجتمع و السياسة**، حوار مارك نارفان، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان 1980
10 - بو حارة، عبد الرزاق، **منابع التحرير، أجيال في مواجهة القدر**، ترجمة صالح عبد النوري، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005
11 - بوحوش، عمار، **التاريخ السياسي للجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، **1979**
12 - الجابري، محمد الصالح، **النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962**، الدار العربية للكتاب، تونس و طرابلس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، .1983
13 - جرانت، أ. ج. و هارولد، تمبرلي، **أوربا في القرنيين التاسع عشر و العشرين** ، ج 2، ترجمة محمد علي أبو درة و لويس إسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، .1978
14 - جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس بباتنة، **شهداء منطقة الأوراس**، (جزآن)، الجزء الأول من 1374 - 1954/1382 - 1962، شركة دار الهدى لطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة ، الجزائر، 2002/1423، و الجزء الثاني، 2005/1426
15 - الجنحاني، الحبيب، **محمد باش حامبة** ، الدر التونسية للنشر، تونس، .1968
16 - الجندي، أنور، **عبد العزيز الثعالبي، رائد الحرية و النهضة الإسلامية 1879 - 1944**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .1984
17 - ـــــــــ، **عبد العزيز جاويش، من رواد التربية و الصحافة و الاجتماع**، سلسلة أعلام العرب، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1965.
18 - جوليان، شارل أندري، **إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية**، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، تونس، الجزائر، 1976/1396
19 - حسن، علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، القاهرة .1980
20 - خرفي (الخرفي)، **صالح، الجزائر و الأصالة الثورية**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977.
21 - ـــــــــ، **عمر بن قدور الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
22 - ـــــــــ، **في رحاب المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .1985
23 - ـــــــــ، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
24 - خليدي، محمد و خباش، حميد، **جيش التحرير المغربي، مجلس القيادة**، منشورات إفريقيا، الرباط، 1999/1449
25 - خليدي، محمد و خباش، حميد، **جهاد من أجل التحرير، الدكتور عبد الكريم الخطيب والدكتور حافظ إبراهيم**، منشورات إفريقيا، الرباط، 1999

26 - الديب، فتحي، **عبد الناصر و ثورة الجزائر**، دار المستقبل العربي، القاهرة،1984
27 - الزبيري، محمد العربي، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، دار البعث، قسنطينة الجزائر، 1984/1404
28 - زروال، محمد، **اللمامشة في الثورة، دراسة**، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003
29 - ـــــــــــ، **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - الولاية الأولى نموذجا -** طبعة خاصة بمناسبة الذكرى 45 لعيد الاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007
30 - زوزو، عبد الحميد، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات و مواثيق)**، دار هومه، الجزائر، 2005
31 - سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية، 1900 - 1930**، ج2، ط.3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
32 - الشيخ، سليمان، **الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة المسلحة**، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرىالأربعين، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002
33- زكي، مبارك، **محمد الخامس و ابن عبد الكريم الخطابي و إشكالية استقلال المغرب**، منشورات فيديوبرانت، المغرب الأقصى، 2003
34 - طوبال، إبراهيم، **البديل الثوري في تونس**، دار الحكمة للنشر، بيروت، لبنان، 1979
35 - ضريف، محمد، **الأحزاب السياسية المغربية**، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1989
36 - عباس، محمد، **رواد الوطنية**، دار هومه، الجزائر، 2004
37 - ـــــــــــ، **ثوار عظماء**، دار هومه، الجزائر، 2003
38 - عبد الله، الطاهر،**الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1930-1956**، مكتبة الجماهير، بيروت، لبنان 1976
39 - العربي، إسماعيل، **التنمية الاقتصادية في الدول العربية، في المغرب**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1974
40 - العمامرة، سعد و العوامر، الجيلالي، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة بوزريعة، الجزائر، (د. ت . ط.)
41 - العلمي، محمد، **زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي**، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1968
42 - عليّة الصغير، عميرة، **اليوسفيون و تحرر المغرب العربي**، المغاربية للطباعة و لإشهار، تونس، 2007
43 - فارس ، محمد خير، **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912 - 1939** ، دراسات في تاريخ شمال إفريقيا، دمشق، سورية، .1972
44 - الفاسي، علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مطبعة الرسالة، مراكش، القاهرة،1368./1948.
45 - الفيلالي، مصطفى، **المغرب العربي الكبير، نداء المستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989
46 - قنانش، محمد، **الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1982.

47 - كرو، أبو القاسم محمد، **محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق**، دار المغرب العربي، تونس 1973.
48 - لاندو، روم، **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1963
49 - ماجد، جعفر، **فصول في الأدب و الثقافة** ، الدار العربية للكتاب، تونس، طرابلس، 1984
50 - مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، دار و مطابع المستقبل، القاهرة، .1980
51 - مانع، جمال عبد الناصر، **اتحاد المغرب العربي، دراسة قانونية سياسية**، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، الجزائر 2004
52 - محفوظ، محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، 3 أجزاء، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، (ج1 و ج2 ،1982) (ج3، 1984/1404).
53 - المعهد التربوي الوطني (الجزائر)، **الأطلس العالمي**،(د. ت.)
54 - **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881-1964)**، تأليف ثلة من الباحثين بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008
55 - مواعدة، محمد، **محمد الخضر حسين، حياته و آثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس .1984
56 - الميلي، محمد، **المغرب العربي بين حسابات الدول و مطامح الشعوب**، ط2، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983
57 - ناصر، محمد، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر .1980
58 - ـــــــــــ، **عمر راسم المصلح الثائر**، مطبعة لافوميك، الجزائر .1984
59 - ـــــــــــ، **مفدي زكرياء، شاعر النضال و الثورة**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.1984
60 - نويهض، عادل، **معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط.2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت 1980/1400.
61 - هلال، عمار، **نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954**، لافوميك، الجزائر .1986
62 - الورديغي، عبد الرحيم، **الخفايا السرية في المغرب المستقل، 1956-1961**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1982
63 - وزارة المجاهدين،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، **القواعد الخلفية للثور الجزائرية - الجهة الشرقية - 1954-1956**، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (رئيس المشروع: محمد بلقاسم، الأعضاء: الطاهر جبلي و معمر العايب)

ب - باللغة الأجنبية

1 - AGERON, Charles Robert, **Histoire de l'Algérie contemporaine,T.II, de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la Guerre de libération**, P.U.F. Paris, 1979

2 - ----------------------, **Les Algériens musulmans et la France, 1871-1919**, T.II, Ed. PUF, Paris, 1968

3 - ----------------------, **"L'Algérie algérienne " de Napoléon à de Gaule**, La Bibliothèque Arabe Sindbad, Paris, 1980

4 - ARON, Robert & Autres, **Les origines de la guerre d'Algérie**, Ed. Fayard, Paris, 1962

5 - AYACHE, Germain, **Les origines de la guerre du Rif,** S.M.E.R. Rabat Publications de la Sorbonne, Paris, 1981

6 - BALTA, Paul, **Le Grand Maghreb des indépendances à l'an 2000**, Ed. Laphomic, Alger, 1990

7 - BARDIN, Pierre, **Algériens et Tunisiens dans l'Empire Ottoman de 1848** à 1914, Ed. du CNRS, Aix-en-Provence, Paris, 1979

8 - BEN-KHEDA, Benyoucef, **Les origines du 1° novembre 1954**, Editions Dahleb, Alger 1989.

9 - BOUZAR, Nadir, **l'Odyssée du Dina**, Ed. Bouchène/ENAL, Alger, 1993

10 - CHENTOUF, Tayeb, **Le Maghreb au présent**, OPU, Alger, 2003

11 - COINTET, Michèle, **De Gaule et l'Algérie Française 1958-1962**, Librairie Perrin, Paris, 1995

12 - DEROUICHE, Mohamed, **Le Scoutisme, Ecole du nationalisme**, Ed. ENAL-OPU, Alger 1985

13 - FONTAINE, Pierre, **Abd-el-Krim, origine de la rébellion Nord-Africaine**,Ed. Les sept couleurs, Paris, 1958.

14- -----------------, **L'Etrange aventure Riffaine, Pétrole-Intelligence-Service**, Ed. J. Renard, Paris 1943

15 - GABRIELLI, Léon, **Abd-el-Krim et les évènements du Riff 1924-1926**, Ed. Atlantides, Casablanca 1953

16 - GAUDIO, Attilo, **Rif, terre marocaine d'épopée et de légende**, Ed. R. Julliard, Paris 1962

17 - GOLDSTEIN, Daniel, **Libération ou annexion, aux chemins croisés de l'histoire tunisienne, 1914-1922,** M.T.E. , Tunis 1978

18 - HARBI, Mohammed, **Aux origines du F.L.N., le populisme révolution-naire en Algérie**, C. Bourgeois, Editeur, Paris 1975

19 - -------------------------, **Le F.L.N. mirage et réalités**, Ed. J.A. Paris 1980 Paris 1979

20 -JULIEN, Charles-André, **Le Maroc face aux impérialismes, 1414-1956**, Ed. Jeune-Afrique, Paris, 1978

21 - KADDACHE, Mahfoud, **Histoire du nationalisme algérien, question na-tionale et politique algérienne 1919-1951, T.II**, SNED, Alger 1980.

22 - KASSAB, Ahmed, **Histoire de la Tunisie, l'époque contemporaine**,S.T.D. Tunis 1976

23 - KHAIRALLAH, Chedly, Essai d'histoire et de synthèse des mouvements nationalistes. Le mouvement Jeune Tunisien, Ets. Bonici, Tunis (S.D.)

24 - LAROUI, Abdallah, **L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse**, Ed. F. Maspero, Paris 1970.

25 - LEBJAOUI, Mohamed, **Vérités sur la Révolution Algérienne**, Ed. Gallimard, Paris 1970.
26 - LEJRI, Mohamed-Salah, **Evolution du mouvement national tunisien, des origine à la deuxième guerre mondiale**, T.1, M.T.E. Tunis 1974
27 - LE TOURNEAU, Roger, **Evolution politique de l'Afrique du nord Musulmane, 1920-1961**,Librairie A. Colin, Paris, 1962
28 - MAHSAS, Ahmed, **Le mouvement révolutionnaire en Algérie**, Ed. L'Harmattan, Paris, 1979
29 - MERAD, Ali, **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale**, Mouton et Co., Paris 1967
30 - MEYNIER, Gilbert, **L'Algérie révélée – La guerre de 1914- 1918 et le premier quart du xx° siècle**, Librairie Droz, Genève 1981
31 - **Réflexions, Messali Hadj 1898-1998, parcours et témoignages**, ouvrage collectif, Casbah-Ed. Alger 1998.
32 - REZETTE, Robert, **Les enclaves espagnoles au Maroc,** Ed., Nouvelles, Ed. Latines, Paris, 1973.
33 - ------------------------, **Les partis politiques marocains,** Librairie Armand Colin, Paris 1955
34 - STORA, Benjamin, **Algérie – Maroc, histoires parallèles, destins croisés**, Ed. Barzakh, Alger, 2002
35 - TOUMI, Mohsen, **Le Maghreb**, PUF. Paris 1982
36 - TRIPIER, Philipe, **Autopsie de la guerre d'Algérie**, Ed. France empire, Paris 1972.
37 - URRITIA, L. & LAROSE, H. **Introduction à l'Espagne contemporaine**, Ed. Masson & Cie Editeurs, Paris 1971
38 - YOUSFI, M'Hamed, **L'Algérie en marche**, T.I, ENAL, Alger 1984.
39 - ------------------------, **Le complot, (Algérie 1950-1954)**, T.II, ENAL, Alger 1986

7 - الدوريات و الصحف (المقالات)

أ - باللغة العربية

1 - أبو مالك ، " أصداء الشيخ عبد الحميد بن باديس في المغرب الأقصى"، مجلة **الموقف**، عدد 5-6، رجب - شوال1408/ مارس - يونيو 1988، المغرب.
2 - آنده ، ورنير، " الوطنيون العرب و نشاطهم السياسي و الصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"،مجلة **الأصالة**، عدد 52، ذو الحجة 1397، ديسمبر 1977، الجزائر، ص ص.47 - 63
3 - " بلاغ الرباط"، **المجاهد**، عدد 32، 1957/12/01
4 - ابن باديس، عبد الحميد، " لمن أعيش ؟ "، **الشهاب**، ج10، م12، غرة شوال 1355/ ديسمبر 1936، نشر نفس المقال في **البصائر**، عدد 11 شوال 1355/25 ديسمبر 1936.
5 - ابن شنب، سعد الدين، " النهضة العربية بالجزائر"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الجزائر، عدد1، 1964.

6 - ابن عبود، أمحمد،" وثائق عن بداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة " ، **م.ت.م.**، عدد25-26، جوان 1982، تونس،ص ص.121-135
7 - أحسن أوغلى، أكمل الدين، " هذا ما حدثني به المدني، صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني "، **مجلة التاريخ**، عدد 18، النصف الأول من سنة 1985، الجزائر، ص ص.35-39
8 - **الأصالة** ، أعداد 1975/23، 1976/38، 1977/48، 1978/60,61.
9 - **الأمة** (لأبي اليقظان)، - عدد 130، 10 جمادى الأولى1937/07/20/1356. - عدد 134، 9 جمادى الثانية 1937/08/17/1356.
10 - **البصائر**، عدد 25 شوال 1937./01/08/1355
11 - بلقزيز، عبد الإله، " اتحاد المغرب العربي، عوامل النشوء و حاجات البناء"، مجلة **المنتدى**، عدد 47، المجلد الرابع، عمان، الأردن، أوت 1989
12 - بوعزيز، يحي، " دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية و موقف الجزائريين من احتلالها عام 1881 "، مجلة **الثقافة**، عدد، 70، رمضان/ شوال 1402/ يوليو - أغسطس 1982، ص ص.43-57
13 - ———— " وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر و الدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1871 "، **الثقافة**، عدد 39، جمادى الثانية - رجب 1397/ يونيو - يوليو 1977' ص ص.11-24.
14 - تابليت، علي، " تنظيم هياكل ولاية الأوراس النمامشة، 1956-1957"، مجلة **المصادر**، عدد 6، مارس 2002، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص ص.188-243
15 - تركي، عروسية، " عام مرّ على وفاته: الطاهر لسود... بين بورقيبة و بن يوسف و عبد الناصر...أيّة علاقة؟"، مجلة **الوطن**،(تونس)، جوان 1997، ص ص. 9-13
16 - ————، " الكفاح المسلح و مشروع وحدة المغرب العربي في الخمسينيات (الطاهر الأسود نموذجا)" مقالة موثقة بشهادات مرقونة في 15ص. أمدني بها مشكورا الأستاذ مصطفى نويصر.
17 - **الثقافة**، (عدد خاص بالأمير عبد القادر)، عدد 75، رجب - شعبان 1403/ ماي - جوان 1983، وزارة الثقافة و الإعلام، الجزائر.
18 - ——، أعداد 1976/31,32,33،و 1977/39,40.
19 - " حرب الرمال في الأرشيفات الأمريكية"، جريدة **الجزائر News**، عدد 2006/05/08، و عدد 2006/05/13، و المقال في حلقات.
20 - حربي، محمد، " مؤامرة العموري" ترجمة محمد هناد، مجلة **نقد**، خريف - شتاء 2001، عدد 15/14، الجزائر، ص ص. 9-37
21 - **الذاكرة الوطنية**، (عدد خاص، الدعم المغربي لحركة التحرير الجزائرية)، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، سنة 1425هـ/2004م.
22 - الذهبي، عبد السلام (السرجان)، " ذكرى انطلاقة جيش تحرير المغرب العربي (أكتوبر 1955- أكتوبر 1996)، السرجان عبد السلام الذهبي، أحد أبطال هذه الانطلاقة، يتحدث عن هذا الحدث التاريخي بكل تفصيل"، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 5، أكتوبر 1996، ص ص. 8-10

23 - رزاقي، عبد الرحمان، " الحركة الوطنية و فكرة الكفاح المسلح "، مجلة **الباحث**، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، عدد 2، نوفمبر 1984، ص ص.22-39
24 - الرويسي، يوسف،" نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة 4- دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة"، **م.ت.م.** عدد 15-16، جويلية 1979، تونس، ص ص.103-118
25 - زكي، مبارك، " المغرب و الثورة الجزائرية، دعم شعبي غير محدود و مؤازرة حكومية صريحة"، مجلة **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، 2004/1425م، ص ص. 11-58
26 - ـــــــــ، " المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة "، **م.ت.م.**، عدد 30/29، جويلية 1983، تونس، ص ص.419 - 434.
27 - ـــــــــ،" الثورة الجزائرية في بعض المذكرات و الشهادات و الوثائق المغربية " (محاضرة مرقونة بحوزتي أمدني بها مشكورا الأستاذ م. نويصر)
28 - سعد الله، أبو القاسم،" وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، **م.ت.م.** عدد1، جانفي 1974، ص ص. 52-68
29 - **الشروق اليومي**، الجزائر، عدد 2005/05/09
30 - عباس، محمد،" شهادات: بلقاسم راجف، داعية الاتحاد، الحلقة الأولى"، جريدة **الشعب**، الأربعاء 19 جمادي الأولى1406/01/29/1986. و "... الحلقة الثانية " في نفس الجريدة، الخميس 20 جمادي الأولى1406/01/30/1986
31 - ـــــــــ، " حديث الاثنين - مع المناضل سيد علي عبد الحميد "، جريدة **الشعب** ، 8 ربيع الأول 1407 /1986/11/10
32 - ـــــــــ، " حديث الاثنين - نضال من داخل إدارة الاحتلال - السيد محمد عبدون "، جريدة **الشعب** ، 9 شوال 1406/06/16/1986
33 - ـــــــــ، "حديث الاثنين - مع المناضل حامد روابحية - الحلقة 1 "، جريدة **الشعب** ، 12 جمادي الأولى 1407/01/12/1987
- ـــــــــ، " حديث الاثنين - مع المناضل الشيخ حامد روابحية - 2 -"، جريدة **الشعب**، عدد 19 جمادي الأولى 1407 هـ/1987/01/19
34 - ـــــــــ، " الرائد عبد الرحمان بن سالم، من " ديلن بيان فو" إلى جبال بني صالح "، **الشروق اليومي** (الجزائر)، الأربعاء 14 ربيع الأول 1430/03/11/2009
35 - علية الصغير، عميرة، " حول الاغتيال السياسي في المغرب العربي (1950-1979)" ، مجلة **روافد**، عدد9، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2004،ص ص. 269-286
36 - غلاب، عبد الكريم، " من رابطة الدفاع عن مراكش حتى مكتب المغرب العربي"، **العلم السياسي**،(المغرب)،عدد 4، أكتوبر 1982، ص ص. 9-17
37 - القجيري، محمد، " جيش التحرير المغربي و أحرار الريف، ضحايا القصر و ميلشيات حزب الاستقلال "، الحلقة الثانية، جريدة **الأخبار**، (الجزائر)، عدد 16 جمادي الأولى 2005/06/23/1426
38 - كاني، جاك، " مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 و بداية مكتب المغرب العربي في القاهرة: عملية ابن عبد الكريم"،(تعريب أمحمد بن عبود)، **م.ت.م.** ، عدد25-26 ، جوان 1982، تونس، ص ص. 7-30

39 - كرو، محمد أبو القاسم، " المهاجرون التونسيون من سنة 1861 إلى الحرب العالمية الأولى"، **ن/م د أ أ**، عدد 2، جوان 1975، تونس، ص ص. 33 - 38.
40 - ليسير، فتحي، " في خلفيات إعلان الجمهورية: براديغم " المرحلية البورقيبية، مطبقا على الفترة جانفي 1956 - جويلية 1957 "، مجلة **روافد**، عدد 12، جامعة منوبة، تونس 2007، ص ص. 89-124
41 - **المجاهد**، عدد 1958/06/14
42 - **مجلة التاريخ**، (عدد خاص بالأمير عبد القادر)، النصف الأول من سنة 1983، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر.
43 - ــــــــــ،(عدد خاص بأحمد توفيق المدني)، عدد 18، النصف الأول من سنة1985، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر.
44 - محساس، أحمد، " عارضت مؤتمر الصومام بسبب قناعات أيديولوجية!"، جريدة **الخبر** اليومية، الجزائر، عدد 1999/09/02
45 - مرحوم، علي، " مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني "، مجلة **الثقافة**، عدد 34، شعبان - رمضان 1396/أوت - سبتمبر1976،ص ص.47 -.63
46 - المدني، أحمد توفيق، " الأخوة الجزائرية - التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر "، مجلة **الثقافة**، عدد خاص 75، رجب - شعبان 1403/ ماي جوان 1983، الجزائر، ص ص.150 - 157.
47 - **المنار**،(الجزائر)، عدد15، 6 جمادي الأولى 1371/ 1952/02/1
48 - " من تقرير المؤتمر الأخير لطلبة إفريقيا الشمالية"، **المنار**، عدد 2، 13 رجب 20/1370 أبريل 1951.
49 - مهري، عبد الحميد، " أحداث مهدت لفاتح نوفمبر 1954"، مجلة **الأصالة**، عدد خاص، 22 رمضان/ ذو الحجة 1394/نوفمبر/ديسمبر1974، الجزائر، ص ص. 8-18
50 - " ميثاق اتحاد أحزاب شمال إفريقيا "، **البصائر**، عدد185، 28 جمادي الثانية 1371/ 1952/03/24
51 - " ميثاق الجبهة المغربية "، **المنار**، عدد19، 2 رجب 1371/ 1952/03/28
52 - الميلي، محمد، (مذكرات) " مقررات مؤتمر طنجة تدفن في تونس - الحلقة 172"، **الشروق اليومي**، الجزائر، عدد 26 محرم 2006/02/25/1427
53 - ــــــــــ، (مذكرات) " من الخبز اليومي إلى الخبز المسموم - الحلقة 173"، **الشروق اليومي**، عدد 27 محرم 2006/02/26/1427
54 - ــــــــــ، (مذكرات) " من ربيع طنجة المنعش إلى صيف تونس الساخن - الحلقة 174"، **الشروق اليومي**، عدد 29 محرم 2006/02/28/1427
55 - هاين ، بيتر، " ألمانيا و العالم الإسلامي "، محاضرة مرقونة بحوزتي، ألقاها صاحبها على طلبة معهد التاريخ بالخروبة، الجزائر يوم 1985/03/7.
56 - ــــــــــ، " قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى(صالح الشريف التونسي)"، محاضرة ألقاها صاحبها على طلبة معهد التاريخ بالخروبة، الجزائر يوم1985/03/6، انظر، ملخصا لها في **مجلة الدراسات التاريخية**، معهد التاريخ، عدد1، 1986/1406
57 - جريدة **الوحدة**،(تونس)، عدد 65، السنة السادسة، فيفري 1990

58 - الورديغي، عبد الرحيم، " جيش التحرير المغربي (1954-1956)، النشأة و التأسيس: وجهة نظر أخرى"، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد7، ديسمبر1996، ص ص. 2-5
59 - الورديغي، عبد الرحيم، " قصة إنشاء مكتب قدماء المقاومة و جيش التحرير "، **ملفات من تاريخ المغرب**، العدد 13، جويلية 1997، ص.14
60 - " وقائع مؤتمر طنجة، أبريل 1958"، **المجاهد الأسبوعي**، عدد 1984/04/29

ب - **باللغة الأجنبية**

1 - L' **A. F.** , n° 9, septembre 1925,p.469
2 - L' **A. F., Chronique de Tunisie**, (aout 1922-1928), " III, Le Destour, La presse arabe en Tunisie, le mouvement corporatif indigène, les évènement du Rif ".
3 - L' **A.F.** n° 6, juin 1937,p.338
4 - L' **A. F**. n° 10, octobre 1937,p.471
5 - AIT-AHMED, H. " Sur le Maghreb et le mouvement national algérien – Interview de... ", in **Sou'al**, n° 2, juin 1982,pp.110-133
6 - AGERON, Charles-Robert, " L'Emir Khaled, petit fils d'Abd-el-Kader fut-il le premier nationaliste algérien? ", in, R.O.M. , n°2, 2° semestre 1966,pp. 9-42
7 - BESSIS, Juliette, " Chekib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb, in **Revue historique**, n° 526, avril – juin 1978, pp. 469-484
8 - CAGNE, J. " Sur les relations du Maroc et de la Turquie au début du XX° siècle: Une nouvelle approche du mouvement Jeune – Marocain ", in **R.H.M**. n° 39-40, décembre 1985, Tunis, pp. 219-224
9 - " Les débats parlementaires sur le Maroc à la Chambre des députés, séance du 28/05/1925, in l' **A. F**. n°6, juin 1925
10 - DESPARMET, J., " L'Afrique du Nord et le Pan-Arabisme – L'Afrique du Nord vue de Damas ",in **A.F**. n° 2, février 1938, pp.56-58
11 - ---------------------, " Afrique du Nord et Pan-Arabisme – Fin ",in **A.F.**, n° 4, avril 1938,pp.164-167
12 - ---------------------," Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie – La politique des oulémas Algériens (1911-1937)", in A.F. n° 7, juillet 1937, pp. 352-358
13 - ---------------------," Le Panarabisme et la Berberie", in **Renseignements coloniaux**, n° 8 et 9, aout-septembre 1937, pp. 194-199
14 - DUCLOS, Jean et autres, " Les nationalismes Maghrébins", Série étude **maghrébine**, n° 7, juillet 1966, Fondation national des sciences politiques, Paris
15 - FLEURY, Antoine, " Le mouvement national arabe à Genève durant l'entre deux-guerres", in **Relations internationales**, n° 19, automne 1979, Paris, pp. 329-354.
16 - " El-Hiba et les allemands ", in l' **A. F**. n° 1,2 et 3,jan.- mars 1918, p.24-25
17 - KATEB, Kamel, " Des populations à l'étroit dans un vaste territoire ", in **Questions internationales**, n° 10, nov.-dec. 2004, (n° spécial sur le Maghreb), Paris.

18 - LADREIT de LACHARRIERE, " Abd-el-Krim, instrument et profiteur du Bolchevisme " , in **Revue des sciences politiques** , T.XLVIII, juil-let-septembre 1925, Félix-Alcan, Paris, pp. 435-450
19 - LEVI-PROVENCAL, E., " L'Emir Shakib Arslan 1869-1946 ", Extrait des **Cahiers de l'Orient Contemporain**, n° IX-X, Paris 1948, pp.1-15
20 - " MĀ Al-aynayn al-Kalkami " in **Encyclopédie de l'Islam**, T.V, Livraison 91/92, Ed. G.P. Maisonneuve et Larose, SA. Paris, 1983, p.896 et T.V. Livraison 93/94, Ed. 1984, p. 897-898
21 - " Le Maghreb dans les textes constitutionnels", in **Questions internationales**, n° 10, novembre-décembre 2004, (Ed. spécial su le Maghreb), Paris
22 - SRAIEB, Noureddine, " Politiques culturelles nationales et unité Maghrébine ", in **Annuaire de l'Afrique du Nord, 1970**, Paris 1971,pp.101-127
23 - " Sur le front marocain – Mai – juin 1916", in **l' A. F**. n° 7, juillet 1916, pp.246-250
24 - TLILI, Bechir, " La grande guerre et les questions tunisiennes: Le groupement de La Revue du Maghreb, (1916-1918) ", in **Les C.T**T.XXVI, 1978, n° 101-102, 1° & 2° trim. Tunis, pp.31-108
25 - " L'Algérie au lendemain de la grande guerre, revendications et réformisme, un document inédit sur la situation politique et administrative des indigènes de l'Algérie (1920-1921)", in **Les C. T**. T.XXII/1974, n° 87-88, Tunis, pp.93-153
26 - VATIN, Jean-Claude, " Conditions et formes de la domination coloniale en Algérie (1919-1945) ", in **Revue des sciences juridiques économiques et politiques**, Vol.IX, n° 4, décembre 1972, Alger, pp.873-906
27 - ZAKI, M'Barek, " Constitution marocaine: Les consultations permanentes entre le pouvoir royal et les réformistes (1956-1996)", in **Dossiers de l'Histoire du Maroc (D.H.M.),** n° 1, juin 1966

8 - مواقع على الانترنت

1 - Google. http:/WWW. Géocities. Com/Macosmet/ Maghreb 2. Html

الفهرس العام